

الشيعة والنسب

□ فرق و تاريخ □

تأليف الأستاذ

إحسان إلهي ظهير

الناشر

إدارة ترجمان السنّة

٤٧٥ شادمان ، لاهور ، باكستان

جميع الحقوق محفوظة للإدارة

الناشر

إدارة ترجمان التنف لالهوور — باكستان
المكتب الرئيسي : ٤٧٥ - شادمان ، لاهور

توزيع

دار السلام

للنشر والتوزيع ﴿قسم الجملة﴾

ص ب - ١٦٧٣٧

الرياض ١١٤٧٤

الطبعة العاشرة

١٤١٥ هـ — ١٩٩٥ ع

طبع في ——— احديتريز

أَهْدَاء

إلى كل من يريد معرفة الحق والحقيقة
من السنة أم من الشيعة ——— !
الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم، الدين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين، وعلى أهل بيته أمهات المؤمنين، وآله الغر الميامين، وأصحابه البررة المقربين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإننى بدأت فى جمع الكتب عن الإسماعيلية وللإسماعيلية بعد ما فرغت من كتابى (البريلوية - عقائد وتاريخ) واشتغلت فى ترتيب وتصنيف، ووضعت الخطة، وخططت الخطوط والتخطيط للكتابة عنهم، وبوّت الأبواب ورتبت الفصول، وجاوزت النصف من العمل حتى وصلتني الدعوة من الاخوة المخلصين، الغيورين لدين الله وحملته لزيارة أمريكا وإلقاء الخطب والمحاضرات فى عديد من ولاياتها، فى مراكز الطلاب ومجاميعهم، وأنديتهم ومحافلهم، أندية الطهارة ومحافل التقوى فى تلك البلاد الكافرة المنحطة، فى حضيض النجاسة والردالة، كالبساتين الوردية والأشجار الوارفة الظل واليانعة الأثمار فى صحراء عاطشة حامية فيحاء، والتي هى كمنارة النور فى ليلة ظلماء، مطيرة حالكة سوداء.

الاخوة العرب المسلمون الذين ذهبوا الى تلك البقاع لطلب العلم بدءوا يعلمونهم العلم، علم الأخلاق وعلم الآداب وعلم الحضارة والثقافة، وعلم الروح علم القرآن وتعاليم الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، واننى بعد ما رأيت وبعد ما شاهدت، رأيت التحمس لدين الله والعمل به والغيرة لحملته، أصحاب رسول الله وأسلاف هذه الأمة، وشاهدت العفاف والعفة والطهارة والتقوى، والمحافظة على الصلوات والخضوع والخشوع فيها، والتشوق والاستماع الى الأحاديث الدينية والكلمات العلمية والمحاضرات الاسلامية، وبصرت أنديتهم ومحافلهم. أيقنت أن الله سيعلى كلمته ويرفع رايته ويظهر دينه على الأديان كلها، وينشر صيت نبيه واسمه وذكره فى تلك البلاد النائية عن بلاد المسلمين، المترامية الأطراف. بهذا الجيل الميمون المبارك، وتيقنت بأنهم هم الذين قال فيهم وفى أنديتهم الشاعر العربى القديم:

وفيههم مقامات حسان وجوههم وأندية يتناها القول والفعل
وإن جئتهم ألفيت حول بيوتهم مجالس قد يشفى بأحلامها الخ
فلبيت دعوتهم وسافرت إليهم وشاركت مؤتمراتهم وحاضرت فى
مجمعاتهم، فتطرقت إلى مواضيع كثيرة وتكلمت فى مطالب شتى
ومسائل عديدة مختلفة، والكلام ذو شجون وألوان، والحديث ذو جوانب
وأطراف، وكان من بينه حول اختلاف الأمة وسبب الخلاف ومنشئه
ومبناه، وحول الفرق التى حدثت ونشأت بين المسلمين وتشتت
وتفرقت، وذهب بعضها بعيدا فى التفريق والاختلاف كما قرب البعض
منها. ومن بين الفرق التى ذهبت إلى الشأو البعيد، واختلفت مع الأمة
اختلافا جذريا وفى الأصول والأساس، الشيعة، فكثرت الكلام وكثرت

الأسئلة ثم الأجوبة عليها. وكانت كتبي الثلاثة عن هذه النحلة في متناول الكثيرين من الطلاب والمستمعين والحضار في تلك المجالس، ولذلك كان البحث جدًّا والأسئلة في صميم الموضوع. والرحى كانت تدور على عقائد القوم ومعتقداتهم التي كشفت النقاب عنها، وعن تاريخ هذه الطائفة ومنشئها والتطورات التي طرأت عليها والفرق التي تفرعت عنها واقتناع الاخوة بما ذكرته في كتبي من عقائد القوم والاكتفاء بها والاحتياج الشديد الى معرفة تاريخ القوم ومنشئهم، والتغيرات التي وقعت حتى جعلتهم يبعدون كل هذا البعد عن الجماعة والأمة، وكان ينتهى الكلام والجلسات على مطالبات وضع الكتاب فوراً في ذلك الخصوص ليكمل البحث ويتم الموضوع، ومادام يكتب الكتاب عن التاريخ والتطورات والمنشأ فلازم أن يشمل الفرق التي انبثقت من التشيع، فرجعت من تلك البلاد وأنا مقتنع بقضاء ما طلبوا، ومصمم على ما أظهرت الاحتياج إليه، فلم أصل الى بلادى في السادس والعشرين من سبتمبر إلا وقد اشتغلت في هذا الموضوع مؤجلاً كتابتى في الإسماعيلية مع شدة حرصى على اكمالها واتمامها، ولكن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولكل شى أجل.

فصرفت فيه جدّى وجهدى ولم أعمل شيئاً في هذه المدة كلها ليلها ونهارها إلا البحث والتنقيب والترتيب والتسويد والتبييض في هذا.

اللهم إلا الخطب والمحاضرات في المدن المختلفة في باكستان، المجاورة للاهور والبعيدة عنها، والتي هى لازمتنى ولاحتقتنى كل حين وكل آن وكل ظرف وكل مكان، ولا ولم ولعلنى لن استطيع التخلص عنها رغم تهربى وفرارى في الآونة الأخيرة لكثرة ملاحقتها لى وتسلطها على ومطاردتها أياى ولزومها لى، ولكثرة العناء والأسفار والمشقة، وقلة الراحة

والطمأنينة، والسكون القلبي والذهني والفكري في سبيلها
 فأحمد الله على إنعامه علىّ بأنّي استطعت حسب مقدوري
 وطاقتي وقدرا استطاعتي وبضاعتي أن أكمل البحث في هذا، ولعله
 يستفيد منه القارئ ويستمتع به الناظر، ويسر به الباحث ويفرح به
 المؤرخ، لأنه قلما كتب عن الشيعة والتشيع بالترتيب التاريخي،
 والتسلسل الزمني، بتنقية المطالب والمباحث من الأغراض والأهداف
 المشبوهة وبتصفيتها من القصص والأساطير، ومن النسيج المدسوس
 المدخول.

كما ندر من نبّه على تطور التشيع الأول وتقلب الشيعة الأولى
 والأسباب والحوادث التي سببت هذا التغير والتبديل. اللهم إلا بعض
 الاشارات التي وجدت في كتب الفرق، الاشارات التي لا تسمن ولا
 تغنى من جوع.

فنحن بدأنا الكتاب ببيان بدء التشيع ونشأته وبيان الشيعة
 الأولى.

ثم عقبنا ذلك الباب بالباب الثاني بيّنا فيه السبئية ومؤسسها عبد
 الله بن سبأ وأفكاره وعقائده التي أراد ترويحها بين الشيعة الأولى، وبيّنا مع
 ذلك الفضائح والقبائح التي ارتكبها هو وأنصاره وأعوانه والمخدعون به
 والواقعون في حباله، وبما قاموا من السعي بالفتنة والفساد والأحداث
 التي حدثت بسبب مؤامراتهم ومخططاتهم.

كما بيّنا في الباب الثالث اندماج السبئية في صفوف الشيعة وإيقاع
 بعضهم في شراكهم وفخهم في خلافة عليّ، ومحاربة عليّ رضي الله عنه
 أفكار هؤلاء، ومحاولته منع شيعته من الركون إليهم وإلى عقائدهم، كما
 يتضمن هذا الباب وقائع حرب الجمل وصفين خالية من الأباطيل

ومتضمنة الحقائق التي طالما خفيت على الكثيرين من الناس وحتى السنة، ولعله أول مرة بهذا الوضوح والتفصيل.

ثم ذكرنا في الباب الرابع تطور التشيع الأول وتبديل الشيعة الأولى وتسلط السبئيين على التشيع وغلبتهم على الشيعة ومقاومة الحسن أفكارهم وعقائدهم، ثم حدوث بعض فرق الشيعة الأخرى المتطرفة عنهم، ثم ذكرنا وقائع شهادة الحسين بالاختصار، والنتائج التي نتجت بعد هذه الشهادة، وتطور التشيع من الفكر السياسي إلى الفكر الديني، وتغير الشيعة من الحزب السياسي إلى الحزب المذهبي.

وفي الباب الخامس ذكرنا ببعض الاختصار وبعض التفصيل أهم فرق الشيعة التي حدثت في مختلف الأيام والعهود، وزمن أولاد علي بن أبي طالب العشرة منهم، ومعتقداتهم ومختصر عقائدهم.

والجدير بالذكر أننا لم نذكر فرقة منهم لم تذكر في كتب القوم وذكرت في كتب السنة، فمدارنا ومعلونا واعتمادنا لم يكن إلا على كتب القوم أنفسهم كي لا يقول قائل: قيل عنا ولم نقله، بل عكس ذلك نقول: قلتم فنقلناه.

وأما الباب السادس فخصصناه لذكر الفرقة الاثني عشرية أو الإمامية، وهي الفرقة الموجودة حالياً في العالم الإسلامي بكثرة، وهي التي يطلق عليها اسم الشيعة، ولا يقصد عند إطلاقه أحد غيرهم. ثم ذكرنا في ذلك الباب وجهة نظر الشيعة تجاه إمامهم الثاني عشر أمولود وغائب، أو موهوم ومعدوم؟.

وضمن ذلك بيانا عقيدتهم في الإمامة وشروط الإمام التي تلزمه مع بيان فرق الاثني عشرية التي انبثقت منها مع ادعاء كل واحدة منها كونها من الاثني عشرية أو الإمامية أو الجعفرية.

والباب الأخير خصصناه لبيان الروابط العقائدية التي تربطها بالعقائد السبئية، المنقولة من اليهودية والمأخوذة منها. وهذا لقد أوشكنا على الانتهاء من هذا الموضوع حيث تكمل^(١) الكتب التي ألفناها في الشيعة بهذا الكتاب، ولعلنا لا نكون مخطئين ولا مبالغين عندما نقول ان هذه الكتب الأربعة تغني الكثيرين من الناس في معرفة الشيعة والتشيع، ومن كتبهم أنفسهم، ومعرفة عقائدهم وتاريخهم وفرقهم، وحتى الشيعة أنفسهم يجدون فيها ما يدعوهم إلى التفكير والتعقل والتبصر ودقة النظر لتمييز الحق من الباطل والصواب من الخطأ.

وألفت أنظار القراء والباحثين إلى أننا حاولنا في كتابنا هذا كدأبنا

(١) هذا حسب ظننا وإلا فالحاجة لكشف الحقائق إلى كتب كثيرة، لا كما كنا نتوقع سابقا بأن المختصرين يكفيان لتعريف القوم وبيان حقائقهم. وما نحن نتبع الكتاب الأول بعد الكتاب الثاني والثالث بالكتاب الرابع. وعند الملاحظات الأخيرة وصل إلينا كتاب جديد في اللغة الفارسية باسم (حجت اثنا عشرى) من إيران، حاول صاحبه الرد علينا في القسم الأخير الكبير من الكتاب ولكنه اختفى تحت الاسم المستعار، وبدون الإشارة والنص على شخصيته وهويته خوفا من الفضيحة وتهربا من الحجل والندم لما يرى من تخاذله وعجزه عن القيام بالرد العلمي على المطالب التي أوردناها في كتابنا (الشيعة والسنة) والمباحث التي طرحناها أمام القارئ والباحث من السنة أو الشيعة.

ومن الطرائف أن هذا المبرقع بزرقة (حقكوا- أي القائل بالحق) حذانا مرات عديدة وقال: إنه سيعطينا جائزة ان خطائنا في رأيه فيما كتب وأثبتنا غلطته وعدم أصابته الصواب، ثم ولا يكتب على الكتاب داخله وخارجه لا اسمه ولا رسمه، ومن وجله وخوفه من بطشة الحق أنه لم يستطع ذكر المطبعة التي طبعت هذا الكتاب، ولا الإدارة التي نشرته، ولا الجهة التي صدرته. فهذه هي جرأة القوم وهذه هي حقيقتهم.

فهذه الحقيقة الواحدة هي التي تكفي لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، والتفريق بين التخاذل والثبات، وبين الصدق والكذب.

= فالحاصل أننا لا ندرى أيكون هذا الكتاب هو آخر كتاب في هذا الموضوع أم يجبرنا القوم على مواصلة التعقيب والتنقيب والبحث والتفتيش للاستطلاع والاستكشاف وكشف النقاب عن الحقائق الأخرى الخافية المخفية عن أعين الناس من السنة، وحتى الشيعة أنفسهم. وأتأثر أيضا في كل مرة نرجع إلى كتب القوم أنها على قسمين: الكتب التي كتبت فقط للدعاية، وكتب متضمنة للعقائد الأصلية والمعتقدات الحقيقية. فالكتب الدعائية كثرت في العصور المتأخرة، وما أكثر ما استعمل مصنفوها الكذب والخداع لتغطية الأمور أمام المسلمين السنة، فما أخرج الناس إلى معرفة الزور والخداع عن الصدق والحق. فلکم فكرنا في إصدار كتاب يتضمن نقد هذه الكتب وما ورد فيها من المكر والخداع والتناق والتعمية بعنوان (بين يدي الكتب) ولكن الكتابة في المواضيع الأخرى تحول بيننا وبين ذلك. ولا ندرى ما في مغيبات الأمور والله يعلم الأسرار.

في الكتب الأخرى أن لا نكرر شيئا أوردناه في كتاب آخر وحتى عند الاحتياج نبحث عن شيء آخر مماثل لذلك الشيء الذي أوردناه فيما سبق تجنبنا للتكرار وزيادة في الفائدة، اللهم إلا ما لا بد منه لتشابك المواضيع وترادفها، وبذلك صارت هذه الكتب خالية من التكرار المشين، ولكل قيمته.

وعلى تلك الأصول والقاعدة لم نذكر ترجمة من نقلنا عنه عبارة أو اقتبسنا من كتابه كلاما وقد ذكرنا ترجمته في الكتب الثلاثة السابقة، واكتفينا بذكر تعريف موجز مناسب للمقام للرجال الذين لم يرد تراجعهم قبل ذلك.

وميزة هذا الكتاب أنه يشتمل مع تاريخ التشيع والشيعة وتغيير التشيع الأول وتبدل الشيعة الأولى والفرق التي حدثت ونشأت بهذا الاسم وانقرضت أوبقيت، على مطاعن الشيعة على أصحاب رسول الله وخاصة عثمان ومعاوية وغيرهما رضوان الله عليهم أجمعين، والرد عليها ردا علميا ومنطقيا، وإنني لأرجو الله العلي القدير أن ينفع به الخلائق، الأحياء والأباعد، وأن يتقبله خالصا لوجهه الكريم ويجعله ذخيرة لى في الدين والدنيا، وفي الحياة وبعد الممات، وأن يحشرنى في زمرة أصحاب نبيه العظيم، وأن يوفقنى للدفاع عن حوزة شريعته، وكرامة نبيه، وعظمة أصحابه ورفاقه وتلامذته، وأزواجه أمهات المؤمنين، وعن أسلاف هذه الأمة وعلمائها ومحسنيها، وجعلنا منهم، إنه سميع مجيب.

وأخيرا لا يسعنى إلا أن أشكر جميع الأخوة والأحباء الذين ساندوني وساهموا في اخراج هذا الكتاب، وناصروني في مواصلة الكتابة في مثل هذه المواضيع، فبارك الله فيهم وشكر مساعيهم وتقبل أعمالهم وجزاها عننا وعن الإسلام خير الجزاء، وصلى الله على رسوله وعلى آله

وأصحابه ومن اهتدى بهديهم وسلك مسلكهم إلى يوم الدين .

احسان الهى ظهير

٣٠ محرم المحرم ١٤٠٤ هـ

٦ نوفمبر ١٩٨٣ م

التشيع الأول والتشيع الأول

إن لفظة الشيعة لا تطلق إلا على اتباع الرجل وأنصاره فيقال :
فلان من شيعة فلان أى ممن يهون هواه كما قال الزبيدى^(١) : كل قوم
اجتمعوا على أمر فهم الشيعة ، وكل من عاون إنسانا وتحزب له فهو شيعة
له ، وأصله من المشايعة وهى المطاوعة والمتابعة^(٢) .
فلم يكن استعمال هذه اللفظة فى العصر الأول من الإسلام إلا فى
معناه الأصلى والحقيقى هذا ، كما لم يكن استعمالها إلا لأحزاب سياسية
وفئات متعارضة فى بعض المسائل التى تعلق بالحكم والحكام ، وقد شاع
استعمالها عند اختلاف معاوية مع علي رضى الله تعالى عنها بعد شهادة
عثمان رضى الله عنه ، فكان يقال عن أنصار علي وأتباعه شيعة علي ،
وهؤلاء - أى شيعة علي - كانوا يرون عليا رضى الله عنه الخليفة الراشد
الرابع والأحق بالخلافة من معاوية وغيره ، وكانوا يشايعونه ويناضرونه فى
حروبه مع معاوية رضى الله عنه ، كما كان شيعة معاوية يرون الأمر
بالعكس للجوء قتلة عثمان بن عفان إلى معسكر علي وتحت كنفه حسب
زعمهم ، ومادام هؤلاء كذلك ، لم يكونوا معتقدين بثبوت الخلافة
وأحقيتها لـعلي بن أبى طالب رضى الله عنه . فإن قتل القتلة ونفذ فيهم

(١) هو محمد بن محمد بن محمد عبد الرزاق الحسينى الزبيدى ، أبو الفيض ، الملقب بمرتضى ، ولد
بالهند فى بلجرام . . علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب ، من كبار المصنفين له كتب كثيرة ، منها تاج
العروس فى شرح القاموس ، عشرة مجلدات ، توفى بالطاعون فى مصر سنة ١٢٠٥ هـ (الاعلام للزركلى
ج ٧ ص ٢٩٨) .

(٢) تاج العروس للزبيدى ج ٥ ص ٤٠٥ .

حد السيف رجعوا إليه وإلى التسليم بخلافته والانقياد لأمره كما نقله المؤرخون أن معاوية رضى الله عنه قال لمن بعث إليه من قبل علي رضى الله عنه من عدى بن حاتم ويزيد بن قيس الأرجبي وشبيث بن ربعي وزياد بن حفصة يدعونه إلى الجماعة والطاعة :

أما بعد فإنكم دعوتوني إلى الجماعة والطاعة ، فأما الجماعة فمعنا هي ، وأما الطاعة فكيف أطيع رجلا أعان على قتل عثمان وهو يزعم انه لم يقتله ؟ ونحن لا نرد ذلك عليه ولا نتهمه به^(٣) ولكنه آوى قتلة عثمان فيدفعهم إلينا حتى نقتلهم ثم نحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة^(٤) .
وقال بمثل هذه المقولة لأبى الدرداء ولأبى أمامة المبعوثين أيضا من قبل علي رضى الله عنه :

اذهبا إليه فقولا له : فليقدنا من قتلة عثمان ثم أنا أول من بايعه من أهل الشام^(٥) .

وقبل ذلك حينما أرسل علي رضى الله عنه جرير بن عبد الله إلى معاوية يدعوه إلى بيعته «طلب معاوية عمرو بن العاص ورؤوس أهل الشام فاستشارهم فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان أو أن يسلم إليهم قتلة عثمان^(٦)» .

وإن المؤرخين ذكروا أيضا أن أبا الدرداء وأبا أمامة عندما رجعا إلى علي قالوا له ذلك ، فقال :

هؤلاء الذين تريان ، فخرج خلق كثير ، فقالوا : كلنا قتلة عثمان ،

(٣) انظر الى القول العدل الذى صدر من رجل يكب عليه الشيعة ويلاتهم ودفائن حقدهم وبغضهم بدعوى أنه قال فى علي كيت وكيت ، فانظر اليه كيف يصرح بأننا لا نتهمه بقتل عثمان بل نصديق قوله فى براءته من دمه ولا نقول ما ينكره على رضى الله عنه .

(٤) البداية والنهاية ج٧ ص ٢٥٧ ط بيروت ، الطبرى ج٥ ص ٦ ، الكامل ج٣ ص ٢٩٠ .

(٥) البداية والنهاية ج٧ ص ٢٥٩ .

(٦) البداية والنهاية ج٧ ص ٢٥٣ .

فمن شاء فليمرنا^(٧)» .

هذا ولسنا الآن بصدد بيان أسباب الحروب التي دارت بين علي رضي الله عنه وبين معاوية رضي الله عنه وغيره ولكننا نريد أن نبين ههنا أن فئتين عظيمتين من المسلمين - كما عبر عنهما الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام في مدحه الحسن رضي الله عنه - انحاز كل واحدة منهما إلى جانب وشايعت وناصرت من رأوا الحق معه ، فسميت كل طائفة من هاتين الطائفتين شيعة علي وشيعة معاوية ، ولم يكن الخلاف بينهما إلا خلافا سياسيا محضا ، طائفة كانوا يرون عليا رضي الله عنه خليفة ، صاحب حق شرعى حيث انعقدت له الخلافة بمشورة أهل الحل والعقد من المهاجرين والأنصار^(٨) ، وقوم رأوا أحق الناس بها معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنهما حيث أنه يريد الثأر لدم الإمام المظلوم ، صهر رسول الله وخليفته للمسلمين ، الذى أخذ رسول الله ﷺ البيعة المشهورة لأخذ الثأر عنه يوم الحديبية ، وسميت فيما بعد هذه البيعة ببيعة الرضوان حيث أنزل الله رضاه لكل من بايع لأجله^(٩) .

وكذلك اطلقت هذه اللفظة على حزب سياسى موحد لبنى علي وبني العباس بتركيب شيعة آل محمد مقابل شيعة بنى أمية ، ولم يكن إطلاقها إلا لبيان رأى سياسى فى من يتولى الحكم وفى من يحق ان يتولاه . وقد صرح بذلك شيعى مشهور ناقلا عن كتاب الزينة للسجستاني :

(٧) البداية والنهاية ج٧ ص ٢٥٩ .

(٨) كما استشهد علي رضي الله عنه على أحقيتها له : إنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فان اجتمعوا على رجل وسموه إماما كان ذلك لله رضي ، فان خرج منهم خارج بطعن أو بدعة رآوه الى ما خرج منه ، فان أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى (نهج البلاغة ص ٣٦٧) .

(٩) بقوله ج١ ، وعلا : لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة .

ثم بعد مقتل عثمان وقيام معاوية وأتباعه في وجه علي بن أبي طالب وإظهاره الطلب بدم عثمان واستماتته عددا عظيما من المسلمين إلى ذلك صار أتباعه يعرفون بالعثمانية وصار أتباع علي يعرفون بالعلوية مع بقاء إطلاق اسم الشيعة عليهم واستمر ذلك مدة ملك بنى أمية^(١٠).

ونقل أيضا من نقيب الشيعة بحلب:

كل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأى بعض فهم شيعة. وشيعة الرجل أتباعه وأنصاره، ويقال: شايعة كما يقال والاه من الولي والمشايع، وكأن الشيعة لما اتبعوا هؤلاء القوم واعتقدوا فيهم ما اعتقدوا سمو بهذا الاسم لأنهم صاروا أعوانا لهم وأنصارا وأتباعا، فأما من قبل حين أفضت الخلافة من بنى هاشم إلى بنى أمية وتسلمها معاوية بن صخر من الحسن بن علي وتلقفها من بنى أمية رجل فرجل - نفر كثير من المسلمين من المهاجرين والأنصار عن بنى أمية ومالوا إلى بنى هاشم وكان بنو علي وبنو عباس يومئذ في هذا شرع، فلما انضموا إليهم واعتقدوا أنهم أحق بالخلافة من بنى أمية وبذلوا لهم النصرة والموالات والمشايع سمو شيعة آل محمد، ولم يكفهم إذ ذاك بين بنى علي وبنى العباس افتراق في رأى ولا مذهب. فلما ملك بنو العباس وتسلمها سفاحهم من بنى أمية نزغ الشيطان بينهم وبين بنى علي فبدا منهم في حق بنى علي ما بدا فنفر منهم فرقة من الشيعة^(١١).

وقد كررنا لفظ السياسة حيث نقصد من ورائها أنه لم يكن بين القوم خلاف ديني يرجع إلى الكفر والإسلام كما أقر بذلك سيدنا علي رضى الله عنه حيث قال مخاطبا جنده عن معاوية وعساكره:

(١٠) أعيان الشيعة لمحسن الأمين: الجزء الأول القسم الأول ص ١٢.

(١١) أيضا ص ١٣ نقلا عن غاية الاختصار في أخبار بيوتات العلوية المحفوظة من الغبار لسيد تاج

الدين بن حمزة الحسيني نقيب حلب.

أوصيكم عباد الله تقوى الله، فإنها خير ما تواصى به العباد به،
وخير عواقب الأمور عند الله، وقد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل
القبلة^(١٢).

هذا وقد زاد على رضى الله عنه المسألة وضوحا وبيانا في كتاب له
كتبه إلى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين، ويبين
فيه حكم من ناضلوه وقتلوه وموقفه منهم :

وكبان بدء أمرنا أنا التقينا والقوم من أهل الشام، والظاهر أن ربنا
واحد ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان
بالله والتصديق برسوله، ولا يستزيدوننا، الأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه
من دم عثمان، ونحن منه براء^(١٣).

ولأجل ذلك منع أصحابه من سب أهل الشام وأنصار معاوية
وشتمهم إياهم أيام حرهم بصفين :

إنى أكره لكم أن تكونوا سبائين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم،
وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول وأبلغ في العذر، وقلتم مكان
سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا
وبينهم^(١٤).

ويؤيد ذلك حديث شيعى مشهور رواه الكليني في صحيحه
(الكافي) عن جعفر بن محمد الباقر - الإمام السادس المعصوم حسب زعم
الشيعة - أنه قال: ينادى مناد من السماء أول النهار: ألا إن عليا صلوات
الله عليه وشيعته هم الفائزون، قال: وينادى مناد آخر النهار: ألا إن

(١٢) نهج البلاغة ص ٣٦٧ ط بيروت.

(١٣) أيضا ص ٤٤٨.

(١٤) أيضا ص ٣٢٣.

عثمان وشيعته هم الفائزون^(١٥).

ومن طريف ما ذكر أن أبا العالية وهو تابعي مشهور أدرك النبي ﷺ وهو شاب ولكنه لم يسلم إلا بعد وفاة النبي ﷺ في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فانه روى عنه أبو خلدة أنه قال: قال أبو العالية: لما كان زمان علي ومعاوية واني لشاب، القتال أحب إلي من الطعام الطيب، فجهزت بجهاز حسن حتى أتيتهم، فإذا صفان ما يرى طرفهما إذا كبر هؤلاء كبر هؤلاء وإذا هلك هؤلاء هلك هؤلاء فراجعت نفسي فقلت: أي الفريقين أنزله كافرا؟ ومن أكرهني على هذا؟ قال: فما أمسيت حتى رجعت وتركته^(١٦).

ولا ننكر أنه كان هناك أناس تأثروا بدسائس يهودية وأفكار مدسوسة وخرجوا عن الجادة المستقيمة وأعطوا هذا الخلاف صبغة دينية أمثال السبائين وغيرهم ممن وقعوا في حبال اليهودية المبغضة للإسلام، وهم الذين كانوا يؤججون نار الحرب كلما خبت نيرانها كما سنفصل القول فيما بعد إن شاء الله ولكن عامة الناس كانوا على منأى عنها.

فهذه هي بداية استعمال هذه اللفظة، ثم اختص بكل من يوالى عليا وأولاده ويعتقد الاعتقادات المخصوصة والمستقاة من دسائس عبد الله بن سبأ اليهودي وغيره من الذين أرادوا هدم عمارة الإسلام وكيانه وتشويه عقائده وتعليقاته كما قال ابن الأثير في نهايته:

وأصل الشيعة الفرقة من الناس. وتقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد، وقد غلب هذا الاسم على كل من يزعم (?) أنه يتولى عليا رضي الله عنه وأهل بيته حتى صار لهم اسما خاصا، فإذا قيل فلان من الشيعة عرف أنه منهم، وفي مذهب

(١٥) الكافي في الفروع ج ٨ ص ٢٠٩.

(١٦) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٤ ص ٢١٠، طبقات ابن سعد ج ٧ ص ١١٤.

الشيعة كذا، أى عندهم، وتجمع الشيعة على شيع وأصلها من المشايعة وهي المتابعة والمطاوعة (١٧)».

وأما ادعاء من يدعى بأن هذه اللفظة كانت شائعة في عهد النبي ﷺ كما كان التشيع موجودا في عصره والشيعة موجودون في زمنه فلا ينهض به دليل ولا يقوم به برهان كما قال محمد الحسين في (أصل الشيعة وأصولها):

إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام - هو نفس صاحب الشريعة - يعنى ان بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام جنبا إلى جنب، وسواء بسواء، ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقى والعناية حتى نمت وازدهرت في حياته (١٨)، ثم أثمرت بعد وفاته (١٩)».

وبمثل ذلك القول قال الآخر: ان التشيع ظهر في أيام نبي الإسلام الأقدس الذى كان يغذى بأقواله عقيدة التشيع لعلي عليه السلام وأهل بيته ويمكنها في أفهام المسلمين ويأمر بها في مواطن كثيرة (٢٠)».

(١٧) النهاية لابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٤.

(١٨) واستشهد على ذلك بروايات وأهية موضوعة ومكذوبة على رسول الله ﷺ ولا تصح منها ولا رواية واحدة مثل (ان عليا وشيعته لهم الفائزون).

وعلى ذلك قال ابن الحديد الشيعي الغالى: ان أصل الأكاذيب في أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة، فانهم وضعوا في بدأ الأمر أحاديث مختلفة في فضائل أئمتهم حملهم على وضعها عداوة خصومهم (شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٧٨٣).

ومن أعجب العجائب أن رجلا كهذا يكذب بكل وقاحة ولا يستحي حيث ينسب رواية باطلة موضوعة ألا وهي رواية الطبري الصحيحين. ولا وجود لها فيها.

وكذلك من عذ عدا كبرا من أصحاب النبي ﷺ في حياته وأطلق عليهم بأنهم كانوا شيعة على مثل محسن الأمين ومحمد حسين الزين وآل كاشف الغطاء وغيرهم فلا ندرى بماذا يبيجون عن أحاديث كثيرة مروية في صحاحهم التي تحكم على ارتداد جميع أصحاب رسول الله ﷺ إلا الثلاثة سلمان وأبوذر والمقداد (انظر تفصيل ذلك في كتابنا الشيعة والسنة) فهل هؤلاء كانوا كفرة مع كونهم شيعة علي، ثم وكيف قبل سلمان إمارة من قبل عمر بن الخطاب رضى الله عنه؟ (حياة القلوب للمجلس ج ٢ ص ٧٨٠). وكان من أحد القادة الذين أرسلهم الفاروق لفتح المدائن (ابن كثير ج ٧ ص ٦٧).

(١٩) أصل الشيعة وأصولها ص ٨٧.

(٢٠) الشيعة في التاريخ لمحمد حسين الزين ص ٢٩.

ولم يظن المظفرى الشيعى هذا كافيا فقال :

ان الدعوة الى التشيع ابتدأت من اليوم الذى هتف فيه المنقذ الأعظم محمد صلوات الله عليه صارخا بكلمة لا إله إلا الله فى شعاب مكة وجبالها . . . فكانت الدعوة للتشيع لأبى الحسن عليه السلام من صاحب الرسالة تمشى منه جنبا لجنب مع الدعوة للشهادتين^(٢١) .

ولا يخفى ما فيه من المجازفة بالقول والغلو لأن معناه أن رسول الله ﷺ لم يدع الى الإسلام والى وحدانية الله عز وجل والاقرار برسالته وطاعته والى الاتحاد والاتفاق والتآلف والمحبة والمودة، بل كان يدعو الى التحزب والتفرق والتشيع لعلى دون غيره، كما أنه حسب دعوى المظفرى كان يجعل عليا شريكا له فى نبوته ورسالته مع أن كلام الله المحكم الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذى أنزله الرحمن وضمن حفظه، قرآنه وبيانه، خال من كل هذا^(٢٢) بل وبالعكس ذلك إنه ملئ بالدعوة إلى طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله، والاعتصام بحبل الله وحده، والتمسك بالقرآن والسنة، والتجنب لما سواهما، كما أمر المسلمين بالاتفاق والاتحاد والتسمى باسم الإسلام والمسلمين، وكذلك الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ^(٢٣) لا تشتمل ولا تضرح إلا بهذا

(٢١) تاريخ الشيعة لمحمد حسين المظفرى ص ٨، ٩ ط قم .

(٢٢) ولعل هذا من أهم دواعى انكار القرآن والاعتقاد فيه بالتغيير والتحريف والنقصان من قبل الشيعة لأنهم لا يجدونه مؤزرا لهم ومناصرا، بل كل ما فيه يخالف التشيع وعقائدهم بأصولها وفروعها ويفسد مزاعمهم ويسفهم عقولهم وأراءهم وأفكارهم . فانظر لتفصيل ذلك ومعرفتها بكتابنا (الشيعة والسنة) (والشيعة والقرآن) .

(٢٣) والعجب كل العجب أن الشيعة الذين ينكرون الأحاديث الصحاح لرسول الله الثابتة عنه لأن رواة هذه الأحاديث وحملتهاهم أصحاب رسول الله وكلهم ارتدوا - عياذا بالله حسب زعمهم - يثقون بروايات هؤلاء ومروياتهم . لا ندرى ان الشيعة أولئك كيف يتمسكون بالروايات الموضوعة الباطلة والأحاديث الواهية المكذوبة على رسول الله ﷺ ؟ لأنه اختلق هذه الروايات واخترعها رجال منهم أو = وضعها روايتهم والدعاة الى أباطيلهم وأضاليلهم .

وقلما نجد الشيعة يتمسكون بحديث صحيح أو يعتقدون به وإلا كل بضاعتهم الموضوعات أو الأساطير والقصص .

كله لا غير فلقد قال الله عز وجل :

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون﴾ (٢٤)

وقال : ﴿أطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ (٢٥)

وقال : ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ (٢٦)

وقال : ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ (٢٧)

وقال : ﴿من يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ (٢٨)

وقال : ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ (٢٩)

وقال : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت﴾ (٣٠)

وقال جل وعلا : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ (٣١)

وقال : ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ (٣٢)

وقال : ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾ (٣٣)

(٢٤) سورة الأنفال : الآية ٢٠

(٢٥) سورة محمد : الآية ٣٣

(٢٦) سورة آل عمران : الآية ١٣٢

(٢٧) سورة الحشر : الآية ٧

(٢٨) سورة النساء : الآية ١٥

(٢٩) سورة الأحزاب : الآية ٣٦

(٣٠) سورة النساء : الآية ٦٥

(٣١) سورة آل عمران : الآية ١٠٣

(٣٢) سورة الأنفال : الآية ٤٦

(٣٣) سورة المؤمنون : الآية ٥٣

وقال: ﴿ولا تكونوا من المشركين، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا﴾ (٣٤).

وقال: ﴿إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب﴾ (٣٦).

وقال: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (٣٧).

وأخيراً أخبر الكون ومن في الكون بأنه لم يرسل نبيه ولا رسوله خاتم النبيين والمرسلين إلا بما أرسل به الرسل والأنبياء من قبل حيث أمره أن يقول: ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إليّ وما أنا إلا نذير مبين﴾ (٣٨).

وكما قال: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم موسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾ (٣٩).

ولقديين جل وعلا سبحانه وتعالى مجملاً بما أرسل الرسل من قبله حيث قال: ﴿وما أرسلنا قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ (٤٠).

كما فصل في مواضع عديدة من القرآن بذكر كل واحد منهم

(٣٤) سورة الروم: الآية ٣٢.

(٣٥) سورة الحج: الآية ٧٨.

(٣٦) سورة آل عمران: الآية ١٩.

(٣٧) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

(٣٨) سورة الاحقاف: الآية ٩.

(٣٩) سورة الشورى: الآية ١٣.

(٤٠) سورة الأنبياء: الآية ٢٥.

برسالته .

وبمثل ذلك تماما وردت أحاديث رسول الله ﷺ الصحيحة

الثابتة .

وأما القوم فهم على خلاف ما بينه الرب جل وعلا وبينه رسوله العظيم عليه الصلاة والسلام حيث يزعمون أنه لم يرسل الرسول ﷺ إلا للدعوة إلى التشيع والتفرق وإلى الإشراك في ذات الله وصفاته ، وإشراكه عليا وأولاده في النبوة والرسالة والإطاعة ، ثم يسردون لإثبات ذلك روايات كلها باطلة وموضوعة ، رواية ودراية ، رواية حيث إن الرواة الذين رووا تلك الأحاديث شيعة ضالون ووضاعون كذابون ، ولم ترد هذه الروايات في كتب موثوقة معتمدة ، ودراية حيث تعارض القرآن ونصوصه كما تخالف العقل ، لأن العقل يقتضى أن لا يكون الشرائع مقصودها ومهمتها الدعوة إلى الحب لأشخاص والولاية لهم ويسبب هذه الولاية دخولهم في الجنة ونجاتهم من النار ، كما أن الآيات القرآنية تنفى ذلك نفى باتا حيث لم يجعل الحب وحتى حب الله كافيا للفوز والنجاح في الآخرة حيث قال الله عز وجل :

﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ (٤١) .

وما الاتباع إلا الإيثار بالله والعمل الصالح حسب أوامر الله ونبيه والاجتناب عن نواهى الله ورسوله :

﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم ﴾ (٤٢) .

وقال : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من

(٤١) سورة آل عمران : الآية ٣١ .

(٤٢) سورة يونس : الآية ٩ .

تحتها الأنهار ذلك الفوز العظيم ﴿٤٣﴾

ولقد اضطربت آراء القوم أنفسهم في بدء نشأة التشيع وتكوينه حيث قال إمام الشيعة في الفرق النوبختي ، أن نشأته لم تكن إلا بعد وفاة رسول الله ﷺ كما كتب :

قبض رسول الله صلى الله عليه وآله في شهر ربيع الأول سنة عشر من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت نبوته عليه السلام ثلاثاً وعشرين سنة وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ، فافترقت الأمة ثلاث فرق (فرقة منها) سميت الشيعة وهم شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام ومنهم افترقت صنوف الشيعة كلها ، «فرقة منهم» ادعت الأمرة والسلطان وهم الأنصار ودعوا إلى عقد الأمر لسعد بن عباد الخزرجي ، «فرقة» مالت إلى بيعة أبي بكر بن أبي قحافة وتأولت فيه أن النبي صلى الله عليه وآله لم ينص على خليفة بعينه وأنه جعل الأمر إلى الأمة تختار لأنفسها من رضىته ، واعتل قوم منهم برواية ذكروها أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمره في ليلته التي توفي فيها بالصلاة بأصحابه فجعلوا ذلك الدليل على استحقاقه إياه وقالوا رضيه النبي صلى الله عليه وآله لأمر ديننا ورضيناه لأمر دينانا وأوجبوا له الخلافة بذلك فاختصمت هذه الفرقة ، وفرقة الأنصار وصاروا إلى سقيفة بني ساعدة ومعهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح والمغيرة بن شعبة الثقفي وقد دعت الأنصار إلى العقد لسعد بن عباد الخزرجي والاستحقاق للأمر والسلطان فتنازعوا هم والأنصار في ذلك حتى قالوا منا أمير ومنكم أمير فاحتجت هذه الفرقة عليهم بأن النبي عليه السلام قال : الأئمة من قريش : وقال بعضهم أنه قال :

الإمامة لا تصلح إلا في قريش: فرجعت فرقة الأنصار ومن تابعهم إلى أمر أبي بكر غير نفريسير مع سعد بن عباد ومن اتبعه من أهل بيته فإنه لم يدخل في بيعته حتى خرج إلى الشام مراغماً لأبي بكر وعمر فقتل هناك بحوران قتله الروم، وقال آخرون: قتله الجن، فاحتجوا بالشعر المعروف وفي روايتهم أن الجن قالت:

قد قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباد ورميناه بسهمين فلم نخطي فؤاده وهذا قول فيه بعض النظر لأنه ليس في التعارف أن الجن ترمي بني آدم بالسهام فتقتلهم، فصار مع أبي بكر السواد الأعظم والجمهور الأكثر فلبثوا معه ومع عمر مجتمعين عليهما راضين بهما^(٤٤).

وأما ابن النديم الشيعي^(٤٥) فيرى أن تكوين الشيعة لم يكن إلا يوم وقعة الجمل حيث قال:

ولما خالف طلحة والزبير على علي رضي الله عنه وأبيا إلا الطلب بدم عثمان، وقصدهما علي عليه السلام ليقاتلها حتى يفينا إلى أمر الله تسمى من اتبعه على ذلك باسم الشيعة^(٤٦).
ومنهم من قال:

اشتهر اسم الشيعة يوم صفين^(٤٧).

وبمثل ذلك القول قال ابن حمزة وأبو حاتم وغيرهما من الشيعة، وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه، وبمثل هذا القول قال ابن حزم في (الفصل)^(٤٨) من المتقدمين وأحمد أمين^(٤٩) وغيره الكثيرون الكثيرون

(٤٤) فرق الشيعة للنوبختي ص ٢٣، ٢٤.

(٤٥) هو ابن الفرج محمد بن اسحاق النديم الكاتب الفاضل الخبير الماهر المتبحر الشيعي الإمامي مصنف كتاب الفهرست المولود سنة ٢٩٧ المتوفى سنة ٣٨٥. (الكنى والألقاب للقمي ج ١ ص ٤٢٥-٤٢٦).

(٤٦) الفهرست لابن النديم ص ٢٤٩.

(٤٧) روضات الجنات للخوانساري ص ٨٨.

(٤٨) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ٧٩.

(٤٩) فجر الإسلام ص ٢٦٦ الطبعة الثامنة.

من التأخرين .

ويقول شيعى معاصر: إن استقلال الاصطلاح الدالّ على التشيع إنما كان بعد مقتل الحسين حيث أن التشيع أصبح كيانا مميّزا له طابع خاص (٥٠).

ولأجل ذلك اضطر محسن الأمين إلى أن يقول:

سواء كان اطلاق هذا الاسم في حياة الرسول أو بعد الجمل فالقول بتفضيل علي عليه السلام ومولاته الذى هو معنى التشيع كان موجودا في عهد الرسول واستمر بعده إلى اليوم (٥١).

والمظفرى أن يقول:

فكان التجاهر بالتشيع أيام عثمان (٥٢).

وهو الصحيح لأنه لا يوجد الأسماء قبل المسميات ولا الأحزاب قبل الخلافات، فلما وجد الخلاف تحزب لكل رأى حزب وتعصبوا جماعات وفرقا فآنذاك وجدت الجماعات ووجدت لها الأسماء ولم يكن هناك خلاف بين المسلمين ولم يتعصب له أشخاص قبل مقتل عثمان ذى النورين رضى الله عنه وقبل النتائج التى نتجت من قتله وبعد تولية علي رضى الله عنه أمرة المؤمنين وخلافة المسلمين، وعندئذ نشأ الخلاف، فمنهم من رأى رأى علي رضى الله عنه وأنصاره، ومنهم من رأى رأى طلحة والزبير ثم رأى معاوية وأتباعه، وهناك تحزب حزبان سياسيان كبيران بين المسلمين، شيعة علي وشيعة معاوية، وكل واحد من هؤلاء يرى رأيه فى تولية الحكم وتدبير الأمور، ودينهما واحد وعقائدهم واحدة متفقة، كما بيناه آنفا.

(٥٠) الصلة بين التصوف والتشيع لكامل مصطفى الشيبى ص ٢٣.

(٥١) أعيان الشيعة القسم الأول الجزء الأول ص ١٣.

(٥٢) تاريخ الشيعة لمحمد حسين المظفرى ص ١٥.

نعم كان هناك خلاف قبل شهادة عثمان رضى الله عنه والذي جرّ إلى قتل عثمان ولكنه لم يكن إلا بين قادة اليهود والمخدوعين المغترين الواقعين فى حبال الدسائس اليهودية الأثيمة وبين المسلمين وإمامهم كما سيأتى بيانه فى باب مستقل ، كما أنه وقعت الخلافات البسيطة الطفيفة ولكنها لم تبق إلا للحظات لرجوع الفريق الثانى إلى كتاب الله أوسنة رسول الله ﷺ امثالاً بقول الله عز وجل : ﴿وان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ (٥٢) .

كالخلاف الذى وقع بين الأنصار والمهاجرين يوم السقيفة حيث رجع الأنصار عن رأيهم إلى رأى المهاجرين وبايعوا أبى بكر اتفاقاً واتحاداً ، ولم يكن هناك فريق ثالث كما يزعمه الشيعة ولم يقدم اسم رجل ثالث للخلافة والإمارة غير سعد بن عباد وأبى بكر . وعلى ذلك لم يكن هناك خلاف ولا نزاع ، ولا الزعماء ولا القادة لهذه الآراء والأحزاب كما شهد بذلك على رضى الله عنه حينما دخل عليه عمرو بن الحمق وحجر بن عدى وحبّة العرنى والحارث الأعور وعبد الله بن سبأ بعد ما افتتحت مصر وهو مغموّم حزين كما رواه عبد الرحمن بن جندب عن أبىه جندب فقالوا له :

بين لنا ما قولك فى أبى بكر وعمر؟ فقال لهم على عليه السلام : وهل فرغتم لهذا؟ وهذه مصر قد افتتحت ، وشيعتى بها قد قتلت؟ ! أنا نخرج إليكم كتاباً أخبركم فيه عما سألتهم ، وأسألكم أن تحفظوا من حقى ماضيئتم ، فاقروا على شيعتى وكونوا على الحق أعواناً ؛ وهذه نسخة الكتاب :

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من قرأ كتابي هذا من المؤمنين
والمسلمين: السلام عليكم؛ فاني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو.
أما بعد فإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين،
وأميناً على التنزيل، وشهيداً على هذه الأمة، وأنتم يامعشر العرب يومئذ
على شردين وفي شردار، منيخون على حجارة خشن. وحيات صم،
وشوك مبثوث في البلاد، تشربون الماء الخبيث، وتأكلون الطعام
الجشيب، وتسفكون دماءكم، وتقتلون أولادكم، وتقطعون أرحامكم،
وتأكلون أموالكم [بينكم] بالباطل، سبلكم خائفة، والأصنام فيكم
منصوبة، [والآثام بكم معصوبة] ولا يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم
مشركون فمن الله عليكم بمحمد صلى الله عليه وآله فبعثه إليكم رسولاً
من أنفسكم، وقال فيما أنزله من كتابه: هو الذي بعث في الأميين رسولاً
منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من
قبل لفي ضلال مبين، وقال: لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه
ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم، وقال: لقد من الله على
المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم، وقال: ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء والله ذو الفضل العظيم. فكان الرسول إليكم من أنفسكم
بلسانكم، وكنتم أول المؤمنين تعرفون وجهه وشيعته وعمارته، فعلمكم
الكتاب والحكمة، والفرائض والسنة، وأمركم بصلة أرحامكم وحقن
دمائكم، وصلاح ذات البين، وأن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، وأن توفوا
بالعهد، ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وأمركم أن تعاطفوا وتباروا
وتبأذلوا وتراحموا، ونهاكم عن التناهب والتظالم والتحاسد والتقاذف
والتباغى، وعن شرب الخمر وبخس المكيال ونقص الميزان، وتقدم إليكم
فيما أنزل عليكم: ألا تزنوا، ولا تربوا، ولا تأكلوا أموال اليتامى ظلماً وأن

تؤدوا الأمانات إلى أهلها، ولا تعثوا في الأرض مفسدين، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، وكل خير يدنى إلى الجنة ويباعد من النار أمركم به، وكل شر يباعد من الجنة، ويدنى من النار نهاكم عنه.

فلما مضى لسبيله صلى الله عليه وآله تنازع المسلمون الأمر بعده، فوالله ما كان يلقي في روعى، ولا يخطر على بالى أن العرب تعدل هذا الأمر بعد محمد صلى الله عليه وآله عن أهل بيته ولا أنهم منحوه عنى من بعدى، فما راعنى إلا انشغال الناس على أبى بكر وإجفاهم إليه لبياعوه، فأمسكت يدي ورأيت أنى أحق بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله في الناس ممن تولى الأمر من بعده فلبثت بذاك ما شاء الله حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين الله وملة محمد صلى الله عليه وآله وإبراهيم عليه السلام فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً وهدماً يكون مصيبته أعظم على من فوات ولاية أموركم التى إنما هى متاع أيام قلائل ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب وكما يتقشع السحاب، فمشيت عند ذلك إلى أبى بكر فبايعته ونهضت فى تلك الأحداث حتى زاغ الباطل وزهق وكانت «كلمة الله هى العليا» ولو كره الكافرون.

فتولى أبوبكر تلك الأمور فيسر وسدد وقارب واقتصد، فصحبته منا صحاباً وأطعته فيما أطاع الله جاهدوا (٥٣).

ومثل ذلك فى (مقالات الإسلاميين) للأشعرى:

وأول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم ﷺ اختلافهم فى الإمامة وذلك أن رسول الله ﷺ لما قبضه الله عز وجل ونقله

(٥٣) الغارات للثقفى ج ١ ص ٣٠٢ الى ٣٠٧، وورد مثل ذلك فى شرح نهج البلاغة لابن الحديد يعنى وللميثم البحرانى الشيعى وفى ناسخ التواريخ وفى مجمع البحار للمجلسى وغيرها ومن أراد التفصيل فى ذلك فليراجع الى كتابنا (الشيعه وأهل البيت).

الى جنته ودار كرامته اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة بمدينة الرسول ﷺ وأرادوا عقد الإمامة لسعد بن عباد وبلغ ذلك أبا بكر وعمر رضوان الله عليهم [ف]قصدا نحو مجتمع الأنصار في رجال من المهاجرين فأعلمهم أبو بكر أن الإمامة لا تكون إلا في قریش واحتج بقول النبي ﷺ الإمامة في قریش فأذعنوا لذلك منقادين، ورجعوا إلى الحق طائعين، بعد أن قالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير وبعد أن جرد الحُباب بن المنذر سيفه وقال أنا جذي لها المحكك وعذيقتها المرجب من يبنارزني بعد أن قام قيس بن سعد بنصرة أبيه سعد بن عباد حتى قال عمر بن الخطاب في شأنه ما قال، ثم بايعوا أبا بكر رضوان الله عليه واجتمعوا على إمامته واتفقوا على خلافته وانقادوا لطاعته فقاتل أهل الردة على ارتدادهم كما قاتلهم رسول الله ﷺ على كفرهم فأظهره الله عز وجل عليهم أجمعين، ونصره على جملة المرتدين، وعاد الناس إلى الإسلام أجمعين، وأوضح الله به الحق المبين، وكان الاختلاف بعد الرسول ﷺ في الإمامة ولم يحدث خلاف غيره في حياة أبي بكر رضوان الله عليه وأيام عمر إلى أن ولي عثمان بن عفان رضوان الله عليه وأنكر قوم عليه في آخر أيامه أفعالاً كانوا فيما نقموا عليه من ذلك مخطئين، وعن سنن المحجة خارجين، فصار ما أنكروه عليه اختلافاً إلى اليوم، ثم قتل رضوان الله عليه وكانوا في قتله مختلفين، فأما أهل السنة والاستقامة فإنهم قالوا: كان رضوان الله عليه مصيباً في أفعاله قتله قاتلوه ظلماً وعدواناً، وقال قائلون بخلاف ذلك، وهذا اختلاف بين الناس، إلى اليوم.

ثم بوسع علي بن أبي طالب رضوان الله عليه فاختلف الناس في أمره فمن بين منكر لإمامته ومن بين قاعد عنه ومن بين قائل بإمامته معتقد لخلافته، وهذا اختلاف بين الناس إلى اليوم.

ثم حدث الاختلاف في أيام عليّ في أمر طلحة والزبير رضوان الله عليهم وحرهما إياه وفي قتال معاوية إياه وصار عليّ ومعاوية إلى صفيين (٥٤) .

ومثل الخلافات الأخرى كالخلاف في موضع دفن الرسول وقتال مانعي الزكاة وغيرها ، فلم تكد تظهر هذه الخلافات حتى تلاشت بعد عرض الأمور على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والرجوع إليهما .

ولكن الخلاف الذي لم ينحل والنزاع الذي لم ينته كان هو ذلك الاختلاف الذي شتت شمل المسلمين وفرق جمعهم وجعلهم فريقين كبيرين يرأس الأول منهما عليّ رضي الله عنه والثاني معاوية رضي الله عنه ، ونكرر القول بأن هذا الخلاف لم يجرّ واحدا منهما إلى تكوين مذهب جديد واعتناق عقائد جديدة ولا إلى إنكار ما ثبت في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ ولا الانحراف عن الجادة المستقيمة التي سلكها رسول الله ﷺ ومن بعده أبو بكر وعمر وعثمان الخلفاء الراشدون المهديون من بعد ، كما لم يكن هناك مباغضة للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين قضوا نحبتهم قبل كما اختلقها شيعة اليوم ، ولا إثارة إلى الضغائن القبلية والمبنية على الحسب والنسب ، وخاصة لم يكن لأنصار عليّ رضي الله عنه ، الخلفاء منهم ، عقائد شيعة اليوم ، المنظوية على بغض السلف الصالح وعلى الأخص أبو بكر وعمر وعثمان وأزواج رسول الله أمهات المؤمنين ، والمبنية على إنكار القرآن الموجود بأيدي الناس ، ولا سنة رسول الله ﷺ ، التي أخذوها عن عبد الله بن سبأ وتوارثوها عن اليهودية البغيضة كما سنبرهن ذلك قريبا إن شاء الله بل ، كانوا محبين لأصحاب محمد ﷺ وعلى رأسهم أبو بكر وعمر وعثمان وأزواج النبي الطاهرات

المطهرات، والمقتفين آثارهم والمقتدين هداهم، وعلى رأسهم علي رضي الله عنه أمير المؤمنين وخليفة رسول الله الأمين الراشد الرابع حيث كان يحبهم حبا جما ويظهر موالاته لهم وبعد انتقالهم عن هذه الدنيا إلى الملائكة الأعلى، ويقتفى آثارهم، ويعاند كل من يعارضهم، ويعاقب كل من يتكلم فيهم، كما كان يحارب بكل قوة وشدة تسرب أفكار السبائية واليهودية في أتباعه وأنصاره وشيعته، ويطرده كل من يشك فيه بتسممه هذه العقائد المسومة.

فلقد ذكر الشيعة أنفسهم بأن عليا رضي الله عنه سمي أبناءه بأسماء الخلفاء الراشدين السابقين الثلاثة، بأبي بكر وعمر وعثمان^(٥٥). وابنه الحسن كذلك سمي أبناءه بأبي بكر وعمر^(٥٦). والحسين كذلك سمي أبناءه بأبي بكر وعمر^(٥٧). وكذلك الآخرون من أبناء علي وأبناء الحسين سمو أبناءهم بأسماء هؤلاء الأخيار البررة تحببا إليهم وتبركا بهم^(٥٨).

وأما الاقتداء والاتباع فلقد ذكرنا عنه كثيرا في كتابنا (الشيعة وأهل البيت) ولا نريد تكرار ما قلناه هناك فليرجع إلى ذلك. ولكننا نشأت ههنا عبارة من ألد أعداء السنة وأكبر السبائين اللعائين الشيعة، عن الملا باقر المجلسي الشيعي الإيراني الذي يلقب بخاتمة المحدثين، والذي ألف أكبر مجموعة في الحديث باسم (بحار الأنوار) فهو يكتب في كتابه (جلاء العيون في حياة ومصائب أربعة عشر معصوما) أن حسن بن علي بن أبي

(٥٥) اعلام الوری للطبرسی ص ٢٠٣، الارشاد للمفيد ص ١٨٦، تاريخ یعقوبی ج ٢ ص ٢١٣ مقاتل الطالبین لأبی الفرج الأصفهانی ص ١٤٢، كشف الغمة للأربلی ج ٢ ص ٦٤، جلاء العيون للمجلد ص ٥٨٢.

(٥٦) اعلام الوری ص ٢١٣، تاريخ یعقوبی ج ٢ ص ٢٢٨، مقاتل الطالبین ص ٧٨، وص ١١٩ منتهی الآمال ج ١ ص ٢٤٠.

(٥٧) التنبيه والاشراف للمسعودي الشيعي ص ٢٦٣، جلاء العيون للمجلسي ص ٥٨٢.

(٥٨) انظر لذلك كتابنا (الشيعة وأهل البيت).

طالب صالح معاوية بن أبي سفيان على أنه يعمل بين الناس بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخلفاء الراشدين^(٥٩) وأن لا يعين أحدا بعده وأن يؤمن الناس أينما كانوا في الشام والعراق والحجاز واليمن وأن يؤمن شيعة علي بن أبي طالب وأصحابه في أنفسهم وأموالهم وأزاجهم وأولادهم، وأخذ على هذه الشروط العهود المغلظة باليمين^(٦٠).

فجعل الحسن بن علي - وهو الإمام الثاني عند الشيعة - أحد شروط الصلح مع معاوية أن يكون متبعاً لسيرة الخلفاء الراشدين، ولم يكن هؤلاء إلا أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً، كما أنه لم يجعل العمل بسيرة هؤلاء شرطاً من أهم الشروط إلا لأنه كان يحسن فيهم الظن ويعتقد فيهم الخير ويؤمن بتقواهم وطهارتهم زيادة على إيمانهم وإسلامهم - الصحيح الخالص.

هذا ومثل هذا كثير لمن تتبع أخبار علي وأولاده^(٦١) رضى الله عنهم ورحمهم أجمعين.

ونريد أن نضيف إلى ذلك أن الخلاف الذي وقع بين علي ومعاوية رضى الله عنهما لم يؤد إلى التكفير والتفسيق فيما بينهم ولا إلى المقاطعة الدائمة والمباغضة الأبدية والهجران والقطيعة كما تصوره القوم في العصور المتأخرة وكما وضعت الأساطير والقصص، بل كل واحد من الحزبين كان يعتقد بإيمان الآخر وإسلامه ومحب الإصلاح بينهما ويسعى إلى التوافق والتصالح، وعلى ذلك صالح الحسن بن علي معاوية رضى الله عنهم أجمعين وبإيعاه. ولو كان يظنه كافراً خارجاً عن الإسلام لما اتفق معه ولم

(٥٩) فليلاحظ لفظ الخلفاء الراشدين لأن الذين أعمى الله أبصارهم لا يستحيون من تأويلات سخيفة ركيكة كلما يعرض عليهم دليل وبرهان، المثبت في كتبهم وعن أعيانهم.

(٦٠) جلاء العيون ج ١ ص ٣٩٣ ط طهران ١٣٩٨ هـ، الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة ص ١٦٣ ط طهران، منتهى الآمال للعباس القمي ص ٣١٤.

(٦١) ونبذة غير سيرة موجودة في كتابنا (الشيعة وأهل البيت) من أراد ذلك فليرجع إليه

يصالحه ولم يبايعه ولم يأمر أخاه الحسين ولا قائد جيشه قيس بن سعد أن يبايعاه كما ثبت ذلك من كتب الشيعة، وهذه هي ألفاظ الكشي :

جبرئيل بن أحمد وأبو اسحاق حمدويه وإبراهيم ابنا نصير قالوا : حدثنا محمد بن عبد الحميد العطار الكوفي عن يونس بن يعقوب عن فضل غلام محمد بن راشد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن معاوية كتب إلى الحسن بن علي صلوات الله عليهما أن أقدم أنت والحسين وأصحاب علي ، فخرج معهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري وقدموا الشام فأذن لهم معاوية وأعد لهم الخطباء فقال : يا قيس قم فبايع ، فالتفت إلى الحسين عليه السلام ينظر ما يأمره فقال : يا قيس انه إمامي - يعني الحسن عليه السلام (٦٢) .

وقبل ذلك أبوه علي بن أبي طالب - وهو الإمام المعصوم الأول عند الشيعة - خاطب معاوية بقوله في رسالته التي أرسلها جوابا له - حسب زعم القوم - :

لم يمنعنا قديم عزنا وعادى طولنا على قومنا أن خلطناكم بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا فعل الأكفاء (٦٣) .

وكذلك لو كان كان هناك مسألة الكفر والنفاق لما تزوجت رملة بنت علي بن أبي طالب رضى الله عنه من معاوية بن مروان بن الحكم (٦٤) .

و(رملة) بنت علي كانت أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي (٦٥) .

(٦٢) رجال الكشي ص ١٠٢ ، أيضا منتهى الآمال ص ٣١٦ ، وجلاء العيون للمجلسي ج ١ ص ٣٩٥ .

(٦٣) نهج البلاغة تحقيق صبحي صالح ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ . ط بيروت .

(٦٤) نسب قريش ص ٤٥ ، جهرة أنساب العرب ص ٨٧ .

(٦٥) الارشاد للمفيد ص ١٨٦ ، إعلام الوري للطبرسي ص ٢٠٣ .

وابنته الثانية خديجة كانت متزوجة من عبد الرحمن بن عامر
لأُموي (٦٦).

وكان أبوه عامر بن كريز الأموي أميراً على البصرة من قبل معاوية
وشريكاً في حرب الجمل مع طلحة والزبير ضد علي، وأن خديجة بنت
علي كانت من أم ولد له كما ذكرها الطبرسي في الأعلام (٦٧) والمفيد في
الإرشاد (٦٨).

كما أن إحدى بناته تزوجت من عبد الملك بن مروان الخليفة
الأموي (٦٩).

وكما أن بنات الحسن وبنات الحسين زوجن من الأمويين وبنات
الأمويين زوجن من أبناء الهاشمين ومن أولاد علي بالأخص. ولقد ذكرنا
هذه المصاهرات بين بني أمية وبين بني هاشم في كتاب (الشيعه وأهل
البيت) ومن أراد التفصيل فليرجع الى ذلك ولكن نذكر ههنا واحدة من
بنات الحسن وواحدة من بنات الحسين. فلقد تزوجت سكينه بنت
الحسين وحفيده علي من حفيد عثمان بن عفان، زيد بن عمرو بن عثمان :
وزيد بن عمرو بن عثمان هذا هو الذي كلنت عنده سكينه بنت
الحسين فهلك عنها فورثت عنه (٧٠).

وكذلك نفسية بنت زيد بن حسن بن علي تزوجت من الخليفة
الأموي الوليد بن عبد الملك بن مروان، قد ذكر هذا الزواج شيعي نسبة
مشهور أيضاً في كتابه وما أقبحه في التعبير :

(٦٦) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٦٨.

(٦٧) ص ٢٠٣.

(٦٨) ص ١٨٦.

(٦٩) البداية والنهاية ج ٩ ص ٦٩ ط بيروت.

(٧٠) نسب قريش للزبير ج ٤ ص ١٢٠، المعارف لابن قتيبة ص ٩٤، جمهرة أنساب العرب ج ١

٨٦، طبقات ابن سعد ج ٦ ص ٣٤٩.

وكان لزيد بن الحسن بن علي ابنة إسمها نفيسة خرجت إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان فولدت له منه وماتت بمصر. . . وكان زيد يقد إلى الوليد بن عبد الملك ويقعده على سريريه ويكرمه لمكان ابنته ودفع له ثلاثين ألف دينار دفعة واحدة (٧١).

والجدير بالذكر أن زيد بن الحسن هذا كان ممن حضر الكربلاء مع عمه الحسين رضى الله عنه ، كما أن حفيدة الحسن بن علي زينب بنت الحسن المثنى أيضا كانت متزوجة من الوليد بن عبد الملك الأموى (٧٢). وأبوها الحسن بن المثنى أيضا كان ممن حضر كربلاء مع عمه وصهره الحسين وجرح جرحا شديدا . ونلفت الأنظار إلى أن الستة من حفيدات الحسن من أبناء مختلفين كن متزوجات من الأمويين من قاداتهم وزعمائهم ، ولقد عدد هذه المصاهرات أصحاب الأنساب أكثر من عشرين مصاهرة وقربة والتي حصلت كلها بعد خلاف وقع بين علي ومعاوية وبعد حروب الجمل وصفين (٧٣) وكذلك تزوج كثير من الهاشميين من بنات الأمويين ومن الأسرة الحاكمة بالذات كما كان بينهم الصلات والهبات ولقاء وزيارات وخاصة بين أئمة الاثنى عشرية وعوائلهم حيث لم يقم واحد منهم بالمحاربة مع الأمويين ومنازعة ملكهم غير الحسين بن علي رضى الله عنهما . وأما حروب والده العظيم علي بن أبى طالب مع معاوية فمشهورة معروفة ، كما أن مصالحة أخيه الأكبر مع معاوية أمر مشهور لا يستطيع إنكاره أحد ، وأما ما روى عن ابن الحسين زين العابدين عليّ ، والراوى هو بخارى القوم الكلينى ، يروى فى صحيحه الذى قال فيه محدث الشيعة النورى الطبرسى : هو أحد الكتب

(٧١) عمدة الطالب فى أنساب أبى طالب ص ٧٠ ، طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٣٤ .

(٧٢) جمهرة أنساب العرب .

(٧٣) ولا ندرى من أين جاء الشيعة بهذه الاعتقادات أن محاربة على كفر ، والمحارب معه كافر ، فهؤلاء أولاده وأهل بيته يكذبون هذه الأقاويل ويفندون هذه المزاعم .

الأربعة التي عليها تدور رحي الفرقة الإمامية . . وكتاب الكافي بينها كالشمس بين نجوم السماء . . . وإذا تأمل فيها المنصف يستغنى عن ملاحظة حال آحاد رجال سند الأحاديث المودعة فيه وتورثه الوثوق ويحصل له الاطمئنان بصدورها وثبوتها وصحتها^(٧٤)»

إن علي بن الحسين قال ليزيد بن معاوية :

أنا عبد مكره، فإن شئت فأمسك وإن شئت فبع^(٧٥)»

وكذلك كان البقية ممن أدركوا بنى أمية، وعلى منوالهم من أدركوا الدور العباسي اللهم إلا الذين حاربوا ونازعوا الملك فلم يكن حظهم حليفهم حيث حاربوا ممن حاربوا وقتلوا، كما لم يكن معاملة الشيعة وخاصة الاثنى عشرية مع أئمتهم طيبة حيث رفضوهم وكفروهم، فقتلوا وحاربوا من جانب (الأعداء) وكفروا ورفضوا من قبل (الأحباء) بدعوى: من ادعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر^(٧٦)»

وعن الحسين بن المختار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك: ويوم ترى الذين كذبوا على الله؟ قال: كل من زعم أنه إمام وليس بإمام، قلت: وإن كان فاطميا علويا؟ قال: وإن كان فاطميا علويا^(*)»

وحصيلة البحث أن التشيع الأول لم يكن مدلوله العقائد المخصوصة والأفكار المدسوسة، كما لم تكن الشيعة الأولى إلا حزبا سياسيا يرى رأى على رضى الله عنه دون معاوية رضى الله عنه في عصر عنى. وأما بعد استشهاده وتنازل الحسن عن الخلافة فكانوا مطاوعين لمعاوية أيضا، مبايعين له، كما حصل مع إمامهم الحسن وأخيه الحسين

(٧٤) مستدرک الوسائل للطبرسی ج ٣ ص ٥٤٦ ط مكتبة دار الخلافة طهران ١٣٢١ هـ

(٧٥) كتاب الروضة من الكافي ج ٨ ص ٢٣٥

(٧٦) الكافي في الأصول ج ١ ص ٣٧٣

(*) أيضا

وقائد عساكره قيس بن سعد، ولم يكن بينهم خلاف ديني ولا نزاع قبلي ولا عصبية الحسب والنسب، وكانوا يفدون على الحكام ويصلون خلفهم، كما كان الحسن والحسين وهما ابنا علي وفاطمة وسبطا رسول الله ﷺ يفدان على معاوية.

«فلما استقر الخلافة لمعاوية كان الحسين يتردد إليه مع أخيه الحسن فيكرمهما معاوية إكراما زائدا، ويقول لهما: مرحبا وأهلا، ويعطيهما عطاء جزيلا وقد أطلق لهما في يوم واحد مائتي ألف، وقال: خذاها وأنا ابن هند، والله لا يعطيكماها أحد قبلي ولا بعدي، فقال الحسين: والله لن تعطى أنت ولا أحد قبلك ولا بعدك رجلا أفضل منا. ولما توفي الحسن كان الحسين يفد إلى معاوية في كل عام فيعطيه ويكرمه (٧٧)».

وكذلك ذكر المجلسي عن جعفر بن الباقر - الإمام السادس عند الشيعة - أنه قال الإمام الحسن يوما للإمام الحسين وعبد الله بن جعفر إن هدايا معاوية ستصل في أول يوم من الشهر القادم ولم يأت هذا اليوم إلا وقد وصلت الأموال من معاوية وكان الإمام الحسن بن علي مديونا كثيرا فأدى ديونه من ذلك المال وقسم الباقي بين أهله وشيعته، وأما الإمام الحسين فبعد أداء الديون قسم ماله إلى ثلاث حصص، قسما لشيعته وخاصته وقسمين لأهله وعياله، وكذلك عبد الله بن جعفر (٧٨)».

وكذلك ذكر الكليني أن مروان بن الحكم فرض لعلي بن الحسين مالا كما فرض لشباب المدينة الآخرين:

استعمل معاوية مروان بن الحكم على المدينة وأمره أن يفرض لشباب قريش، ففرض لهم فقال علي بن الحسين عليهما السلام: فأتيته،

(٧٧) البداية والنهاية لابن كثير ج ٨ ص ١٥٠، ١٥١.

(٧٨) جلاء العيون للمجلسي ص ٣٧٦.

فقال : ما إسمك ؟ فقلت : علي بن الحسين ، ففرض لى (٧٩) .

وكذلك عم الحسين والأخ الأكبر لعلي رضى الله عنه ، عقيل بن أبى طالب كان يفد على معاوية رضى الله عنهما ويأخذ منه الهدايا والهبات ومرة - « أعطاه مائة ألف درهم (٨٠) » .

وقد أقر بذلك ابن أبى الحديد الشيعى حيث كتب :
ومعاوية أول رجل فى الأرض وهب ألف ألف ، وابنه يزيد أول مر ضاعفه ، كان يميز الحسن والحسين بن علي فى كل عام لكل واحد من بألف ألف درهم . وكذلك كان يميز عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر (٨١) .

وكذلك أبو مخنف الغالى :
وكان معاوية يبعث إليه (الحسين) فى كل سنة ألف ألف وي سوى الهدايا من كل صنف (٨٢) .

كما كانوا يصلون خلف الحكام وأمراء معاوية ، وقد ذكر جعفر محمد الباقى عن أبيه علي زين العابدين « أن الحسن والحسين كانا يصلين خلف مروان ولا يعيدانهما ، ويعتدان بها (٨٣) » .

وكان مروان أميراً آنذاك على المدينة ، كما أن أبان بن عثمان أده المدينة من قبل عبد الملك بن مروان الأموى قدم إلى الصلاة من قبل بن محمد بن علي المشهور بمحمد بن الحنفية حيث قال له أبو هاشم محمد بن علي :

نحن نعلم أن الإمام أولى بالصلاة ، ولولا ذاك ما قدمناك .

(٧٩) الكافى فى الفروع ، كتاب العقيقة باب الأسماء والكنى ج ٦ ص ١٩

(٨٠) الأمالى للطوسى ج ٢ ص ٣٣٤ ط النجف .

(٨١) شرح ابن أبى الحديد ج ٢ ص ٨٢٣ .

(٨٢) مقتل أبى مخنف ص ٧ .

(٨٣) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٥٨ .

فتقدم فصلى عليه (٨٤) .

كما صلى على ابن أخى على عبد الله بن جعفر الطيار (٨٥) .
وكما صلى أبوه على جدّهم عم النبي ﷺ وعم علي رضى الله
عنه ، على عباس بن عبد المطلب :
توفى العباس فى يوم الجمعة لثنتى عشرة ليلة خلت من رجب ،
وقيل من رمضان سنة ثنتين وثلاثين ، عن ثمان وثمانين سنة ، وصلى عليه
عثمان بن عفان ودفن بالبقيع (٨٦) .
هذا ومثل هذا لكثير .

وبعد هذا العصر تطور التشيع وتغيرت الشيعة ، وتأثرو وتأثروا من
أفكار يهودية ومجوسية ونصرانية ، وبعقائد مدخولة مدسوسة ، نقمة على
الحكام ومخدوعين بالتزويرات اليهودية والدسائس المجوسية ، ومتأثرين
من الذين تظاهروا بالإسلام تسترا على مكايدهم الخبيثة وتدابيرهم
الهدامة ، ومن الاختلاط بالفرس والبابليين ، ومن الموالى الكارهين
للعرب ، الحاكمين عليهم والفاحين بلادهم ، والآخذين زمام أمورهم .
والذى تولى كبر هذه العقائد والأفكار كان عبد الله بن سبأ مبعوث اليهود
المتستر وراء إسم الإسلام ، والمؤجج نار الفتنة ، والنافخ فيها ضد أمير
المؤمنين وخليفة المسلمين المنتخب بالاتفاق ، صاحب رسول الله وزوج
إبنتيه وابن عمته ، الجواد الكريم ، السخى ذى النورين عثمان بن عفان
رضى الله عنه ، كما ستحدث عنه فى الباب الآتى مفصلاً وبالأدلة
والبراهين إن شاء الله تعالى .

ولاشك أن كثيرا من أتباعه - أى عبد الله بن سبأ - السبئيين

(٨٤) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٨٦ .

(٨٥) الاستيعاب لابن عبد البر ج ٢ ص ٢٦٧ ، الاصابة لابن حجر ج ٢ ص ٢٨١ ، أسد الغابة لا:

الأثير ج ٣ ص ١٣٥ .

(٨٦) البداية والنهاية ج ٧ ص ١٦٢ ، الاستيعاب ج ٣ ص ١٠٠ .

والمجوس واليهود والمنافقين دخلوا في معسكر علي رضي الله عنه تحت ستار شيعة علي، كما دخل بعض منهم في معسكر معاوية رضي الله عنه ولكنهم لم يكونوا لا من شيعة علي ولا من شيعة معاوية، بل هم كانوا كتلة مستقلة وفئة باغية، لها أفكارها وعقائدها، ولها أغراضها وأهدافها، وهم الذين كانوا يسعون بالفساد ويضرمون نار الحرب كلما أراد الطرفان الصلح والاتحاد بينهما، ومنهم نشأت فتنة الخوارج الذين كفروا عليا وعثمان ومعاوية معا، لأنه لم يكن همهم إسقاط خلافة عثمان ولا تحريض الناس عليه، بل كان كل ما يقصدون هو القضاء على دولة الإسلام وسد باب فتوحاتهم وغزواتهم. ولذلك عندما نجحوا بايقاع الفتنة بين المسلمين وتأليبهم على خليفة رسول الله الراشد الثالث وتفريق كلمة المؤمنين والتشتيت، بينهم تألبوا على علي كما تألبوا عليه، وهذا مما لا ينكره إلا مكابر أو مجادل بلا حق وعلم وبصيرة.

ومما لاشك فيه أن الشيعة الأولى المخلصين كانوا من هؤلاء براء، كما كان إمامهم وقائدهم يتبرأ منهم ويطردهم ويقتلهم. نعم ولكن الشيعة - أي شيعة علي كان يغلب عليهم التخاذل والتكاسل والجبن وعدم الاستقامة والعزيمة والنجدة والجلد والمروءة عكس ما كانوا عليه شيعة عثمان أو شيعة معاوية رضي الله عنهما، كما كان يغلب عليهم عدم الوفاء والإخلاص والأمانة والصدق عكس مخالفاتهم. وعلى ذلك كان علي رضي الله عنه يشكو منهم ويواجه الصعاب والمتاعب مع شجاعته النادرة وجرأته المشهورة وإقدامه المعروف وتفوقه على الأقران، ولأجل ذلك كان يقول لهم:

يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة - والله - جرت ندما،

وأعقبت سدما، قاتلكم الله، لقد ملأتم قلبي قيحا، وشحتتم صدرى غيظا، وجرعتموني نغب التهام أنفاسا، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان، حتى قالت قریش: إن ابن أبى طالب لا علم له بالحرب. لله أبوهم وهل أحد منهم أشد لها مراسا، وأقدم فيها مقاما منى، لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وهأنا ذا قد ذرفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع^(٨٧).

ويقول مقارنا بينهم وبين شيعة معاوية:

أما والذي نفسى بيده، ليظهرن هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى بالحق منكم ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم، وابطائكم عن حقى. ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيتى. استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، وأسمعتكم فلم تسمعوا، ودعوتكم سرا وجهرا فلم تستجيبوا، ونصحت لكم فلم تقبلوا، أشهود كغياب، وعبيد كأرباب، أتلو عليكم الحكم فتنفرون منها، وأعظمكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها، وأحثكم على جهاد أهل البغى فما آتى على آخر قولى حتى أراكم متفرقين أيادى سبا، ترجعون إلى مجالسكم، وتتخادعون عن مواعظكم، أقومكم غدوة وترجعون إلى عشية، كظهر الحنين، عجز المقوم وأعضل المقوم.

أيها القوم الشاهدة بأبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم. صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصى الله وهم يطيعونه. لوددت والله أن معاوية صاربنى بكم صرف الدينار بالدرهم فأخذ منى عشرة منكم وأعطانى رجلا منهم.

يا أهل الكوفة منيت منكم بثلاث وإثنتين، صمّ ذوو أسماع،
وبكم ذوو كلام، وعمى ذوو أبصار، لا أحرار صدق عند اللقاء، ولا
إخوان ثقة عند البلاء، تربت أيديكم يا أشباه الابل غاب عنها رعاتها،
كلما جمعت من جانب تفرقت من آخر، والله لكأنى بكم فيما أخالكم أن
لو حسم الوغى، وحسي الضراب قد انفرجتم عن ابن أبى طالب انفراج
المرأة عن قبلها^(٨٨).

وأكبر دليل على خذلان الشيعة عليا أن أخاه الحقيقي وكبير
شييعته وابن أبيه عقيل بن أبى طالب تركه والتحق بمعاوية رضى الله
عنها وحارب تحت لوائه ضده كما أقر بذلك مؤرخ شيعى كبير:
إن عقيلًا فارق أخاه عليا في أيام خلافته وهرب إلى معاوية وشهد
صفين معه^(٨٩).

وأما ما فعلوه بالحسن وبعده بالحسين فهذه ودائع في التاريخ لا
يمكن التستر عليها، ولو سردنا كل ذلك لطال بنا الكلام.
وأما عدم أمانتهم وصدقهم وصفائهم فقد أقر بذلك جعفر بن
الباقر الملقب بالصدوق حيث ذكر أمامه أحد تلامذته عبد الله بن يعفور
قال:

قلت لأبى عبد الله عليه السلام: إنى أخالط الناس فيكثر عجبى
من أقوام لا يتولونكم ويتولون فلانا وفلانا لهم أمانة وصدق ووفاء، وأقوام
يتولونكم ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء ولا الصدق. قال: فاستوى أبو
عبد الله عليه السلام جالسا فأقبل على كالعضببان، ثم قال: لا دين لمن
دان الله بولاية إمام ليس من الله ولا عتب على من دان بولاية إمام من
الله^(٨٩).

(٨٨) عمدة الطالب في أنساب آل أبى طالب ص ١٥ ط الهند.

(٨٩) الأصول من الكافي ج ١ ص ٢٣٧.

فهذا كل ما أردنا تثبته في هذا الباب . وأما النقاط على الحروف
فسنضعها في الباب الثاني إن شاء الله تعالى .

التشيع والتبأية

إن الشيعة الأولى مع ما كان فيهم من التخاذل عن الحق والتكاسل عن مناصرة قائدهم على - رضى الله عنه - وجبنهم وغدرهم وخيانتهم وحبهم الدنيا وما فيها وإيثار الحياة على الموت فى سبيل الحق كما وصفهم على - رضى الله عنه - مخاطبا إياهم :

وانى والله لأظن أن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم ، وتفركم عن حقكم ، ويمعصيتكم إمامكم فى الحق ، وطاعتهم إمامهم فى الباطل ، وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم ، وبصلاحهم فى بلادهم وفسادكم ، فلوائتمنت أحدكم على قعب لخشيت أن يذهب بعلاقته» (١) .

كانوا مع ذلك كله لا يختلفون عن الآخرين فى العقائد والأفكار كإنكار القرآن والاعتقاد بتحريفه وتغييره ، وإنكار السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، كما لم يكونوا مكفرين لأصحاب رسول الله ﷺ ومنكرين فضلهم ، وبخاصة الخلفاء الراشدون الثلاثة ، أبوبكر وعمر وعثمان ، وأزواج النبى صلوات الله وسلامه عليه أمهات المؤمنين ، ولم يكونوا لهم مذهبا خاصا غير مذهب المسلمين ، العامة ولا عبادات وشعائر وطقوسا مخصوصة ، فكانوا يصلون بصلواتهم وخلفهم ، ويحجون بحججهم وتحت إمرتهم ، كما كانوا يصاهرونهم ، يزجونهم ويتزوجون منهم قبل الحروب وبعدها ، وقبل الحوادث الأليمة وبعدها كما بيناه سابقا وكما سنبينه مفصلا إن شاء الله ، إلا من تأثر بالأفكار المدخولة والدسائس

اليهودية، والأفكار غير الإسلامية من السبئيين والمنافقين المتظاهرين بالإسلام. والمتسترين به، وخرج بذلك عن الجادة المستقيمة، وعن جماعة علي وشيعته، كالسبئيين والخوارج وغيرها من الفرق المنحرفة الضالة الباغية الذين ليس لهم علاقة لا بعلي ولا بأولاده، وهو والطيبون من أولاده منهم براء، وقد اخترعوا في الدين وباسم الدين ما لم ينزل به القرآن ولم يتكلم به رسول الله ﷺ.

فكان الأولون على ذلك ولم ينقل عن واحد منهم خلاف هذا ولكنهم بعد ذلك بزمان وخصوصا بعد شهادة الحسين - رضى الله عنه - تمسكوا بنفس الأفكار التي كانت تحملها السبئية وبث سموها اليهودية والمجوسية وغيرها من الفرق الباطلة الهدامة المعاندة للأمة الإسلامية، فاعتنقوها وعلى قدر الاغراق والتمسك والاعتصام بهذه الأفكار زادوا في الضلالات والسفاهات، وافترقوا بفرق، فمنهم من غالى وجازف وتجاوز جميع الحدود، فسموا المغالين، ومنهم من توسط لا في الحق ولكنه في الأخذ عن الباطل فسموا المتوسطين، ومنهم من أخذ أشياء يسيرة واغترف غرفة أو غرفتين ولم ينزل في قعرها ولم يسبح في وسطها فسموا المعتدلين والمنصفين، ولكن كل هؤلاء يجمعهم التلمذة على اليهودية الأثيمة والتشبث بأذيال عبد الله بن سبأ، ابن سوداء اليهودى الخبيث الماكر، فكل أخذ بقدره وأكتفى بحظه، اللهم إلا من تبرأ منهم علنا وجهرا ومن أفكارهم، فرفضوه على تبرئه الكامل^(٢)، وكانت هذه الأفكار والآراء التي دست بين المسلمين وخصوصا بين الموالين لعلي^(٣) وأولاده بعد مؤامرة دبرت وأحكم نسيجها من قبل يهود اليمن باشتراك الآخرين على يد عبد الله بن سبأ، تتكون من تفريق كلمة المسلمين

(٢) كاتبا زيد بن علي بن الحسين المنصفون منهم، ولو أن بعضا منهم يدعى اتباعه بنهج نفيس المنهج ويسلك نفس المسلك كما سيأتى بيانه مفصلا إن شاء الله.

(٣) لانهم استعملوا اسم علي وأهل بيته - كذبا وزورا - للتستر على نواياهم الخفية ومقاصدهم خبيثة، ولذلك اغتر بهم قوم كانوا يدعون موالاة علي وأهل بيته - رضوان الله عليهم أجمعين.

وتشتيت شملهم وإيقاع الفتن وسل السيوف بينهم وإفساد الدين على المسلمين ونشر الإباحية والإلحاد، ولقصد تبديل الشريعة السماوية وتغييرها وتعطيلها، وعلى ذلك قال الاسفرائيني (٤) بعد ذكر جميع فرق الشيعة .

وأعلم أن جميع من ذكرناهم من فرق الإمامية متفقون على تكفير الصحابة ويدعون أن القرآن قد غير عما كان وقع فيه الزيادة والنقصان من قبل الصحابة ويزعمون أنه لا اعتماد على القرآن الأول ولا على شيء من الأخبار المروية عن المصطفى ﷺ، ويزعمون أنه قد كان في القرآن النص على إمامة علي فأسقطه الصحابة عنه . ويزعمون أنه لا اعتماد على الشريعة التي في أيدي المسلمين، وينتظرون إماما يسمونه المهدي يخرج ويعلمهم الشريعة وليسوا في الحال على شيء من الدين، وليس مقصودهم من هذا الكلام تحقيق الكلام في الإمامة، ولكن مقصودهم إسقاط كلمة تكليف الشريعة عن أنفسهم، حتى يتوسعوا في استحلال المحرمات الشرعية، ويعتذروا عند العوام بما يعدونه من تحريف الشريعة، وتغيير القرآن من عند الصحابة، ولا مزيد على هذا النوع من الكفر، إذ لا بقاء فيه على شيء من الدين (٥) .

هذا وبما أننا ذكرنا ونريد أن نذكر ونثبت أن تطور التشيع الأول وتغيير الشيعة الأولى لم يكن إلا لإدخال الأفكار اليهودية المجوسية، والمتمثلة في عبد الله بن سبأ أو السبئية واعتناق الشيعة لها واعتقادها، فلا بد لنا أن نذكر عبد الله بن سبأ وجماعته السبئيين ومساعدتهم لنشر الفتنة والفساد وبث سموم المعتقدات غير الإسلامية في نفوس الضعفاء والجهلة

(٤) هو أبو المظفر شاهنور بن طاهر بن محمد الاسفرائيني الشافعي المفسر، إمام بارع، صنف التفسير الكبير وصنف في الأصول وسافر في طلب العلم وحصل الكثير، ارتبطه نظام الملك بطوس، فأقام بها سنين ودرس بها العلوم وأفاد الكثير، واستفاد الناس منه، وله مؤلفات عديدة منها كتاب التبصير . توفي سنة ٤٧١ هـ .

(٥) التبصير في الدين للأسفرائيني : ص ٤٣ . ط . بغداد .

من الناس لأن الكلام لا يتفرع إلا على الكلام حولهم وحولها أى السبّيين وأفكارهم .

عبد الله بن سبأ والسبئية

إن عبد الله بن سبأ كان يهودياً من أهل صنعاء . أمه سوداء .
«وقد كان عبد الله بن سبأ هذا يهودياً في قلبه حفيظة على الدين الجديد الذى أزال ما كان اليهود يتمتعون به من الهيمنة والسلطان على عرب المدينة والحجاز عامة، فأسلم في أيام عثمان، ثم تنقل في بلاد الحجاز، ثم ذهب إلى البصرة، ثم إلى الكوفة، ثم إلى الشام، وهو يحاول في كل بلد ينزل بها أن يضل ضعاف الأحلام، ولكنه لم يستطع السبيل إلى ذلك، فأتى مصر فأقام بين أهلها، وما فتىء يلفتهم عن أصول دينهم، ويزين لهم ذلك بما يزخرفه من القول حتى وجد مرتباً خصباً، وكان مما قاله لهم : إنى لأعجب كيف تصدقون أن عيسى بن مريم يرجع إلى هذه الدنيا وتكذبون أن محمداً يرجع إليها؟ . وما زال بهم حتى انقادوا إلى القول بالرجعة وقبلوا ذلك منه، فكان هو أول من وضع لأهل هذه الملة القول بالرجعة، ثم قال لهم بعد ذلك : إنه قد كان لكل نبي وصي، وإن على بن أبى طالب هو وصي محمد ﷺ ! وليس في الناس من هو أظلم ممن احتجروا وصية رسول الله ولم يجزها، بل هو يتعدى ذلك فيشب على الوصي ويقتصره على حقه، وإن عثمان قد أخذ حق على وظلمه، فانهضوا في هذا الأمر، وليكن سبيلكم إلى إعادة الحق لأهله الطعن على أمرائكم وإظهار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنكم تستميلون بذلك قلوب الناس، واتخذ لهذه الدعوة أنصاراً بثهم في الأمصار، وما زال يكاذبهم ويكاتبونه حتى نفذ قضاء الله، وكان الضحية الأولى لهذه المؤامرة ذلك الخليفة الذى قتل مظلوماً، وبين يديه كتاب الله واعتدى على منزله وحرمه، وكان قضاء الله قدراً مقدوراً (٦)» .

ولقد ذكره أقدم المؤرخين الطبري عنه بقوله : « كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء فاسلم زمان عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول لَعَجَبٌ مِّن يَزْعَمُ أَنَّ عِيسَى يَرْجِعُ وَيَكْذِبُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا يَرْجِعُ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ فمحمّد أحقُّ بالرجوع من عيسى قال فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرُّجْعَةَ فتكلموا فيها ثم قال لهم بعد ذلك إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي وكان على وصي محمد ثم قال محمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء ثم قال بعد ذلك من أظلم ممن لم يحز وصية رسول الله ﷺ ووثب على وصي رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة ثم قال لهم بعد ذلك إن عثمان أخذها بغير حق وهذا وصي رسول الله ﷺ فانفضوا في هذا الأمر فحركوه وابدءوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر فبث دعائهم وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ويكتبهم إخوانهم بمثل ذلك ويكتب أهل كل مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون فيقرأه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعة يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يُبدون فيقول أهل كل مصر آنا لفي عافية مما ابتلى به هؤلاء إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا آنا لفي عافية مما فيه الناس وجامعه محمد وطلحة من هذا المكان قالوا فأتوا عثمان فقالوا يا أمير المؤمنين أيأتيك عن الناس

الذى يأتينا قال لا والله ما جاءنى إلا السلامة قالوا فآنا قد آتانا وأخبروه
بالذى أسقطوا إليهم قال فانتم شركائى وشهود المؤمنين فأشيروا على
قالوا نشير عليك أن تبعث رجالا ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا
إليك بأخبارهم فدعا محمد بن مسلمة فارسله إلى الكوفة وأرسل أسامة
بن زيد إلى البصرة وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر وأرسل عبد الله بن
عمر إلى الشام وفرق رجالا سواهم فرجعوا جميعا قبل عمار فقالوا أيها
الناس ما أنكرنا شيئا ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم وقالوا جميعا
الأمر أمر المسلمين إلا أن أمرائهم يقسطون بينهم ويقومون عليهم
واستبطأ الناس عمارا حتى ظنوا أنه قد اغتيل فلم يفجأهم إلا كتاب من
عبد الله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم أن عمار قد استماله قوم مصر وقد
انقطعوا إليه منهم عبد الله بن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن جمران
وكنانة بن بشر (٧) .

وبمثل ذلك قال ابن كثير وابن الأثير (٨) .

وقال ابن خلدون في تاريخه عنه :

«إن عبد الله بن سبأ يعرف بابن السوداء كان يهوديا فهاجر أيام
عثمان فلم يحسن إسلامه، فأخرج من البصرة فلحق بالكوفة ثم بالشام
وأخرجوه فلحق بمصر، وكان يكثر الطعن على عثمان ويدعوى السر إلى
أهل البيت . . . وكان يحرض الناس على القيام فى ذلك والطعن على
الأمراء فاستمال الناس بذلك فى الأمصار وكتب به بعضهم بعضا، وكان
معه خالد بن ملجم وسودان بن جمران وكنانة بن بشر، فبسطوا عمارا عن
المسير إلى المدينة، (وكان ممن أنكروه على عثمان) اخراج أبى ذر من

(٧) الطبرى : ج ٥ ص ٩٨-٩٩ .

(٨) البداية والنهاية : ج ٧ ص ١٦٧ .

الشام ومن المدينة إلى الربذة، وكان الذى دعا إلى ذلك شدة الورع من أبى ذروحملة الناس على شذائد الأمور والزهد فى الدنيا، وأنه لا ينبغى لأحد أن يكون عنده أكثر من قوت يومه، ويأخذ بالظاهر فى ذم الادخار بكنز الذهب والفضة، وكان بن سبأ يأتية فيغريه بمعاوية ويعيب قوله : المال مال الله ، ويوهم أن فى ذلك احتجاجه للمال وصرفه على المسلمين حتى عتب أبو ذر معاوية، فاستعتب له وقال : سأقول : مال المسلمين، وأتى ابن سبأ إلى أبى الدرداء وعبادة بن الصامت بمثل ذلك، فدفعوه وجاء به عبادة إلى معاوية وقال : هذا الذى بعث عليك أبا ذر» (٩) .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر عن أبى عساكر فى تاريخه :
« كان أصله من اليمن ، وكان يهوديا فأظهر الإسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل بينهم الشر ، ودخل دمشق لذلك » (١٠) .

ومثل ذلك قال الاسفرائينى :

« إن ابن سوداء كان رجلا يهوديا ، وكان قد تستر بالإسلام ، أراد أن يفسد الدين على المسلمين » (١١) .

وأما سعيه للفتنة والفساد فلقد ورد طرف من أخباره فيما ذكرناه وكما ذكره الطبرى مفصلا فى تاريخه أنه كان يوما فى بصرة ويوما فى كوفة ويوما فى مصر كما ذكر عن حكيم بن جبلة .

لما مضى من إمارة ابن عامر ثلاث سنين بلغه أن فى عبد القيس رجلا نازلا على حكيم بن جبلة وكان حكيم بن جبلة رجلا لصا إذا قفل الجيوش خنس عنهم ، فسعى فى أرض فارس يغير على أهل الذمة

(٩) تاريخ ابن خلدون : ج ٢ ص ١٣٩ . تحت عنوان بدأ الانتفاض على عثمان .

(١٠) لسان الميزان : ج ٣ ص ٢٨٩ .

(١١) التبصير فى الدين لأبى المظفر الأسفرائينى : ص ١٠٩ .

ويتنكر لهم ويفسد في الأرض ويصيب ما شاء، ثم يرجع فشكاه أهل الزمة وأهل القبلة إلى عثمان، فكتب إلى عبد الله بن عامر أن أحبسه ومن كان مثله فلا يخرج من البصرة حتى تأنسوا منه رشداً، فحبسه، فكان لا يستطيع أن يخرج منها، فلما قدم ابن السوداء نزل عليه واجتمع إليه نفر فطرح لهم ابن السوداء ولم يصرح فقبلوا منه واستعظموه، وأرسل إليه ابن عامر فسأله ما أنت؟. فأخبر أنه رجل من أهل الكتاب رغب في الإسلام ورغب في جوارك، فقال: ما يبلغني ذلك، فأخرج عنى فخرج حتى أتى الكوفة فأخرج منها فاستقر بمصر وجعل ي كاتبهم وي كاتبونه ويختلف الرجال بينهم (١٢) .

ثم كان في مصر، ومن مصر جاء مع قتلة عثمان إلى المدينة .
خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أمراء، المقلل يقول ستمائة والمكثري يقول ألف على الرفاق عبد الرحمن بن عديس البلوى وكنانة بن بشر الليثي وسودان بن حمران السكوني وقتيرة بن فلان السكوني وعلى القوم جميعاً الغافقي بن حرب العكي، ولم يجترئوا أن يعلموا الناس بخروجهم إلى الحرب وإنما خرجوا كالحجاج ومعهم ابن سوداء (١٣) .

ولقد كتب أحمد أمين المصري عنه :

«ان ابن سوداء هذا أتى إلى أبي الدرداء وعبادة بن الصامت فلم يسمعا لقوله، وأخذة عبادة إلى معاوية وقال له : هذا والله الذي بعث عليك أبا ذر، ونحن نعلم أن ابن السوداء هذا لقب به عبد الله ابن سبأ، وكان يهودياً من صنعاء أظهر الإسلام في عهد عثمان وأنه حاول أن يفسد على المسلمين دينهم، وبث في البلاد عقائد كثيرة: في الحجاز والبصرة

(١٢) الطبري : ج ٥ ص ٩٠ .

(١٣) الطبري : ج ٥ ص ١٠٣، ١٠٤ .

والكوفة والشام ومصر، فمن المحتمل القريب أن يكون قد تلقى هذه الفكرة من مزدكية العراق أو اليمن» (١٤).

وكتب أيضا :

«وهو الذى حرك أبا ذر الغفارى لدعوة الاشتراكية وهو الذى كان من أكبر من ألّب على عثمان فى الأمصار. . . والذى يؤخذ من تاريخه أنه وضع تعاليم لهدم الإسلام وألف جمعية سرية لبث تعاليمه واتخذ الإسلام ستارا يستر به نيّاته، نزل البصرة بعد أن أسلم ونشر فيها دعوته، فطرده واليها، ثم أتى الكوفة فاخرج منها، ثم جاء مصر فالتف حوله أناس من أهلها» (١٥).

وقبل أن نستطرد فى الأسباب التى جعلوها وسيلة لتفريق كلمة المسلمين وتشتيت شملهم وتمزيق كلمتهم والتآمر على أمير المؤمنين وخليفة المسلمين، صاحب رسول الله وصهره ذى النورين عثمان بن عفان - رضى الله عنه - نريد أن نذكر العقائد اليهودية التى نفث سموها هذا الخبيث، الملعون على لسان على - رضى الله عنه - واتنقها القوم، وفرعت عليه الفروع، وعليها وبها افترقت فرقهم وذهب كل فريق منهم إلى ما يهوونه ويشتهونه .

الأفكار اليهودية المدسوسة

ولقد أخبرنا عن أفكار ابن السوداء هذا، والتى حملها من اليهود المبغضين رسول الله الصادق الأمين وأمتة أشد البغض وما جاء به عن الله تبارك وتعالى، الناقمين عليه وعليهم، والمكايدين والمكاريين له ولهم، من أول يوم دخلوا يثرب وحولوها إلى المدينة، وقضوا على يهود قينقاع وبنى

(١٤) فجر الإسلام : ص ١١٠، ١١١ .

(١٥) أيضا : ص ٢٦٩ .

النضير وبنى المصطلق ويهود خيبر وغيرهم، يخبرنا عن كل ذلك أقدم مؤرخ شيعي، وأول من كتب في الفرق من القوم ألا وهو النوبختي أبو محمد الحسن بن موسى من أعلام الشيعة في القرن الثالث للهجرة. فقال :

«السبئية : أصحاب عبد الله بن سبأ وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم، وقال : إن عليا - عليه السلام - أمره بذلك، فأخذه علي فسأله عن قوله هذا، فأقربه، فأمر بقتله، فصاح الناس إليه : يا أمير المؤمنين أتقتل رجلا يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك؟. فصره إلى المدائن . وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي - عليه السلام - أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا - عليه السلام - وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى - عليه السلام - بهذه المقالة، فقال بعد إسلامه في علي - عليه السلام - بمثل ذلك، وهو أول من شهر القول بفرض إمامة علي - عليه السلام - وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه، فمن هناك قال من خالف الشيعة إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية، ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعى علي بالمدائن قال للذي نعاه : كذبت لوجئتنا بدماعه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلا لعلنا أنه لم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض (١٦)» .

ويذكر أبو عمرو بن عبد العزيز الكشي من علماء القرن الرابع للشيعة في أقدم كتاب شيعي في الرجال عديدا من الروايات عن عبد الله بن سبأ وعقائده وأفكاره ثبت بعضها منها ههنا :

«حدثني محمد بن قولويه . قال : حدثني سعد بن عبد الله . قال :

حدثنا يعقوب بن يزيد ومحمد بن عيسى عن علي بن مهزيار عن فضالة

(١٦) فرق الشيعة للنوبختي : ص ٤١، ٤٢ . ط . المطبعة الحيدرية نجف بتعليق آل بحر العلوم .

بن أيوب الأزدي عن ابان بن عثمان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : لعن الله عبد الله بن سبأ إنه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان والله أمير المؤمنين عليه السلام عبداً لله طائعاً ، الويل لمن كذب علينا ، وإن قوماً يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا ، نبرأ إلى الله منهم ، نبرأ إلى الله منهم .

وهذا الاسناد عن يعقوب بن يزيد عن ابن أبي عمير وأحمد بن محمد ابن عيسى عن أبيه والحسين بن سعيد عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي حمزة الثمالي قال : قال علي بن الحسين - صلوات الله عليهما : لعن الله من كذب علينا إني ذكرت عبد الله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي ، لقد ادعى أمراً عظيماً ماله لعنه الله ، كان عليّ - عليه السلام - والله عبداً لله صالحاً أخا رسول الله ، ما نال الكرامة من الله إلا بطاعته لله ولرسوله ، وما نال رسول الله صلى الله عليه وآله الكرامة من الله إلا بطاعته لله .

وهذا الاسناد : عن محمد بن خالد الطيالسي عن ابن أبي نجران عن عبد الله [بن سنان] قال : قال أبو عبد الله - عليه السلام - أنا أهل بيت صديقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس ، كان رسول الله صلى الله عليه وآله أصدق الناس لهجة وأصدق البرية كلها وكان مسليمة يكذب عليه ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله بعد رسول الله وكان الذي يكذب عليه ويعمل في تكذيب صدقه ويفترى على الله الكذب عبد الله بن سبأ .

وذكر بعض أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً - عليه السلام - وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصى موسى بالغلو ، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في علي - عليه السلام - مثل ذلك ، وكان أول من أشهر بالقول

بفرض إمامة على وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفه وكفرهم ، فمن هنا قال من خالف الشيعة إن أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية (١٧) .

وقال الحلبي الشيعي الحسن بن علي في كتابه الرجال المشهور : «عبد الله بن سبأ رجع إلى الكفر وأظهر الغلو، كان يدعى النبوة، وأن علياً - عليه السلام - هو الله، فاستتابه عليه السلام ثلاثة أيام فلم يرجع، فأحرقه في النار في جملة سبعين رجلاً ادعوا فيه ذلك (١٨)» .
ومثل ذلك القول قال إمام متأخر الشيعة في الرجال المامقاني في كتابه تنقيح المقال (١٩) .

وذكر مؤرخ شيعي إيراني في تاريخه بالفارسية :
إن عبد الله بن سبأ توجه إلى مصر حينما علم أن مخالفه (أى عثمان بن عفان) كثيرون هناك، فتظاهر بالعلم والتقوى، حتى افتن الناس به، وبعد رسوخه فيهم بدأ يروج مذهبه ومسلكه، وإن لكل نبى وصياً وخليفة، فوصى رسول الله وخليفته ليس إلا علياً، المتحلى بالعلم والفتوى، والمتزين بالكرم والشجاعة، والمتصف بالأمانة والتقوى، وقال : إن الأمة ظلمت علياً، وغصبت حقه، حق الخلافة والولاية، ويلزم الآن على الجميع مناصرته ومعاضدته وخلع طاعة عثمان وبيعته، فتأثر كثير من المصريين بأقواله وآرائه، وخرجوا على الخليفة عثمان (٢٠) .

ومثل ذلك قال الرجال الشيعي الأسترا آبادي :
إن عبد الله بن سبأ كان يدعى النبوة ويزعم أن أمير المؤمنين «ع» هو الله تعالى، فبلغ أمير المؤمنين ذلك فدعاه وسأله، فأقر، وقال : نعم أنت هو. فقال له أمير المؤمنين قد سخر منك الشيطان، فارجع عن هذا

(١٧) رجال الكشي : ص ١٠٠، ١٠١ .

(١٨) كتاب الرجال للحلى : ص ٤٦٩ . ط . طهران . ط . ١٣٨٣ هـ .

(١٩) ج ٢ ص ١٨٤ . ط . إيران .

(٢٠) تاريخ شيعي : روضة الصفا . في اللغة الفارسية : [ج ٢ ص ٢٩٢] . ط . طهران .

وتب ثكلتك أمك . فأبى ، فحبسه ثلاثة أيام ، فلم يتب ، فأحرقه بالنار (٢١) .

ولكن ابن أبى الحديد الشيعى الغالى المعتزلى شارح النهج يخالف ذلك بأن عليا أحرقه فإنه يرى أن القول بتأليه على لم يظهره عبد الله بن سبأ إلا بعد وفاة على - رضى الله عنه - فأظهره واتبعه قوم فسموا السبئية (٢٢) .

ويؤيده فى ذلك من السنة عبد القادر البغدادى ولكنه يضيف إلى ذلك أن عليا لم يحرقه خوفا من شماته أهل الشام حيث يذكر ابن سبأ والسبئية :

السبئية أتباع عبد الله بن سبأ الذى غلا فى على - رضى الله عنه - وزعم أنه كان نبيا ، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله ، ودعا إلى ذلك قوما من غواة الكوفة ، ورفع خبرهم إلى على - رضى الله عنه - فأمر بإحراق قوم منهم فى حفرتين ، حتى قال بعض الشعراء فى ذلك :

لترم بى الحوادث حيث شاءت إذا لم ترم بى فى الحفرتين

ثم إن عليا - رضى الله عنه - خاف من إحراق الباقيين منهم شماته أهل الشام ، وخاف اختلاف أصحابه عليه ، فنفى ابن سبأ إلى سباط المدائن ، فلما قتل على - رضى الله عنه - زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن عليا ، وإنما كان شيطانا تصور للناس فى صورة علي ، وأن عليا صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم - عليه السلام - وقال : كما كذبت اليهود والنصارى فى دعواها قتل عيسى كذلك كذبت النواصب والخوارج فى دعواها قتل على ، وإنما رأت اليهود والنصارى شخصا مصلوبا شبهوه بعيسى ، كذلك القائلون بقتل على رأوا قتيلا يشبه عليا فظنوا أنه علي ، وعلي قد صعد إلى السماء ، وأنه سينزل إلى الدنيا ويتقم من أعدائه .

(٢١) منهج المقال : ص ٢٠٣ .

(٢٢) شرح نهج البلاغة : ج ٢ ص ٣٠٩ .

وزعم بعض السبئية أن علياً في السحاب وأن الرعد صوته ،
والبرق سوطه ، ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال : عليك السلام يا
أمير المؤمنين .

وقد روى عن عامر بن شراحيل الشعبي أن ابن سبأ قيل له : إن
علياً قد قتل ، فقال : إن جئتمونا بدماعه في صرة لم نصدق بموته ، لا
يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها .

وهذه الطائفة تزعم أن المهدي المنتظر إنما هو عليّ دون غيره ، وفي
هذه الطائفة قال إسحاق بن سويد العدوي قصيدة برىء فيها من
الخوارج ، والروافض ، والقدرية منها ، هذه الأبيات :

برئت من الخوارج ، لست منهم	من الغزال منهم وابن باب
ولكني أحبُّ بكلِّ قلبي	وأعلمُ أن ذاك من الصواب
رسول الله والصديقُّ حبا	به أرجو غداً حسن الثواب

وقد ذكر الشعبي أن عبد الله بن السوداء وكان يعين السبئية على
قولها ، وكان ابن السوداء في الأصل يهودياً من أهل الحيرة فأظهر
الإسلام ، وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة ، فذكر لهم أنه
وجد في التوراة أن لكل نبي وصياً ، وأن علياً - رضي الله عنه - وصيُّ
محمد ﷺ وأنه خيرُ الأوصياء كما أن محمداً خيرُ الأنبياء ، فلما سمع ذلك
منه شيعة على قالوا لعلي : إنه من محبيك ، فرفع عليّ قدره ، وأجلسه
تحت درجة منبره . ثم بلغه فيه فهمٌ بقتله ، فنهاه ابن عباس عن ذلك
وقال له : إن قتلته اختلف عليك أصحابك ، وأنت عازم على العود إلى
قتال أهل الشام ، وتحتاج إلى مذاكرة أصحابك ، فلما خشى من قتله ومن
قتل ابن سبأ الفتنة التي خافها ابن عباس نفاها إلى المدائن فافتن بها
الرعاع بعد قتل علي - رضي الله عنه - وقال لهم ابن السوداء : والله

لينبعن لعلی فی مسجد الکوفة عینان تفيض إحداهما عسلاً والأخرى سَمْنًا، ويغترف منها شيعته .

وقال المحققون من أهل السنة : إن ابن السوداء كان على هوى دين اليهود، وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته في على وأولاده لكي يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى في عيسى - عليه السلام - فانتسب إلى الرافضة السَّبئية حين وَجَدَهُم أَغْرَقَ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ فِي الْكُفْرِ، وَدَلَّسَ ضَلَالَتَهُ فِي تَأْوِيلَاتِهِ (٢٣) .

وذكر هذا وعقائده وجماعته من الشيعة كل من سعد القمي المتوفى ٣٠١ هـ (٢٤) والطوسي شيخ الطائفة (٢٥) والتستري في قاموس الرجال (٢٦) وعباس القمي في تحفة الأحباب (٢٧) والخوانساري في روضات الجنات (٢٨) والأصبهاني في ناسخ التواريخ وصاحب روضة الصفا في تاريخه (٢٩) .
كما ذكر عقائده علماء من السنة كالْبغدادى في الفرق بين الفرق كما مرّ آنفا .

وبمثل هذا قال الاسفرائيني في كتابه التبصير (٣٠) والرازي في اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٣١) وابن حزم في الفصل وغيرهم .
وقال الشهرستاني تحت عنوان السبئية :

السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ الذي قال لعلی - عليه السلام :

(٢٣) الفرق بين الفرق : ص ٢٣٣ - ٢٣٥ . ط . مصر .

(٢٤) المقالات والفرق لسعد بن عبد الله الأشعري القمي : ص ٢١ . ط . طهران ١٩٦٣ م .

(٢٥) رجال الطوسي : ص ٥١ . ط . نجف . ط . ١٩٦١ م .

(٢٦) ج ٥ ص ٤٦٣ .

(٢٧) ص ١٨٤ .

(٢٨) روضات الجنات .

(٢٩) ج ٣ ص ٣٩٣ . ط . إيران .

(٣٠) ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٣١) ص ٥٧ . ط . دار الكتب العلمية .

أنت أنت يعنى أنت الإله ، فنفاه إلى المدائن ، وزعموا أنه كان يهوديا فأسلم ، وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصى موسى مثل ما قال في على - عليه السلام - وهو أول من أظهر القول بالفرض بامامة على ، ومنه انشعبت أصناف الغلاة ، وزعموا أن عليا حي لم يقتل وفيه الجزء الإلهي ، ولا يجوز أن يستولى عليه ، وهو الذي يجيء في السحاب والرعذ صوته والبرق سوطه ، وأنه سينزل بعد ذلك إلى الأرض فيملا الأرض عدلا كما ملئت جورا ، وإنما أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال علي - عليه السلام (٣٢) .

وقال ابن عساكر في تاريخه عن جابر قال :

لما بويع على - رضى الله عنه - خطب الناس فقام إليه عبد الله بن سبأ ، فقال له : أنت دابة الأرض ، فقال له : اتق الله ، فقال له : أنت الملك ، فقال : اتق الله ، فقال له : أنت خلقت الخلق وبسطت الرزق ، فأمر بقتله ، فاجتمعت الرافضة فقالت : دعه وأنفه إلى سابط المدائن (٣٣) وذكر الألوسى نقلا عن ابن الحكيم الدهلوى :

السبئية : وهم عبارة عن الذين يسبون الصحابة ، إلا قليلا منهم كسلمان الفارسى وأبى ذر والمقداد وعمار بن ياسر - رضى الله عنهم - وينسبونهم - وحاشاهم - إلى الكفر والنفاق ، ويتبرأون منهم ، ومنهم من يزعم والعياذ بالله تعالى ارتداد جميع من حضر غدير خم يوم قال عليه الصلاة والسلام : «من كنت مولاه فعلى مولاه» . الحديث ، ولم يف بمقتضاه من بيعة الأمير كرم الله وجهه بعد وفاته عيه الصلاة والسلام ، بل بايع غيره ، وهذه الفرقة حدثت في عهد الأمير رضى الله تعالى عنه

(٣٢) الملل والنحل : ج ٢ ص ١١ . هامش الفصل .

(٣٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر : ج ٧ ص ٤٣٠ .

باغراء عبد الله بن سبأ اليهودى الصنعائى (٣٤) .

وأخيراً ننقل ما كتبه أحمد أمين عنه وعن جماعته :

انتشرت الجماعة السرية فى آخر عهد عثمان تدعو إلى خلعه وتولية غيره، ومن هذه الجمعيات من كانت تدعو إلى علي، ومن أشهر الدعاة له عبد الله بن سبأ - وكان من يهود اليمن فأسلم - فقد تنقل فى البصرة والكوفة والشام ومصر يقول : إنه كان لكل نبي وصي، وعلى وصي محمد، فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ووثب على وصيه، وكان من أكبر الذين ألّبو على عثمان حتى قتل (٣٥) .

«وانه وضع تعاليم لهدم الإسلام، وألف جمعية سرية لبث تعاليمه، واتخذ الإسلام ستاراً يستر به نيّاته، نزل البصرة بعد أن أسلم ونشر فيها دعوته فطرده واليها، ثم أتى الكوفة فأخرج منها، ثم جاء مصر فالتف حوله ناس من أهلها، وأشهر تعاليمه الوصاية والرجعة. فأما الوصاية فقد ابتناها قبل، وكان قوله فيها أساس تأليب أهل مصر على عثمان، بدعوى أن عثمان أخذ الخلافة من على بغير حق، وأيد رأيه بما نسب إلى عثمان من مثالب. وأما الرجعة فقد بدأ قوله بأن محمداً يرجع، وكان مما قاله : العجب ممن يصدق أن عيسى يرجع، ويكذب أن محمداً يرجع، ثم نراه تحول - ولا ندري لأى سبب - إلى القول بأن علياً يرجع. وقال ابن حزم : ان ابن سبأ قال - لما قتل على - لو أتيتموني بدماعه ألف مرة ما صدقنا موته، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وفكرة الرجعة هذه أخذها ابن سبأ من اليهودية، فعندهم أن النبي الياس صعد إلى السماء، وسيعود فيعيد الدين والقانون، ووجدت الفكرة فى

(٣٤) مختصر التحفة الاثنا عشرية : ص ٦٥ - ط. مصر ١٣٨٣ هـ .

(٣٥) فجر الإسلام : ٣٥٤ .

النصرانية أيضا في عصورها الأولى (٣٦) .

فهذا هو عبد الله بن سبأ وهذه هي دعوته وأفكاره وعقائده، وهذه هي الأفكار التي حملها من اليهودية والمجوسية وغيرها بخطة مدبرة ومؤامرة محكمة من قبل أعداء الله وأعداء رسوله، والإسلام وأعداء الأمة وقادتها وأبطالها لبث سمومها بين المسلمين باسم الإسلام . وسوف نرى ونحقق كيف اعتنق الشيعة بهذه الأفكار وتمسكوا بهذه العقائد، وكيف تطور التشيع الأول وتغيرت السيغة الأولى وتسربت فيهم نفس الأفكار التي كان يرد عليها ويعارضها علي - رضى الله عنه - وكيف توغل في الشيعة من كان يطاردهم ويتبرأ عنهم ويؤذ بهم ويقتلهم على، ويلعنهم أبناؤه وأولاده .

وقبل أن نضع النقاط على الحروف نريد أن نذكر أن بعض الرجال من مواليد القرن الرابع عشر من الهجرة - وأخص الشيعة منهم - أنكروا وجود هذا اليهودى الماكر، ولكن إنكارهم لا يستند إلى دليل وبرهان، وإنكارهم هذا ليس إلا كإنكار الشمس وهي طالعة، لأنه لم يذكر ابن السوداء هذا واحد ولا اثنان من المخاصمين والمعادين، بل ذكر كل من ألف في الفرق والرجال، في التاريخ وفي السير كما أثبتناه من أئمة الشيعة في الفرق والرجال والتاريخ والنقد غير السنة ومن رجال السنة، وقد بحثنا هذه القضية بتحليل منطقي وواقعي وبغربة الدعاوى التي اطلقت في هذا المضمار في كتاب : (الشيعة وأهل البيت) ولكن نقول ههنا كلمة قصيرة ألا وهي : هل يوجد واحد قبل القرن الرابع عشر وحتى من الشيعة من أنكروا وجود هذا الرجل ؟ .

ثم وماذا عن الكتب التي تتحدث عن هذا الرجل من كتب الفرق

والملل والرجال والتاريخ وهى متفقة لفظا ومعنى تقريبا فى ذكره وأوصافه ونعوته وعقائده وأفكاره؟ .

ثم ولماذا الخوف من الفضيحة والعار؟ وإن كان هناك عار فلماذا التستر .

وهل لا يجر هذا الإنكار إلى أن ينكر شخص وجود على ومعاوية ووقوع الحوادث إن كان هناك مجرد إنكار؟ . وما أعدله ما قاله عالم شيعى معاصر قريب - مع تعصبه - وهو يذكر الغلو وتاريخه، فيقول: انه بعد تولية أمير المؤمنين علي منصب الخلافة ظهر فى أيامه قوم وأرادوا إخراجها من قالب «الموالاة والتمسك» إلى قالب التأليه لعلى (ع) «ولما بلغه عنهم ذلك أنكره أشد الإنكار. وحرق بالنار جماعة ممن غلا فيه» .

والظاهر أن عبد الله بن سبأ لم يكن (وقتئذ) على هذه المقالة الغالية ولا شمله الإحراق، وهذا ما يراه ابن أبى الحديد بقوله: استترت هذه المقالة سنة أو نحوها ثم ظهر عبد الله بن سبأ بعد وفاة على أمير المؤمنين (ع) فأظهرها واتبعه قوم فسموا السبئية .

ويوافقه الشهرستانى بقوله: وإنما أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال على عليه السلام» ولكن الاستر ابادى يخالفهما بما رواه من أن عبد الله ابن سبأ كان يدعى النبوة ويزعم أن أمير المؤمنين (ع) هو الله تعالى . فبلغ أمير المؤمنين ذلك فدعاه وسأله، فأقر وقال نعم أنت هو. فقال له أمير المؤمنين: قد سخر منك الشيطان، فارجع عن هذا وتب ثكلتك أمك. فأبى فحبسه ثلاثة أيام، فلم يتب، فأحرقه بالنار ولا يبعد أن يكون الأرجح ما قاله ابن أبى الحديد من أن ابن سبأ لم يشمله الإحراق وأنه أظهر تلك المقالة بعد وفاة أمير المؤمنين (ع). ووافقه الشهر ستانى على ذلك وإن قال قبله: «إن ابن سبأ قال لعلى - عليه السلام

أنت أنت، يعنى أنت الإله، فنفاه إلى المدائن» ولا ينافى هذا القول قوله الآخر إذ من المحتمل قريباً أن يكون ابن سبأ قد قال لعلى (أنت أنت) لكنه قد أخفاه فى حياة على (ع) أيام منفاه وبعدها إلى أن توفى على (ع) فأظهره بعد ذلك بسنة أو بأقل .

وعلى كل حال فإن الرجل أى ابن سبأ - كان فى عالم الوجود وأظهر الغلو. وإن شك بعضهم فى وجوده وجعله شخصاً خيالياً شخصته الأغراض الشخصية، أما نحن بحسب الاستقراء الأخير فلا نشك بوجوده وغلوه . . . نعم غلا ابن سبأ فى دينه وتسربت بدعته هذه إلى أفكار جماعة غير قليلة، قد سميت باسمه . وأخذت بعد ذلك بالتطور السريع حتى تجاوزت عن القول بإلهية فرد من المخلوقين إلى القول بإلهية اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو أكثر من أهل البيت عليهم السلام (٣٧).

وقد أقر وجوده من أعلام الشيعة المتأخرين المظفرى فى كتابه تاريخ الشيعة (٣٨)

وكذلك كبير القوم السيد محسن الأمين فى موسوعته (٣٩) .
وغيرهم الكثيرون الكثيرون .

فهذا هو عبد الله بن سبأ، وهذه العقائد التى حملها إلى المسلمين وإلى الشيعة بالذات بتعبير صحيح ودقيق، لأنهم هم كانوا الحقل الصالح لبذر هذه البذور، ومنهم كان يتوقع أن يجد آذانا صاغية وقلوباً واعية، وباسم قائدهم كان يتوقع إثارة الضغائن والأحقاد .

(٣٧) الشيعة فى التاريخ لمحمد حسين الزين : ص ٢١٢-٢١٣ . ط . دار الآثار . بيروت . الطبعة الثانية ١٩٧٩ م .

(٣٨) أنظر تاريخ الشيعة لمحمد حسين المظفرى : ص ١٠ . ط . قم .

(٣٩) أنظر أعيان الشيعة وخاصة الجزء الأول من القسم الأول .

وفعلا استطاع جذب الكثير منهم إليه وإلى معتقداته خصوصا بعد ما كان مظفرا منصورا في إتاحة حكم الإمام المظلوم عثمان بن عفان له اختلاق قصص باطلة وأساطير كاذبة^(٤٠) وتكوينه جمعية سرية تعتقد في علي - رضى الله عنه - وصاية النبي ووراثته، وإيجاد رجال يقدسونه ويؤلهونه ويتصفونه بأوصاف ونعوت هي لله خاصة، فدخل هؤلاء كلهم تحت رأيهم في شيعة علي - رضى الله عنه - واندمجوا معهم، وبدأوا ينفثون السموم إلى رفاقهم ومصاحبيهم ومجالسيهم، فتأثر من تأثروا ومن كتم وظهر من ظهر، فنكل الإمام علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - بمن أكتشف وأظهر عقيدته الأصلية الخافية وعذبهم أشد العذاب، وطرد بعضا منهم وقتل البعض الآخرين سيفا وحرقا، وأعلن في ملا من الناس أنه ليس إلا عبدا لله طائعا، وأن من يكتشف أنه من السبثيين يعمل به ما عمل بالمحرقين، ومن وجده متأثرا منهم وعلم أنه يفضلهم على الشيخين أو يتكلم فيهم فيجلده حد المفترى كما روى زيد بن وهب أن سويد بن غفلة

دخل على علي في إمارته فقال: انى مررت بنفريذكرون أبا بكر وعمر يرون أنك تضرر لهما مثل ذلك منهم، عبد الله بن سبأ، وكان عبد الله بن سبأ أول من أظهر ذلك، فقال علي: مالى ولهذا الخبيث الأسود، ثم قال: معاذ الله أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل، ثم أرسل إلى عبد الله بن سبأ فسيره إلى المدائن، وقال: لا يساكننى في بلدة أبدا، ثم نهض إلى المنبر حتى اجتمع الناس، فذكر القصة في ثنائيهما بطوله وفي آخره: ولا يبلغنى عن أحد يفضلنى عليهما إلا جلده حد

(٤٠) نخصص لهذه القصص الباطلة والأساطير الموضوعية بابا مستقلا في هذا الكتاب لما لها من علاقة وثيقة بشيعة اليوم، وانهم لم يأخذوا هذه التهم إلا من عبد الله بن سبأ، كما أخذوا العقائد منه وسنبن هذا كله مفصلا إن شاء الله بالبراهين والأدلة

وذكر الهمداني المعتزلي المتوفى ٤١٥ هـ هذه الرواية أيضاً ولكن فيها من الفوائد ما ليست في غيرها، فنريد ان نثبتها ههنا، فانه يقول : وكان ابن سبأ هذا يقول لأصحابه : إن أمير المؤمنين قال لى : إنه يدخل دمشق ويهدم مسجدهم حجرا حجرا، ويظهر على أهل الأرض ويكشف اسراراً ويعرفهم أنه ربهم، وليس لهذا كأبى بكر وعمر وعثمان . ولقد أتى أمير المؤمنين - رضى الله عنه - سويد بن غفلة، وكان من خاصته وكبار أصحابه، فقال له : يا أمير المؤمنين، مررت بنفر من الشيعة يتناولون أبا بكر وعمر بغير الذى هما من الأمة له أهل، ويرون أنك تضرهما على مثل ما أعلنوا، فقال : أعوذ بالله أعوذ بالله مرتين، أن أضمرهما إلا الذى أتمنى المضى عليه، لعن الله من أضمرهما إلا الحسن الجميل، أخو رسول الله ﷺ وصاحبه ووزيره، - رحمة الله عليهما - ثم نهض دافع العينين يبكى، قابضاً على يد سويد، حتى دخل المسجد، فصعد المنبر فجلس عليه متمكناً، قابضاً على لحيته، وهى بيضاء، حتى اجتمع الناس . ثم قام فتشهد بخطبة موجزة بليغة، ثم قال : ما بال أقوام يذكرون سيدى قريش وأبوى المسلمين بما أنا عنه متنزه، ومما ذلوا برىء، وعلى ما قالوا معاقب، أما الذى فلق الحبة وبرأ النسمة، لا يحبهما إلا مؤمن تقى، ولا يبغضهما إلا فاجر رديء، صحبا رسول الله ﷺ على الصدق والوفاء يأمران وينهيان، ويقضيان ويعاقبان، فما يجاوزان فيما يصنعان رأى رسول الله ﷺ، وكان لا يرى مثل رأيهما رأياً، ولا يحب كحبهما أحداً، مضى رسول الله ﷺ وهو عنهما راض، ومضيا والمؤمنون عنهما راضون، أمر رسول الله ﷺ أبا بكر على صلاة

المؤمنين، فصلى بهم تلك الأيام في حياة رسول الله ﷺ فلما قبض الله نبيه عليه السلام واختار له ما عنده، مضى مفقوداً ﷺ، ولاه المؤمنون ذلك، وفوضوا إليه الزكاة لأنهما مقرونتان، ثم أعطوه البيعة طائعين غير مكرهين، أنا أول من سنَّ له ذلك من بنى عبد المطلب وهو لذلك كاره، يودّ لو أن بعضنا كفاه، فكان والله خير من بقى رافة، وأرحمه رحمة، وأيسره ورعاً، وأقدمه سلماً وإسلاماً، شبهه رسول الله ﷺ بميكائيل رافة ورحمة، وبإبراهيم عفواً ووقاراً، فسار فينا سيرة رسول الله ﷺ، حتى قبضه الله على ذلك، ثم ولّى الأمر بعده عمر، واستأمر في ذلك المسلمين، فمنهم من رضى ومنهم من كره، فلم يفارق الدنيا حتى رضى به من كان كرهه، وأقام الأمر على منهاج النبي ﷺ، يتبع أثرهما كاتباع الفصيل أثر أمه، وكان والله رفيقاً رحيماً لضعفاء المسلمين، وبالمؤمنين عوناً وناصرأً على الظالمين، لا تأخذه في الله لومة لائم، ضرب الله بالحق على لسانه، وجعل الصدق من شأنه، حتى إن كنا لنظن أن ملكاً ينطق على لسانه، أعز الله بإسلامه الإسلام وجعل هجرته للدين قواماً، ألقى الله له في قلوب المؤمنين المحبة وفي قلوب المشركين المنافقين الرهبة، شبهه رسول الله ﷺ بجبريل فطناً غليظاً على الأعداء، وبنوح حنقاً مغتاضاً على الكفار، والضراء على طاعة الله أثر عنده من السراء على معصية الله، فمن لكم بمثلها - رحمة الله عليهما - ورزقنا المضي على سبيلها، فإنه لا يبلغ مبلغها إلا بالحب لهما، واتباع آثارهما، فمن أحبنى فليحبهما، ومن لم يحبهما فقد أبغضنى وأنا منه بريء، ولو كنت تقدمت إليكم في أمرهما لعاقبت على هذا أشد العقوبة، فمن أوتيت به بعد هذا اليوم فإنه عليه ما على المفترى، ألا وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر، ثم الله أعلم بالخير أين هو، أقول قولى هذا وأستغفر الله لي

ولكم (٤٢) .

وأورد هذه الخطبة كثيرون من الشيعة والستة، ويؤيد ذلك ما ذكره النوبختي الشيعي من همه البطش بمن يتكلم في أبي بكر وعمر كما مر .

فكتم السبثيون أمرهم وبدأوا يعملون في السر والخفاء، وتقنعوا بقناع التقية (٤٣) .

وهكذا حاول واستطاع على - رضى الله عنه - الحفاظ على شيعته، وحال بينهم وبين العقائد اليهودية المجوسية ولكنه لم يكذب يقضى عليه ويستشهد بيد ابن ملجم المرادى الخارجى حتى ظهرت السبئية بكل قوة، وعبد الله بن سبأ بكل صراحة، حتى قال لمن نعاه بشهادته : كذبت يا عدو الله لوجئتنا - والله - بدماعه في صرة فأقمت على قتله سبعين عدلا ما صدقناك ولعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملك الأرض، ثم مضوا من يومهم حتى أناخوا بباب على، فاستأذنوا عليه استئذان الواثق بحياته الطامع في الوصول إليه، فقال لهم من حضره من أهله وأصحابه وولده : سبحان الله، ما علمتم أن أمير المؤمنين قد استشهد؟ قالوا : انا نعلم أنه لم يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بسيفه وسوطه كما قادهم بحجته وبرهانه، وأنه ليمسح النجوى ويعرف تحت الدثار الثقيل ويلمع في ظلام كما يلمع السيف الصقيل الحسام (٤٤) .

(٤٢) تثبت دلائل النبوة للهمداني : ج ٢ ص ٥٤٦-٥٤٨ . ط . بيروت .

(٤٣) ولعل عقيدة التقية أيضا انتقلت إلى الشيعة من هؤلاء الناس لأنهم أول من استعملوها بوفاء من عقوبة على - رضى الله عنه - ومطاردته .

ويؤيد ذلك ما رواه الهمداني عن السبئية أنهم يقولون إن على بن أبى طالب لم يحرق من حرقه إلا : «لأنهم أظهروا السر، ثم أحياهم بعد ذلك» . تثبت دلائل النبوة : لعبد الجبار الهمداني [ج ٢ ص ٥٤٩-٥٥٠] . ط . بيروت .

(٤٤) المقالات والفرق لسعد بن عبد الله الشيعي القمي، تثبت دلائل النبوة : ج ٢ ص ٥٤٩ .

وادعت هذه الفئة الخبيثة وهذه الفرقة المارقة عن الدين وعلى رأسهم عبد الله بن سبأ أن على بن أبي طالب - رضى الله عنه - هو الذى لقنهم هذه التعاليم ، وهم لم يتلقوا هذه الأفكار إلا منه كما أشار إلى ذلك الكثيرون من المؤرخين وأئمة الرجال والفرق . ويؤيد ذلك ما ذكره النوبختى أن عبد الله بن سبأ كان يقول فى حياة على - رضى الله عنه - أن عليا هو الذى أمره باللعن والطعن على أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - (٤٥) .

فانخدع به كثير من الشيعة ومالوا إليه وإلى أقواله والعقائد التى اخترعها واختلقها ، وبذلك تطور التشيع الأول وتغيرت الشيعة الأولى ، فصار التشيع مذهباً دينياً بعد أن كان سياسياً محضاً ، وصارت الشيعة حزباً دينياً بعد أن كانوا حزباً سياسياً خالصاً .

ولقد قال بهذا القول المستشرق الألمانى وهوزن أيضاً حيث يذكر الشيعة الأولى بأنهم تمكنوا أولاً فى العراق .

« ولم يكونوا فى الأصل فرقة دينية ، بل تعبيراً عن رأى السياسى فى هذا الأقليم كله . فكان جميع سكان العراق ، خصوصاً أهل الكوفة ، شيعة على تفاوت فيما بينهم ، ولم يقتصر هذا على الأفراد بل شمل خصوصاً القبائل ورؤساء القبائل . ولا يلاحظ بينهم إلا درجات فى التشيع . لقد كان على فى نظرهم رمزا لسيادة بلدهم المفقودة . ومن هنا نشأ تمجيد شخصه وآل بيته ، تمجيدهم لم يرتح له أثناء حياته . على أنه ما لبث أن تكونت فى أحضان مذهب سرى عبادة حقيقية لشخصه (٤٦) » .

وهذا هو القول الحق لأن علياً - رضى الله عنه - لم يتقل فى الصحيح عنه أنه كان يعد نفسه أو أهل بيته مختلفين عن أبى بكر وعمر

(٤٥) أنظر فرق الشيعة للنوبختى : ص ٤٤ .

(٤٦) الخوارج والشيعة : ص ١١٣ .

وعثمان، بل كان يفضلهم عليه وعلى أولاده، وكان ينتهج منهمهم ويسلك سبيلهم، وكان يعد خلافته امتداداً لخلافتهم كما ذكر ذلك في خطبته المشهورة المنقولة عنه أنه قال مخاطباً معاوية في كتاب له إليه :

إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار وللغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضى، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى . ولعمري، يا معاوية، لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى أبرأ الناس من دم عثمان، ولتعلمن أنى كنت في عزلة عنه إلا أن تتجنى، فتجن ما بدالك . والسلام (٤٧) .

وعلى ذلك قال وهوزن :

كان القدماء من أنصار على يعدونه في مرتبة مساوية لسائر الخلفاء الراشدين . فكان يسلك مع أبى بكر وعمر وكذلك مع عثمان - طالما كان عادلاً في خلافته - في سلك واحد، وكان يوضع في مقابل الأمويين المغتصبين للخلافة بوصفه استمراراً للخلافة الشرعية . وحقه في الخلافة ناشئ عن أنه كان من أفاضل الصحابة وأنهم وضعوه في القمة وتلقى البيعة من أهل المدينة، ولم ينشأ هذا الحق - أو على الأقل لم ينشأ مباشرة - عن كونه من آل بيت الرسول (٤٨) .

وهذه الحقيقة الثابتة الناصعة لا ينكرها إلا الجاهل أو المتجاهل المكابر المعاند .

ثم ولم يجد التشيع هذا والسبئيون طريقاً للتقدم أمامهم إلا

(٤٧) نهج البلاغة : ص ٣٦٦ - ٣٦٧ .

(٤٨) الخوارج والشيعة : ص ١٧١ .

لضعف الحسن بن عليّ - رضى الله عنه - في لم الأمور وجمعها أو السيطرة الكاملة على جماعة أبيه، والمؤمرات المدبرة الكامنة وراء الأستار من قبل اليهودية وانضمام المجوسية، إليها لاندحارها أمام زحف الإسلام والجيوش الإسلامية الظافرة المنصورة، وتكالب الموالي الفرس ضد العرب المسلمين الهازمين قوتهم وشوكتهم، والمدمرين حضارتهم، وأيضا تكاتف المنتفعين الآخرين من أبناء الأمم المدحورة الأخرى الذين كانوا يتحينون الفرص المواتية للانتفاضة ضد الفاتحين والحكام الباعثين البعوث، والمرسلين العساكر، والمجندين الجنود للقضاء على بقيتهم الباقية وعلى الوثنيات والشركيات، وظلم الظلمة وغلبة الطغاة المستبدين .

فلم يجد الحسن - رضى الله عنه وعن أبيه - قوة كافية لردع هؤلاء والحيلولة بينهم وبين تسرب أفكارهم إلى شيعته وشيعة أبيه المخلصين، خصوصا بعد ما تسرب في قلوب شيعته الوهم والضعف، وازداد جنبهم وتخاذلهم، فكثر الكذب باسم أهل البيت، وفشت العقائد المدسوسة كما أقر بذلك الشيعة المشهور السيد محسن الأمين في موسوعته نقلا عن واحد من أئمتة أنه قال :

قال السيد على خان في كتاب الدرجات الرفيعة في طبقات الإمامية من الشيعة : روى عن أبي جعفر محمد بن على الباقر - عليهما السلام - أنه قال لبعض أصحابه : يا فلان ما لقينا من ظلم قريش إيانا وتظاهروا علينا وما لقي شيعتنا ومحبونا من الناس أن رسول الله (ص) قبض وقد أخبر أنا أولى الناس بالناس، فما لأت علينا قريش حتى أخرجت قريش الأمر عن معدنه واحتجت على الأنصار بحقنا وحجتنا، ثم تداولتها قريش واحدا بعد واحد حتى رجعت إلينا فنكثت بيعتنا

ونصبت الحرب لنا ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتى قتل ، فبويع الحسن ابنه وعوهد ثم غدر به وأسلم ووُثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه وانتهب عسكره وعوجلت خلاخل أمهات أولاده ، فوداع معاوية وحقق دمه ودم أهل بيته وهم قليل حق قليل ، ثم بايع الحسين أهل العراق عشرون ألفا غدروا به وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم فقتلوه ، ثم لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام ونقصي ونمتهن ونحرم ، نقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا ، ووجد الكذابون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعا يتقربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء في كل بلدة ، قحذوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله ليبغضونا إلى الناس (٤٩) .»

فكذب الكذابون ووضعوا أقوالا وروايات مختلفة ومخرعة لتر وبيح باطلهم ونشر ضلالا لتهم ، وعليّ وأولاده الطيبون منها براء ، وعلى رأس الوضاعين الدجالين والسعاة السبثيون وقائدهم عبد الله بن سبأ ، فنجح ونجحوا أيّ ما نجاح حيث استطاعوا وبعد مدة طويلة وحوادث عديدة أن يفتنوا كثيرا من الناس وأن يخدعوهم ويخرجوهم عن الإسلام الصحيح الصريح ، عن دين الله إلى المذهب الأجنبي الغريب ، أن يخرجوهم عن العقائد الإسلامية الساذجة البسيطة ، الخالية من شوائب الشرك والوثنية ، وعن وحدانية الله عز وجل ، وعن الحرية والجهاد والديموقراطية والعدل وعن كرامة الإنسان بعدم التفريق بينه وبين الآخر في الحسب والنسب والجاه والحكومة والرئاسة ، نعم أخرجهم عن هذا كله وألزمهم العقائد الفلسفية الكلامية المعقدة المأخوذة من التفلسف اليهودي والوثنية المجوسية والغوامض المسيحية ، وإلى الإشراك بالله

والعبودية والاستغلال والتفرقة بين بني آدم بالحسب والنسب والجاه والحكم والرئاسة، وأن شخصاً أفضل لأنه ولد في بيعة فلانية، وليس له شرف سواه، وأن فلاناً أرذل لأنه لم يولد في تلك الاسرة الأروستقراطية ولو حاز جميع أوصاف الشرف والمكرمة وغير ذلك من السخافات والترهات، فصار السبئيون أصلاً لكل فرقة خرجت عن الشيعة، وصارت أفكار ابن سوداء عقائد لجميع تلك الفرق، فافترقوا حسب اختلافهم بالأخذ عنهم وعنهم، فمن أخذها بحذافيرها سمي بذلك ومن أخذ بعضها وترك بعضها منها سمي بأولئك، ومن أخذ الأكثر وترك القليل سمي بهذا الاسم، وهكذا ولكنها ولا واحدة منها سلكت مسلكاً غير مسلكهم، ولا انتهجت غير منهجهم، ولا مشيت غير ممشاهم، وسوف ترى كل ذلك بعينيك وتشاهدها بنفسك بكتب موثوقة معتمدة، وبالأدلة والبراهين كما سنبينه في باب الفرق في الباب المستقل من هذا الكتاب حول فرق الشيعة. وعلى ذلك قال الحكيم الدهلوي عند بحثه عن فرق الشيعة وبعد ذكر الشيعة الأولى :

الطبقة الثانية : جماعة ممن ضعف إيمانهم من أهل النفاق، وهم قتلة عثمان وأتباع عبد الله بن سبأ الذين كانوا يسبون الصحابة الكرام، وهم الذين انخرطوا في عسكر الأمير وعدّوا أنفسهم من شيعة خوفاً من عاقبة ما صدر منهم من تلك الجناية العظمى، وبعض منهم تشبثوا بأذيال الأمير طمعاً في المناصب العالية ورفعة المراتب فحصل لهم بذلك مزيد الأمانة وكمال الطمأنينة، ومع ذلك فقد أظهروا للأمير - كرم الله تعالى وجهه - ما انطوا عليه من اللؤم والخبائث. فلم يجيبوا دعوته وأضروا على مخالفته، وظهرت منهم الخيانة على ما نصبوا عليه، وأستطالت أيديهم على عباد الله وأكل أموالهم، وأطالوا ألسنتهم في الطعن على

الصحابة . وهذه الفرقة هم رؤساء الروافض وأسلافهم ومسلمو الثبوت عندهم ، فإنهم وضعوا بناء دينهم وإيمانهم في تلك الطبقة على رواية هؤلاء الفساق المنافقين ومنقولاتهم ، فلذا كثرت روايات هذه الفرقة عن الأمير - كرم الله تعالى وجهه - بواسطة هؤلاء الرجال . وقد ذكر المؤرخون سبب دخول أولئك المنافقين في هذا الباب ، وقالوا إنهم قبل وقوع التحكيم كانوا مغلوبين لكثرة الشيعة الأولى في عسكر الأمير وتغلبهم ولما وقع التحكيم وحصل اليأس من انتظام أمور الخلافة وكادت المدة المعينة للخلافة تتم وتنقرض وتخلفها نوبة العضوض رجع الشيعة الأولى من دومة الجندل التي كانت محل التحكيم إلى أوطانهم لحصول اليأس من نصرة الدين وشرعوا بتأييده بترجيع أحكام الشريعة والإرشاد ورواية الأحاديث وتفسير القرآن المجيد ، كما أن الأمير - كرم الله تعالى وجهه - دخل الكوفة واشتغل بمثل هذه الأمور ، ولم يبق في ركاب الأمير إذ ذاك من الشيعة الأولى إلا القليل ممن كانت له دار في الكوفة . فلما رأت هاتيك الفرقة الضالة المجال في إظهار ضلالتهم أظهروا ما كانوا يخفونه من اساءة الأدب في حق الأمير وسب أصحابه وأتباعه الأحياء منهم والأموات ، ومع هذا كان لهم طمع في المناصب أيضاً لأن العراق وخراسان وفارس والبلاد الأخر الواقعة في تلك الأطراف كانت باقية بعد في تصرف الأمير وحكومته ، والأمير - كرم الله تعالى وجهه - عاملهم كما عاملوه كما وقع ذلك لموسى عليه السلام مع اليهود ولبنينا عليه الصلاة والسلام مع المنافقين (٥٠) » .

وقد أقر بذلك النوبختي حيث كتب :

فلما قتل على - عليه السلام - افرقت التي ثبتت على إمامته . .

فصاروا فرقا ثلاثا: فرقة منهم قالت إن عليا لم يقتل ولم يموت ولا يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملاً الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا. وهي أول فرقة قالت في الإسلام بالوقف بعد النبي صلى الله عليه وآله من هذه الأمة، وأول من قال بالغلو، وهذه الفرقة تسمى السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم وقال: إن عليا - عليه السلام - أمره بذلك، فأخذه علي فسأله عن قوله هذا فأقربه، فأمر بقتله فصاح الناس إليه يا أمير المؤمنين أقتل رجلا يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتك والبراءة من أعدائك فصيره إلى المدائن، وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي - عليه السلام - أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا - عليه السلام - وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة، فقال في إسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله في علي - عليه السلام - بمثل ذلك، وهو أول من شهر القول بفرض إمامة علي - عليه السلام - وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفه، فمن هناك قال من خالف الشيعة إن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي بالمدائن قال للذي نعه: كذبت، لوجئتنا بدماعه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلا لعلنا أنه لم يموت ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض^(٥١) ومثل ذلك ذكره الكشي وغيره ممن تقدم ذكرهم.

وقصدا أعدنا هذه العبارة لما لها من علاقة مباشرة بالموضوع، ولما لها أهمية كبيرة في فهم التشيع والشيعة، ولنعيد إلى ذهن القارئ ما لعله قد غاب عنه.

فكان هذا أول حدث عقائدى فى التشيع وتغيير جذرى غير منهج الشيعة فى الفكر والرأى عبر القرون، ومن هنا بدأت تتزعم اليهودية وتترأس أفكار التشيع والشيعة كما أقرب بذلك النويختى وبعده الكشى وقبله سعد القمى وغيرهم الكثيرون الكثيرون، وإليه ذهب كل من حقق ودقق وغرّبل التاريخ من المسلمين وغير المسلمين من المؤرخين والرجاليين وأصحاب المقالات فى الفرق والعقائد من السنة والشيعة والمستشرقين من اليهود والنصارى وغيرهم، فيقول وهوزن وهو يذكر السبئية :

ومنشأ السبئية يرجع إلى زمان على والحسن وتنسب إلى عبد الله بن سبأ. وكما يتضح من اسمه الغريب، فإنه أيضا يمنية، والواقع أنه من العاصمة صنعاء. ويقال أيضا إنه كان يهوديا. وهذا يقود إلى القول بأصل يهودى لفرقة السبئية. والمسلمون يطلقون (اليهودى) على ما ليس فى الواقع كذلك. بيد أنه يلوح أن مذهب الشيعة، الذى ينسب إلى عبد الله بن سبأ أنه مؤسسه، إنما يرجع إلى اليهود أقرب من أن يرجع إلى الإيرانيين (٥٢) .

وسوف نتكلم عن السبئية وعقائدها التى سلحهم بها اليهود وغيرهم فى باب آخر حيث نضطر إلى إعادة القول عن السبئية هناك، وقبل أن نأتى إلى آخر القول نريد أن نذكر ههنا أن جماعة من الشيعة الأولى لازالوا على عقائدهم الأصلية والتى ليس بينها وبين عقائد المسلمين الأولين أى فرق إلى أن حصلت التغييرات الأخرى وعلى رأس هؤلاء كان أولاد على - رضى الله عنه - من الحسن والحسين ومحمد وأبى بكر وعمر وعثمان والعباس وغيرهم من أبناء على وبقيّة الهاشميين

من أبناء العباس وعقيل وجعفر وطالب وغيرهم من أبناء عمومة الحسين وأبناء أعمام أبيهم .

وهذا آخر ما أردنا إيراده في هذا الباب ، ومن ثم ننتقل إلى باب آخر . وهو يشتمل على التهم الباطلة والايرادات الواهية والمطاعن المختلفة التي اخترعها السبئيون للقضاء على دولة الإسلام وأميرها خليفة المسلمين عثمان بن عفان - رضى الله عنه - لأنه خلف بعد الشيعة الأولى خلف تبنوا هذه الأفكار وتركوا سبيل علي وأهل بيته ، فسلطوا ألسنتهم وأقلامهم تبعاً لسلفهم غير الصالح على ذلك الإمام المظلوم الذى قتل ظلماً وبغياً وجوراً ، كما أن له علاقة بالموضوع حيث إن قتلته أو من ساعد قاتليه على قتله هم الذين أيدوا السبئية ، ومنهم تكونت وبآرائها اعتنقوا وبأفكارها تضللوا وانحرفوا عن جادة الحق والهدى ، ولا زالت هي الآراء والأفكار باقية تثير الفتن وتنفخ في الأحقاد والضغائن ، وتبث التفرقة والانشقاق ، وتثير الآلام وتقشر الجراحات وتحبى الأوجاع ، وبهذا نمشى أيضاً مع مجرى التاريخ وثمراته ونتائجه . وبالله التوفيق ونسأله العدل فى القول ، والاصابة فى الحق ، وهو ولى القبول .



السِّقَّةُ وطاعنهم على ذي النُّزْنِ والسبابة وفتنهم أيتامه

قبل أن نتكلم في هذا الموضوع نريد أن نكشف الحجاب عن بعض الحقائق الواقعة التي طالما خفيت على كثير من الناس وحتى على الخاصة منهم . ومنها أن الشيعة عامة جعلوا الكذب شعارا لهم وأصبغوا عليه صبغة دينية باسم التقية حيث قالوا :
لا إيمان لمن لا تقية له (١) .

ونسبوا هذه الرواية إلى محمد الباقر زورا وبهتانا . حتى اشتكى منهم ومن أكاذيبهم الكثيرة والجرثومة ، على أهل بيته ، الذين يعدونهم أئمة لهم ، اشتكوا منهم كثيرا لهذا ، فقد ذكر الكشي كبيرهم في الرجال عن ابن سنان :

قال أبو عبد الله (ع) أنا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا ، فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس . كان رسول الله ﷺ أصدق البرية لهجة وكان مسيلمة يكذب عليه ، وكان أمير المؤمنين (ع) أصدق من برأ الله من بعد رسول الله وكان الذي يكذب عليه عبد الله بن سبأ لعنه الله ، وكان أبو عبد الله الحسين بن علي (ع) قد ابتلى بالمختار . ثم ذكر أبو عبد الله الحارث الشامي وبنان ، فقال : كانا يكذبان على علي بن الحسين (ع) ، ثم ذكر المغيرة بن سعيد وبزيغا والسري وأبا الخطاب ومعمرا وبشار الأشعري وحمزة اليزيدي وصائد النهدي فقال :

لعنهم الله ، إنا لا نخلو من كذاب يكذب علينا ، كفانا الله مؤنة كل كذاب وأذاقهم الله حر الحديد^(٢) .

ثانيا : أن أكثر الرواة الذين ذكروا تلك التهم والمطاعن التي جرت إلى قتل عثمان أمير المؤمنين ، وفتح باب الفتنة بين المسلمين هم من الشيعة ، وقد كبروا الصغير وفخموا الحقير ونفخوا في الكبر ، وعنهم نقل المؤرخون كل ما هب ودب وبدون تنقية وتحقيق وبدون نقد وتدقيق ، ولم يميزوا الصدق من التلفيق والباطل من الحق والغث من السمين ، وأدرج المؤرخون والنقلة منهم كل ما اخترعوها واختلقوها دعاية لباطلهم وتأيدا لمذهبهم وتصديقا لأهدافهم وأغراضهم .

ثالثا : ولم ينقلوا هذه الوقائع عمن شاهدها ، بل كان سمعا على سمع ، وكذبا على كذب ، وباطلا على باطل . وكثيرا ما يروى الراوى الحادثة والواقعة وبينه وبينها بعد عشرات السنين كما سيتبين .

رابعا : الرواة مع كذبهم ودجلهم وكونهم دعاة إلى مذهبهم هم طرف في تلك الوقائع والحوادث حيث يتبعون تلك الشلة والطائفة التي نفخت في الرماد وسعرت نار الفتنة ، فهم على شاكلتهم يعملون نفس العمل ويسعون بنفس الفساد بالقلم واللسان ، الذى سعى به أسلافهم بالجسد والروح . فعلى ذلك يجب التحرز على كل منصف يريد أن يعرف الحقائق عن قبول رواياتهم ومروياتهم ، مغمضا العينين ، معرضا عن الشكوك والشبهات . فيحتاج في كل رواية لا تؤيده رواية أخرى من الثقات المعتمدين غير المنحازين إلى طرف في الموضوع .

ولذلك لا يلفت إلى ما تفرد به أبو مخنف والواقدي والكلبيان

للاستنباط والاستنتاج والحكم .

ومن سوء الحظ أن هؤلاء هم العمدة للرواية عن هذه الوقائع والوقية في أصحاب النبي ﷺ وسادة هذه الأمة وقادتها، وهم خلف لسلفهم الذين كانوا قادة البغاة والطغاة وعملاء اليهودية العالمية والمجوسية أو المخدوعين بهم وعلى شاكلتهم معتقدين نفس الاعتقادات التي كانوا يعتقدونها، وحاملين نفس الأفكار التي كانوا مسمومين بها، سالكين نفس الأسلوب الذي عرف في الزمن الأخير بأسلوب جوثبلز: أكثر الكذب قدر ما تستطيع حتى نظنه صدقا بدون خجل ولا وجل ولا حياء، فما أكثر ما كذبوا وما أشنع، وما أجراهم على ذلك. ونحن تعودنا أن لا نتكلم إلا مستنديين إلى الحقائق والمثبتين بالأدلة الناصعة والبراهين القاطعة، ولا نتفوه بالظن والتخمين إلا بالوثائق الموثوقة والمصادر المعتمدة، وها هي الوثائق :

أبو مخنف: فلقد ذكره محسن الأمين في كتابه (أعيان الشيعة) تحت عنوان مؤلفي الشيعة في السير والتاريخ والمغازي، فيقول: أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي الغامدي. قال النجاشي: من أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم وصنف كتباً كثيرة منها: فتوح الشام، العراق، خراسان، الجمل، صفين، النهر، الغارات، مقتل الحسين (ع)، وغيرها. وقال ابن النديم في الفهرست: قرأت بخط أحمد بن الحارث الخزاز قالت العلماء: أبو مخنف بامر العراق وأخبارها وفتوحها يزيد على غيره، والمدائني بامر خراسان والهند وفارس، والواقدي بالحجاز والسيرة. وقد اشتركوا في فتوح الشام واثنان من الثلاثة شيعة: أبو مخنف، والواقدي، (٣).

ولقد ذكره النجاشي كما عرفت في مصنفه الشيعة، وزاد على

كتبه التي ذكرها المحسن : كتاب السقيفة ، وكتاب الشورى ، وكتاب قتل عثمان ، وكتاب الحكمين ، ومقتل أمير المؤمنين ، وقتل الحسين ، ومقتل حجر بن عدى ، وأخبار المختار ، وأخبار الزيات ، وأخبار محمد بن أبي بكر ، ومقتل محمد - وغيره من الكتب . كما ذكر أنه شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم ، وكان يسكن إلى ما يرويه ، روى عن جعفر بن محمد عليهما السلام (٤) .

وذكر الطوسي أن أباه كان من أصحاب عليّ كما ذكره في رجاله . وقد ذكره الحلبي في الثقات ، أبوه كان من أصحاب الباقر وهو من أصحاب جعفر (٥) .

وقد ذكره القمي في كتابه فقال :

لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم الأزدي شيخ أصحاب الأخبار بالكوفة ووجههم كما عن جش ، وتوفي سنة ١٥٧ يروى عن الصادق (ع) ويروى عنه هشام الكلبي وجده مخنف بن سليم صحابي شهد الجمل في أصحاب علي (ع) حاملا راية الأزد ، فاستشهد في تلك الواقعة سنة ٣٦ ، وكان أبو مخنف من أعظم مؤرخي الشيعة ومع اشتها تشيعه اعتمد عليه علماء السنة في النقل عنه كالطبري وابن الأثير وغيرهما ، وليعلم أن لأبي مخنف كتب كثيرة في التاريخ والسير ، منها كتاب مقتل الحسين (ع) الذي نقل منه أعظم العلماء المتقدمين واعتمدوا عليه (٦) .

هذا ما صرح به علماء الشيعة بتشيعه وتبني أسماء كتبه عن مغالاته وإغراقه في التشيع كما عددناها من النجاشي .

(٤) فهرست أسماء مصنفى الشيعة للنجاشي ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ط قم .

(٥) انظر رجال الحلبي ص ٢٨٢ .

(٦) الكنى والألقاب ج ١ ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

وأما السنة فقد قالوا فيه كما نقل عنهم الامام ابن حجر العسقلانى :

لوط بن يحيى أبو مخنف : إخبارى تالف ، لا يوثق به ، تركه أبو حاتم وغيره .

وقال الدارقطنى : ضعيف .

وقال يحيى بن معين : ليس بثقة .

وقال مرة : ليس بشيء .

وقال ابن عدى : شيعى محترق صاحب أخبارهم - قلت : روى عن الصعق بن زهير وجابر الجعفى ومجالد . روى عنه المدائنى وعبد الرحمن بن مغراء ، ومات قبل السبعين ومائة - وقال أبو عبيد الأجرى : سألت أبا حاتم عنه فنفض يده ، وقال : أحد يسأل عن هذا ؟ . وذكره العقيلي فى الضعفاء (٧) .

ومثل ذلك ذكر الذهبى فى ميزانه (٨) .

كما ذكره الذهبى فى (المنتقى) من المنهاج عن شيخ الاسلام ابن تيمية تحت المعروفين بالكذب وعقب ذكره بقول الأشهب بن عبد العزيز القيسى أنه قال :

سئل مالك رضى الله عنه عن الرافضة ؟ فقال : لا تكلمهم ولا ترو عنهم ، فإنهم يكذبون ، وعن حرملة بن يحيى أنه قال : سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول : لم أر أحدا أشهد بالزور من الرافضة ، وعن مؤمل بن إهاب الربعى أنه قال : سمعت يزيد بن هارون يقول : يكتب عن كل مبتدع - إذا لم يكن داعية - إلا الرافضة ، فإنهم يكذبون ، وعن محمد

(٧) لسان الميزان ج ٤ ص ٤٩٢ ، ٤٩٣ .

(٨) انظر لذلك ميزان الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ٣٦٠ .

بن سعيد الأصفهاني أنه قال : سمعت شريك بن عبد الله النخعي يقول : أحمل العلم عن كل من لقيته إلا الرافضة ، فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه حديثا . وعن أبي معاوية أنه قال : سمعت الأعمش يقول : أدركت الناس وما يسمونهم إلا الكذابين (يعنى الروافض) ثم قال نقلا عن شيخ الاسلام :

ومن تأمل كتب الجرح والتعديل رأى المعروف عن مصنفها بالكذب فى الشيعة أكثر منهم فى جميع الطوائف . . والرافضة يقرون بالكذب حيث يقولون بالتقية (٩) .

فتلك هى آراء أئمة الجرح والتعديل ومهرة الفن فى نقد الرجال فى أبى مخنف ، وهذه هى أقوال الأئمة والحفاظ والمحدثين فى الاعتماد عليهم .

وخلاصة ما ذكرنا أن أبامخنف متفق على تشييعه عند الطرفين ، الشيعة والسنة ، غير معتمد وموثوق فيه . وأما قول القمى : ومع اشتهاى تشييعه اعتمد عليه علماء النقل من السنة كالطبرى ، فليس إلا كذب عادة قومه وذويه ، لأنه من المعروف عند كل من قرأ الطبرى ونظر فيه بأنه لم يشترط إدراج كل ما صح عنده فى تاريخه ولم يلتزم صحة ما نقل . وقد صرح فى مقدمة كتابه حيث قال :

فما يكن فى كتابى هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أويستشنع سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهها فى الصحة ولا معنى فى الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت فى ذلك من قبلنا ، وإنما أتى من قبل بعض ناقله إلينا ، وإنما أدينا ذلك على نحو ما أدى علينا (١٠) .

(٩) المتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ص ٢١، ٢٢، ٢٣ ، ط المطبعة السلفية القاهرة .

(١٠) تاريخ الأئمة والملوك للطبرى ج ١ ص ٥ ، مقدمة الكتاب ط بيروت .

وأما ابن الأثير فإنه صرح أيضا في مقدمة كتابه أنه ناقل عن الطبرى ومعمد عليه في نقله كما يقول :

إنى قد جمعت في كتابى هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد، ومن تأمله علم صحة ذلك فابتدأت بالتاريخ الكبير الذى صنفه الامام أبو جعفر الطبرى إذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه، والمرجوع عند الاختلاف إليه، فأخذت ما فيه من جميع تراجمه لم أخل بترجمة واحدة منها^(١١) .

فهذه هى حقيقة أبى مخنف والاعتماد عليه من الطبرى وابن الأثير .

وأما الواقدى فلقد قال فيه المحسن الشيعى :

ومحمد بن عمر الواقدى . قال ابن النديم : كان يتشيع ، حست المذهب ، يلزم التقية ، وهو الذى روى أن عليا عليه السلام كان من معجزات النبى (ص) كالعصا لموسى (ص) وإحياء الموتى لعيسى بن مريم عليه السلام وغير ذلك من الأخبار . عالما بالمغازى والسير والفتوح والأخبار خلف ٦٠٠ قمطر كتبا كل قمطر حمل رجلين وقبل ذلك بيع له كتب بألفى دينار، وكان له غلامان مملوكان يكتبان الليل والنهار . له ، التاريخ الكبير ، المغازى ، المبعث ، أخبار مكة ، فتوح الشام ، فتوح العراق ، الجمل ، مقتل الحسين عليه السلام ، السيرة ، إلى غير ذلك من الكتب الكثيرة فى السير والتاريخ^(١٢) .

وذكره القمى :

أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد المدنى : كان إماما عالما ، له التصانيف والمغازى وفتوح الأمصار ، وله كتاب الردة وغير ذلك ، كان من

(١١) الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٥ مقدمة .

(١٢) أعيان الشيعة القسم الأول الجزء الأول ص ١٢٨ .

أقدم مؤرخى الاسلام . وكتاب مغازيه له مقدمة وشروح باللغة الانجليزية يروى عنه كتابه محمد بن سعد وجماعة من الأعيان . . وكان الواقدي مع ما ذكرناه من سعة علمه وكثرة حفظه لا يحفظ القرآن ، ثم روى عن المأمون أنه قال للواقدي : أريد أن تصلى الجمعة غدا بالناس قال : فامتنع ، قال : لا بد من ذلك ، فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أحفظ سورة الجمعة حتى يبلغ النصف منها ، فاذا حفظه ابتداء بالنصف الثانى ، فاذا حفظ النصف الثانى نسي الأول فاتعب المأمون وتعس ، فقال لعلى بن صالح : يا على احفظه أنت ، فذكر أنه مثل المأمون لم يقدر على أن يحفظه ، فقال المأمون : اذهب فصل بهم واقرأ أى سورة شئت ، وروى عن غسان قال : صليت خلف الواقدي صلاة الجمعة فقرأ : إن هذا لفى الصحف الأولى صحف عيسى وموسى (١٣) . . كان يتشيع ، حسن المذهب يلزم التقية ، وهو الذى روى أن عليا (ع) كان من معجزات النبى صلى الله عليه وآله وسلم كالعصا لموسى وإحياء الموتى لعيسى بن مريم (ع) وغير ذلك من الأخبار (١٤) .

وقد ذكره الخوانسارى فى كتابه (١٥) ولقبه بالإمام العلام .

هذا ما أقرّبه الشيعة بأنه شيعى سىء الذاكرة ، غير ضابط لم يكن القرآن يستقر فى ذاكرته وقلبه .

وأما ما ذكره أئمة الرجال وجهابذة الجرح والتعديل من السنة فإليك بيانه ، قال ابن حبان : كان يروى عن الثقات مقلوبا وعن الاثبات

(١٣) ولا ندرى كيف يعتقد القوم فيه الأمانة فى التاريخ والأخبار ونقل الحوادث والوقائع وهو الذى لا يستطيع ضبط سورة قصيرة من القرآن ، فهل مثل هذا يعتمد عليه أنه يضبط الوقائع والحوادث بالتاريخ والتفصيل ؟ .

أولم يكن يستطيع حفظ القرآن لأنه لم يكن من القوم الذين يعتقدون فيه ؟ كما أثبتنا عقيدتهم فى القرآن فى كتابنا (الشيعة والسنة) ومن أراد معرفة ذلك فليراجع إليه .

(١٤) الكنى والألقاب ج ٣ ص ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(١٥) روضات الجنات ج ٧ ص ٢٦٨ .

معضلات . . . وكان أحمد بن حنبل يكذبه . . . وكان يقول المديني :
الواقدي يضع الحديث (١٦) .

وقال الذهبي : مجمع على تركه ، وقال النسائي : كان يضع
الحديث (١٧) .

وأما ابن حجر فجمع أقوال العلماء فيه ، فذكر أن البخاري قال :
الواقدي مدني سكن بغداد ، متروك الحديث ، تركه أحمد وابن
المبارك وابن نمير وإسماعيل بن زكريا ، وقال معاوية بن صالح : قال لي
أحمد بن حنبل :

الواقدي كذاب .

وقال لي يحيى بن معين : ضعيف .

وقال مرة : ليس بشيء . . . قال ابن المديني : الهيثم بن عدي
أوثق عندي من الواقدي ، ورأضاه في الحديث . . . قال الشافعي :
كتب الواقدي كلها كذب .

وقال النسائي في (الضعفاء) : الكذابون المعروفون بالكذب على
رسول الله ﷺ أربعة : الواقدي في المدينة ، ومقاتل في الكوفة ، ومحمد بن
سعيد المصلوب بالشام ، وذكر الرابع ، وقال ابن عدي : أحاديثه غير
موثوقة .

قال ابن المديني : عندي عشرون ألف حديث ما لها أصل ،
وإبراهيم بن يحيى كذاب وهو عندي أحسن حالا من الواقدي .
وقال أبو داود : لا أكتب حديثه ولا أحدث عنه ، ما أشك أنه كان
يفتعل الحديث . . . وقال بندار : ما رأيت أكذب منه .

وقال إسحاق بن راهويه : هو عندي ممن يضع . وحكى ابن

(١٦) كتاب المجروحين لابن حبان ج ٢ ص ٢٨٤ ط دكن .

(١٧) المغني للذهبي ج ٢ ص ٦١٩ .

العربى عن الشافعى قال : كان بالمدينة سبعة رجال يضعون الأسانيد أحدهم الواقدى ، وقال أبو زرعة وأبو بشر الدولابى والعقيلى : متروك الحديث .

وقال أبو حاتم الرازى : وجدنا حديثه عن المدنيين عن شيوخ مجهولين مناكير . . . وحكى ابن الجوزى عن أبى حاتم أنه قال : كان يضع . ولقد حدث بعد ذلك ابن حجر قصة تنبىء عن جرأته على الكذب والدجل :

حدثنا عمرو الناقد قال : قلت للواقدى : تحفظ عن الثورى عن ابن خيثم عن عبد الرحمن بن نبهان عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أبيه فى لعن زوارات القبور ، فقال : حدثنا سفيان ، فقلت أمله على ، فأمله على بالمسند ، فقال نا عبد الرحمن بن ثوبان فقلت : الحمد لله الذى أوقعك ، أنت تعرف أنساب الجن ومثل هذا يخفى عليك ؟ قال الساجى : والحديث حديث قبيصة ما رواه عن سفيان غيره ، وقال النووى : الواقدى ضعيف باتفاقهم ، وقال الذهبى فى الميزان : استقر الاجماع على وهن الواقدى ، وتعبه بعض مشائخنا بما لا يلاقى كلامه . وقال الدارقطنى : الضعف يتبين على حديثه ، وقال الجوزجاني : لم يكن مقنعا (١٨) .

فهذا هو الواقدى ، وهذا هو شأنه عند العلماء الاعلام من السنة ، وهذا مع تشيعه باعتراف الشيعة أنفسهم بأنه شيعى وليس شيعيا فحسب ، بل من الذين يلزمون التقية أى الكذب بتعبير صحيح .

وأما محمد بن السائب وابنه هشام فلقد ذكرهما محسن الأمين فى

(١٨) تهذيب التهذيب للإمام ابن حجر العسقلانى ج ٩ ص ٣٦٣ إلى ٣٦٨ ملخصا ومختصرا ، ومثله ذكر الذهبى فى ميزان الاعتدال ج ٣ ص ١١٠ .

طبقات المؤرخين من الشيعة (١٩) .

كما ذكرهما ابن النديم الشيعي في فهرسته .

وكما ذكر النجاشي هشام بن محمد بقوله :

هشام بن محمد بن السائب بن بشير بن زيد بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث بن عزي بن امرئ القيس عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن عوف بن زيد اللات رقيده بن ثور بن كلب بن وبرة المنذر: الناسب العالم بالأيام، المشهور بالفضل والعلم، وكان يختص بمذهبنا، وله الحديث المشهور، وقال: اعتلت علة عظيمة نسيت علمي، فجلست إلى جعفر بن محمد عليه السلام فسقاني العلم في كأس فعاد إلى علمي، وكان أبو عبد الله عليه السلام يقربه ويدينه ويبسطه، وله كتب كثيرة منها: كتاب مثالب ثقيف، كتاب مثالب بني أمية، كتاب مقتل عثمان، كتاب مقتل أمير المؤمنين، كتاب حجر بن عدى، كتاب الحكمين، كتاب مقتل الحسين عليه السلام، كتاب أخبار محمد بن الحنفية وغيرها (٢٠) .

وكما ذكر أباه ابن داود الحلي في القسم الأول من رجاله، وذكر أنه

من أصحاب الباقر (٢١) .

وذكر ابنه هشام وذكر أنه كان يقربه جعفر ويدينه (٢٢) .

وعد شيخ الطائفة الطوسي محمد بن السائب في رجاله من

أصحاب الصادق (٢٣) .

وأيضاً من أصحاب الباقر (٢٤) .

(١٩) أعيان الشيعة ج ١ ص ١٢٧، ١٢٨

(٢٠) رجال النجاشي ص ٣٠٥، ٣٠٦ .

(٢١) رجال ابن أبي داود الحلي ص ٣١٢

(٢٢) أيضاً ص ٣٦٨، ٣٦٩ .

(٢٣) رجال الطوسي ص ٢٨٩ .

(٢٤) أيضاً ص ١٣٦ .

وكان غالبا في التشيع، أخباره في الأغلوطنات أشهر من أن يحتاج إلى الإغراق (٢٥).

ولقد ذكرهما عالم الشيعة في الرجال العباس القمي بقوله:
الكلبي النسابة، ويقال له ابن الكلبي أيضا أبو المنذر هشام بن
أبي النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي الكوفي، كان من أعلم
الناس بعلم الانساب، وقد أخذ بعض الانساب عن أبيه أبي النضر
محمد بن السائب الذي كان من أصحاب الباقر والصادق عليهم
السلام، وأخذ أبو النضر نسب قريش عن أبي صالح عن عقيل بن أبي
طالب، قال ابن قتيبة: وكان جده بشرويه السائب وعبيد الرحمن
شهدوا الجمل وصفين مع علي بن أبي طالب عليه السلام، وقتل
السائب مع مصعب بن الزبير، وشهد محمد بن السائب الكلبي الجماجم
مع ابن الأشعث، وكان نسابا عالما بالتفسير، وتوفي بالكوفة وعن
السمعاني أنه قال في ترجمة محمد بن السائب أنه صاحب التفسير، كان
من أهل الكوفة قائل بالرجعة، وابنه هشام ذا نسب عال وفي التشيع
غال، وفي (الرجال الكبير): هشام بن محمد بن السائب أبو المنذر
الناسب العالم، المشهور بالفضل والعلم، العارف بالأيام، كان مختصا
بمذهبنا، قال: اعتلت علة عظيمة نسيت علمي، فجئت إلى جعفر
بن محمد (ع) فسقاني العلم في كأس، فعاد إلى علمي، وكان أبو عبد
الله (ع) يقربه ويدنيه وينشطه. قلت: حكى المعاني وغيره، عن قوة
حفظه أنه حفظ القرآن في ثلاثة أيام، وأنا أقول: لا بدع في ذلك، فإن
من سقاه الصادق (ع) العلم في كأس يحفظ القرآن بأقل من ثلاثة أيام،
توفي سنة ٢٠٦ أو ٢٠٤ (٢٦).

(٢٥) أعيان الشيعة ج ١ ص ٥٩.

(٢٦) الكنى والألقاب ج ٣ ص ٩٤، ٩٥، ٩٦.

وأنا أظن بأنه يكفي هذا لبيان حقيقة أحوال هشام وأبيه محمد حيث أنهما من أسرة شيعية بحتة من قديم الزمان .

وأما ما قاله السنة فلقد نقل أقوالهم الإمام ابن حجر العسقلاني حيث ذكر محمد بن السائب فنقل عن معمر بن سليمان عن أبيه أنه قال : كان بالكوفة كذابان أحدهما الكلبي ، وقال ليث بن أبي سليم : كان بالكوفة كذابان أحدهما الكلبي ، والآخر السدي . وقال الدوري عن يحيى بن معين : ليس بشيء ، وقال معاوية بن صالح عن يحيى : ضعيف وقال أبو موسى : ما سمعت يحيى ولا عبد الرحمن يحدثان عن سفيان عنه بشيء ، وقال البخاري تركه يحيى وابن مهدي وقال الدوري عن يحيى بن يعلى المحاربي قال : قيل لزائدة : ثلاثة لا تروى عنهم ابن أبي ليلى ، وجابر الجعفي ، والكلبي ، قال أما ابن أبي ليلى فليست أذكره ، وأما جابر فكان والله كذاباً يؤمن بالرجعة ، وأما الكلبي وكنت أختلف إليه فسمعتة يقول مرضت مرضة فنسيت ما كنت أحفظ فأتيت آل محمد فتفلوا في في فحفظت ما كنت نسيت فتركته ، وقال الأصمعي عن أبي عوانة : سمعت الكلبي يتكلم بشيء من تكلم به كفر فسألته عنه فجحده ، وقال عبد الواحد بن غياث عن ابن مهدي : جلس إلينا أبو جزء على باب أبي عمرو بن العلاء ، فقال أشهد أن الكلبي كافر قال فحدثت بذلك يزيد بن زريع فقال سمعته يقول : أشهد أنه كافر قال فماذا زعم ؟ قال : سمعته يقول : كان جبريل يوحى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقام النبي لحاجته وجلس على فأوحى إلى علي ، فقال يزيد : أنا لم أسمعته يقول هذا ولكني رأيته يضرب صدره ويقول أنا سبئي أنا سبئي . قال العقيلي هم صنف من الرافضة أصحاب عبد الله بن سبأ ، وقال ابن فضيل عن مغيرة عن إبراهيم أنه قال لمحمد بن السائب : ما دمت على

هذا الرأي لا تقر بنا وكان مرجئا وقال زيد بن الحباب سمعت الثوري يقول : عجبا لما يروى عن الكلبي ، قال ابن أبي حاتم : فقلت لأبي : إن الثوري روى عنه ، فقال : كان لا يقصد الرواية عنه ويحكى حكايته تعجبا فيعلقه من حضره ويجعلونه رواية ، وقال علي بن مسهر عن أبي جناب الكلبي حلف أبو صالح : أنني لم أقرأ على الكلبي من التفسير شيئا ، وقال أبو عاصم : زعم لي سفيان الثوري قال : قال الكلبي : ما حدثت عن أبي صالح عن ابن عباس فهو كذب فلا ترووه ، وقال الأصمعي عن قرة بن خالد : كانوا يرون أن الكلبي يزخرف يعني يكذب ، وقال يزيد بن هارون ، كبر الكلبي وغلب عليه النسيان ، وقال أبو حاتم : الناس مجمعون على ترك حديثه هو ذاهب الحديث لا يشتغل به ، وقال النسائي : ليس بثقة ولا يكتب حديثه ، وقال ابن عدي : له غير ما ذكرت أحاديث صالحة وخالصة عن أبي صالح وهو معروف بالتفسير وليس لأحد طول من تفسيره وحدث عنه ثقات من الناس ورضوه في التفسير وأما في الحديث ففيه مناكير ولشهرته فيما بين الضعفاء يكتب حديثه ، وقال ابن أبي حاتم : كتب البخاري في موضع آخر محمد بن بشر سمع وعمر بن عبد الله الحضرمي وعنه محمد بن إسحاق قال ابن أبي حاتم : هو الكلبي ، قال محمد بن عبد الله الحضرمي مات : بالكوفة سنة ست وأربعين ومائة . قلت : ساق ابن سعد نسبه إلى كلب بن وبرة قال : وكان جده بشر وبنوه السائب وعبيد وعبد الرحمن شهدوا الجمل مع علي وشهد محمد بن السائب الجماجم مع ابن الأشعث وكان عالما بالتفسير وأنساب العرب وأحاديثهم توفي بالكوفة سنة ست وأربعين أخبرني بذلك ابنه هشام ، قالوا : وليس ذاك ، في روايته ضعيف جدا ، وقال علي بن الجنيد والحاكم أبو أحمد والدارقطني : متروك ، وقال الجوزجاني : كذاب

ساقط، وقال ابن حبان، وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه روى عن أبي صالح التفسير وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس لا يحل الاحتجاج به، وقال الساجي: متروك الحديث وكان ضعيفا جدا لفرطه في التشيع، وقد اتفق ثقات أهل النقل على ذمه وترك الرواية عنه في الأحكام والفروع، قال الحاكم أبو عبد الله: روى عن أبي صالح أحاديث موضوعة (٢٧) .

فهذا هو الرجل وهذا هو مقامه وشأنه، وهذه هي أقوال العلماء فيه، وهذا هو وضعه من التشيع والكذب إلى حد الكفر .
وأما ابنه هشام فهو، يروى عنه وهو مثله، رافضى متروك كما ذكره الذهبي وغيره (٢٨) .

وأما الكلبي هذا فلقد صنف كتابا في مثالب الصحابة كما ذكره ابن المطهر الحلبي في كتابه منهاج الكرامة (٢٩) .
وقال الامام ابن تيمية فيه وأيضا نقل كلام الأئمة الأعلام في كتابه:

هشام الكلبي: وهو من أكذب الناس وهو شيعي يروى عن أبيه وعن أبي مخنف لوط بن يحيى، وكلاهما متروك كذاب، وقال الإمام أحمد: ما ظننت أن أحدا يحدث عنه، إنما هو صاحب سمر ونسب، وقال الدارقطني: هو متروك، وقال ابن عدي: هشام الكلبي الغالب عليه الأسفار، ولا أعرف له في المسند شيئا، وأبوه أيضا كذاب ساقط، وقال زائدة والليث وسليمان التميمي: هو كذاب، وقال يحيى: ليس بشيء كذاب ساقط، وقال ابن حبان: وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج

(٢٧) تهذيب التهذيب لابن حجر ص ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١

(٢٨) انظر لذلك ميزان الاعتدال ص ٣٠٤، ٣٠٥ .

(٢٩) انظر منهاج الكرامة في إثبات الامامة ص ٥٨ الملحق بكتاب منهاج السنة لابن تيمية .

إلى الإغراق في وصفه (٣٠) .

فهؤلاء الأربعة هم العمدة للمؤرخين في سرد الروايات والحكايات والخزعبلات عن الحوادث والكوارث التي وقعت أيام عثمان رضي الله عنه والحروب التي حلت بين علي وبين المطالبين بثار عثمان وقصاصه إلى شهادة حسين وما ترتب عليها من الأمور والنتائج، فصبغوها بصبغة خاصة واستغلوها لنشر السبئية وعقائدهم من مدخل التاريخ بعدما خدعوا كثيرا من الناس باسم العقائد وحب أهل البيت، ففتحوا مدخلا جديدا للطعن والتشنيع في أصحاب محمد ﷺ، في الأخيار البررة، ولإدخال السذج الغفلة من الناس في دينهم الذي لم يأت به إلا عبد الله بن سبأ وأنصاره وأشياعه، ولم يؤسس قواعده وأصوله ولم يكوّن أسسه وضوابطه إلا هم ومن والاهم . ولذلك قدمنا الكلام في هؤلاء الناس قبل ذكر الوقائع والمطاعن لكي يعرف قيمة الروايات بقدر الرواة، ويعلم أن كل واقعة وحادثة يتفرد بروايتها هؤلاء السبئيون والشيعية لا يعتمد عليها ولا يكون لها اعتبار .

وبعد بيان هذه الأمور الهامة نقول : أن السبئيين خططوا خطة ودبروا مؤامرة للتفريق بين المسلمين وتمزيق كلمتهم وتشيت شملهم وهدم كيان الاسلام والقضاء على الخلافة الإسلامية .

فأولا : بنشر العقائد اليهودية والمذخولة الأجنبية بين المسلمين، ثم بنشر الأكاذيب والأراجيف عن الحكام وولاة الأمور . فنعيد عبارة ابن جرير الطبري، التي ذكرناها في مبحث السبئية لتبيين الحقائق عن المطاعن التي اخترعوها على خليفة رسول الله الراشد الثالث عثمان بن

عفان رضى الله عنه، وأن عثمان هو عثمان المعروف بالكريم الحليم، الجواد السخي، الشريف الحبيي، ابن بنت عمه رسول الله ﷺ وزوج ابنتيه، والممدوح من قبل النبي وأهل بيته، وعلى وأولاده (٣١) .

وليعرف كيف حيكت ضده المؤمرات وكيف أحكم نسيجها.

وكيف أثرت ضده الفتن ومن كان وراءها. فيقول الطبري:

كان عبد الله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء أمة سوداء فاسلم زمان عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام فأخبروه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول: لَعَجِبْتُ ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمدا يرجع وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾: فمحمدا أحق بالرجوع من عيسى، قال: فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي وكان على وصي محمد، ثم قال: محمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء، ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يُجز وصية رسول الله ﷺ ووثب على وصي رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة ثم قال لهم بعد ذلك: أن عثمان أخذها بغير حق وهذا وصي رسول الله ﷺ فانهضوا في هذا الأمر فحركوه وأبدءوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر، فبث دُعائه وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلوا يكتبون إلى الأمصار يكتب يضعونها في عيوب ولاتهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مصر منهم إلى

مصرٍ آخرٍ بما يصنعون فيقرأه أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة وأوسعوا الأرض إذاعةً وهم يريدون غير ما يُظهرون ويُسرون غير ما يُبدون، فيقول أهل كل مصر: انا لفي عافية مما ابتلى به هؤلاء إلا أهل المدينة فإنهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا انا لفي عافية مما فيه الناس وجامعه محمد وطلحه من هذا المكان قالوا فأتوا عثمان فقالوا: يا أمير المؤمنين أيأتيك عن الناس الذي يأتينا؟ قال: لا والله ما جاءني إلا السلامة، قالوا: فإننا قد أتانا وأخبروه بالذي أسقطوا، إليهم، قال: فأنتم شركائي وشهود المؤمنين فأشيروا عليّ، قالوا: نُشير عليك أن تبعث رجلاً ممن تثق بهم إلى الأمصار حتى يرجعوا إليك بأخبارهم، فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة وأرسل أسامة بن زيد إلى البصرة وأرسل عمار بن ياسر إلى مصر وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام وفرّق رجلاً سواهم فرجعوا جميعاً قبل عمار فقالوا: أيها الناس ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم، وقالوا جميعاً: الأمر أمر المسلمين إلا أن أمرائهم يُقسطون بينهم ويقومون عليهم، واستبطأ الناس عماراً حتى ظنوا أنه قد اغتيل فلم يفجأهم إلا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح يُخبرهم أن عماراً قد استماله قوم بمصر وقد انقطعوا إليه منهم عبد الله بن السَّوداء وخالد بن مُلجم وسُودان بن حمران وكنانة بن بشر (٣٢) .

واتماماً للفائدة نذكر ما ذكره الطبري من ردِّ فعل عثمان رضي الله

عنه على ذلك :

ثم كتب عثمان إلى أهل الأمصار أما بعد فاني آخذ العمال بموافاتي في كل موسم وقد سلطت الأمة منذ وليت على الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر فلا يُرفع على شيء، ولا على أحد من عمالي إلا أعطيته وليس لي ولعمالي حق قبل الرعية إلا متروك لهم وقد رفع إلى أهل المدينة أن أقواما يُشتمون وآخرون يُضربون فيأمن ضرب سراً وشتم سراً من ادعى شيئاً من ذلك فليواف الموسم فليأخذ بحقه حيث كان مني أو من عمالي أو تصدّقوا فإن الله يجزي المتصدقين، فلما قرئ في الأمصار أبكى الناس ودعوا لعثمان وقالوا: إن الأمة لتمخض بشروبعث إلى عمال الأمصار فقدموا عليه، عبد الله بن عامر ومعاوية وعبد الله بن سعد وأدخل معهم في المشورة سعيداً وعمراً فقال: وبحكم ما هذه الشكاية وما هذه الإذاعة؟ إني والله لخائف أن تكونوا مصدوقاً عليكم وما يُعصب هذا الابي فقالوا: ألم تبعث ألم نرجع إليك الخبر عن القوم ألم يرجعوا ولم يشافهم أحد بشيء؟ لا والله ما صدقوا ولا بروا ولا نعلم لهذا الأمر أصلاً وما كنت لتأخذ به أحداً فيقيمك على شيء وما هي إلا إذاعة لا يحل الأخذ بها ولا الانتهاء إليها، قال: فأشيروا على؟ فقال سعيد بن العاص: هذا أمر مصنوع يُصنع في السر فيلقى به غير ذي المعرفة فيخبر به فيتحدث به في مجالسهم قال: فما دواء ذلك؟ قال: طلب هؤلاء القوم ثم قتل هؤلاء الذين يخرج هذا من عندهم، وقال عبد الله بن سعد: خذ من الناس النذى عليهم إذا أعطيتهم النذى لهم فإنه خير من أن تدعهم، قال معاوية: قد وليتني فوليت قوماً لا يأتيك عنهم إلا الخير والرجلان أعلم بناحيتهما قال: فالرأى؟ قال: حسن الأدب قال: فما ترى يا عمر وقال أرى أنك قد لنت لهم وتراخيت عنهم وزدتهم على ما كان يصنع عمر فأرى أن تلزم طريقة صاحبك فتشد في موضع الشدة وتلين في موضع اللين إن الشدة تنبغى لمن لا يألو الناس شراً واللين لمن يخلف الناس بالنصح وقد فرشتها جميعاً اللين، وقام عثمان فحمد الله

وأثنى عليه وقال: كل ما أشرتم به علىَّ قد سمعت ولكل أمر باب يؤتى منه ان هذا الأمر الذى يخاف على هذه الأمة كائن وأن بابه الذى يُغلق عليه فيُكفكف به اللين والمؤاتاة والمتابعة إلا فى حدود الله تعالى ذكره التى لا يستطيع أحد أن يبادى بعيب أحدها فان سده شىء فرفق فذاك والله ليفتحنَّ وليست لأحد علىَّ حُجة حق وقد علم الله أنى لم آل الناس خيراً ولا نفسى ووالله إن رحى الفتنة لدائرة فطوى لعثمان إن مات ولم

يحركها كفكفوا الناس وهبوا لهم حقوقهم وأغفروا بهم وإذا تعوطيت حقوق الله فلا تذهنوا فيها (٣٢)

وأما الإيرادات التى أوردوها عليه والمطاعن التى اخترعوها لتمزيق دولة الاسلام، فهى التى ذكرها واحداً بعد واحد وردّها عثمان ذو النورين فى خطبته التى ذكرها جميع المؤرخين أنه حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

إن هؤلاء ذكروا أموراً قد علموا منها مثل الذى علمتم إلا أنهم زعموا أنهم يذاكرونها ليجبواها علىَّ عند من لا يعلم وقالوا: أتم الصلاة فى السفر وكانت لا تتم، ألا وإنى قدمت بلداً فيه أهلى فأتمتُ لهذين الأمرين، أو كذلك قالوا: اللهم نعم، وقالوا: وحيت حمى؟ وإنى والله ما حيتُ حمى قبلى والله ما حموا شيئاً لأحد ما حموا إلا ما غلب عليه أهل المدينة ثم لم يمنعوا من رعية أحد أو اقتصروا لصدقات المسلمين، يحمونها لئلا يكون بين من يليها وبين أحد تنازع ما منعوا ولا نحوا منها أحد إلا من ساق درهما ومالى من بغير غير راحلتين ومالى ناغية ولا راغية وأنى قد وليت وإنى أكثر العرب بغيراً وشاء فما اليوم شاة ولا بغير غير بغيرين لحجى، أكذاك؟ قالوا: اللهم نعم، وقالوا: كان القرآن كتباً

فتركها إلا واحدا، ألا وإن القرآن واحد جاء من عند واحد وإننا أنا في ذلك تابع لهؤلاء، أكذاك؟ قالوا: نعم، وسألوه أن يقتلهم، وقالوا: أنى رددت الحكم وقد سيره رسول الله ﷺ والحكم مكي سيره رسول الله ﷺ من مكة إلى، الطائف ثم رده رسول الله ﷺ، فرسول الله ﷺ سيره ورسول الله ﷺ رده أكذاك؟ قالوا: اللهم نعم، وقالوا: استعملت الأحداث ولم أستعمل إلا مجتمعاً محتملاً مرضياً وهؤلاء أهل عملهم فسلوهم عنه وهؤلاء أهل بلده ولقد ولي من قبلى أحدث منهم وقيل في ذلك لرسول الله ﷺ أشد عما قيل لى في استعماله أسامة، أكذاك؟ قالوا: اللهم نعم، يعييون للناس مالا يفسرون، وقالوا: أنى أعطيت ابن أبى سرح ما أفاء الله عليه وأنى إنما نفلته خمس ما أفاء الله عليه من الخمس فكان مائة ألف وقد أنفذ مثل ذلك أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فزعم الجند أنهم يكرهون ذلك فرددته عليهم وليس ذاك لهم، أكذاك؟ قالوا: نعم، وقالوا: أنى أحب أهل بيتى وأعطتهم فأما حبي فإنه لم يمل معهم على جور بل أحمل الحقوق عليهم وأما إعطاؤهم فإنى ما أعطيتهم من مالى ولا أستحل أموال المسلمين لنفسى ولا لأحد من الناس ولقد كنت أعطى العطية الكبيرة الرغبة من صلب مالى أزمان رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما وأنا يومئذ شحيح حريص أفحين أتيت على أسنان أهل بيتى وفنى عمرى وودعت الذى لى فى أهلى قال الملحدون ما قالوا، وإنى والله ما حملت على مصر من الأمصار فضلا فيجوز ذلك لمن قاله، ولقد رددته عليهم وما قدم على إلا الأخماس ولا يحل لى منها شيء فولى المسلمون وضعها فى أهلها دونى ولا يتلف من مال الله بفلس فما فوقه وما أتبلغ منه ما أكل إلا من مالى، وقالوا: أعطيت الأرض رجالا وإن هذه الأرضين شاركهم فيها المهاجرون والأنصار أيام افتتحت فمن

أقام بمكان من هذه الفتوح فهو أسوة أهله ومن رجع إلى أهله لم يُذهب ذلك ما حوى الله فنظرت في الذي يصيبهم مما أفاء الله عليهم فبعته لهم بأمرهم من رجال أهل عقارب بلاد العرب فنقلت إليهم نصيبهم فهو في أيديهم دوني . وكان عثمان قد قسم ماله وأرضه في بني أمية وجعل ولده كـبعض من يعطى فبدأ ببني أبي العاص فأعطى آل الحكم رجالهم عشرة آلاف عشرة آلاف فأخذوا مائة ألف وأعطى بني عثمان مثل ذلك وقسم في بني العاص وفي بني العيص وفي بني حرب ، ولأت حاشية عثمان لأولئك الطوائف ، وأبى المسلمون الاقتلهم وأبى ألا تركهم ، فذهبوا ورجعوا إلى بلادهم على أن يغزوهم مع الحجاج كالحجاج ، فتكاتبوا وقالوا موعدكم ضواحي المدينة في شوال (٣٣) .

ولما كان شوال سنة ٣٥ هـ خرج أهل مصر في أربع رفاق على أربعة أمراء ، المقليل يقول ستمائة والمكثري يقول ألف ، على الرفاق عبد الرحمن بن عديس البلوى وكنانة بن بشر والليثي وسودان بن حمران السكوني وقتيرة بن فلان السكوني وعلى القوم جميعا الغافقي بن حرب العكي ، ولم يجتروا أن يعلموا الناس بخروجهم إلى الحرب وإنما خرجوا كالحجاج ومعهم ابن السوداء ، وخرج أهل الكوفة في أربع رفاق ، وعلى الرفاق زيد بن صوحان العبدى والأشتر النخعي وزباد بن النضر الحارثي وعبد الله بن الأصم أحد بني عامر بن صعصعة وعددهم كعدد أهل مصر وعليهم جميعا عمرو بن الأصم ، وخرج أهل البصرة في أربع رفاق وعلى الرفاق حكيم بن جبلة العبدى وزريح بن عباد العبدى وبشر بن شريح الحطم بن ضبيعة القيسي وابن المحرش بن عبد عمرو الحنفى وعددهم كعدد أهل مصر وأميرهم جميعا حرقوص بن زهير السعدى سوى من تلاحق بهم من الناس ، فأما أهل مصر فإنهم كانوا يشتهون

علياء، وأما أهل البصرة فإنهم كانوا يشتهون طلحة، وأما أهل الكوفة فإنهم كانوا يشتهون الزبير، فخرجوا وهم على الخروج جميع وفي الناس شتى لا يشك كل فرقة إلا أن الفلج، معها وإن أمرها سبب دون الآخرين، فخرجوا حتى إذا كانوا من المدينة على ثلاث تقدم ناس من أهل البصرة فنزلوا ذا خشب، وناس من أهل الكوفة فنزلوا الأعوص، وجاءهم ناس من أهل مصر وتركوا عامتهم بذى المروة ومشى فيما بين أهل مصر وأهل البصرة زياد بن النضر وعبد الله بن الأصم وقالوا: لا تعجلوا ولا تعجلونا حتى ندخل لكم المدينة ونرتد فإنه بلغنا إنهم قد عسكروا لنا فوالله إن كان أهل المدينة قد خافونا واستحلوا قتالنا ولم يعلموا علمنا فهم إذا علموا علمنا أشد وإن أمرنا هذا لباطل، وإن لم يستحلوا قتالنا ووجدنا الذي بلغنا باطلا لنترجع إليكم بالخبر قالوا اذهبوا فدخل الرجالان فلقيا أزواج النبي ﷺ وعلياء وطلحة والزبير وقالوا: إنما نأتم هذا البيت ونستعفى هذا السوالى من بعض عمالنا ما جئنا إلا لذلك بالدخول، وإستأذناهم للناس بالدخول، فكلهم أبى ونهى وقال بيض ما يفرخن، فرجعا إليهم فاجتمع من أهل مصر نفر فأتوا علياء ومن أهل البصرة نفر فأتوا طلحة ومن أهل الكوفة نفر فأتوا الزبير وقال كل فريق منهم إن بايعوا صاحبنا وإلا كدناهم وفرقنا جماعتهم، ثم كررنا حتى نبغتهم فأتى المصريون علياء وهو في عسكر عند أحجار الزيت عليه حلة أفواف معتم بشقيقة حمراء يمانية متقلد السيف ليس عليه قميص وقد سرح الحسن إلى عثمان فيمن اجتمع إليه، فالحسن جالس عند عثمان وعليه عند أحجار الزيت، فسلم عليه المصريون وعرضوا له، فصاح بهم واطردهم وقال: لقد علم الصالحون أن جيش ذى المروة وذى خشب ملعونون على لسان محمد ﷺ فارجعوا لا صحبكم الله قالوا: نعم

فانصرفوا من عنده على ذلك وأتى البصريون طلحة وهو في جماعة أخرى إلى جنب عليّ وقد أرسل ابنه إلى عثمان فسلم البصريون عليه وعرضوا له فصاح بهم وأطردهم وقال لقد علم المؤمنون أن جيش ذى المروة وذى خشب والأعوص ملعونون على لسان محمد ﷺ ، وأتى الكوفيون الزبير وهو في جماعة أخرى وقد سرح ابنه عبد الله إلى عثمان فسلموا عليه وعرضوا له فصاح بهم وأطردهم وقال لقد علم المسلمون أن جيش ذى المروة وذى خشب والأعوص ملعونون على لسان محمد ﷺ ، فخرج القوم وأروهم إنهم يرجعون فانقشوا عن ذى خشب والأعوص حتى انتهوا إلى عساكرهم وهى ثلاث مراحل كى يفرق أهل المدينة ثم يكرروا راجعين ، فافترق أهل المدينة لخروجهم فلما بلغ القوم عساكرهم كروا بهم فبغتوهم فلم يفجأ أهل المدينة إلا والتكبير فى نواحي المدينة فنزلوا فى مواضع عساكرهم وأحاطوا بعثمان ، وقالوا من كفّ يده فهو آمن ، وصلى عثمان بالناس أياما ولزم الناس بيوتهم ولم يمنعوا أحدا من كلام فاتاهم الناس فكلموهم وفيهم عليّ فقال ما ردكم بعد ذهابكم ورجوعكم عن رأيكم ، قالوا أخذنا مع بريد كتابا بقتلنا ، وأتاهم طلحة فقال البصريون ، مثل ذلك وأتاهم الزبير فقال الكوفيون مثل ذلك وقال الكوفيون والبصريون فنحن ننصر إخواننا ونمنعهم جميعا كأنها كانوا على ميعاد فقال لهم عليّ : كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر وقد سرتهم مراحل ثم طويتم نحونا هذا والله أمر أبرم بالمدينة ، قالوا فضعهو على ما شئتم لا حاجة لنا فى هذا الرجل ليعتزلنا» (٣٤) .

فحاصروا بيته محاصرة شديدة وجاء على (٣٥) وأهل بيته وطلحة

(٣٤) الطبرى ج ٥ : ص ١٠٣-١٠٥ .

(٣٥) ولقد أثبتنا كل هذا من كتب القوم أنفسهم فى كتابنا (الشيعه وأهل البيت) من أراد فلي نظر

إلى ذلك .

والزبير مع آبائهم للدفاع عنه فقال مخاطبا إياهم :

يا أهل المدينة إني أستودعكم الله وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدى . إني والله لا أدخل على أحد بعد يومى هذا حتى يقضى الله فى قضاءه ولأدعن هؤلاء وراء بابى غير معطيهم شيئا يتخذونه عليكم دخلا فى دين الله أو دننا حتى يكون الله عز وجل الصانع فى ذلك ما أحب . وأمر أهل المدينة بالرجوع وأقسم عليهم فرجعوا إلا الحسن ومحمد بن طلحة وابن الزبير وأشباهاهم ، فجعلوا بالباب عن أمر آبائهم وثاب إليهم ناس كثير ولزم عثمان الدار» (٣٦) .

حُصر عثمان إثنين وعشرين يوما ثم أحرقوا الباب وفى الدار أناس كثير فيهم عبد الله بن الزبير ومروان فقالوا ائذن لنا ، فقال إن رسول الله ﷺ عهد إلىَّ عهدا فأنا صابرٌ عليه وإن القوم لم يحرقوا باب الدار إلا وهم يطلبون ما هو أعظم منه فأخرج على رجل يستقتل ويقاتل وخرج الناس كلهم ودعا بالمصحف يقرأ فيه والحسن عنده فقال أن أباك الآن لفى أمر عظيم فاقسمت عليك لما خرجت وأمر عثمان أبا كُرب رجلا من همدان وآخر من الأنصار أن يقوما على باب بيت المال وليس فيه إلا غرارتان من ورق فلما أطفئت النار بعدما ناوشهم ابن الزبير ومروان وتوعد محمد بن أبى بكر ابن الزبير ومروان فلما دخل على عثمان هربا ودخلوا عليه فنههم من يجؤه بنعل سيفه وآخر يلكره وجاءه رجل بمشاقص معه فوجأه فى تروقه فسال الدم على المصحف وهم فى ذلك يهابون فى قتله وكان كبيرا وغشى عليه ودخل آخرون فلما رأوه مغشيا عليه جرّوا برجله فصاحت نائلة وبناته وجاء التّجيبى مُخترطا سيفه ليضعه فى بطنه فوقته نائلة فقطع يدها واتكأ بالسيف عليه فى صدره وقتل عثمان رضى الله عنه قبل غروب

الشمس ونادى منادٍ ما يَحُل دمه ويخرج ماله فاتتهبوا كل شيء ثم تبادروا بيت المال فألقى الرجلان المفاتيح ونجوا وقالوا الهرب هذا ما طلب القوم، وذكر محمد بن عمران عبد الرحمن بن عبد العزيز حدثه عن عبد الرحمن بن محمد أن محمد بن أبي بكر تسوّر على عثمان من دار عمرو بن حزم ومعه كنانة بن بشر بن عتاب وسُودان بن حمران وعمرو بن الحمق فوجدوا عثمان عند امرأته نائلة وهو يقرأ المصحف في سورة البقرة فتقدمهم محمد بن أبي بكر فأخذ بلحية عثمان فقال قد أخزأك الله يانعثُل فقال عثمان لست بنعثل ولكني عبد الله وأمير المؤمنين قال محمد ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان وفلان فقال عثمان يا ابن أخى دع عنك لحيتى فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه فقال محمد لوراك أبى تعمل هذه الأعمال أنكرها عليك وما أريد بك أشد من قبضى على لحيتك قال عثمان أستنصر الله عليك وأستعين به ثم طعن جبينه بمشقص في يده ورفع كنانة بن بشر مشاقص كانت في يده فوجأ بها في أصل أذن عثمان فضت حتى دخلت في حلقة ثم علاه بالسيف حتى قتله فقال عبد الرحمن سمعت أبا عون يقول ضرب كنانة بن بشر جبينه ومقدّم رأسه بعمود حديد فخرّ لجبينه فضربه سودان بن حمران المرادى بعدما خرّ لجبينه فقتله* قال محمد بن عمر حدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عبد الرحمن بن الحارث قال الذى قتله كنانة بن بشر بن عتاب التّجيبى وكانت امرأة منظور بن سيّار الفزارى تقول خرجنا إلى الحج وما علمنا لعثمان بقتل حتى إذا كنا بالعرج سمعنا رجلاً يتغنّى تحت الليل :

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة * قتيلُ التّجيبى الذى جاء من مِصر
قال وأما عمرو بن الحمق فوثب على عثمان فجلس على صدره
وبه رمقَ فطعنه تسع طعنات قال عمرو فأما ثلاث منهن فإنى طعنتهن إياه

لله وأما ستّ فإنني طعنتهن إياه لما كان في صدرى عليه (٣٧) .

فهذه هي القصة، اختصرناها من تاريخ الطبرى ومروج الذهب للمسعودى الشيعى بدون تغيير لفظ وتحريفه . وهكذا فاز السبثيون في تفريق كلمة المسلمين وإيقاع الخلاف والشقاق بينهم الذى لا ينتهى إلى يوم القيامة كما تنبأ عن ذلك عثمان رضى الله عنه مخاطبا الأشتر وغيره : فوالله إن قتلتمونى لا تتحابون بعدى أبدا ولا تصلون جميعا بعدى أبدا ولا تقتاتلون بعدى جميعا أبدا» (٣٨) .

فهذا هو الذى حصل . ولقد أطلنا النقل في هذا الخصوص لما أن له علاقة مباشرة بهذا الموضوع وهى المطاعن التى استغلها السبثيون لقلب نظام الحكم . فهى كما تلى ، بلسان أحد أخلافهم . فيقول ابن المطهر الحلى :

وأما عثمان فإنه ولىّ أمور المسلمين من لا يصلح للولاية، حتى ظهر من بعضهم الفسوق ومن بعضهم الخيانة، وقسم الولايات بين أقاربه، وعوتب على ذلك مراراً فلم يرجع . واستعمل الوليد بن عقبة حتى ظهر منه شرب الخمر وصلى بالناس وهو سكران، واستعمل سعيد بن العاص على الكوفة، فظهر منه ما أدى إلى أن أخرجه أهل الكوفة منها . وولىّ عبد الله بن أبى سرح مصر حتى تظلم منه أهلها، وكاتبه أن يستمر على ولايته سراً، خلاف ما كتب إليه جهراً، وأمره بقتل محمد بن أبى بكر . وولىّ معاوية الشام، فأحدث من الفتن ما أحدث . وولى عبد الله بن عامر العراق، ففعل من المناكير ما فعل . وولى مروان أمره، وألقى إليه مقاليد أموره، ودفع إليه خاتمه، فحدث من ذلك قتل عثمان، وحدث الفتنة بين الأمة ما حدث . وكان يؤثر أهله بالأموال الكثيرة من

(٣٧) أيضاً : ص ١٣١ - ١٣٢ .

(٣٨) تاريخ الطبرى : ج ٥ ص ١١٨ .

بيت مال المسلمين، حتى إنه دفع إلى أربعة نفر من قريش زُوجهم بناته أربعمائة ألف دينار، ودفع إلى مروان ألف ألف دينار. وكان ابن مسعود يطعن عليه ويكفره، ولما حكم ضربه حتى مات. وضرب عماراً حتى صار هفتق، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله: عمار جلدة بين عيني، تقتله الفئة الباغية، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة؛ وكان عمار يطعن عليه.

وطرد رسول الله صلى الله عليه وآله الحكم بن أبي العاص عم عثمان عن المدينة، ومعه مروان، فلم يزل طريداً هو وابنه في زمن النبي صلى الله عليه وآله. وأبى بكر وعمر، فلما ولي عثمان آواه ورده إلى المدينة، وجعل مروان كاتبه، وصاحب تدبيره؛ مع أن الله تعالى قال: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢] الآية.

ونفى أبا ذرٍّ إلى ربذة، وضربه ضرباً وجيعاً، مع أن النبي صلى الله عليه وآله قال في حقه: ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرٍّ، وقال صلى الله عليه وآله: إن الله أوحى إليّ أنه يحب أربعة من أصحابي، وأمرني بهم، قيل له: من هم يا رسول الله؟ قال: على عليه السلام سيدهم، وسلمان، ومقداد، وأبو ذر.

وضيّع حدود الله فلم يجد عبيد الله بن عمر حين قتل الهرمزان مولى أمير المؤمنين عليه السلام بعد إسلامه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يطلب عبيد الله لاقامة القصاص عليه، فلحق بمعاوية. وأراد أن يعطل حد الضرب في الوليد بن عقبة، حتى حدّه أمير المؤمنين عليه السلام وقال: لا يبطل حد الله وأنا حاضر. وزاد الأذان يوم الجمعة وهو بدعة، وصار سنة الآن. وخالفه المسلمون كلهم حتى قتل» (٣٩)

فهذه هي تركة السبئيين تلقفها الشيعة منهم وتوارثها آباء آبائهم قبل ، وهذه أحد الأدلة بأن شيعة اليوم لم يكونوا مذهبهم ولم يؤسسوا قواعده وأركانه إلا على الأسس التي وضعها السبئية ، وليس لهم علاقة بالشيعة الأولى ، شيعة عليّ وأولاده ، لا من قريب ولا من بعيد وكما سنبينه قريبا إن شاء الله في موضعه .

فالإيرادات هذه التي اخترعها واختلق بعضها السبئيون ردّ عليها ذو النورين في حينها كما ذكرناه آنفا من الطبرى وغيره ، ولم يكن لبعض منها وجود آنذاك ، وقد تصدى للرد على جميع هذه الأكاذيب والأباطيل أعيان هذه الأمة وأسلافها ، وأئمة السنة وأعلامها ، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية حيث ذكر واحدا واحدا منها ثم ردّ عليها بالأصول الثابتة والبراهين الساطعة . وكذلك تلميذه الذهبي حيث لخص كتابه ، والقاضى أبوبكر بن العربى وغيرهم من العلماء والمتكلمين والفقهاء . وفى شبه القارة الهندية الباكستانية انبرى لها الكثيرون وعلى رأسهم الحكيم الدهلوى ولّى الله صاحب (حجة الله البالغة) و(قرة العينين فى تفضيل الشيخين) و(إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء) وابنه عبد العزيز الدهلوى الذى لخص كتابه الألوسى الصغير وغيره الكثيرون والكثيرون ، ولكن القوم تعودوا على الكذب والإصرار عليه ، ويكثرون كيما ينطلى على السذج والمغفلين من الناس .

ولكن لأننا بدأنا فى البحث عن السبئية وأفكارهم والفرق التى تفرعت من الشيعة وتاريخها وتبنيها أفكارهم دون أفكار الشيعة الأولى أردنا ذكر هذه المطاعن ، وعلاوة على ذلك نبتغى من الرد عليها بأسلوبنا الخاص وذكرنا الاستشهادات من كتب القوم ابتغاء مرضاة الله للدفاع عن حمى الإسلام والذود عن أصحاب محمد ﷺ ، الذين نحبههم لحب

نبينا إياهم ولحبهم إياه، ونرجو الله القبول والتوفيق .

فأول إيراد أوردوه على سيدنا عثمان رضى الله عنه أنهم قالوا : إنه أثر القربى ، وذكر أيضا المؤرخ الشيعى المشهور اليعقوبى حيث قال :
ونقم الناس على عثمان بعد ولايته بست سنين وتكلم فيه من
تكلم وقالوا : أثر القربى » (٤٠) .

فلننظر ما حقيقة هذا الإيراد وهذا الطعن ؟ هل حقيقة قسم الولاية
بين أقاربه أم هذه من أكاذيب السبئية التى اخترعوها لتأليب الناس على
عثمان ، وتبنتها الشيعة وحتى اليوم لتأييد السبئيين فى خروجهم وبغيهم
وإظهارا للولاء لهم والوفاء بهم . فهذا هو ذا المؤرخ الشيعى المشهور
اليعقوبى بذكر عمال عثمان على الولايات ، فيقول :

وكان لعثمان على اليمن يعلى بن أمية التميمى ، وعلى مكة عبد
الله بن عمرو الحضرمى ، وعلى همذان جرير بن عبد الله البجلي ، وعلى
الطائف القاسم بن ربيعة الثقفى ، وعلى الكوفة أبو موسى الأشعرى ،
وعلى البصرة عبد الله بن عامر الكريز ، وعلى مصر عبد الله بن سعد بن
أبى السرح ، وعلى الشام معاوية بن أبى سفيان بن حرب » (٤١) .

وقد ذكر الطبرى وابن الأثير أسماء بقية العمال الذين كانوا على
الولايات وعلى المناصب العليا فذكر الطبرى وابن الأثير :

وعلى حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وعلى قنسرين
حبیب ابن مسلمة ، وعلى الأردن أبو الأعور السلمى ، وعلى فلسطين
علقمة بن حكم الكنعانى ، وعلى البحر عبد الله بن قيس الفزارى ،
وعلى القضاء (الشام) أبو الدرداء ، وعلى الخراج جابر بن فلان المزنى ،
وعلى حربها القعقاع بن عمرو ، وعلى قرقيسياء جرير بن عبد الله

(٤٠) تاريخ اليعقوبى : ج ٢ ص ١٧٣ - ١٧٤ .

(٤١) تاريخ اليعقوبى : ج ٢ ص ١٧٦ .

البجلي، وعلى آذريجان الأشعث بن قيس الكندي، وعلى حلوان عتيبة بن النهاس، وعلى ماه مالك بن حبيب، وعلى الري سعيد بن قيس، وعلى أصبهان السائب بن الأقرع، وعلى ماسبذان جبش، وعلى بيت المال عقبة بن عامر، وعلى القضاء زيد بن ثابت (٤٢).
ونائبه في الحج سنة كان عبد الرحمن بن عوف، وفي السنة الأخيرة كان عبد الله بن عباس كما ذكر اليعقوبي في تاريخه (٤٣).

ومثل هذا ذكر كل من ابن سعد في طبقاته وابن كثير وابن الأثير في تاريخهما وابن عبد البر في الاستيعاب وغيرهم في غيرها.
ويظهر من هذا الفهرست بداهة ولأول وهلة كذب السبثيين المعلنين لسبثيتهم والمفتخرين بها وكذب المتخلفين والوارثين في أفكارهم ومطاعنهم والمتسترين المختفين تحت اسم التشيع خوفا من افتضاح ما هو مفضوح.

فهذه هي الولايات وهؤلاء هم العمال، وهذه هي المناصب وهؤلاء هم الحائزون عليها بثبت التاريخ وبشهادة القوم أنفسهم.
فالمناصب العليا في الدولة كانت هي :
أولا : القضاء، ولم يكن يتولاها أحد من أقاربه، بل كان يتولاها زيد بن ثابت الأنصاري رضى الله عنه.

ثانيا : وبيت المال كان عليه عقبة بن عامر.

ثالثا : وعلى إمارة الحج عبد الله بن عباس.

رابعا : وعلى الخراج جابر بن فلان المزني وسماك الأنصاري.

خامسا : وعلى الحرب القعقاع بن عمرو.

(٤٢) تاريخ الطبري : ج ٥ ص ١٤٨-١٤٩، ابن الأثير ج ٣ ص ٩٥، وورد بعض هذه الاسماء في البداية والنهاية ص ٣٢٢.

(٤٣) ج ٢ ص ١٧٦.

سادسا : وقد ذكر بعض المؤرخين أن رئيس الشرطة في أيامه عبد الله بن قنفذ من بنى تيم (٤٤) .

فهذه هي المناصب الستة العليا في الدولة لم يكن واحد منها من بنى أمية أو أقارب عثمان رضى الله عنه وعن باقى الصحابة أجمعين .
سابعاً : وأما عمال الولايات وولاتها فلم يكن مع كثرتهم إلا الثلاثة من بنى أمية ، وواحد من هؤلاء الثلاثة لم يولّه عثمان على ولايته ، بل كان قد ولى من قبل أبى بكر ثم أثبتته على تلك الولاية عمر مع كثرة عزله العمال والولاة ألا وهو معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما كما ذكر مؤرخ شيعى معاوية من عمال عمر (٤٥) .

ولم يكن أبوبكر ولّاه على تلك الولاية إلا نائباً لأخيه يزيد بن أبى سفيان رضى الله عنهما رسول الله ﷺ على تيماء (٤٦) .

كما استعمل أباهم ، أبى سفيان رضى الله عنه على نجران (٤٧) .

ولم يبق إلا الاثنان : عبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وعبد الله بن عامر بن كريز .

والجدير بالذكر أن عبد الله بن سعد بن أبى سرح أيضاً ليس من بنى أمية ، بل هو من بنى عامر ولكن المرضعة التى أرضعت عثمان رضى الله عنه كانت أم عبد الله هذا ، فهذه حقيقة القرابة كلها .

ثم فهل كان تولية عبد الله بن عامر بن كريز وأضف إليه عبد الله بن سعد من بين العمال الكثيرين فيها مأخذاً ومطعناً في سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ؟

(٤٤) تاريخ خليفة ابن خياط : ج ١ ص ١٥٧ .

(٤٥) انظر تاريخ اليعقوبى : ج ٢ ص ١٦١ .

(٤٦) تاريخ الطبرى : ج ٤ ص ١٣٠ ، البداية ج ٧ ص ٢٤ .

(٤٧) تاريخ خليفة ابن خياط تحت عنوان عمال رسول الله : ج ١ ص ٦٢ ، نسب قريش لمصعب

الزبيرى ، كتاب المحبر لأبى جعفر البغدادى : ص ١٢٦ تحت عنوان امراء رسول الله .

فهل من المحرّم شرعاً أن يولي الخليفة والأمير أحداً من أقاربه يستأهله فقط لأنه من أقاربه أو قبيلته وعشيرته . فهل ورد بذلك الكتاب أم السنة ، وهل صرح بذلك أحد من الصحابة وأهل البيت وحتى عليّ وأولاده؟ .

وهل هذا من المطاعن؟ .

فإن كان هذا طعننا فوقوعه في عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه - أحق وأولى حيث ولّى أيام خلافته قثم بن عباس على مكة وعبد الله بن عباس على اليمن (٤٨) .

وولّى عبد الله بن عباس على البصرة وولّى ربيّه محمد بن أبي بكر على مصر (٤٩) .

وولّى صهره وابن أخته جعد بن الهيرة على خراسان ، كما كان على عساكره محمد بن الحنفية (٥٠) .

وقد ناب عنه في الحج سنة ٣٦ هـ عبد الله بن عباس ، وسنة ٣٧ هـ قثم بن العباس ، وسنة ٣٨ هـ عبيد الله بن العباس (٥١) .

ثم من أين لقوم أن يعترضوا على عثمان لتوليته أقاربه وهو لم يولّ كما أثبتناه - وهم لم يجعلوا علياً رضي الله عنه وصى رسول الله إلا لقربته منه ، ولم يجعلوا الإمامة في أولاده إلا لأنهم من أولاده .

وعار عليك إذا فعلت عظيم

ثم ولولا أن يطول بنا الحديث لأثبتنا أن عمل عثمان رضي الله عنه كان أقرب لسنة رسول الله ﷺ ممن جاء بعده ، ولم يعترض على عمله

(٤٨) تاريخ اليعقوبي الشيعي : ج ٢ ص ١٧٩ .

(٤٩) مروج الذهب

(٥٠) انظر لذلك مروج الذهب للمسعودي الشيعي ج ٢ ص ٣٥١ ، ومنهاج السنة لابن تيمية

والعواصم من القواصم .

(٥١) تاريخ اليعقوبي : ص ٢١٣ .

وعماله أحد من أصحاب رسول الله ولا على والمهاشميون الآخرون غيره، ولا أهل الأمصار والولايات الذين أمر عليهم هؤلاء العمال كما هو ثابت في التاريخ .

فهذا كل ما يدندن حوله القوم من السبثيين إلى شيعة عصرنا الحاضر. وهذه هي الحقيقة وهذه هي الحقائق، وهذه هي التهمة الكبيرة والمطعن الأكبر الذي استعمله السبثيون قديماً، ويستعمله الشيعة حديثاً .

وأخيراً ننقل ههنا ما ذكره الذهبي في (المنتقى) جواباً على هؤلاء :

إن نواب علي قد خانوه وعصوه أكثر مما خان عمال عثمان له وعصوه وذهب بعضهم إلى معاوية . وقد ولي على رضي الله عنه زياد بن أبي سفيان أبا عبيد الله بن زياد قاتل الحسين وولي الأشر، وولي محمد بن أبي بكر، ومعاوية خير من هؤلاء كلهم . ومن العجب أن الشيعة ينكرون على عثمان ما يدعون أن علياً كان أبلغ فيه من عثمان، فيقولون إن عثمان ولي أقاربه من بنى أمية وعلي ولي أقاربه من قبل أبيه وأمه كعبد الله وعبيد الله ابني عمه العباس وقتم بن العباس وثمامة ابن العباس . وولي على مصر ربيبه محمد بن أبي بكر الذي رباه في حجره وولد أخته أم هانئ ثم إن الإمامية تدعى أن علياً نص على أولاده في الخلافة . . . ومن المعلوم أنه إن كان تولية الأولاد أقرب إلى الإنكار من تولية بنى العم . . . وإذا ادعى لعلى العصمة ونحوها مما يقطع عنه السنة الطاعنين كان ما يدعى لعثمان من الاجتهاد الذي يقطع السنة الطاعنين أقرب إلى المعقول والمنقول . وأما عثمان فله أسوة في استعمال بنى أمية بالنبي ﷺ فقد استعمل عتاب بن أسيد الأموي على مكة، وأبا سفيان

على نجران، واستعمل خالد بن سعيد بن العاص، حتى إنه استعمل الوليد بن عقبة...

فيقول عثمان : أنا لم استعمل إلا من استعمله النبي ﷺ ومن جنسهم ومن قبيلتهم، وكذلك أبو بكر وعمر بعده، فقد ولي أبو بكر يزيد بن أبي سفيان بن حرب في فتوح الشام، وأقره عمر، ثم ولي عمر بعده، أخاه معاوية. وهذا النقل عن النبي ﷺ في استعمال هؤلاء ثابت مشهور عنه، بل متواتر عند أهل العلم، فكان الاحتجاج على جواز الاستعمال من بني أمية بالنص الثابت عن النبي ﷺ أظهر عند كل عاقل من دعوى كون الخلافة في واحد معين من بني هاشم بالنص، لأن هذا كذب باتفاق أهل العلم بالنقل، وذلك صدق باتفاق أهل العلم بالنقل. وأما بنو هاشم فلم يستعمل النبي ﷺ منهم إلا عليا على اليمن وجعفر على غزوة مؤتة مع مولاه زيد وابن رواحة» (٥٢).

وأما توليته الوليد بن عقبة على الكوفة فليس فيه شيء، لأن الوليد كان من أعيان قريش :

وكان من رجال قريش ظرفا وحلما وشجاعة وأدبا، وكان شاعرا شريفا» (٥٣).

ثم رسول ﷺ نفسه أمره على صدقات بني المصطلق : أسلم يوم الفتح وبعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق» (٥٤).

وأما سعيد بن العاص فنثبت ههنا ما ذكره الخطيب محب الدين على هامش (المنتقى من منهاج السنة) :

(٥٢) المنتقى للذهبي : ص ٣٨٢-٣٨٣.

(٥٣) تهذيب التهذيب : ج ١١ ص ١٤٣.

(٥٤) تهذيب التهذيب : ج ١١ ص ١٤٢، وكتاب المحرر : ص ١٢٦.

كان سعيد بن العاص في الذروة العليا من فصحاء قريش ، وندبه عثمان عند كتابة القرآن فأقيمت عربية القرآن على لسانه ، لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله ﷺ وبلغ من صدق إيمانه أن قال له عمر يوماً أنا لم أقتل أباك ، وإنما قتلت خالي العاص بن هشام فقال له سعيد : ولو قتلتك لكنت على الحق وكان على الباطل . وسعيد بن العاص هو فاتح طبرستان وغزا جرجان وكان في عسكره حذيفة وغيره من كبار الصحابة . وحسبه شرفاً ما رواه عبد الله بن عمر بن الخطاب أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ ببردة فقالت : إني نذرت أن أعطى هذه البردة لأكرم العرب ، فقال لها ﷺ : أعطيتها لهذا الغلام . وهو واقف . (وكان هذا الغلام هو سعيد بن العاص المجاهد الفاتح الذي يعير الرافضي أمير المؤمنين عثمان بأنه ولاه الكوفة) فإن لم تكن إقامة القرآن على لسان سعيد بن العاص مفخرة عند الرافضة فشهادة النبي ﷺ له بأنه أكرم العرب من أعظم مفاخر الدنيا والدين ، إلا أن له عيباً وهو أنه أحد الذين أخرجوا إيران من المجوسية إلى الإسلام بتسجيل التاريخ له أنه فاتح طبرستان وقائد كبار الصحابة في غزو جرجان . وأحاديثه في صحيح مسلم وسنن النسائي وجامع الترمذي . ولكن الرافضة لا تعبأ بصحيح مسلم ولا بجميع دواوين السنة المحمدية مادامت مكتفية بأكاذيب كتابهم الذي يسمونه الكافي . ومن مفاخر سعيد بن العاص التي يموت الرافضة بسببها كمداً وحنقاً ما أخرجه الطبراني من طريق محمد بن قانع بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال : رأيت رسول الله ﷺ عاد سعيد بن العاص ، فرأيت يكمده بخرقه . وأراد بعضهم أن يصرف هذه المنقبة إلى جد سعيد بن العاص - وهو أيضاً يسمى سعيد بن العاص - لكن ذلك لا يمكن أن يكون إلا في مكة قبل الهجرة وجد سعيد بن العاص مشرك ، فان صح أن

النبي ﷺ فعل ذلك بجد سعيد بن العاص الأموي وهو مشرك فيكون ذلك من باب المودة في القربى لأنهما من بنى عبد المناف، وسبُّ الرافضة للأمويين من بنى عبد المناف في جاهليتهم وإسلامهم ينافي ما كان يحتاج إليه النبي ﷺ من أسباب المودة في القربى التي تقدم الكلام عليها بمناسبة ما كان النبي ﷺ يبادل به أبا سفيان في الجاهلية من أسباب هذه المودة العائلية. وعلى ذكر حديث البردة التي نذرت إحدى الصحابييات أن تعطىها لأكرم العرب فأمرها النبي ﷺ أن تعطىها لسعيد بن العاص وكان غلاماً بعد، فإن هذا الحديث من أعلام النبوة، وقد اكتشف النبي ﷺ بنور الوحي الإلهي أن سعيداً سيكون أكرم العرب، روى ابن أبي خيثمة من طريق يحيى بن سعيد قال: قدم محمد بن عقيل بن أبي طالب على أبيه فقال له: من أشرف الناس؟ قال: أنا وابن أُمي، وحسبك بسعيد بن العاص وقال معاوية: كريم قریش سعيد بن العاص. وكان مشهوراً بالكرم والبر، حتى كان إذا سأل السائل وليس عنده ما يعطيه كتب له بما يريد أن يعطيه مسطوراً، فلما مات كان عليه ثمانون ألف دينار فوفاه عنها ولده عمرو الأشدق. . . . وهذا هو الأموي الذي يعير الرافضى أمير المؤمنين عثمان بأنه ولاه الكوفة، مات سعيد بن العاص في قصره بالعقيق سنة ٥٣هـ (٥٥).

ونضيف إلى ذلك أنه كان يهدى علياً رضى الله عنه وكان يقبل منه كما ذكره ابن سعد في طبقاته :

إن سعيد بن العاص قدم المدينة وافداً إلى عثمان، فبعث إلى وجوه المهاجرين والأنصار بصلات، وإلى علي بن أبي طالب فقبل منه (٥٦).

(٥٥) المتقى من منهاج السنة للذهبي : ص ٣٧٥-٣٧٦ الهامش .

(٥٦) طبقات ابن سعد : ج ٥ ص ٢١ .

فإن كان كما يذكره السبئيون والشيعة فكيف يقبل منه صلات
وهذا يا؟ . وأكثر من ذلك أن سعيد بن أبي العاص هذا :

خطب أم كلثوم بنت علي من فاطمة التي كانت زوجة عمر بن
الخطاب فأجابت إلى ذلك» (٥٧) .

فارجع البصر هل ترى من فتور، ثم أرجع البصر كرتين ينقلب
إليك البصر خاسئا وهو حسير .

فانظر إلى شهامة عمال عثمان وكرم البيت الأموي كما يذكره
الذهبي وغيره :

خطب سعيد بن العاص أم كلثوم بنت علي بعد عمر، وبعث لها
بمائة ألف، فدخل عليها أخوها الحسين وقال : لا تزوجيه، فقال
الحسن : أنا أزوجه واتعدوا لذلك، فحضرُوا فقال سعيد : وأين أبو عبد
الله؟ فقال الحسن : سأكفيك، قال : فلعل أبا عبد الله كره هذا، قال :
نعم، قال : لا أدخل في شيء يكرهه ورجع ولم يأخذ من المال شيئا» (٥٨)

وأما عبد الله بن عامر عامل عثمان على العراق فيكفيه شرفا أنه :
أتى النبي ﷺ وهو صغير، فقال : يشبهنا وجعل يتفل عليه
ويعوده، وجعل عبد الله يتلع ريق رسول الله ﷺ إنه المستقى، فكان لا
يعالج أرضا إلا ظهر له الماء . . . فكان كما قال رسول الله ﷺ (٥٩).

وزاد ابن سعد أن رسول الله ﷺ قال :

هذا ابنتنا وهو أشبهكم بنا» (٦٠) .

لأن جدته كانت عمة رسول الله ﷺ وهي أم حكيم بنت عبد

(٥٧) البداية والنهاية : ج ٨ ص ٨٦ .

(٥٨) سير أعلام النبلاء : ج ٣ ص ١٩٥ .

(٥٩) الاستيعاب ج ٣ ص ١٥١ . الإصابة ج ٣ ص ١٦٠ ، أسد الغابة : ج ٣ ص ١٩١ .

(٦٠) طبقات ابن سعد : ج ٥ ص ٣٠ .

المطلب بن هاشم (٦١) .

وكان سخيا شجاعا ، وصولا لقرباته ولقومه ، محبيا فيهم ،
رحيما (٦٢) .

وولاه بلاد فارس وكان عمره خمسا وعشرين سنة ، فافتتح خراسان
كلها وأطراف فارس وسجستان وكرمان وزابلستان (٦٣) .
كما أرسل العساكر إلى كل من قومس ونسا وابرشهر وجام وطوس
واسفرائين وسرخس ومرو وبوشنج وزرنج (٦٤) .
وهو الذي قتل كسرى في ولايته (٦٥) .

وأرسل العساكر إلى الكاريان والفيشجان وناشب وبهرات وبيهق
وطخارستان وجوزجان والفاريان والطالقان وبلخ وخوارزم وبادغيس
واصبهان وحلوان (٦٦) .

وافتحت هذه البلدان كلها تحت إشرافه وبأيدى عساكره (٦٧) .
وهو أول من أخذ الحياض بعرفة ، وأجرى إليها العين وسقى
الناس الماء ، فذاك جار إلى اليوم (٦٨) .
وعلى ذلك قال شيخ الإسلام :

ان عبد الله بن عامر له من الحسنات والمحبة في قلوب الناس ما لا
ينكره (٦٩) .

(٦١) انظر كتاب مصعب ابن الزبير : ص ١٤٨-١٤٩ .

(٦٢) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٣٢ ، الاستيعاب لابن عبد البر : ج ٢ ص ٣٥٢ ، كتاب نسب

قريش ص ١٤٩ .

(٦٣) أسد الغابة : ج ٣ ص ١١٩ ، طبقات ابن سعد : ج ٥ ص ٣٣ .

(٦٤) كتاب البلدان لليعقوبى الشيعى : ص ٤٠ وما بعد .

(٦٥) الاستيعاب لابن عبد البر : ج ٢ ص ٥٢ .

(٦٦) تاريخ خليفة ابن خياط : ج ١ ص ١٤٠ ، ١٥٨ .

(٦٧) أيضا .

(٦٨) طبقات ابن سعد : ج ٥ ص ٣٤ ، أسد الغابة : ج ٣ ص ١٩١ ، البداية : ج ٨ ص ٨٨ .

(٦٩) منهاج السنة لابن تيمية : ج ٣ ص ١٨٩-١٩٠ .

وأنى للشيعة من أولهم إلى آخرهم أن يكون لهم وال مثله في
الجهاد والغزوات وفي الفتوحات وتقديم الهبات والصلوات والبر بالناس
وعمل الخيرات .

وأما مروان الذى طالما كثر الكلام حوله فتفصل فيه القول بعض
التفصيل لأنه هو كان محور المطاعن ومركز التجريح ، ولا زال من قبل
السبئية ومن فرق الشيعة كلها .

فان أكثر ما روى عنه من المطاعن والتهم من قبيل شتمه وسبابه
لعلّى ، وأخذه خمس أفريقيا ، ونفى والده وطرده هو معه ، وكتابه الكتاب
المزعوم لقتل محمد بن أبى بكر وغيرها من الروايات لم ترو إلا من طريق
الواقدى ومحمد بن السائب الكلبي وابنه هشام أو أبى مخنف لوط بن
يحيى ، وقد ذكرنا أحوال جميع هؤلاء الرواة بأنهم من بقايا السبئيين ومن
الشيعة مع الانقطاع فى رواياتهم ومروياتهم لأنهم يروون ممن لم يسمعوا
عنه ولم يلتقوا به ، وعلى ذلك لا يلتفت إلى ما ورد بطرقهم وتفردوا بنقلها
مثل الطبرى وابن سعد فانهم لم يروا إلا من الواقدى . وأما البلاذرى فى
(انساب الاشراف) فلم يرو إلا من هشام الكلبي وابن مخنف . وأما البقية
من المؤرخين فلم يأخذوا إلا من هؤلاء . ولأجل ذلك قال القاضى أبو
بكر بن العربى وابن حجر الهيثمى وابن تيمية والذهبى وغيرهم :

ان أكثر الأخبار فى ذلك مختلفة ولم يصح منه شىء (٧٠) .

وبذلك صرح علماء الحديث تحت ذكر الروايات الموضوعة أن أكثر
ما ورد فى هذه الروايات من ذم معاوية وعمرو بن العاص وبنى أمية
وكذلك من ذم الوليد ومروان بن الحكم فهى موضوعة مكذوبة اختلقها
الكذابون الدجالون من الشيعة الذين جعلوا دينهم الكذب ، وجعلوا

(٧٠) انظر العواصم من القواصم ص ١٠٠ ، الصواعق المحرقة ص ٦٨ ، منهاج السنة ج ٣
ص ١٩٦ ، المتقى : ص ٣٩٥ ، التحفة الاثنا عشرية : ص ٣١١ . ط . الهند .

الكذب من أقدس المقدسات عندهم^(٧١) كما صرح بذلك الملا على القارى في كتابه (الموضوعات)^(٧٢) وانظر أيضا الاسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة^(٧٣) والمنار المتيف في الصحيح والسقيم لابن القيم وغيرهم . هذا قسم من المطاعن . وأما القسم الآخر فردّ عليه المؤرخون أنفسهم ، كما ردّوا على الكتب المزوّرة التى نسبت إلى مروان بأنه هو الذى كتبها وختم عليها عثمان لأن الختم كان عنده فقالوا ان هذا كذب على الصحابة :

إنما كتبت مزورة عليهم كما كتبوا من جهة على وطلحة والزبير كتبوا مزورة عليهم^(٧٤) .

وذكر ابن خلدون :

فانصرفوا قليلا ثم رجعوا وقد لبسوا بكتاب مدلس يزعمون أنهم لقوه في يد حامله إلى عامل مصر بأن يقتلهم ، وحلف عثمان على ذلك ، فقالوا مكنّا من مروان فإنه كاتبك فحلف مروان فقال : ليس في الحكم أكثر من هذا^(٧٥) .

وقبل ذلك قد أعلن باختلاق هذه الكتب على بن أبى طالب رضى الله عنه دراية وفراصة منه كما نقلنا كلامه في بداية الأمر بأنه قال : كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقى أهل مصر وقد سرتهم مراحل ثم طويتم نحونا هذا ، والله أمر ابرم بالمدينة ، قالوا : فضعوه على ما شئتم لا حاجة لنا في هذا الرجل ، ليغتزلنا^(٧٦) .

(٧١) انظر لذلك كتابنا (الشيعة والسنة) .

(٧٢) ص ١٠٦ .

(٧٣) ص ٣٧٧ . ط . بيروت .

(٧٤) البداية والنهاية : ج ٧ ص ١٧٥ .

(٧٥) مقدمة ابن خلدون الفصل الثلاثون في ولاية العهد : ص ٢١٥ .

(٧٦) الطبرى : ج ٥ ص ١٠٥ .

هذا من ناحية الرواية . وأما دراية فهل يعقل أن شخصا كهذا يكون كاتباً لسيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ولا يعترض عليه أحد من كبار الصحابة بما فيهم على بن أبى طالب حامل راية رسول الله يوم خيبر ، وسعد بن أبى وقاص أحد العشرة المبشرة وفاتح إيران ، والزبير ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه ، وطلحة الذى وقى رسول الله ﷺ من سهام مشركى مكة وصار له كالترس ، وغيرهم من أعيان الصحابة وأكابرهم ؟ ولا يصدر هذا الكلام الذى يخترعونه ويختلقونه من أعيان الصحابة وأكابرهم .

ثم وهل يمكن أن يشفع له الحسن والحسين رضى الله عنهما إلى أبيهما أن يطلق سراحه يوم كان أسيراً عنده؟ كما ذكره الشيعة أنفسهم ، قالوا :

«أخذ مروان بن الحكم أسيراً فاستشفع له الحسن والحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فكلّم فيه فخلّى سبيله» (٧٧) .
وهؤلاء الثلاثة أى على وابناه الحسن والحسين معصومون عند الشيعة حسب زعمهم ، وعند السبّيين كان على هو هو - أى الله - فالإله يقبل الشفاعة ويطلق السراح لشخص يكون متصفاً بتلك الأوصاف التى وصفه بها القوم كذباً ومنافاً .

وأكثر من ذلك . نعم أكثر من ذلك قد ذكر كبير القوم المجلسى حديثاً فى كتابه عن موسى بن جعفر عن جعفر أنه قال :
كان الحسن والحسين يصليان خلف مروان بن الحكم فقالوا :
لأحدهما (أى لموسى أو لجعفر) : ما كان أبوك يصلى إذا رجع إلى

البيت؟ فقال : والله لا ، ما كان يزيد على صلاة» (٧٨).

ومثل ذلك ذكره ابن كثير في تاريخه» (٧٩) .

كما ذكر الإمام البخارى في تاريخه عن شرحبيل بن سعد قال :
رأيت الحسن والحسين يصليان خلف مروان» (٨٠) .

هل بعد هذا شك لشاك بأن هذه التهم كانت كلها باطلة
ومختلفة ، لا صحة لها على الاطلاق ، ولو كان فيها شئ من الصحة لما
كانت معاملة على وأهل بيته له مثل ما ذكر في كتب الشيعة أنفسهم .
هذا ولقد ذكر المؤرخون كثيرا من الوقائع التى تنبىء وثبتت
صراحة عكس ما ذكره السبثيون وما يعيده الشيعة فى مختلف الادوار .
ومنها ما ذكره أن على بن الحسين الملقب بزين العابدين - وهو الإمام
المعصوم الرابع عند القوم - استقرض من مروان ستة آلاف دينار ومائة
ألف درهم ، فلما حضرته الوفاة أوصى ابنه عبد الملك أن لا يسترجع من
على بن الحسين شيئا مما كان أقرضه» (٨١) .

ثم إن ابنة على رضى الله عنه ألا وهى رملة زوّجت من ابن مروان
هذا ، كما ذكر هذا الزواج عديد من النسابين :

كانت رملة بنت على عند أبى الهياج - الهاشمى - واسمه عبد الله
بن سفيان بن أبى الحارث بن عبد المطلب ولدت له وقد انقرض ولد
سفيان بن الحارث ، ثم خلف عليها معاوية بن مروان بن الحكم» (٨٢) .

وكذلك زينب بنت الحسن المثنى كانت متزوجة من حفيد مروان
وليد بن عبد الملك ، وكانت زينب هذه نجبية الطرفين حيث أنها حسنية

(٧٨) بحار الأنوار لمجلسي : ج ١٠ ص ١٣٩ .

(٧٩) ج ٨ ص ٢٥٨ .

(٨٠) التاريخ الصغير للبخارى .

(٨١) البداية والنهاية : ج ٨ ص ٢٤٩ وج ٩ ص ١٠٥ .

(٨٢) نسب قريش لمصعب الزبيرى تحت ذكر أولاد على بن أبى طالب : ص ٤٥ ، جمهرة أنساب

العرب لابن حزم تحت ذكر ولد مروان : ص ٨٧ .

من قبل إِب وحسينية من قبل الأم ، فإن أمها كانت فاطمة بنت الحسين بن علي .

ولقد ذكر هذا الزواج أيضا عديد من أصحاب الأنساب :

وكانت زينب بنت الحسن بن الحسن بن علي عند الوليد بن عبد الملك بن مروان وهو خليفة^(٨٣) .

وكذلك تزوج الوليد بن عبد الملك هاشمية علوية أخرى نجبية الطرفين . ألا وهي نفيسة بنت زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب سبط الرسول ، وأم نفيسة كانت لبابة بنت عبد الله بن عباس بن عبد المطلب . وقد ذكر هذا الزواج نسابة شيعي مشهور كما ذكرنا من قبل : وكان لزيد ابنة أمها نفيسة خرجت إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان ، فولدت منه^(٨٤) .

وهناك مصاهرات أخرى ذكرها أصحاب الأنساب .

فهذه هي شهادات التاريخ وشهادات الشيعة أنفسهم بأن الفاطميات والعلويات تزوجن من أبناء مروان وأحفاده ، فإن كان مروان كما يصفه الواصفون ، وكما يكذب عليه الكذابون فكيف كان هذا؟ وما الجواب عنه؟ .

والجواب يعلمه المنصفون لأول وهلة أنه لم يكن هناك شيء إلا ما اختلقه السبئيون أبناء اليهود ومن سلك مسلكهم ، وإلا فهل يعقل من أولاد علي رضي الله عنهم بأنهم يزوجون بناتهم من أبناء مروان وأحفاده إن كان مروان كما قيل عنه وكما يقال ؟ .

وأما اتهام السبئيين ومن خلفهم بأن عثمان كان يؤثر أهله بالأموال

(٨٣) نسب قريش تحت أولاد الحسن المثنى : ص ٥٢ ، جهرة أنساب العرب : ص ١٠٨ .

(٨٤) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لجمال الدين بن عتبة الشيعي : ص ٧٠ تحت أولاد

زيد بن الحسن ، طبقات ابن سعد : ج ٥ ص ٣٤ .

الكثيرة من بيت المال فلا يثبت في ذلك شيء لأن عثمان ردَّ على السبئيين يوم ذاك كما نقلنا مقدما أنه قال :

واما إعطاءهم فاني أعطيتهم من مالي ولا أستحل أموال المسلمين لنفسى ولا لأحد من الناس ، ولقد كنت أعطى العطية الثمينة الرغبة من صلب مالي أزمان رسول الله ﷺ أفحين أتيت على أسنان أهل بيتى وفنى عمرى وودعت الذى لى فى أهلى» (٨٥) .

وقد أقر المخالفون لعثمان حينما قال لهم :

وإنى قد وليت وإنى أكثر العرب شاة وبعيرا ومالا ، فمالى اليوم شاة ولا بعير غير البعيرين لحجى ، أكذاك؟ قالوا: اللهم نعم» (٨٦) .

ثم كل ما ورد بعد هذا ليس إلا من إختلاق السبئية الذين تعودوا على تكرار الكذب والإصرار عليه ليورثوا الضغائن والأحقاد ضد رحماء رسول الله وأصهاره وضد رفاق رسول الله وتلامذته وأحيائه .

والجدير بالذكر أن رواية هذه الأشياء هم نفس الرواة الذين ينقلون الأكاذيب فى أصحاب رسول الله ﷺ يفخمونها ويكبرونها ، بل ويختلقونها ويخترعونها من الواقدي الرافضى ، ولوط بن يحيى أبى مخنف الشيعى ، لا عن واحد من الثقات ومن رواية السنة ، ولقد قدمنا الكلام فى هؤلاء فى بداية البحث ، فلا التفات إلى رواياتهم الكاذبة الموضوعية ولا اعتبار بها .

فلم بات عثمان بمنكر . لا فى أول الأمر ولا فى آخره ، ولا جاء الصحابة بمنكر ، وكل ما سمعت من خبر باطل اياك أن تلتفت إليه .

ومثل ذلك قال أمير المؤمنين فى الحديث الإمام البخارى عن

الحسن بن على أنه قال :

(٨٥) الطبرى : ج ٥ ص ١٠٣

(٨٦) أيضا ، ومثل ذلك فى البداية والنهاية لابن كثير : ص ١٦٩ .

عمل أمير المؤمنين عثمان ثنتي عشرة سنة لا ينكرون من إمارته شيئاً حتى جاء فسبقة فداهن والله في أمره أهل المدينة» (٨٧).

وبذلك شهد محمد بن مسلمة وأسامه بن زيد وعبد الله بن عمر أنه لم يكن هناك شيء، بل كل ما كان هو مؤامرة دبّرها عبد الله بن سبأ بمؤامرة خالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر وغيرهم (٨٨). وجمعوا حولهم قوماً لأحقاد اعتقدوها ممن طلب أمراً فلم يصل إليه، وحسد حساد أظهر داؤها، وحمله على ذلك قلة دين وضعف يقين، وإيثار العاجلة على الآجلة (٨٩).

والجدير بالذكر أن سودان بن حمران وخالد بن ملجم كانا من لذين نظر إليهم عمر بن الخطاب في إمرته فأعرض عنهم ثم أعرض ثم عرض حتى قيل: مالك وهؤلاء؟ فقال: إني عنهم لمتردد، وما مربى وم من العرب أكره إليّ منهم» (٩٠).

وأما ضربه ابن مسعود وعمارا ونفيه أباذر إلى الربذة فلم يثبت شيء منه، كلها أباطيل وأكاذيب، اللهم إلا أنه اختلف مع ابن مسعود على حمله الناس على مصحف واحد حيث إن ابن مسعود كان يعارضه الأمة قاطبة وعلى رأسهم أصحاب رسول الله كانوا مع عثمان، ولا زال مصحفه هو متداولاً بين الناس. فلم ينقل عن الثقات أنه ضرب ابن مسعود حتى مات، ولم يذكره السبئيون فيما ذكروا من تهمهم على عثمان.

وأما قضية عمار فقد كان كل ما فيه كما ذكره المؤرخون أنه كان بينه

(٨٧) التاريخ الصغير للإمام البخارى : ص ٣٢ تحت ذكر من مات في خلافة عثمان .

(٨٨) تاريخ طبرى : ج ٥ ص ٩٩ ، تاريخ ابن خلدون تحت ذكر بدء الانتفاض على عثمان .

ص ١٣٨ .

(٨٩) العواصم من القواصم لابن العربى : ص ١١١ .

(٩٠) انظر لذلك الطبرى : ج ٤ ص ٨٦ .

وبين عباس بن عتبة بن أبي لهب خلاف فأدبهما عثمان بالضرب ولم يكن بينهما شيء، ولأجل ذلك أرسل أمير المؤمنين عثمان عمارة فيمن أرسل لاستخبار أحوال المسلمين واستكشاف أمورهم كما مر ذلك مقدماً (٩١).
نعم استغل السبئيون وجوده في مصر والتفوا حوله وأثاروا حفيظته ليستميلوه إليهم، فلما وصل المدينة عاتبه عثمان على ممالأته السبئيين وقال له :

يا أبا اليقظان قذفت ابن أبي لهب قذفاً . . . وغضبت على أن أخذت لك بحقك وله بحقه، اللهم قد وهبت ما بيني وبين أمتي من مظلمة، اللهم اني متقرب إليك بإقامة حدودك في كل أحد ولا أبالي» (٩٢).

وأما أمر أبي ذر فنذكر لبيان الحقيقة عبارة من تاريخ ابن خلدون حيث يذكر مطعن السبئيين على سيدنا عثمان لقلب حكم المسلمين ويذكر حقيقة هذا الطعن بقوله :

وكان مما أنكروه على عثمان اخراج أبي ذر من الشام ومن المدينة إلى الربذة وكان الذي دعا إلى ذلك شدة الورع من أبي ذر وجعل الناس على شدائد الأمور والزهد في الدنيا وأنه لا ينبغي لأحد أن يكون عنده أكثر من قوت يومه ويأخذ بالظاهر في ذم الادخار بكنز الذهب والفضة وكان ابن سبأ يأتيه فيغريه بمعاوية ويعيب قوله المال مال الله ويوهم أن في ذلك احتجانه للمال وصرفه على المسلمين حتى عتب أبوذر معاوية فاستعتب له وقال سأقول مال المسلمين، وأتى ابن سبأ إلى أبي الدرداء وعبادة بن الصامت بمثل ذلك فدفعوه وجاء به عبادة إلى معاوية وقال هذا الذي بعث عليك أبأذر ولما كثر ذلك على معاوية شكاه إلى عثمان

(٩١) انظر تاريخ الطبري : ج ٥ ص .

(٩٢) تاريخ دمشق لابن عساكر : ج ٧ ص ٤٢٩ .

فاستقدمه وقال له ما لأهل الشام يشكون منك؟ فأخبره، فقال يا أباذر لا يمكن حمل الناس على الزهد وإنما على أن أقضى بينهم بحكم الله وأرغبهم في الاقتصاد، فقال أبوذر لا نرضى من الأغنياء حتى يبذلوا المعروف ويحسنوا للجيران والإخوان ويصلوا القرابة، فقلل له كعب الأحبار من أدنى الفريضة فقد قضى ما عليه فضربه أبوذر فشجه، وقال يا ابن اليهودية ما أنت وهذا! فاستوهب عثمان من كعب شجته فوهبه، ثم أستاذن أبوذر عثمان في الخروج من المدينة وقال إن رسول الله ﷺ أمرني باخروج منها إذا بلغ البناء سلعا، فأذن له ونزل بالريذة وبنى بها مسجدا وأقطعه عثمان صرمة من الأبل واعطاه مملوكين وأجرى عليه رزقا وكان يتعاهد المدينة فعذ أولئك الرهط خروج أبي ذر فيساقينقموه على عثمان» (٩٣).

وقد ثبت بذلك أشياء منها :

أولا : أن أباذر رضى الله عنه لشدة ورعه وزهده وسداجته انطلى عليه أكاذيب عبد الله بن سبأ، وهو الذى كان يحرضه .

ثانيا : كان رضى الله عنه يقول بأقوال ويدعوا الناس إلى آراء لم يأخذ بها أحد من الصحابة ولم يعمل بها أحد من حكام المسلمين وحتى على لم يعمل بها في إمرته .

ثالثا : كان معاملة عثمان معه معاملة الرفق والرفيق .

رابعا : شدة أبى ذر بآرائه وأفكاره، وضربه كعب الاحبار وجرحه إياه .

خامسا : شفاعة عثمان إلى كعب الاحبار لعدم الاقتصاص منه وطلبه العفو والسمح .

سادسا : استيذان أبى ذر عثمان فى الخروج من المدينة امثالا بقول رسول الله .

سابعا : نزوله الربذة برضاه ، لا نفيا ولا طردا من عثمان .

ثامنا : لم يكن الربذة خلاء ولا صحراء كما يصورها الأعداء ، بل كان فيها عمران حتى بنى بها مسجدا .

تاسعا : إقطاع عثمان إياه صرمة من الإبل واعطاؤه إياه مملوكين للخدمة ، واجراء الارزاق عليه .

عاشرا : لم يكن منفيا ومطرودا حيث كان يتعاهد المدينة .

فتلك عشرة كاملة

والجدير بالذكر أن الربذة لم تكن بعيدة من المدينة لأن بينهما ثلاثة أميال فقط ، وقال ياقوت : وكانت فى أحسن منزل فى طريق المدينة» (٩٤) .

وعلى ذلك قال أبوبكر ابن العربى :

وأما نفية أباذر إلى الربذة فلم يفعل» (٩٥) .

ونقل الذهبى عن الحسن البصرى أنه قال :

معاذ الله أن يكون أخرجه عثمان» (٩٦) .

ومثل هذا روى عن زوجة أبى ذر أنها قالت :

والله ما سير عثمان أباذر إلى ربذة» (٩٧) .

وأما عدم أخذه القصاص من عبيد الله بن عمر على قتله هرمزان

فالعريب أن الشيعة يقولون بهذا القول ، الذين يدعون موالة على رضى

(٩٤) هوامش المتقى : ص ٣٨٠ .

(٩٥) انظر العواصم من القواصم : ص ٧٣ .

(٩٦) المتقى : ص ٣٩٦ . ط . مصر .

(٩٧) أيضا .

الله عنه ومشايعته، وأنتى لهم تلك وهم أنفسهم يذمون كل من طالب عليها قصاص عثمان ممن قتله؟ .

ثانيا : ولقد ثبت أن الهرمزان كان واحدا ممن دبروا اغتيال الفاروق الأعظم رضى الله عنه وقتله، وهاهو عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنها يذكر غداة طعن عمر :

مررت بأبى لؤلؤة عشى أمس، ومعه جفينة والهرمزان وهم نجى، فلما رهقتهم ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان، نصابه فى وسطه، فانظروا بأى شىء قتل وقد تحلل أهل المسجد وخرج فى طلبه رجل من بنى تميم، فرجع إليهم التميمى وقد كان الظّ بأبى لؤلؤة منصرفه عن عمر حتى أخذه فقتله وجاء بالخنجر الذى وصفه عبد الرحمن (٩٨).

ثالثا : ان القمازبان بن الهرمزان عفى عنه وغفر له قتل أبيه . وهاهو النص كما رواه أبو المنصور أنه قال :

سمعت القمازبان يحدث عن قتل أبيه قال : كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعض، فمرفير وزبأبى ومعه خنجر له رأسان فتناوله منه وقال : ما تصنع بهذا فى هذه البلاد؟ . فقال : ابس به، فراه رجل . فلما أصيب عمر قال : رأيت هذا مع الهرمزان دفعه إلى فيروز، فأقبل عبيد الله فقتله، فلما ولّى عثمان دعائى فأمكننى منه، ثم قال : يا بنى هذا قاتل أبيك وأنت أولى به وما فى الأرض أحد إلا معى إلا أنهم يطلبون إلى فيه، فقلت لهم : إلى قتله؟ قالوا : نعم، وسبوا عبيد الله، فقلت : أفلکم أن تمنعوه؟ قالوا : لا وسبّوه، فتركته لله ولهم، فاحتملوني . فوالله ما بلغت المنزل إلا على رؤس الرجال وأكفهم (٩٩).

(٩٨) الطبرى : ج ٥ ص ٤٢ .

(٩٩) الطبرى : ج ٥ ص ٤٣-٤٤ .

رابعاً : أن عثمان دفع ديته من ماله :

قال عثمان : أنا وليّه وقد جعلتها دية واحتملتها في مالي (١٠٠).

أوبعد هذا مجال لقائل أن يقول ، وطاعن أن يطعن ؟ .

وأما قضية الأذان الثاني في الجمعة فلم يكن مما اعترضه عليه

السبئيون ، وهذا من زيادات أسلافهم ، وعلى ذلك نقول لهم :

هل علىّ أزال هذا الأذان حينما تولّى الخلافة ؟ .

والثابت أنه لم يزل طيلة خلافته ، فلماذا سكّ على هذا المنكر إن

كان كان منكراً ؟ . ولم الطعن على عثمان دون علىّ إن كان هذا من

المطاعن ؟ .

وبذلك قال الذهبي :

وأما زيادات الأذان الثاني يوم الجمعة فعلىّ ممن وافق على ذلك

في خلافته ولم يزله وإبطال هذا كان أهون عليه من عزل معاوية وغيره من

قتالهم . فإن قيل ان الناس لا يوافقونه على إزالة الأذان قلنا : فهذا دليل

على أن الناس وافقوا عثمان على الاستحباب حتى مثل عمار وسهل بن

حنيف والسابقين . وان اختلفوا فهي من مسائل الاجتهاد (١٠١).

هذا ما قاله السبئية وطعنوا على عثمان المظلوم أمير المؤمنين

عثمان بن عفان ذي نورين رضى الله عنه حتى ألّبوا الناس عليه وقتلوه

خدعة ومكراً ، غدرا وطغيانا ، بعد ما اراد على وسبطا رسول الله الحسن

والحسين وطلحة والزبير وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو وأبو هريرة وعبد

الله بن الزبير الدفاع عنه والمقاتلة دونه ، وغيرهم الكثيرون حتى جاءه

زيد بن ثابت الأنصاري فقال له : ان هؤلاء الأنصار بالباب يقولون : ان

شئت كنا أنصار الله مرتين ، فقال له عثمان : لا حاجة لى في ذلك ،

(١٠٠) أيضاً ص ٤١ .

(١٠١) المتقى : ص ٣٩٩ .

وقد ذكر ذلك ابن أبي الحديد الشيعي المعتزلي :

ومانعهم الحسن بن علي وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان وسعيد بن العاص وجماعة معهم من أبناء الأنصار، فزجرهم عثمان وقال : أنتم في حل من نصرتي فأبوا (١٠٣). وأيضاً نهى على أهل مضر وغيرهم عن قتل عثمان قبل قتله مرارا، نابذهم بيده وبلسانه وبأولاده (١٠٤).

وقد ذكر ذلك المؤرخ الشيعي المسعودي ببعض التفصيل وقد ذكرناه من قبل ، ونعيد عبارته في آخر الكلام لأن فيه تذكراً لمن يتذكر، وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد :

فلما بلغ علياً أنهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن والحسين مع مواليه بالسلاح إلى بابه لنصرتهم ، وأمرهم أن يمنعوه منهم ، وبعث الزبير ابنه عبد الله ، وبعث طلحة ابنه محمداً ، وأكثر أبناء الصحابة أرسلهم آباؤهم اقتداء بمن ذكرنا ، فصعدوهم عن الدار ، فرمى من وصفنا بالمهام ، واشتبك القوم ، وجرح الحسن ، وشج قنبر ، وجرح محمد بن طلحة ، فخشى القوم أن يتعصب بنوهاشم وبنو أمية ، فتركوا القوم في القتال على الباب ، ومضى نفر منهم إلى دار قوم من الأنصار فتسوروا عليها ، وكان ممن وصل إليه محمد بن أبي بكر ورجلان آخران ، وعند عثمان زوجته ، وأهله ومواليه مشاغل بالقتال ، فأخذ محمد بن أبي بكر بلحيته ، فقال : يا محمد ، والله لوراك أبوك لساء مكانك فتراخت يده ،

(١٠٢) أنساب الأشراف للبلاذري : ج ٥ ص ٧٣ .

(١٠٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ١ ص ١٩٧ تحت محاصرة عثمان ومنعه الماء .

(١٠٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ج ٣ ص ٤٤٩ تحت انه يابغى القوم الذين يابغوا أبا

وخرج عنه الدار، ودخل رجلان فوجدها فقتلاه وكان المصحف بين يديه يقرأ فيه، فصعدت امرأته فصرخت وقالت: قد قتل أمير المؤمنين، فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما من بنى أمية، فوجدوه قد فاضت نفسه رضى الله عنه، فبكوا، فبلغ ذلك علياً وطلحة والزبير وسعداً وغيرهم من المهاجرين والأنصار، فاسترجع القوم، ودخل على الدار وهو كالواله الحزين، وقال لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟ ولطم الحسن وضرب صدر الحسين، وشم محمد بن طلحة، ولعن عبد الله بن الزبير (١٠٥).

فهل لهم أن ينتهوا؟

لقد اسمعت لو ناديت حيا

ولكن لا حياة لمن تنادى

ونختم هذا الباب على حديث رواه البخارى:

عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ صعد احدا وأبوبكر وعمر وعثمان، فرجف بهم فضربه برجله فقال: أثبت أحد، فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان (١٠٦).

وعلى حديث آخر رواه البخارى ومسلم أيضا:

عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: كنت مع النبى ﷺ فى حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح. فقال النبى ﷺ: افتح له وبشره بالجنة، ففتحت له فإذا أبوبكر فبشرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح فقال النبى ﷺ: افتح له وبشره بالجنة ففتحت له فإذا عمر فأخبرته بما قال النبى ﷺ فحمد الله، ثم استفتح رجل فقال لى: افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه. فإذا

عثمان فأخبرته بما قال النبي ﷺ، فحمد الله، ثم قال: الله المستعان (١٠٧).

وأخيرا ما رواه الترمذى وابن ماجة عن مرة بن كعب قال : سمعت رسول الله ﷺ ذكر الفتن فقرَّبهما، فمر رجل مقنع في ثوب فقال : هذا يومئذ على الهدى فقامت إليه فإذا هو عثمان بن عفان، قال : فأقبلت عليه بوجهه - أى النبي ﷺ - فقلت : هذا ؟ . فقال : نعم (١٠٨) . فهذا هو عثمان بن عفان رضى الله عنه على لسان رسول الله ﷺ، وهذا هو شأنه، وهذا هو ما فعله السبثيون والمخدوعون بهم، وهذه هى المطاعن المزورة التى اخترعوها لقلب نظام الحكم الإسلامى الراشد (١٠٩) ولبث سموم الفتنة بين المسلمين وترحزهم عن العقائد الإسلامية الصحيحة وردَّهم عن الفتوحات وغزو البلاد الكافرة لتتويرها بنور الإسلام، ففازوا بالمرحلة الأولى بقتل أمير المؤمنين وخليفة المسلمين والتفريق بين الجماعة الواحدة والأمة المرحومة، ثم تحطوا بعد ذلك بخطوة أخرى ألا وهى الإيقاع بين المسلمين وإشعال نيران الحرب بينهم وإثارة الفتن والبغضاء، ثم إبعادهم عن العقائد الإسلامية الصحيحة وإدخالهم فى العقائد اليهودية المدسوسة والفكر اللا إسلامى، وفعلا نجحوا فى المرحلة الثانية أيضا ألا وهى إيقاع الفتن بين المسلمين والمهرج والمهرج حتى ينفلتوا عن الجهاد فى سبيل الله ويرجعوا لضرب بعضهم بعضا، وينحصر القتال فى ما بينهم ويدور بين فئاتهم وأحزابهم (١٠٧) منفق عليه ..

(١٠٨) رواه الترمذى وابن ماجة وقال الترمذى : هذا حديث صحيح .

(١٠٩) ومن المؤسف جدا بأن كثيرا ممن يدعون الانتساب إلى السنة تأثروا من دعايات السبائية الكثيرة المكررة فلم يفرقوا بين الحق والباطل وأطلقوا عنان أقلامهم لنقل هذه الخرافات والخزعبلات دون النظر إلى الأكاذيب السبائية وأباطيلها، ودون التمييز بين الثبوت والسمين فقالوا ما قالوا وكتبوا ما كتبوا - وما أكثرهم - وما أبعدهم عن الحق والصواب مع انتسابهم إلى العلم والزعامة الدينية .

بعد ما كانت تدور رحاها على ثغور الكفر وبلاد الشرك والوثنيات .
 وسنلخص القبول في الباب القادم ما حصل فعلا بأن الرقاع الإسلامية
 التي اتسعت في عهد عثمان امتدادا لاتساع الفاروق والصدیق انحصرت
 على ما كانت عليه في عهد على رضي الله عنه ، وبدأ على رضي الله
 عنه يشكو ويقول متأسفا :

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإنها خير ما تواصى به العباد وخير
 عواقب الأمور عند الله ، وقد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل
 القبلة» (١١٠) .

فبدل أن يتوجه المسلمون إلى أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء
 هذه الأمة بدأت سيوفهم تتفلل فيما بينهم . وهذا ما كانت تريده اليهودية
 البغيضة وهذا ما حصل كما نحن بسدد بيانه وذكره .

(١١٠) نهج البلاغة ص ٣٦٧ . ط . بيروت .

نظرة التتبع الأول والسبعة الأولى ودور النبأية بمقتل عثمان وأيام علي

لم يكن قصدنا من كتابة هذا الكتاب أن نسرد وقائع تاريخية حدثت، بل ما قصدنا هو سرد تاريخ السبئية وما قاموا بها من شنائع واقترفوا من الجرائم والمآثم وارتكبوا من الفضائح والوقاحات ولكنه لما كنا نحتاج لسرد تاريخ هذه الفئة الباغية التي أسست في الإسلام عقائد خاصة، وكوّنت فرقا مخصوصة، اضطررنا لسرد بعض الحوادث التاريخية التي حدثت وللسبئية فيها دخل كبير بل لم تكن لتقع لولا دسائسها ومؤامراتها، وليكون لنا بتوفيق الله وتقديره وتيسيره في هذه الحوادث والوقائع كتاب مستقل ومنزه عن الخرافات والسخافات، وخال من القصص والأساطير، ومجرد عن الأكاذيب والأباطيل التي طالما استعملها أعداء الإسلام وأعداء أمة محمد ﷺ للنيل من أسلافها وأكابرها. وما ذلك على الله بعزيز.

ويكون بحثنا مقتصرًا على الحوادث التي تتعلق بموضوعنا فقط، ونتجنب وقائع أخرى لعدم علاقتها بموضوعنا علاقة مباشرة قاصدين الاختصار دون الاطناب والتطويل، فنقول :

لما قتل الإمام المظلوم عثمان بن عفان - رضى الله عنه - بقيت المدينة خمسة أيام لا أمير لها. أو أميرها واحد من قتلة عثمان هو الغافقى

بن حرب وحوله السبثيون وقتلة عثمان ، وأهواؤهم مختلفة فيمن يجعلونه خليفة بعد عثمان أمير المؤمنين ، اللهم إلا السبئية منهم فإنهم لم ينادوا إلا باسم عليّ - رضى الله عنه - ولم يتستروا إلا وراءه وهو منهم برىء ، ولقد مرّ مقدّما أن عبد الله بن سبأ اليهودى الماكر الخبيث الذى كان وراء كل هذه المؤامرات كان مع المصريين ، فاختلفت آراء البغاة والطغاة والأوباش السفلة^(١) ، فقوم يريدون طلحة ، وقوم يريدون الزبير ، وقوم يريدون عليا ، وكل واحد منهم يأبى وينكر لما يعرف منهم الخبث والطفيان والاشتراك فى مؤامرة مدبرة لهدم كيان الإسلام والقضاء على الدولة الإسلامية ، المترامية الأطراف ، التى لم تتسع رقعتها إلا فى عصر عثمان الذهبى ، والعصر الذى يندر مثيله فى تاريخ الإسلام فى كثرة الغزوات والفتوحات ، ثم ييشون من هؤلاء الثلاثة ويذهبون إلى سبعم بن أبى وقاص فاتح إسران . ومن ثم إلى ابن الخليفة الفاروق الأعظم عبد الله بن عمر ، فلم يكن جوابها إلا ما أجاب بهم الثلاثة من العشرة المبشرة . وإليك ما ذكره أقدم المؤرخين الطبرى ووافقه عليه كل من ابن الكثير وابن الاثير وابن خلدون وغيرهم :

حدثنا محمد بن عبد الله وطلحة بن الأعلم وأبو حارثة وأبو عثمان قالوا : بقيت المدينة بعد قتل عثمان - رضى الله عنه - خمسة أيام وأميرها الغصافقى بن حرب يلتمسون من يجيئهم إلى القيام بالأمر ، فلا يجدونه . يأتى المصريون عليا فيختبئ منهم ويلوذ بحيطان المدينة ، فإذا لقوه باعدهم وتبرأ منهم ومن مقاتلهم مرة بعد مرة ، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه فأرسلوا إليه حيث هورسلا فتبرأ من مقاتلهم ، ويطلب البصريون طلحة فإذا لقيهم باعدهم وتبرأ من مقاتلهم مرة بعد مرة وكانوا

(١) ولقد ساهم بهذه الاسماء كل من ابن العريى وابن تيمية وغيرهم .

مجمعين على قتل عثمان، مختلفين فيمن يهون، فلما لم يجدوا ممالكا ولا مجييا جمعهم الشر على أول من أجابهم وقالوا: لا نولى أحدا من هؤلاء الثلاثة، فبعثوا إلى سعد بن أبي وقاص وقالوا: إنك من أهل الشورى فرأينا فيك مجتمع فأقدم نبايعك، فبعث إليهم أنى وابن عمر خرجنا منها فلا حاجة لى فيها على حال، وتمثل :

لا تخلطن خبيثات بطيبة واخلع ثيابك منها وانج عريانا
ثم أنهم أتوا ابن عمر عبد الله فقالوا: أنت ابن عمر فقم بهذا الأمر، فقال: ان لهذا الأمر انتقاما والله لا اتعرض له فالتمسوا غيرى، فبقوا حيارى لا يدرون ما يصنعون والأمر أمرهم»^(٢).

ولم تكن حيرتهم إلا لمعرفة أنهم لو قام قائم دون مشورتهم وبغير رأى منهم لحكم فيهم السيف وأخذ منهم القصاص للإمام المظلوم وخليفة رسول الله وزوج أبنتيه وابن بنت عمته، القائم بالحق، ذى الجود والحياء عثمان بن عفان - رضى الله عنه - ولقد صرح بذلك ابن كثير فى روايته التى ساقها أن القوم لما يشسوا من الجميع وشاروا فى أمرهم قالوا : إن نحن رجعنا إلى أمصارنا بعد قتل عثمان بغير إمرة اختلف الناس فى إمرتهم ولم نسلم»^(٣).

ثم جاءوا إلى أهل المدينة وجمعوهم :

فوجدوا سعدا والزبير خارجين ووجدوا طلحة فى حائطه، ووجدوا بنى أمية قد هربوا إلا من لم يطق الهرب، وهرب الوليد وسعيد إلى مكة فى أول من خرج وتبعهم مروان وتتابع على ذلك من تتابع، فلما اجتمع لهم أهل المدينة قال لهم : أهل مصر أنتم أهل الشورى وأنتم تعقدون

(٢) الطبرى : ج ٥ ص ١٥٥ ، ابن كثير : ج ٧ ص ٢٢٦ ، ابن الأثير : ج ٣ ص ٩٩ ، ابن خلدون :

ج ٢ ص ١٥١ .

(٣) البداية والنهاية : ج ٧ ص ٢٢٦ .

الإمامة وأمركم عابر على الأمة فأنظروا رجلا تنصبونه ونحن لكم تبع . . . فقد أجلناكم يومين فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلن غدا عليا وطلحة والزبير وأناما كثيرا، فغشى الناس عليا فقالوا: نبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام وما ابتلينا به من ذى القربى» (٤).

فردّ عليهم على - رضى الله عنه - بقوله :- وقد نقل هذا القول في أقدس كتاب شيعى حسب زعم القوم ألا وهى نهج البلاغة :-
دعوني والتمسوا غيرى، فانا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت، واعلموا أنى ان أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصنع إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتمونى فانا كأحدكم، ولعلى أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيرا خير لكم منى (٥)
أميرا» (٦). وذكر ذلك من المؤرخين السنة الطبرى فى تاريخه (٧). وابن

(٤) الطبرى : ج ٥ ص ١٥٦، الكامل : ج ٣ ص ٩٩، ابن خلدون : ج ٢ ص ١٥١.

(٥) وفى هذا أكبر دليل رغم أنوف من يرى خلاف ذلك أن عليا رضى الله عنه لم يكن يعدّ نفسه إماما منصوبا من قبل الله عز وجل ولا منصوبا عليه لأنه لو كان كذلك لما كان له الخيار فى ردّ الإمامة والخلافة عندما جاءت إليه تسعى بقول الله عز وجل : «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا» (الأحزاب).

فهذا الكلام الصادر عن على رضى الله عنه المنقول فى أقدس كتبهم لكلام فصل وقضاء مبرم واضح صريح بيننا وبين الذين يرون خلاف هذا، وعلى ذلك قال ابن أبى الحديد الشيعى العتلى مع تشييعه أن هذا الكلام يدل على : =

= أنه عليه السلام لم يكن منصوبا عليه بالإمامة من جهة الرسول صلى الله عليه وآله، وإن كان أولى الناس بها وأحقهم بمزئلتها، لأنه لو كان منصوبا عليه بالإمامة من جهة الرسول صلى الله عليه وآله لما جاز له أن يقول : دعونى والتمسوا غيرى، ولا أن يقول : وأنا لكم وزيرا خير لكم منى أميرا، ولا أن يقول : ولعلى أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم» شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد : ج ٧ ص ٣٣-٣٤.

كما أن مجرد امتناعه عن قبول الخلافة لكان من الحجة القاضية عليهم، والنصوص فى هذا المعنى كثيرة وبعضها آتية مذكورة قريبا .

فهل منصف ينصف وعادل يعدل؟. وإن فى ذلك لذكرى لأولى الأبصار .

(٦) نهج البلاغة : ص ١٣٦ . ط . بيروت .

(٧) ج ٥ ص ١٥٦ .

الأثير في الكامل (٨) . ولكنهم أكرهوه على ذلك واجبروه :

وأخذ الاشر بيده فبايعه وبايعه الناس - من بايعه - (٩) .

كما ذكر على - رضى الله عنه - ذلك أيضا فيما ينقله الشيعة عنه في رسالته التي ارسلها إلى أهل مصر أو خطبة ألقاها :

حتى إذا نقمتم على عثمان أتيتموه فقتلتموه، ثم جئتموني لتبايعوني، فأبيت عليكم، وأمسكت يدي فنازعتموني ودافعتوني، وبسطتم يدي فكففتها، ومددتموها فقبضتها، وازدحمت عليّ حتى ظننت أن بعضكم قاتل بعضكم أو أنكم قاتلني . فقلتم : بايعنا لا نجد غيرك، ولا نرضى إلا بك، بايعنا لا نفترق ولا تختلف كلمتنا . فبايعتكم ودعوت الناس إلى بيعتي، فمن بايع طوعا قبلته، ومن أبى لم أكرهه وتركته» (١٠)

ومثل ذلك نقل الشريف الرضى في (نهج البلاغة) تحت عنوان أمر البيعة (١١) .

فبايعه من بايعه ولم يبايعه من لم ير الجوّ والوقت مناسباً . ومن امتنع عن بيعته من كبار الصحابة كما ذكر المؤرخين :

ثم بايعه الناس وجاءوا بسعد فقال لعليّ حتى يبايعك الناس، فقال : اخلوه . وجاءوا بابن عمر فقال كذلك، فقال : ائتنى بكفيل قال : لا أجده، فقال : الأشر دعنى أقتله، فقال : دعنى أنا كفيله، وبايعت الأنصار وتأخر منهم حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، ومسلمة بن خالد، وأبو سعيد الخدرى، ومحمد بن مسلمة، والنعمان بن بشير، وزيد

(٨) ج ٣ ص ٩٩ .

(٩) ابن كثير : ج ٥ ص ٢٢٦ .

(١٠) الغارات للثقفى الكوفى الشيعى : ج ١ ص ٣١٠-٣١١ . ط . طهران، شرح النهج

لابن أبى الحديد الشيعى : ج ٦ ص ٩٦-٩٧، بحار الأنوار للمجلسى : ص ٥١-٥٢ .

(١١) نهج البلاغة : ص ١٩٥ . ط . بيروت .

بن ثابت، ورافع بن خديج، وفضالة بن عبيد، وكعب بن عجرة، وسلمة بن سلامة بن وقش. وتأخر من المهاجرين عبد الله بن سلام، وصهيب بن سنان، وأسامة بن زيد، وقدامة بن مظعون، والمغيرة بن شعبة. وأما النعمان بن بشير فأخذ أصابع نائلة امرأة عثمان وقميصه الذي قتل فيه ولحق بالشام صريخاً (١٢).

وأما طلحة فقال :

بايعت والسيف فوق رأسي (١٣).

وقال الزبير :

جاءني لص من لصوص عبد القيس فبايعت واللجة في

عنقي (١٤).

وفي رواية : جاء القوم بطلحة فقالوا : بايع فقال : اني ابايع

كرها . . . ثم جىء بالزبير فقال مثل ذلك (١٥).

وقال قوم : إنما بايعا على شرط إقامة الحدود في قتلة عثمان (١٦).

وقيل : إنه قد بايع طلحة ولم يبايع الزبير ولا سلمة بن سلامة ولا

أسامة بن زيد (١٧).

والمدائني نقل عن الزهري :

هرب قوم من المدينة إلى الشام ولم يبايعوا عليا (١٨).

فهكذا انعقدت البيعة للإمام على - رضى الله عنه - واستتر

السبثيون والمخدوعون بهم من قتلة عثمان وراء المبايعين لعلي - رضى الله

(١٢) ابن خلدون : ج ٢ ص ١٥١، ابن الأثير : ج ٣ ص ٩٨، ابن الكثير : ج ٧

ص ٢٢٦.

(١٣) الطبرى : ج ٥ ص ١٥٤.

(١٤) أيضا، الكامل : ص ٩٩.

(١٥) أيضا : ص ١٥٧، ابن خلدون : ج ٢ ص ١٥١.

(١٦) أيضا : ص ١٥٨.

(١٧) الكامل لابن الأثير : ج ٣ ص ٩٨.

(١٨) البداية والنهاية : ص ٢٢٦.

عنه - واختلفوا خلف المشايعين له وأحاطوه من كل جانب كما ذكر
الطبري أن عليا - رضى الله عنه - لما خطب بخطبته الأولى بعد بيعته ثم
أراد الذهاب إلى بيته قالت السبئية :

خذها إليك واحذراً أبا حسن إنا نمرُّ الأمر إمرار الرسن
صَوْلَةَ أَقْوَامٍ كَأَسَدَادِ السُّفُنِ بِمَشْرِفَاتٍ كَغُذْرَانِ اللَّبَنِ
وَنَطْعُنُ الْمَلِكَ بِلَيْنٍ كَالشُّطْنِ حَتَّى يُمَرَّنَ عَلَى غَيْرِ عَنَنْ
فقال على وذكر تركهم العسكر والكيونة على عدة ما مُنُوا حين

غمزوهم ورجعوا إليهم فلم يستطيعوا ان يمتنعوا حتى

إِنى عجزتُ عَجْزَةً لَا أَعْتَذِرُ سَوْفَ أَكِيْسُ بَعْدَهَا وَأَسْتَمِرُ
أَرْفَعُ مِنْ ذِيْلِي مَا كُنْتُ أَجْرُ وَأَجْمَعُ الْأَمْرَ الشَّتِيَّتَ الْمُتَشَرُّ
إِنْ لَمْ يُشَاغِبْنِي الْعَجُولُ الْمُتَصَيَّرُ أَوْ يَتْرَكُونِي وَالسَّلَاحُ يُتَبَدَّرُ
واجتمع إلى على بعد ما دخل طلحة والزبير في عدة من الصحابة

فقالوا يا على انا قد اشترطنا اقامة الحدود وان هؤلاء القوم اشتركوا في دم
هذا الرجل وأحلوا بأنفسهم ، فقال لهم : يا اخوتاه انى لست أجهل ما
تعلمون ولكنى كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم ، هاهم هؤلاء قد
ثارت معهم عبدانكم وثابت ، إليهم أعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما
شاؤا ، فهل ترون موضعاً لقدرة على شىء مما تريدون ؟ قالوا : لا ، قال :
فلا والله لا أرى إلا رأيا ترونه إن شاء الله ، إن هذا الأمر أمر جاهلية وإن
لهؤلاء القوم مادة وذلك إن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض
من أخذ بها أبدا ان اليأس من هذا الأمر ان حرك على أمور فرقة ترى ما
ترون وفرقة ترى مالا ترون وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس
وتقع القلوب مواقعها وتتؤخذ الحقوق فأهدؤا عنى وأنظروا ماذا يأتىكم
ثم عودوا ، واشتد على قريش وحال بينهم وبين الخروج على حالها وإنما

هيجه على ذلك هرب بنى أمية، وتفرق القوم وبعضهم يقول: والله لئن ازداد الأمر لا قدرنا على انتصار من هؤلاء الاشرار لتركوا هذا إلى ما قال على أمثل، وبعضهم يقول: نقضى الذى علينا ولا نؤخره، والله أن علينا لمستغن برأيه وأمره عنا» (١٩).

ولأجل ذلك منعه ابن عمه عبد الله بن عباس عن أخذ البيعة، كما منعه ابنه الحسن من قبل عن بقائه فى المدينة والسبيون يفعلون ما يفعلون ويعملون ما يعملون :

فقال ابن عباس : أطننى وأدخل دارك، والحق بمالك بينع، وأغلق بابك عليك، فان العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك، فإنك والله لأن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غدا، فأبى على» (٢٠).

وأما منع الحسن اياه عن بقائه فى المدينة يوم استولت السبئية فذكرها المؤرخون (٢١) أيضا .

وبدأ السبيون يتقوون ويجمعون حولهم الموالى والأعراب إلى أن فحل أمرهم، فأراد على - رضى الله عنه - أن يضعف قوتهم ويكسر شوكتهم بالحيلولة بين السبئية والعبيد والأعراب والتفريق بينهم، فنادى فى الناس :

يرث الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه، فتذامرت السبائية والأعراب وقالوا: لنا غدا مثلها» (٢٢).

وفى اليوم الثالث من بيعته خرج على الناس فقال :

(١٩) الطبرى : ج ٥ ص ١٥٨ .

(٢٠) الطبرى : ج ٥ ص ١٦٠، ابن الأثير : ج ٣ ص ١٠١، ابن خلدون : ج ٢

ص ١٥١ .

(٢١) الطبرى : ج ٥ ص

(٢٢) الطبرى : ج ٥ ص ١٥٨ . ابن الأثير : ج ٣ ص ١٠٠ .

يا أيها الناس أخرجوا عنكم الأعراب، وقال: يامعشر الأعراب الحقوا بمياهكم، فأبَت السبئية وأتاهم الأعراب» (٢٣).

ولما رأى الناس وفي مقدمتهم رؤس الصحابة وأكابرهم أن السبئية يزدادون يوما فيوما في غلوائهم وطغيانهم، وأيديهم متلطخة بدم الإمام المظلوم، وهم زيادة على ذلك يريدون أن يلقوا حولهم أوباشا من الناس والفسقة والفجرة، كما أنهم بدءوا يشنون العقائد الأجنبية بينهم، طالبوا عليا - رضى الله عنه - أن يقتص منهم لعثمان بأن يحكم فيهم بالسيف، ولكن أمير المؤمنين عليا هاب من نفوذهم، وخاف من سلطتهم، فهاطل الصحابة وطلب منهم المهلة لازدياد نفوذ السبئية وقوتهم، فلقد ذكر المؤرخون ألفاظا عديدة منه - رضى الله عنه - تبريرا لقصوره عن أخذ الثأر وإقامة الحد، فقد ذكر الحافظ ابن كثير في تاريخه:

ولما استقر أمربيعة على دخل عليه طلحة والزبير ورؤس الصحابة - رضى الله عنهم - وطلبوا منه إقامة الحد والأخذ بدم عثمان، فاعتذر إليهم بأن هؤلاء لهم مدد وأعوان وأنه لا يمكنه ذلك يومه هذا، فطلب منه الزبير أن يواليه على أمرة الكوفة ليأتى له بالجنود، وطلب منه طلحة أن يواليه أمرة البصرة ليأتى له منه بالجنود ليقضى على شوكة هؤلاء الخوارج وجهلة الأعراب الذين كانوا معهم في قتل عثمان - رضى الله عنه - فقال لهما: مهلا على حتى أنظر في هذا الأمر» (٢٤).

وعبارة الطبرى:

يا على إنا قد شرطنا إقامة الحدود وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل وأحلوا بأنفسهم، فقال لهم: يا اخوتاه انى لست أجهل ما

(٢٣) الطبرى: [ج ٥ ص ١٥٩]. ابن الأثير: ص ١٠١، ابن خلدون: ج ٢

(٢٤) البداية والنهاية لابن كثير: ج ٧ ص ٢٢٧ - ٢٢٨.

تعلمون ولكنى كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم . هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم ، وثابت إليهم أعرابكم ، وهم خلالكم يسومونكم ما شاءوا ، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون» (٢٥) .
وأما ابن الأثير فنقل عنه أنه قال :

كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم (٢٦) .

وأما ابن خلدون فذكر أنه قال في جوابهم :
لا قدرة لى على شيء مما تريدون حتى يهدأ الناس وننظر الأمور فتؤخذ الحقوق (٢٧) فافترقوا عنه وأكثر بعضهم المقالة في قتلة عثمان (٢٨)

(٢٥) الطبرى : ج ٥ ص ١٥٨ .

(٢٦) ابن الأثير : ج ٣ ص ١٠٠ .

(٢٧) ولا أدري أى شيء جعل أمير المؤمنين علياً رضى الله عنه أن يستعجل في إقامة الحد على ابن أمير المؤمنين الفاروق ، على عبيد الله الذى قتل الهرمزان مع أنه مضى على تلك الحادثة أكثر من عشر سنوات ، وأن القضية كانت قضية مختلف فيها من عدة وجوه كما مر ، مع تأجيله وتأخيرها في أخذ القصاص عن عثمان أمير المؤمنين وامام المسلمين وخليفة رسول الله وصهره وخال السطرن وعديله هو نفسه ؟

وأين هرمزان من عثمان وأين عبيد الله بن عمر من عبد الله بن سبأ والسبيبة ؟
ثانياً : ولا ندرى ما الذى جعل الإمام علياً رضى الله عنه وهو في ذلك الضيق من الأمر أن يستعجل عزل عمال عثمان وأن يستبدل بهم عماله وأبناء عمه وأقاربه ؟
ثالثاً : كما أننا لا نعلم لى شيء استعجل عزل معاوية أمير الشام وقد عيّنه على ذلك المنصب خليفة رسول الله الصديق ، ثم أقره على ذلك شديد في أمر الله الفاروق ، ثم الخليفة الراشد الثالث عثمان . وفوق كل ذلك لم يرفع عنه شكوى واحدة مع كثرة الشكاوى على العمال والحكام والولاة ، وهذا مع نصيحة ابن عمه وأقرب المقربين إليه عبد الله بن عباس وداوية العرب المغيرة بن شعبة إياه بالإعراض عن عزله وإثباته على عمله كما يرويه ابن عباس رضى الله عنه نفسه : =

= يا أمير المؤمنين أخبرني عن شأن المغيرة ولم خلاك قال جاءني بعد مقتل عثمان بيومين فقال لى أخلنى ففعلت فقال ان النصيح رخيص وأنت بقية الناس وإنى لك ناصح وإنى أشير عليك برد عمال عثمان عامك هذا فاكذب إليهم بإثباتهم على أفعالهم فإذا بايعواك واطمأن الأمر لك عزلت من أحببت وأقررت من أحببت ، فقلت : والله لا أدهن في ديني ولا أعطي الدنيا في أمرى قال : فإن كنت قد آبيت على فائز من شئت واترك معاوية ، فإن لمعاوية جراً وهو في أهل الشام يسمع منه ولك حجة في إثباته ، كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام كلها ، فقلت لا والله لا أستعمل معاوية يومين أبداً فخرج من عندي على ما أشار به ثم عاد فقال : لى انى أشرت عليك بما أشرت به فأبيت على ثم نظرت في الأمر فإذا أنت مصيب لا ينبغي لك أن تأخذ أمرك بخدعة ولا يكون في أمرك دلسة ، قال فقال ابن عباس : فقلت لعلى : أما أول ما أشار به عليك فقد نصحك وأما الآخر فغشك وأنا أشير عليك بأن تثبت معاوية فإن بايع لك فعلى أن أقلعه من منزله . قال على : لا والله لا أعطيه إلا السيف قال ثم تمثل بهذا البيت :

وهذا الذى جعل الزبير وطلحة يقنطان من اقتصاص الإمام المظلوم عثمان - رضى الله عنه - ويخرجان من المدينة، وهناك التقيا أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - ومن طرف آخر بدأت الرسائل تتبادل بين على ومعاوية - رضى الله عنهما - لأن عليا عزل معاوية - رضى الله عنهما - عن الشام وأمر عبد الله بن عباس - رضى الله عليهما - فقال ابن عباس :

ما هذا برأى، معاوية رجل من بنى أمية وهو ابن عم عثمان وهو عامل الشام ولست آمن أن يضرب عنقى لعثمان» (٢٩) .
فاعتذر إليه وأعفاه منها . وبيناهم فى ذلك بدأت السبئية يشتغلون ويشيرون الفتن والقلاقل ويسعون فسادا، ويشيرون الأحقاد والضغائن، وينفخون فى الرماد، ويحاولون إسعار الحرب بين المسلمين، ويحرضون شيعة على ضد كل من يطالب بئثار عثمان وقصاصه، وخاصة معاوية - رضى الله عنه - الذى بدأ يمتنع من الخضوع لخلافة على - رضى الله عنه - الذى بدأ يمتنع من الخضوع لخلافة على رضى الله عنه والتسليم بإمارته بدعوى أن بيعة على لم تنعقد، لأنه لم يحصل الشورى ولم يبايعه أهل الحل والعقد، ولم ينتخبه إلا رجال معدودون من المهاجرين والأنصار ومن أهل المدينة . وفوق ذلك كله قتلة عثمان والسبئية التجؤا فى معسكره واكتنفوا بكنفه .

ولقد أشرنا إلى تلك الأمور كلها فى الباب الأول بثبت من عبارات التاريخ والمؤرخين . فبيناهم كذلك فى الجواب وجواب الجواب إذ جاء ما مينة إن مئها غير عاجز بعار إذا ما غالت النفس غولها فقلت : يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع لست بأرب بالحرب (الطبرى) .
لا ندرى هذا كله، ولا نستطيع أن نقول شيئا اللهم إلا أنه لم يكن معصوما، فلكل اجتهاد، وقد يخطئ وقد يصيب .

رسول معاوية - رضى الله عنه - فقال : آمن أنا؟ قال على - رضى الله عنه :

نعم ان الرسول لا يقتل ، فقال : إني تركت قوما لا يرضون إلا بالقود ، ثم بلغ الرسالة ، فأستأذن بالخروج ، فقال له على : اخرج ، قال : واني آمن؟ . قال : وأنت آمن» (٣٠) .

فاشتغل السبئية لزيادة التوتر والحدة وإخراج الحرب من الكلام إلى السيوف ، وإليك النص ما ذكره المؤرخون :

وصاحت السبئية : هذا الكلب رسول الكلاب ، اقتلوه ، فنادى : بالمضر ، يا لقيس الخيل والنبيل ، إني أحلف بالله جل اسمه ليردنها عليكم أربعة آلاف خصي فأنظروا كم الفحولة والركاب وتعاووا عليه ومنعته مضر وجعلوا يقولون له : اسكت ، فيقول : لا والله لا يفلح هؤلاء أبدا فلقد أتاهم ما يوعدون ، فيقولون له : اسكت ، فيقول : لقد حل بهم ما يحذرون انتهت والله أعمالهم وذهبت ريحهم ، فوالله ما أمسوا حتى عرف الذل فيهم» (٣١) .

وهذه العبارة وهذه الألفاظ الصادرة عن السبئية تدل وتنبئ صريحا عما كانوا يسعون لأجله ، فبدءوا ينشرون الأراجيف ويشيعون الأكاذيب حتى يستل سيوف المسلمين ما بينهم ويقع الاصطدام ويحصل الحرب ويشتغلون بها ويضرب بعضهم رقاب بعض ، وينسى هؤلاء ويعرض عنهم وعن فعلتهم ، ويكثر الشقاق والاختلاف ، ويزداد الابتعاد ويمتد بينهم الجدال والقتال . هذا كل ما كانوا يقصدونه ، وهذا كل ما يرجونه .

ولم سمعوا باجتماع طلحة والزبير - رضى الله عنهما - مع أم

(٣٠) نظر تكامل لابن الأثير : ج ٣ ص ١٠٤

(٣١) ابن الأثير : ج ٣ ص ١٠٤ ، الطبري : ج ٥ ص ١٦٣ .

المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - في مكة بدءوا يحرضون شيعة على -
 رضى الله عنه - وعليها نفسه على محاربة أهل الشام، قبل أن يعظم الأمر
 ويفحل الخطر، فأمر على - رضى الله عنه - الناس بالمسير إلى أهل
 الشام، فتناقل أهل المدينة، كما أن ابنه الحسن سبط رسول الله ﷺ منعه
 عن ذلك قائلاً :

يا أبتى دع هذا فإن فيه سفك دماء المسلمين ووقوع الاختلاف
 بينهم فلم يقبل منه ذلك بل صمم على القتال ورتب الجيش، ودفع
 اللواء إلى محمد بن الحنفية» (٣٢).

كما منعه عن ذلك زياد بن حنظلة التميمي :

وكان منقطعاً إلى على ، فجلس إليه ساعة ثم قال له على :
 يا زياد تيسر، فقال لأى شىء؟ . فقال : لغزو الشام، فقال زياد : الأناة
 والرفق أمثل، وقال :

ومن لم يصانع فى أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم
 فخرج زياد والناس ينتظرونه فقالوا : ما وراءك؟ . فقال : السيف
 ياقوم، فعرفوا ما هو فاعل» (٣٣).

ولم يخرج إلى الشام حتى جاءه خبر خروج أم المؤمنين وطلحة
 والزبير إلى البصرة يطالبون بدم عثمان، فبادر إليهم بناس من المدينة
 ليمنع أولئك من دخولها :

فتناقل عنه أكثر أهل المدينة، واستجاب له بعضهم، قال
 الشعبي : ما نهض معه فى هذا الأمر غير ستة نفر من البدرين، ليس لهم
 سابع . وقال غيره أربعة . وذكر ابن جرير وغيره قال : كان ممن استجاب
 له من كبار الصحابة أبو الهيثم بن التيهان، وأبو قتادة الأنصارى، وزياد

(٣٢) البداية والنهاية : ج ٥ ص ١٦٣، ابن الأثير : ج ٢ ص ١٠٤

(٣٣) الطبرى : ج ٥ ص ١٦٣، ابن الأثير : ج ٢ ص ١٠٤ .

بن حنظلة، وخزيمة بن ثابت. قالوا: ليس بذى الشهادتين، ذاك مات في زمن عثمان - رضى الله عنه - وسار على من المدينة نحو البصرة على تعبته المتقدم ذكرها، غير أنه استخلف على المدينة تمام بن عباس وعلى مكة قثم بن عباس وذلك في آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين، وخرج على من المدينة في نحو من تسعمائة مقاتل، وقد لقي عبد الله بن سلام - رضى الله عنه - عليا وهو بالزبدية، فأخذ بعنان فرسه وقال: يا أمير المؤمنين! لا تخرج منها، فوالله لئن خرجت منها لا يعود إليها سلطان المسلمين أبداً، فسبه بعض الناس، فقال على: دعوه فنعم الرجل من أصحاب النبي ﷺ وجاء الحسن بن على إلى أبيه في الطريق فقال: لقد نهيتك فعصيتنى تقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك، فقال له على: إنك لا تزال تحن على حنين الجارية، وما الذى نهيتنى عنه فعصيتك؟ فقال: ألم أمرك قبل مقتل عثمان أن تخرج منها لئلا يقتل وأنت بها، فيقول قائل أو يتحدث متحدث؟ ألم أمرك أن لا تباع الناس بعد قتل عثمان حتى يبعث إليك أهل كل مصر ببيعتهم؟ وأمرتك حين خرجت هذه المرأة وهذان الرجلان أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فعصيتنى في ذلك كله؟ فقال له على: أما قولك أن أخرج قبل مقتل عثمان فلقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما مبايعتى قبل مجيء بيعة الامصار فكرهت أن يضيع هذا الأمر، وأما أن أجلس وقد ذهب هؤلاء إلى ما ذهبوا إليه: فتريد منى أن أكون كالضبع التى يحاط بها، ويقال ليست هاهنا، حتى يشق عرقوها فتخرج، فإذا لم أنظر فيما يلزمنى في هذا الأمر ويعيننى، فمن ينظر فيه؟ فكف عني يا بنى، ولما انتهى إليه خبر ما صنع القوم بالبصرة من الأمر الذى قدمنا كتب إلى أهل الكوفة مع محمد بن أبى بكر، ومحمد بن جعفر، إنى قد اخترتكم على أهل الأمصار، فرغبت إليكم وفرغت لما

حدث، فكونوا لدين الله أعوانا وأنصارا، وانهمضوا إلينا فالإصلاح نريد لتجود هذه الأمة إخوانا، فمضيا، وأرسل إلى المدينة فأخذ ما أراد من سلاح ودواب» (٣٤).

فاجتمع الناس حول الفريقين من المدينة ومكة والكوفة والبصرة، كما اعتزل أكثر أصحاب النبي الموجودون، الأحياء منهم آنذاك عن الطرفين، فنزلت أم المؤمنين مع من كان معها بالبصرة ونزل على - رضى الله عنهما - بذى قار، ثم دعا على - رضى الله عنه - القعقاع بن عمرو وبعثه رسولا إلى طلحة والزبير بالبصرة يدعوهما إلى الألفة والجماعة ويعظم عليهما الفرقة والاختلاف فذهب القعقاع إلى البصرة فبدأ بعائشة أم المؤمنين. فقال :

أى أماء! ما أقدمك هذا البلد؟ فقالت : أى بنى ! الإصلاح بين الناس، فسألها أن تبعث إلى طلحة والزبير ليحضرا عندها، فحضرا فقالا القعقاع : إنى سألت أم المؤمنين ما أقدمها؟ فقالت إنما جئت للإصلاح بين الناس، فقالا : ونحن كذلك قال : فأخبرانى ما وجه هذا الإصلاح؟ وعلى أى شىء يكون؟ فوالله لئن عرفناه لنضطلحن، ولئن أنكرناه لا نضطلحن، قالا : قتلة عثمان، فإن هذا إن ترك كان تركا للقرآن، فقال : قتلتما قتلته من أهل البصرة، وأنتما قبل قتلهم أقرب منكم إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستائة رجل، فغضب لهم ستة آلاف فاعتزلوكم، وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم حرقوص بن زهير فمنعه ستة آلاف، فإن تركتموهم وقعتم فيما تقولون، وإن قاتلتموهم فأدبلوا عليكم كان الذى حذرتم وفرقتم من هذا الأمر أعظم مما أراكم تدفعون وتجمعون منه - يعنى أن الذى تريدونه من قتل قتلة عثمان

(٣٤) ابن كثير ج ٧ ص ٣٣٣-٣٣٤، ابن الأثير ج ٢ ص ١١٣-١١٤، الطبرى ج ٥ ص ١٦٩، ابن خلدون ج ٢ ص ١٥٧.

مصلحة، ولكنه يترتب عليه مفسدة هي أربى منها - وكما أنكم عجزتم
عن الأخذ بثأر عثمان من حرقوص بن زهير، لقيام ستة آلاف في منعه ممن
يريد قتله. فعلى أعذر في تركه الآن قتل قتلة عثمان، وإننا أحرقت قتلة
عثمان إلى أن يتمكن منهم، فان الكلمة في جميع الأمصار مختلفة، ثم
أعلمهم أن خلقا من ربيعة ومضر قد اجتمعوا لحربهم بسبب هذا الأمر
الذي وقع. فقالت له عائشة أم المؤمنين: فماذا تقول أنت؟ قال: أقول
إن هذا الأمر الذي وقع دواؤه التسكين، فإذا سكن اختلجوا، فان أنتم
بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة، وإدراك الثأر، وإن أبيتم إلا مكابرة
هذا الأمر واثنافه كانت علامة شرو ذهاب هذا الملك، فآثروا العافية
ترزقوها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولا، ولا تعرضونا للبلاء فتعرضوا
له، فيصرعنا الله وإياكم، وإيم الله إنني لأقول قولي هذا وأدعوكم إليه،
وإنني لخائف أن لا يتم حتى يأخذ الله حاجته من هذه الأمة التي قل
متاعها، ونزل بها ما نزل، فان هذا الأمر الذي قد حدث أمر عظيم،
وليس كقتل الرجل الرجل، ولا نفر الرجل، ولا القبيلة القبيلة.
فقالوا: قد أصبت وأحسن فارجع، فان قدم على وهو على مثل رأيك
صلح الأمر، قال: فرجع إلى على فأخبره فاعجبه ذلك، وأشرف القوم
على الصلح، كره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه، وأرسلت عائشة إلى
على تعلمه أنها إنما جاءت للصلح، ففرح هؤلاء وهؤلاء، وقام على في
الناس خطيبا فذكر الجاهلية وشقاءها وأعمالها، وذكر الإسلام وسعادة
أهله بالألفة والجماعة، وأن الله جمعهم بعد نبيه ﷺ على الخليفة أبي بكر
الصديق، ثم بعده على عمر بن الخطاب، ثم على عثمان ثم حدث هذا
حدث الذي جرى على الأمة، أقوام طلبوا الدنيا وحسدوا من أنعم الله
عليه بها، وعلى الفضيلة التي من الله بها، وأرادوا رد الإسلام على

أدبارها، والله بالغ أمره» (٣٥).

وكان مع أم المؤمنين ثلاثون ألف، كما كان مع عليّ - رضى الله
عنهما - عشرون ألف (٣٦).

هذا والسبئية وعلى رأسهم عبد الله بن سبأ وقتلة عثمان مترقبون
كل صغيرة وكبيرة بكل دقة وما يجرى بين الفريقين من السعى إلى
الصلح والإصلاح والوفاق والاتحاد، وينظرون كيف تفشل خطتهم
ومؤامرتهم للفتنة والفساد وإقامة الحروب بين المسلمين إلى أن وصل
الأمر حدا لم يكن في تصورهم أن يصل إليه، وخاصة عند ما قام أمير
المؤمنين عليّ - رضى الله عنه - خطيبا في معسكره وقال :

«ألا انى مرتحل غدا فارتحلوا، ولا يرتحلن أحد معى أعان على قتل
عثمان بشيء من أمر الناس» (٣٧).

فما أن سمعت السبئية بهذا القول إلا وعرفوا مصيرهم. وهنا
نرجع إلى ما سطر في التاريخ، والألفاظ لابن كثير: فلما قال هذا اجتمع
من رؤسهم - أى قتلة عثمان - جماعة كالأشتر النخعي، وشريح بن أوفى،
وعبد الله بن سبأ المعروف بابن السوداء، وسالم بن ثعلبة، وغلاب بن
الهيثم، وغيرهم فى ألفين وخمسمائة، وليس فيهم صحابى والله الحمد،
فقالوا: ما هذا، الرأى وعلى والله أعلم بكتاب الله ممن يطلب قتلة
عثمان، وأقرب العمل بذلك، وقد قال ما سمعتم، غدا يجمع عليكم
الناس، وإسما يريد القوم كلهم أنتم، فكيف بكم وعددكم قليل فى
كثرتهم؟ فقال الأشتر: قد عرفنا رأى طلحة والزبير فينا، وأما رأى على
فلم نعرفه إلى اليوم، فان كان قد إصطلح معهم فإنما اصطلحوا على

(٣٥) ابن كثير: ج ٧ ص ٢٣٧-٢٣٨. الطبرى: ج ٥ ص ١٩١-١٩٢، ابن خلدون:

ج ٢ ص ١٦٢.

(٣٦) الطبرى: ج ٥ ص ٢٠٢.

(٣٧) البداية والنهاية: ج ٧ ص ٢٣٨، الطبرى: ج ٥ ص ١٩٤، ابن الأثير: ج ٣

ص ١٢٠.

دمائنا، فإن كان الأمر هكذا ألحقنا عليا بعثمان، فرضى القوم منا بالسكوت، فقال ابن السوداء: بشس ما رأيت، لو قتلناه قتلنا، فانا يامعشر قتلة عثمان في ألفين وخمسمائة، وطلحة والزبير وأصحابهما في خمسة آلاف، لا طاقة لكم بهم، وهم إنما يريدونكم، فقال غلاب بن الهيثم: دعوهم وارجعوا بنا حتى نتعلق ببعض البلاد فنمتنع بها، فقال ابن السوداء: بشس ما قلت، إذا والله يتخطفكم الناس، ثم قال ابن السوداء قبحه الله: يا قوم إن غيركم في خلطة لناس فإذا التقى الناس فانشبوا الحرب والقتال بين الناس ولا تدعوهم يجتمعون فمن أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع، ويشغل الله طلحة والزبير ومن معهما عما يحبون، ويأتيهم ما يكرهون، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه، وأصبح على مرتحلاً ومرعبداً القيس فساروا من معه حتى نزلوا بالزواية، وسار منها يريد البصرة، وسار طلحة والزبير ومن معهما للقاءه، فاجتمعوا عند قصر عبيد الله بن زياد، ونزل الناس كل في ناحية. وقد سبق على جيشه وهم يتلاحقون به، فمكثوا ثلاثة أيام والرسل بينهم، فكان ذلك للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، فأشار بعض الناس على طلحة والزبير بانتهاز الفرصة، من قتلة عثمان، فقالوا: إن علياً أشار بتسكين هذا الأمر، وقد بعثنا إليه بالمصالحة على ذلك، وقام على في الناس خطيباً، فقام إليه الأعور بن نيار المنقري، فسأله عن إقدامه على أهل البصرة، فقال: الإصلاح وإطفاء النائرة ليجتمع الناس على الخير، ويلتئم شمل هذه الأمة، قال: فإن لم يحييونا؟ قال: تركناهم ما تركونا، قال فإن لم يتركونا؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا، قال فهل لهم في هذا الأمر مثل الذى لنا، قال: نعم! وقام إليه أبو سلام الدالانى فقال: هل لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم، إن كانوا أرادوا الله في ذلك؟ قال:

نعم! قال: فهل لك من حجة فيما طلبوا من هذا الدم، إن كانوا أرادوا الله في ذلك؟ قال: نعم! قال: فهل لك من حجة في تأخيرك ذلك؟ قال: نعم! قال فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غداً؟ قال: إنى لأرجو أن لا يقتل منا ومنهم أحد نقى قلبه لله أدخله الجنة» (٣٨).

فهكذا جرت الأمور، وهكذا تقدم كل من الطرفين إلى الإصلاح وتخطى إلى الصلح بخطوات سريعة، وكذلك بدأ عبد الله بن سبأ وأعوانه يخططون خطوط المؤامرة ويحكمون نسيجها وإن المؤمنين المخلصين من شيعة عثمان ومن شيعة على كانوا في الخفاء عما يجري وراء الاستار، وكان المتآمرون في يقظة تامة عما يجري أمامهم مكشوفاً ظاهراً، فنزل الفريقان وتراسلوا ما بينهم، فبعث على إلى طلحة والزبير يقول: إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى ننزل فننظر في هذا الأمر، فأرسلوا إليه في جواب رسالته: أنا على ما فارقتنا القعقاع بن عمرو من الصلح بين الناس، فأطمأنت النفوس وسكنت. واجتمع كل فريق بأصحابه من الجيش» (٣٩).

فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح، ووضع الحرب حين رأوا الأمر أخذ في الانقشاع» (٤٠). وبات الناس على الصلح كما قال الطبرى: فباتوا على الصلح وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية من الذى أشرفوا عليه والنزوع عما اشتهى الذين اشتها وركبوا ما ركبوا، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشرلية باتوها قط قد أشرفوا على الهلكة وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها» (٤١).

(٣٨) ابن كثير: ج ٧ ص ٢٣٨، الطبرى: ج ٥ ص ١٩٥، ابن الأثير: ج ٣ ص ١٣٠، ابن خلدون: ج ٣ ص ١٦٠-١٦١.
(٣٩) ابن كثير: ج ٧ ص ٢٤١.
(٤٠) الطبرى: ج ٥ ص ٢٠٣.
(٤١) الطبرى: ج ٥ ص ٢٠٢، الكامل: ج ٣ ص ١٢٣.

وقال ابن كثير :

وبات الناس بخير ليلة وبات قتلة عثمان بشر ليلة (٤٢) .

فكانت الليلة هذه حاسمة لم ينم فيها عيون اليهودية البغضاء
وعيون أبنائها الحاقدين على الإسلام وعلى الملة الإسلامية،
والمخدوعين بهم، لم تنم ولا للحظة، وإليك ألفاظ التاريخ :

وبات الناس بخير ليلة، وبات قتلة عثمان بشر ليلة، وباتوا
يتشاورون وأجمعوا على أن يشيروا الحرب من الغلس، فنهضوا من قبل
طلوع الفجر وهم قريب من ألفى رجل فانصرف كل فريق إلى قراباتهم
فهمجوا عليهم بالسيوف، فثارت كل طائفة إلى قومهم ليمنعوه، وقام
الناس من منامهم إلى السلاح، فقالوا طرقتنا أهل الكوفة ليلاً، وبيتونا
وغدروا بنا، وظنوا أن هذا عن ملأ من أصحاب على فبلغ الأمر عليا
فقال: ما للناس؟ فقالوا، بيتنا أهل البصرة، فثار كل فريق إلى سلاحه
ولبسوا للأمة وركبوا الخيول، ولا يشعر أحد منهم بما وقع الأمر عليه في
نفس الأمر، وكان أمر الله قدرا مقدورا وقامت الحرب على ساق وقدم،
وتبارز الفرسان، وجالت الشجعان، فنشبت الحرب، وتواقف الفريقان
وقد اجتمع مع على عشرون ألفاً، والتف على عائشة ومن معها نحو من
ثلاثين ألفاً، فانا لله وإنا إليه راجعون، والسبئية أصحاب ابن السوداء
قبحها لله لا يفترون عن القتل، ومنادى على ينادى: ألا كفوا ألا كفوا،
فلا يسمع أحد، وجاء كعب بن سوار قاضى البصرة فقال: يا أم المؤمنين
أدركى الناس لعل الله يصلح بك بين الناس، فجلست في هودجها فوق
بعيرها وسترها بالدرع، وجاءت فوقفت بحيث تنظر إلى الناس
عند حركتهم، فتصاولوا وتجادلوا. وقد كان من سنتهم في هذا اليوم أنه لا

يذفف على جريح ، ولا يتبع مدبر ، وقد قتل مع هذا خلق كثير جدا» (٤٣) .
وقد زاد الطبري وابن الأثير في روايتهما :

وقد وضع السبئية رجلا قريبا من عليّ يخبرهم بما يريد ، فقال
علي : ما هذا؟ . قال : ذلك الرجل ما فجعنا إلا وقوم منهم بيتونا ،
فرددناهم فركبونا وثار الناس» (٤٤) . .

فهكذا وقعت تلك البكارة التي ذهب ضحيتها آلاف من الناس
حتى جعل علي - رضى الله عنه - يقول لابنه الحسن :

يا بنى ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عاما ، فقال له : يا
أبت قد كنت أنهاك عن هذا . قال سعيد بن أبي عجزة عن قتادة عن
الحسن عن قيس بن عباد قال : قال علي يوم الجمل : يا حسن ليت أباك
مات منذ عشرين سنة ، فقال له : يا أبت قد كنت أنهاك عن هذا ، قال :
يا بنى إني لم أر أن الأمر يبلغ هذا» (٤٥) .

وانتهى الحرب بسقوط الجمل الذي كان عليه هودج أم المؤمنين
بعد ما قتل ممن أخذ خطامه سبعون رجلا . ونسرد آخر ما في هذا من
(الكامل لابن الأثير) :

لما سقط الجمل أقبل محمد بن أبي بكر إليه ومعه عمار فاحتملا
الهودج فنحياه فادخل محمد يده فيه فقالت : من هذا؟ . فقال : أخوك
البر . قالت : عقق ، قال : يا أخية هل أصابك شيء؟ قالت : ما أنت
وذاك . قال : فمن إذا الضلال . قالت : بل الهداة ، وقال لها عمار : كيف
رأيت ضرب بنيك اليوم يا أمه؟ . قالت : لست لك بأمر . قال : بلى وإن
كرهت . قالت : فخرتم أن ظفرتم وإيتيم مثل الذي نقمتهم هيهات والله
لن يظفر من كان هذا دأبه فابرزوا هودجها فوضعوها ليس قربها أحد ،

(٤٣) البداية والنهاية : ج ٧ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ ، الطبري : ج ٥ ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، الكامل :
ج ٣ ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(٤٤) ابن الأثير : ج ٣ ص ١٢٤ ، الطبري : ج ٥ ص ٢٠٣ .

(٤٥) البداية والنهاية : ج ٣ ص ٢٤٠ .

وأتاها على فقال: كيف أنت يا أمه؟ قالت: بخير. قال: يغفر الله لك. قالت: ولك، وجاء أعين بن ضبيعة بن أعين المجاشعي حتى اطلع في الهودج فقالت: إليك لعنك الله. فقال: والله ما أرى إلا حميراً. فقالت له: هتك الله سترك وقطع يدك وأبدى عورتك فقتل بالبصرة وسلب وقطعت يده ورمى [به] عريانا في خربة من خرابات الأزد، ثم أتى وجوه الناس عائشة وفيهم القعقاع بن عمرو فسلم عليها فقالت: إني رأيت بالأمس رجلين اجتلدا وارتجزا بكذا فهل تعرف كوفيك؟ قال: نعم ذاك الذي قال: أعق أم نعلم، وكذب، إنك لأبرام نعلنا ولكن لم تطاعى. قالت: والله لوددت انى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة... فأقام على بظاهر البصرة ثلاثا وأذن للناس في دفن موتاهم فخرجوا إليهم فدفنوههم وطاف على في القتلى فلما أتى على كعب بن سور قال: أزعمتم أنه خرج معهم السفهاء وهذا الخبر قد ترون، وأتى على عبد الرحمن بن عتاب فقال: هذا يعسوب القوم - يعنى انهم كانوا يطيفون به - واجتمعوا على الرصافة لصلاتهم، ومر على طلحة بن عبيد الله وهو صريع فقال: لهفى عليك يا أبا محمد! إنا لله وإنا إليه راجعون، والله لقد كنت أكره أن أرى قريشا صرعى، انت والله كما قال الشاعر:

فتى كان يدينه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى ويبعده الفقر
وجعل كلما مر برجل فيه خير قال: زعم من زعم أنه لم يخرج إلينا
إلا الغوغاء وهذا العابد المجتهد فيهم، وصلى على على القتلى من
أهل البصرة والكوفة، وصلى على قريش من هؤلاء وهؤلاء، وأمر
فدفنت الأطراف في قبر عظيم، وجمع ما كان في العسكر شىء وبعث به
إلى مسجد البصرة» (٤٦).

ثم جهز على عائشة بكل شيء ينبغى لها من مركب أوزاد أو متاع وأخرج معها كل من نجا من خرج معها إلا من أحب المقام واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وقال: تجهز يا محمد فبلغها، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس فخرجت على الناس وودّعوها وودّعتهم، وقالت: يا بني تعبت بعضنا على بعض استبطاء واستزادة فلا يعتدن أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندي على معتبتي من الأخيار. وقال علي: يا أيها الناس صدقت والله وبرت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة. وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ٣٦ وشيعها علي أميالا وسرح بنيه معها يوما» (٤٧).

هذا آخر ما أردنا ذكره من مؤامرات السبئية ومن مخططاتها، ولأجل ذلك دخل اليهودي الملعون في الإسلام وتستر بالكفر وتظاهر بالحب لعلي وآل بيته، وفعل هو وجماعته السبئيون هذه الشناعات المنكرة التي جرّت إلى أن تمنى أم المؤمنين حبيبة رسول الله عائشة وأمير المؤمنين ربيب رسول الله علي أن كانا أمواتا قبل وقوع هذه الحوادث. وقبل أن نأتى إلى خاتمة هذا الكلام في الحرب نريد أن نذكر أن عليا - رضي الله عنه - لم يكن يعد محاربيه كفارا كما نقلنا الكلام عن جميع المؤرخين آنفا، ولقد أقر بذلك الشيعة أنفسهم حيث أوردوا نفس الرواية التي أوردوها أهل السنة في كتبهم:

عن جعفر عن أبيه أن عليا عليه السلام كان يقول لأهل حربه: أنا لم نقاتلهم على التكفير لهم ولم يقاتلونا على التكفير لنا، ولكننا رأينا أننا على حق ورأوا أنهم على حق» (٤٨).

(٤٧) الطبري: ج ٥ ص ٢٢٥، تحت تجهيز علي عائشة من البصرة.

(٤٨) قرب الاسناد للحميري الشيعي: ص ٤٥. ط. إيران.

وروى الحميرى الشيعى رواية أخرى عن جعفر عن أبيه محمد
الباقر :

إن عليا عليه السلام لم يكن ينسب أحدا من أهل حربيه إلى
الشرك ولا إلى النفاق ولكن يقول : هم إخواننا بغوا علينا» (٤٩) .
وهذه نفس الرواية التى رواها شيخ الإسلام ابن تيمية والذهبي
وابن عساكر وغيرهم عن جعفر بن محمد عن أبيه الباقر قال :
سمع على يوم الجمل ويوم صفين رجلا يغلو فى القول فقال : لا
تقولوا إلا خيرا ، إنما هم قوم زعموا أنا بغينا عليهم وزعمنا أنهم بغوا علينا
فقاتلناهم» (٥٠) .

وأخيرا : فلما انتهى على - رضى الله عنه - من حرب الجمل لم
تمتنع السبئية عن إظهار خبثهم وسريرتهم وما يكتونه فى صدورهم ، فلقد
نقل الإمام ابن كثير بعد ذكر مجموع من قتل يوم الجمل :
وكان مجموع من قتل يوم الجمل من الفريقين عشرة آلاف ، خمسة
من هؤلاء وخمسة من هؤلاء ، رحمهم الله ورضى عن الصحابة منهم ،
وقد سأل بعض أصحاب على أن يقسم فيهم أموال أصحاب
طلحة والزبير ، فأبى عليهم ، فطعن فيه السبئية وقالوا : كيف يحل لنا
دماؤهم ولا تحل لنا أموالهم ؟ . فبلغ ذلك عليا فقال : أيكم يجب أن
تصير أم المؤمنين فى سهمه ؟ فسكت القوم ، ولهذا لما دخل البصرة فض
فى أصحابه أموال بيت المال ، فنال كل رجل منهم خمسمائة ، وقال : لكم
مثلها من الشام ، فتكلم فيه السبئية أيضا ونالوا منه وراء وراء» (٥١) .
وأما حرب صفين فلم يكن سعى السبئية فيها أقل من حرب

(٤٩) أيضا .

(٥٠) أنظر منهاج السنة لابن تيمية : ج ٣ ص ٦١ ، المتقى : ص ١٣٥ ، تهذيب لابن

عساكر : ج ١ ص ٧٣ ، ومثله فى السنن الكبرى : ج ٨ ص ١٧٣ .

(٥١) البداية والنهاية لابن كثير : ج ٧ ص ٢٤٤ ، الطبرى : ج ٥ ص ٢٢٣ .

الجميل لإثارة الفتن والاضطرابات، ولازالوا على دأبهم هذا طيلة أيام عليّ - رضى الله عنه - يؤذونه بآرائهم الشاذة وأفكارهم الغريبة وعقائدهم الأجنبية، وبتجميعهم المجرمين وتحزيم وتكتلهم وتجميعهم وإيقاع الفرقة بين المسلمين حتى لم يمتنعوا من إيقاعها بين علي وأصحابه، وابعاد المخلصين عنه، لأنهم لم يكن قصدهم من إظهار الولاء لعليّ والبراءة من أصحاب رسول الله حب عليّ وأولاده، بل جعلوا هذا التظاهر بالحب والولاء سترا على مقاصدهم الخبيثة ومطامعهم الحقيقية للنيل في الإسلام والمسلمين حتى حالوا بين علي - رضى الله عنه - وبين أخلص المخلصين له كرئيس عساكره وكبير مستشاريه وابن عمه عبد الله بن عباس لاتهمهم إياه بغصب الأموال وأخذها بغير حق (٥٢) . وكذلك زياد أمير فارس وغيرهم الكثيرين الكثيرين .

فهذه كانت أحوال السبئية في أيام علي - رضى الله عنه - وهذه مساعيهم غير المحمودة . وقبل ذلك ذكرنا سعيهم بالفتنة والفساد أيام عثمان - رضى الله عنه - مزحزحة أركان الإسلام والدولة الإسلامية ببعض الإيجاز والاختصار من كتب التاريخ اعتمادا على أصح الروايات وموقفنا من الشيعة أنفسهم أيضا .

ونريد أن نلفت الأنظار أن شيعة عليّ - رضى الله عنه - العامة منهم كانوا على جانب عن هؤلاء كما يلاحظ من خلال الروايات التي سردناها لذكر هذه الوقائع ، وعلى ذلك كانوا دائما يسعون إلى الصلح واجتناب القتال والجدال ، قدر الاستطاعة وحسب المقدور، ولو أن قليلا منهم تأثروا بأفكار هؤلاء المخبثين ، وانخدعوا بأباطيلهم وأكاذيبهم -

(٥٢) أنظر لذلك كتب التاريخ ابن خلدون : ج ٢ ص ١٨٣ - ١٨٤ ، وغيره .

ووقعوا في شراكهم وحبائلهم . ولذلك لم يكن شيعة عليّ الأولى يطعنون في أصحاب محمد ﷺ ولا يسبونهم ولا يشتمونهم سواء نازعوا عليا في خلافته أو حاربوه في مطالبة القصاص للإمام المظلوم عثمان بن عفان - رضى الله عنه - بل أكثر من ذلك كانوا يقدمون أبا بكر وعمر على عليّ - رضى الله عنه - كما نقل شيخ الإسلام ابن تيمية :

كانت الشيعة المتقدمون الذين صحبوا عليا أو كانوا في ذلك الزمان لم يتنازعوا في تفضيل أبي بكر وعمر، وإنما كان نزاعهم في تفضيل علي وعثمان، وهذا مما يعترف به علماء الشيعة الأكابر من الأوائل والأواخر» (٥٢) .

ثم نقل عن واحد من الشيعة الأولى شريك بن عبد الله أنه سأله سائل :

أيهما أفضل؟ . أبو بكر أم علي؟ فقال له : أبو بكر، فقال له السائل : تقول هذا وأنت شيعي؟ فقال له : نعم، من لم يقل هذا فليس شيعيا، والله لقد رقى هذه الأعواد عليّ، فقال : ألا خير هذه الأمة بعد نبينا أبو بكر ثم عمر، فكيف نردّ قوله وكيف نكذبه؟ . والله ما كان كذابا» (٥٤) .

ثم يقول :

وكيف لا تقدم الشيعة الأولى أبا بكر وعمر وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - أنه قال : خير هذه الأمة بعد نبينا أبو بكر ثم عمر، وقد روى هذا عنه من طرق كثيرة قيل إنها تبلغ ثمانين طريقا» (٥٥) .

وكذلك كان أولاد علي وأهل بيته وكانوا على نفس هذا

(٥٣) منهاج السنة لابن تيمية : ج ١ ص ٣-٤ .

(٥٤) أيضا .

(٥٥) أيضا .

الاعتقاد، وهذه وجهة كانوا يحملونها تجاه أصحاب النبي ﷺ والخلفاء الراشدين الثلاثة، وأكثر من ذلك لم يكونوا يعتقدون محاربة معاوية وأصحابه خروجاً عن الإسلام وطغياناً وظلماً وعدواناً، ولأجل ذلك بايع معاوية أكبر أبناء عليّ سبط رسول الله - الإمام المعصوم حسب زعم الشيعة - ووافقه على ذلك أبناؤه الآخرون مع ما فيهم الحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس وغيرهم كما سيأتى بيانه، وصاهره وأسرته وعاونوه على أمور الخير والبر، وقبلوا منه الهدايا والصلوات كما ذكرنا قريباً، إلا من تأثر من السبئية أو دخل في ذلك الحزب الملعون على لسان عليّ - رضى الله عنه - وأبنائه .

ثم ولم يكن الشيعة عامة آنذاك يشتمون أصحاب النبي ﷺ ولا الخلفاء الراشدين الثلاثة ولا يطعنون فيهم ولا ينقصونهم، فلقد ذكر ابن خلكان في ترجمة يحيى بن معمر: كان شيعياً من القائلين بتفضيل أهل البيت من غير تنقيص لغيرهم» (٥٦) .

ولقد أقر بذلك شيعي معاصر حيث قال :

إنى خلال مراجعتى كتب التاريخ لم أرفى الفترة التى تمتد من بعد وفاة النبي حتى نهاية خلافة الخلفاء من عمد إلى الشتم من أصحاب الإمام، وإنما هناك من قيّم الخلفاء وقيّم الإمام وحتى فى أشد جمحات عاطفة الولاء لم نجد من يشتم أحداً من تقدم الإمام بالخلافة... يضاف لذلك أنه حتى فى الفترة الثانية أى فى عهود الأمويين كان معظم الشيعة يتوزعون عن شتم أحد من الصحابة أو التابعين» (٥٧) .

(٥٦) وفیات الاعيان : ج ٢ ص ٢٦٩ .

(٥٧) هوية التشيع لأحمد الوائلى : ص ٤١ .

فرو السبئية، تاريخها وعقائدها

اجتمع شيعة علي رضى الله عنه بعد استشهاده حول ابنه الحسن رضى الله عنه، وجعلوه إماما لهم في اليوم الثالث بعد انتقال أبيه من دار الدنيا إلى دار الآخرة^(١).

وأول من يابعه كان قيس بن سعد بن عبادة^(٢). وعند ذاك ظهرت السبئية من جديد بكل قوة وأظهروا العقائد التي طالما أخفوها خوفا من بطش على رضى الله عنه، وحذرا من يقظته ومراقبته الأفكار الهدامة ومن يزيد بثها في صفوف شيعته، ومعاقتهم معاقبة شديدة، ولقد ذكر مؤرخ شيعى حيث قال:

إن بدعة السبئية في الغلو ظهرت على عهد أمير المؤمنين علي بن أبى طالب (ع) عندما مَرَّ بقوم يأكلون في شهر رمضان نهارا، فقال لهم: أسفر أنتم أم مرضى؟ قالوا لا ولا واحدة منها، قال: فمن أهل الكتاب أنتم فتعصمكم الذمة والجزية؟ قالوا: لا. قال: فما بال الأكل نهارا في رمضان؟ فقالوا له: أنت أنت، يومئون إلى ربوبيته. فاستتابهم واستأنى ووعدهم فأقاموا على قولهم. فحفر لهم حفرا دخن عليهم فيها طمعا في رجوعهم، فأبوا فحرقهم وقال: ألا ترونى قد حفرت لهم حفرا:

(١) مروج الذهب للمسعودى الشيعى ج ٢ ص ٤٢٦.

(٢) الطبرى ج ٦ ص ٩١.

إنى إذا رأيت شيئاً منكراً أوقدت نارى ودعوت قنبراً
 فلم يبرح عليه السلام من مكانه حتى صاروا حمماً. ثم استترت
 هذه المقالة سنة أونحوها، ثم ظهر عبد الله بن سبأ وكان يهودياً يتستر
 بالإسلام بعد وفاة أمير المؤمنين (ع) فأظهرها واتبعه قوم فسموا السبئية،
 وقالوا: ان علياً لم يمت» (٣).

ويمثل ذلك القول قال أقدم من كتب عن الفرق من الشيعة
 النوبختى حيث قال:

فلما قتل علي عليه السلام افرقت التى ثبتت على إمامته وأنها
 فرض من الله عز وجل ورسوله عليه السلام فصاروا فرقاً ثلاثة، فرقة منهم
 قالت:

إن علياً لم يقتل ولم يمت ولا يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب
 بعصاه ويملاء الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً وهى أول فرقة
 قالت فى الإسلام بالوقف بعد النبى صلى الله عليه وآله من هذه الأمة
 وأول من قال منها بالغلو وهذه الفرقة تسمى (السبائية) أصحاب «عبد الله
 بن سبأ» وكان ممن أظهر الطعن على أبى بكر وعمر وعثمان والصحابة
 وتبرأ منهم وقال إن علياً عليه السلام أمره بذلك فأخذه علي فسأله عن
 قوله هذا فأقر به فأمر بقتله فصاح الناس إليه: يا أمير المؤمنين! أتقتل
 رجلاً يدعو إلى حاكم أهل البيت والى ولايتك والبراءة من أعدائك
 فصيره الى المدائن، وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عليه
 السلام أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً عليه السلام
 وكان يقول وهو على يهوديته فى يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام
 بهذه المقالة، فقال فى إسلامه بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله فى علي

عليه السلام بمثل ذلك ، وهو أول من شهر القول بفرض إمامة علي عليه السلام وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه ، فمن هناك قال من خالف الشيعة أن أصل الرفض مأخوذ من اليهودية ، ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي بالمدائن قال للذي نعاه : كذبت لو جئتنا بدماعه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ولا يموت حتى يملك الأرض» (٤) .

وأورد مثل هذا كل من ألم بتاريخ الشيعة وفرقه سواء كان من الشيعة أم من السنة . كما ذكرناه فيما قبل من مؤلفي الشيعة وكتبهم . ولقد ذكر ظهور السبئية من جديد والمجاهرة بعقائدهم الخبيثة بعد مقتل علي رضي الله عنه من كتب علماء السنة في الفرق من عبد القاهر البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق (٥) والأشعري في مقالات الإسلاميين (٦) والرازي في اعتقادات فرق المسلمين والمشركيين (٧) والأسفرائيني في التبصير (٨) والشهرستاني في الملل والنحل (٩) وابن حزم الظاهري في الفصل (١٠) وأبو الحسن البلطى في التنبيه (١١) والجرجاني في التعريفات (١٢) والمقريزي في الخطط (١٣) .

فذكر كل واحد منهم أن عبد الله بن سبأ رجع بعد شهادة علي رضي الله عنه من منفاه وأظهر عقائده في علي آنذاك ، فيقول

(٤) فرق الشيعة للنوبختي ص ٤٣- ٤٤ ط . النجف .

(٥) ص ٢٢٥ و ٢٣٣ .

(٦) ج ١ ص ٨٥ .

(٧) ص ٥٧ .

(٨) ص ١٠٨- ١٠٩ .

(٩) ج ٢ ص ١١ اغوامش .

(١٠) ج ٤ ص ١٨٠ .

(١١) ص ٢٥ و ١٤٨ .

(١٢) ص ٧٩ .

(١٣) ج ص

الأسفرائيني :

ثم إن عليا رضى الله عنه خاف من إحراق الباقيين منهم شماتة أهل الشام ، وخاف اختلاف أصحابه عليه ، فنفى ابن سبأ إلى سباط المدائن ، فلما قتل علي رضى الله عنه زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن عليا^(١٤).

وكذلك قال الشهرستاني :

إنما أظهر عبد الله بن سبأ بعد انتقال علي عليه السلام واجتمعت عليه جماعته^(١٥).

فحاربه الحسن رضى الله عنه وحارب أفكاره وعقائده دأب أبيه كما ذكر ابن أبي الحديد الشيعي :

ثم ظهر عبد الله بن سبأ وكان يهوديا يتستر بالإسلام بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام فأظهرها ، واتبعه قوم فسموا السبئية ، وقالوا : إن عليا عليه السلام لم يمت ، وإنه في السماء ، والرعد صوته والبرق ضوئه ؛ وإذا سمعوا صوت الرعد ، قالوا : السلام عليك يا أمير المؤمنين ! وقالوا في رسول الله صلى الله عليه وآله أغلظ قول ، وافتروا عليه أعظم فرية ، فقالوا : كتم تسعة أعشار الوحي ، فنقض عليهم قولهم الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية رضى الله عنه في رسالته ، التي يذكر فيها الإرجاء ، رواها عنه سليمان بن أبي شيخ ، عن الهيثم بن معاوية ، عن عبد العزيز بن أبان ، عن عبد الواحد بن أيمن المكي ، قال : شهدت الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية يملئ هذه الرسالة ، فذكرها وقال فيها : ومن قول هذه السبئية : هدينا لوحى ضل عنه الناس ، وعلم خفى عنهم ؛ وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله كتم تسعة أشعار الوحي ؛ ولو كتم

(١٤) الفرق بين الفرق ص ٢٣٣ .

(١٥) الفصل ج ٢ ص ١١ الهوامش .

صلى الله عليه وآله شيئاً مما أنزل الله عليه لكتُم شأن امرأة زيد، وقوله تعالى : ﴿تبتغي مرضات أزواجك﴾ (١٦).

ولكن لم يكن محاربته إياهم مثل محاربة أبيه، فبدأ السبئية يزرعون بذور الفتنة والفساد ويبشون سموم الخلاف والشقاق والفرقة بكل حرية وانطلاقة، وخاصة بعد أن تحاذل الشيعة عن الحسن وبعد تفرقهم عنه ودخول بعضهم في السبئية وميول بعضهم إلى معاوية والتحاق البعض الآخرين بالخوارج وغيرهم، ولقد صوّر هذه الأحوال شيخ الشيعة المفيد والأربلي الشيعي والمجلسي في كتبهم وهم يذكرّون تحرك معاوية الى العراق :

«وسار معاوية نحو العراق ليغلب عليه فلما بلغ جسر منبج تحرك الحسن عليه السلام وبعث حجر بن عدي يأمر العمال بالمسير واستنفر الناس للجهاد فتأقلّوا عنه ثم خفوا ومعه أخلاط من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه، وبعضهم محكمة يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكّاك، وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون إلى دين، فسار حتى أتى حمّام عمر ثم أخذ إلى دير كعب فنزل ساباط دون القنطرة وبات هناك فلما أصبح أراد (ع) أن يمتحن أصحابه ويستبرئ أحوالهم في الطاعة له ليميز بذلك أوليائه من أعدائه ويكون على بصيرة من لقاء معاوية وأهل الشام فأمر بهم أن ينادى بالصلاة جامعة فاجتمعوا فصعد المنبر فخطبهم فقال :

الحمد لله كلما حمده حامد واشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالحق وائتمنه على الوحي

صلى الله عليه وآله .

أما بعد : فوالله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه وأنا أنصح خلق الله لخلقهم ، وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغينة ولا مريداً له بسوء ولا غائلة ، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة ، ألا وإني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمتي ولا تردوا علي رأبي غفر الله لي ولكم وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضا . قال : فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا ما ترونه يريد بما قال ؟ قالوا : نظنه والله يريد أن يصالح معاوية ويسلم الأمر إليه ، فقالوا : كفر والله الرجل ، ثم شدوا على فسطاطه وانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته ، ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدي فنزع مطرفه عن عانقه ، فبقى جالساً متقلداً السيف بغير رداء ، ثم دعا بفرسه فركبه واحدق به طوائف من خاصته وشيعته ومنعوا منه من أراده فقال : ادعوا إلي ربعة وهمدان فدعوا فاطافوا به ودفعوا الناس عنه عليه السلام وسار ومعه شوب من غيرهم ، فلما مرفى مظلم سابط بدر إليه رجل من بني اسد يقال له الجراح بن سنان فاخذ بلجام بغلته ويده مغول وقال الله أكبر أشركت يا حسن ! كما أشرك أبوك من قبل ، ثم طعنه في فخذه فشقه حتى بلغ العظم ثم اعتنقه الحسن عليه السلام وخرا جميعاً إلى الأرض ، فوثب إليه رجل من شيعة الحسن (ع) يقال له عبد الله بن خطل الطائي فانتزع المغول من يده وخضخض به جوفه فاكب عليه آخر يقال له ظبيان بن عمارة فقطع أنفه فهلك من ذلك ، وأخذ آخر كان معه فقتل ، وحمل الحسن عليه السلام على سرير إلى المدائن فأنزل به على سعد بن مسعود الثقفي وكان عامل أمير المؤمنين عليه السلام بها فاقره الحسن عليه السلام على ذلك ، واشتغل الحسن عليه السلام

بنفسه يعالج جرحه ، وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالسمع والطاعة له في السر واستحثوه على المسير نحوهم وضمنوا له تسليم الحسن عليه السلام إليه عند دنوهم من عسكره أو الفتك ، به وبلغ الحسن عليه السلام ذلك وورد عليه كتاب قيس بن سعد رضى الله عنه وكان قد انقذه مع عبيد الله بن العباس عند مسيره من الكوفة ليلقى معاوية ويرده عن العراق وجعله أميراً على الجماعة ، وقال : إن أصبت فالأمير قيس بن سعد ، فوصل كتاب قيس بن سعد يخبره انهم نازلوا معاوية بقرية يقال لها الحبوبة بازاء مسكن وإن معاوية أرسل إلى عبيد الله ابن العباس يرغبه في المسير اليه وضمن له ألف ألف درهم يعجل له منها النصف ويعطيه النصف الآخر عند دخوله إلى الكوفة ، فانسل عبيد الله في الليل إلى معسكر معاوية في خاصته ، وأصبح الناس قد فقدوا أميرهم ، فصلى بهم قيس بن سعد رضى الله عنه ونظر في أمورهم فازدادت بصيرة الحسن عليه السلام بخذلان القوم له وفساد نيات المحكمة فيه بما اظهروه له من السب والتكفير له واستحلال دمه ونهب أمواله ، ولم يبق معه من يأمن غوائله إلا خاصته من شيعة أبيه وشيعته ، وهم جماعة لا تقوم لإجناد الشام ، فكتب إلى معاوية في الهدنة والصلح ، وأنفذ إليه بكتب أصحابه الذين ضمنوا له فيها الفتك به وتسليمه إليه ، فاشتراط له على نفسه في إجابته إلى صلحه شروطاً كثيرة وعقد له عقوداً كان الوفاء بها مصالحي شاملة ، فلم يثق به الحسن «ع» وعلم باحتياله بذلك واغتياله غير انه لم يجد بدا من إجابته إلى ما التمس من ترك الحرب وانفاذ الهدنة لما كان عليه أصحابه مما وصفناه من ضعف البصائر في حقه والفساد عليه والخلف منهم له ، وما انطوى عليه كثير منهم في استحلال دمه وتسليمه إلى خصمه ، وما كان من خذلان ابن عمه له ومصيره إلى

عدوه وميل الجمهور منهم إلى العاجلة وزهدهم في الآجلة . فتوثق «ع» لنفسه من معاوية بتوكيد الحجة عليه والأعذار فيما بينه وبينه عند الله تعالى وعند كافة المسلمين واشترط عليه ترك سب أمير المؤمنين «ع» والعدول عن القنوت عليه في الصلاة وإن يؤمن شيعته رضى الله عنهم ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذى حق منهم حقه فاجابه معاوية إلى ذلك كله وعاهده عليه وحلف له بالوفاء» (١٧).

وزاد على ذلك ابن أبى الحديد الشيعي :

لما أراد الحسن أن يرحل إلى المدائن قام فخطب الناس فقال : أيها الناس ؛ إنكم بايعتموني على أن تسالموا من سألت وتحابوا من حاربت ، وإنى والله ما أصبحت محتملا على أحد من هذه الأمة ضغينة في شرق ولا غرب ، ولما تكرهون في الجماعة والألفة والأمن وصلاح ذات البين خير مما تحبون في الفرقة ، والخوف والتباغض والعداوة ، وإن عليا أبى كان يقول : لا تكرهوا إمارة معاوية ؛ فإنكم لو فارقتموه لرأيتم الرءوس تنذر عن كواهلها كالخنظل . ثم نزل .

فقال الناس : ما قال هذا القول إلا وهو خالغ نفسه ومسلم الأمر لمعاوية ، فثاروا به فقطعوا كلامه ، وانهبوا متاعه ، وانتزعوا مطرفا عليه ، وأخذوا جارية كانت معه ، واختلف الناس فصارت طائفة معه ؛ وأكثرهم عليه ، فقال : اللهم أنت المستعان ، وأمر بالرحيل ، فارتحل الناس ، وأتاه رجل بفرس ، فركبه وأطاف به بعض أصحابه ، فمنعوا الناس عنه وساروا ، فقدمه سنان بن الجراح الأسدي إلى مظلم سبابط ، فأقام به فلما دنا منه تقدم إليه يكلمه ، وطعنه في فخذه بالمعول طعنة كادت تصل إلى

(١٧) الارشاد للمفيد ص ١٨٩ - ١٩١ ، جلاء العيون للمجلسي ص ٩٠ وما بعد . كشف الغمة للارزبلى ج ٢ ص ٦٥ ط . بيروت ، ومثل ذلك في تاريخ اليعقوبى الشيعي ص ٢١٤ - ٢١٥ . مروج الذهب ص ٤٣١ .

العظم، فغشى عليه وابتدره أصحابه» (١٨).

ولقد صرح المؤرخون والكتاب من الشيعة بأن الذين غصبوا الحسن وانتهبوا مضاربه وما فيها وجرحوه كانوا من ساباط المدائن، وهى المحل الذى نفى إليه عبد الله بن سبأ من قبل علي رضى الله عنه، وكانوا متأثرين بأفكاره وعقائده والساعين فى الفرقة والاختلاف، ومن بينهم كان فريسة السبئية المختار بن أبى عبيد الثقفى الذى كان له شأن فيما بعد والذى أظهر نفس العقائد التى تلقنها من عبد الله بن سبأ اليهودى الماكر الخبيث ومن السبئية الماكرة الخبيثة، ولقد ذكر المؤرخون أن الحسن بن علي رضى الله عنه دخل المدائن ونزلها وهو جريح على علم المختار : فقال له المختار وهو شاب : هل لك فى الغنى والشرف؟ قال : وما ذاك؟ قال : تأخذ الحسين بن علي وتقيده وتبعثه إلى معاوية، فقال له عمه : قبحك الله وقبح ما جئت به، أغدر بابن بنت رسول الله ﷺ» (١٩).

ولما رأى الحسن ذلك ومعاملة السبئية من جانب، وتحاذل الشيعة من جانب، وإراقة الدماء من ناحية أخرى رأى الصلح خيراً، ولقد ذكر المؤرخ الشيعة يعقوبى :

وحمل الحسن الى مدائن وقد نزع نزعاً شديداً، واشتدت به العلة، فافترق الناس عنه، وقدم معاوية الى العراق، فغلب على الأمر، والحسن عليل شديد العلة، فلما رأى الحسن أن لا قوة به، وأن أصحابه قد افترقوا عنه فلم يقوموا له، صالح معاوية، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال : أيها الناس ان الله هداكم بأولنا وحقق

(١٨) شرح النهج لابن ابي الحديد ج ١٦ ص ٣٦.

(١٩) الطبرى ج ٦ ص ٩٢، ابن الاثير ج ٣ ص ٢٠٣، ابن كثير ج ٨ ص ١٤، واللفظ له.

دماءكم بآخرناء، وقد ضالمت معاوية، وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الر حين» (٢٠).

ولم يكتف الحسن بصلحه مع معاوية وتسليمه الأمر له، بل وأكثر من ذلك بايعه على رؤس الأشهاد وبمن معه من اخوانه وقادة جيشه كما ذكر الرجالى الشيعى المشهور، الكشى عن جعفر بن الباقر أنه قال: ان معاوية كتب الى الحسن عليه السلام أن أقدم أنت والحسين وأصحاب علي، فخرج معهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى وقدموا الى الشام فأذن لهم معاوية وأعد لهم الخطباء فقال: يا حسن قم فبايع، ثم قال للحسين عليه السلام: قم فبايع، فقام فبايع، ثم قال: يا قيس قم فبايع، فالتفت الى الحسين عليه السلام ينظر ما يأمره فقال: يا قيس انه إمامى - يعنى الحسن عليه السلام» (٢١).

وذكر مثل هذا شيعى متعصب المجلسى فى كتابه (جلاء العيون) الفارسى (٢٢) وثقة محدثى الشيعة العباس القمى فى تاريخه الفارسى الكبير منتهى الآمال (٢٣) وكذلك ابن أبى الحديد الشيعى فى كتابه شرح نهج البلاغة (٢٤).

وعندئذ افترق الشيعة بفرق أخرى:

«لما وادع الحسن معاوية وأخذ منه المال الذى بعث به إليه وصالح معاوية الحسن طعنوا فيه وخالفوه ورجعوا عن إمامته فدخلوا فى مقالة جمهور الناس وبقي سائر أصحابه على إمامته إلى أن قتل، فلما تنحى عن محاربة معاوية وانتهى الى مظلم ساباط وثب عليه رجل من هنالك يقال له الجراح بن سنان فأخذ بلبجام دابته ثم قال الله أكبر اشركت كما

(٢٠) تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ٢١٥.

(٢١) رجال الكشى ص ١٠٢.

(٢٢) ج ١ ص ٣٩٥.

(٢٣) ص ٣١٦.

(٢٤) شرح النهج ج ١٦ ص ٣٨.

أشرك أبوك من قبل وطعنه بمعول في أصل فخذة فقطع الفخذ الى العظم ، فاعتنقه الحسن وخرا جميعاً فاجتمع الناس على الجراح فوطئوه حتى قتلوه ثم حمل الحسن على سرير فأتى به المدائن ، فلم يزل يعالج بها في منزل سعد بن مسعود الثقفي حتى صلحت جراحته ثم انصرف الى المدينة فلم يزل جريحاً من طعنته كاظماً لغيظه متجرعاً لريقه على الشجا والأذى من أهل دعوته حتى توفي عليه السلام في آخر صفر سنة سبع وأربعين وهو ابن خمس وأربعين سنة وستة أشهر ، وقال بعضهم أنه ولد سنة ثلاث من الهجرة من شهر رمضان وإمامته ست سنين وخمسة أشهر» (٢٥).

ففرقة ثبتوا مع الحسن بعد هذا الصلح وبايعوا معاوية رضى الله عنه معه ، وأطاعوا وأخلصوا له الوفاء طيلة حياتهم من سنة إحدى وأربعين الى سنة ستين من الهجرة ، وكان على رأس هؤلاء أولاد علي رضى الله عنه وأهل بيته من الحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن العباس وأبناء عقيل وجعفر وغيرهم من الهاشميين الكبار من أسرة النبي ﷺ يعتقدون نفس الاعتقادات التي كان يعتقدوها المسلمون عامة من أصحاب النبي ﷺ بدون تكفير أحد وتفسيق أحد من المسلمين ، متحدين متفقين ، ناسين الخلافات التي حدثت ، ومعرضين عن الوقائع التي وقعت ، متأخين متزوجين فيما بينهم كما ذكرنا ذلك مفصلاً فيما سبق ، وفرقة مالت عن الحسن والحسين وقالت بإمامة محمد بن الحنفية وعرفت بعد ذلك بالكيسانية وقويت بعدما صالح الحسن معاوية وازدادت قوتها وشوكتها وحملت نفس الأفكار التي كانت تحملها السبئية ، وتطورت فيما بعد تطوراً سريعاً ، وتشعبت منها فرق شيعية كثيرة أخرى

كما سنذكرها فيما بعد، ولقد ذكرها النوبختي الشيعي في الفرق التي نشأت بعد قتل علي رضي الله عنه وعدها من إحدى الثلاث التي كانت في عهد الحسن، فانه قال:

فلما قتل علي عليه السلام افرقت التي ثبتت على إمامته . . . فصاروا فرقا ثلاثا، أولا: السبئية، وثانيا: فرقة قالت بإمامة محمد بن الحنفية لأنه كان صاحب راية أبيه يوم البصرة دون أخويه فسموا الكيسانية، وإنما سموا بذلك لأن المختار بن أبي عبيد الثقفي كان رئيسهم وكان يلقب كيسان وهو الذي طلب بدم الحسين بن علي صلوات الله عليهما وثأره حتى قتل من قتلته وغيرهم من قتل وادعى أن محمد بن الحنفية أمره بذلك وأنه الإمام بعد أبيه، وإنما لقب المختار كيسان لأن صاحب شرطته المكنى بابي عمرة كان اسمه وكان أفرط في القول والفعل والقتل من المختار جداً، وكان يقول أن محمد بن الحنفية وصي علي بن أبي طالب وأنه الإمام وأن المختار قيمه وعامله، ويكفر من تقدم علياً ويكفر أهل صفين والجمل، وكان يزعم أن جبرئيل عليه السلام يأتي بالوحي من عند الله عز وجل فيخبره ولا يراه، وروى بعضهم أنه سمي بكيسان مولى علي بن أبي طالب عليه السلام وهو الذي حمله على الطلب بدم الحسين بن علي عليه السلام ودله على قتلته وكان صاحب سره ومؤامره والغالب على أمره» (٢٦).

وبذلك صرح الشهرستاني:

ومن قالوا إن الإمامة تثبت بالنص اختلفوا بعد علي عليه السلام فمنهم من قال: إنما نص على ابنه محمد بن الحنفية وهؤلاء هم الكيسانية . . . وأما من لم يقل بالنص على محمد بن الحنفية فقال بالنصر

على الحسن والحسين وقال : الإمامة في الأخوين الحسن والحسين» (٢٧) .
وبذلك القول قال القاضي النعمان (٢٨) الشيعي الفاطمي أو الاثنا
عشرى على اختلاف الأتوال :

واختلفوا وكثر الكلام ، فقال قوم :

انه الامام بعد علي والوصي بنا وأسقطوا الحسن والحسينا
ثم غلوا فيه فقالوا : لم يمت بل هو في شعب برضوى قد ثبت
بين اسود فيه وكلوا به يأتيه قالوا رزق من ربه (٢٩)
وقد ذكر الكيسانية من السنة كل من البغدادى في الفرق بين
الفرق (٣٠) والأشعرى في مقالات الاسلاميين (٣١) والملطى في التنبيه (٣٢)
والرازى في اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٣٣) والاسفرائيني في
التبصير (٣٤) وابن خلدون (٣٥) وابن حزم في الفصل (٣٦) والمقرئى
وغيرهم .

وفرقة تركت التشيع مطلقا بعد صلح الحسن مع معاوية رضى الله
عنها ولم يعدوا أنفسهم من الشيعة فيما بعد :

(٢٧) الملل والنحل ج ١ ص ٢٨ - ٢٩ افوامش .

(٢٨) هو أبو حنيفة النعمان بن أبى عبد الله محمد بن منصور بن أحمد بن الحيوان التميمي المغربي .
عاش في النصف الأول من القرن الرابع من الهجرة ، وتوفى بالقاهرة سنة ٦٣٤ هـ ، وصلى عليه الإمام
الفاطمي المعز لدين الله ، وهو من الأعلام الثلاثة من الدعاة الفاطميين ، وهو علمهم وأسبقهم وقودتهم ،
عاصر أربعة من الخلفاء الفاطميين من المهدي مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب إلى المعز لدين الله في
مصر (مقدمة تأويل الدعائم ص ١٢ ، ١٣) .

وينسب الشيعة الاثنا عشرية إلى طائفتهم (أنظر مستدرك الوسائل للنورى الطبرسى وغيره) .

(٢٩) الارجوزة المختارة للقاضي النعمان ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ط .

(٣٠) ص ٣٨ .

(٣١) ج ١ ص ٨٩ .

(٣٢) ص ٢٩ و ١٤٨ .

(٣٣) ص ٦٢ .

(٣٤) ص ٣٥ .

(٣٥) ص ١٩٨ .

(٣٦) ج ٤ ص ١٧٩ .

لما واعد الحسن معاوية وأخذ المال الذي بعث به إليه وصالح معاوية الحسن طعنوا فيه وخالفوه ورجعوا عن إمامته، فدخلوا في مقولة جمهور الناس» (٣٧).

وأما السبئية فلقد انتشرت انتشارا فظيعا في هذا العصر، كما أقر بذلك مؤرخ شيعي بقوله:

فقد ظهرت هذه البدعة الضالة وسرت سريان الوباء الى نفر من أهل العراق - ثم ذكر أسباب انتشارها فيهم نقلا عن ابن أبي الحديد لأنهم - كانوا من ركافة البصائر وضعفها على حال مشهور فلا عجب من مثلهم أن تستخفهم المعجزات - التي رأوها من علي (ع)، فيعتقدوا في صاحبها أن الجوهر الالهي قد حل فيه. وقد قيل إن جماعة من هؤلاء من نسل النصارى واليهود، وقد كانوا سمعوا من آبائهم وسلفهم القول بالحلول في أنبيائهم، فاعتقدوا فيه عليه السلام مثل ذلك. ويجوز أن يكون أصل هذه المقالة من قوم ملحدين أرادوا ادخال الالحاد في دين الاسلام» (٣٨).

الشيعة أيام الحسين رضى الله عنه

ولما توفي الحسن رضى الله عنه واجتمع الشيعة حول أخيه الحسين رضى الله عنه حدثت حادثة كبيرة، ووقعت كارثة عظيمة، ألا وهي خروج الحسين على يزيد بن معاوية بعد وفاة أبيه وقتله في كربلاء. ونقف برهة يسيرة قبل أن نذكر تفرق الشيعة بعد هذه الكارثة لسرد وبيان تحاذل الشيعة وغدرهم عن الحسين، فلقد ذكر اليعقوبى المؤرخ الشيعي

(٣٧) فرق الشيعة للنوبختي ص ٤٦.

(٣٨) الشيعة في التاريخ لمحمد حسين الزين ص ١٠٥.

الغالى أن يزيد بن معاوية لما تولى الخلافة بعد أبيه كتب الى عامله بالمدينة الوليد بن عقبة بن أبى سفيان أن يأخذ البيعة من الحسين بن علي رضى الله عنهما ولما طلب الوليد منه ذلك :

فخرج الحسين الى مكة ، فأقام بها أياما ، وكتب أهل العراق اليه ، ووجهوا بالرسل على أثر الرسل ، فكان آخر كتاب ورد عليه منهم كتاب هانىء بن أبى هانىء ، وسعيد بن عبد الله الخثعمي :

بسم الله الرحمن الرحيم ، للحسين بن علي من شيعته المؤمنين والمسلمين ، أما بعد فحى هلا ، فإن الناس ينتظرونك ، لا إمام لهم غيرك ، فالعجل ثم العجل والسلام» (٣٩) .

والمؤرخ الشيعي الآخر المسعودي يكتب :

ولما مات معاوية راسل أهل الكوفة (٤٠) الى الحسين بن علي : انا قد حبسنا أنفسنا على بيعتك ، ونحن نموت دونك ، ولسنا نحضر جمعة ولا جماعة» (٤١) .

(٣٩) تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ومثل ذلك فى الارشاد للمفيد ص ٢٠٣ * وكشف الغمة للاربلى ج ٢ ص ٣٢ .

(٤٠) نعم الكوفة التى كان مركزا للشيعة ومرتما خصب حتى قالوا فيها :
وأما الكوفة وسوادها فهناك شيعة على بن أبى طالب . وأما البصرة فعشائنة تدين بالكف .
وأما الجزيرة فحرورية مارقة . وأما أهل الشام فليس يعرفون الا آل أبى سفيان وطاعة بنى =
مروان وأما أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر (عيون الأخبار للرضاء نقلا عن الشيعة فى التاريخ) .

وروا عن جعفر أنه قال :
ان الله عرض ولايتنا على أهل الامصار فلم يقبلها الا أهل الكوفة (بصائر الدرجات ج ٢ الباب العاشر) .

وأيا ما ورواه الكليني فى كافي عن عبد الله الوليد الكندى :
قال : دخلنا على أبى عبد الله عليه السلام فى زمن مروان ، فقال : من أنتم ؟ فقلنا : من أهل الكوفة ، فقال : مابلدة من البلدان أكثر محبا لنا من أهل الكوفة ، ولاسيما هذه العصابة ، ان الله جل ذكره هداكم لأمر جهله الناس وأحببتمونا وأبغضنا الناس واتبعتمونا وخالفنا الناس ، - وصدقتمونا وكذبنا الناس ، فأحياكم الله محيانا وأماتكم مماتنا (الروضة من الكافي) (٤١) مروج الذهب ج ٣ ص ٥٤ .

وكتبنا أخرى: فقد اخضرت الجنات، وأينعت الثمار، فاذا شئت
فاقبل على جند لك مجندة» (٤٢).

ولما تواترت الرسائل وكثرت، واشتد طلب الكوفيين:
وجه إليهم مسلم بن عقيل بن أبي طالب وكتب إليهم، وأعلمهم
أنه إثر كتابه، فلما قدم مسلم الكوفة اجتمعوا إليه، فبايعوه وعاهدوه
وعاقدوه، وأعطوه المواثيق على النصرة والمشايعة والوفاء (٤٣).
وزاد المفيد: فبايعوه وهم يبيكون، وتجاوز عددهم ثمانية عشر
ألفاً» (٤٤).

وبعد أيام وصل إليه من مسلم بن عقيل:
ان لك مائة ألف، ولا تتأخر» (٤٥).

فتحرك نحو الكوفة، فأتاه ابن العباس من بنى هاشم وقائد
جيوش علي رضي الله عنه ومستشاره الخاص والرجل المجرب المحنك
الذي كان يعرف شيعة زمانه حق المعرفة فقال له - كما نقل المسعودي
الشيعة -:

يا ابن عم، قد بلغني أنك تريد العراق، وإنهم أهل غدر، وإنما
يدعونك للحرب، فلا تعجل، وإن أبيت إلا محاربة هذا الجبار وكرهت
المقام بمكة فاشخص الى اليمن، فانها في عزلة، ولك فيها أنصار
وإخوان، فأقم بها وبث دعواتك، واكتب الى أهل الكوفة وأنصارك
بالعراق أن يخرجوا أميرهم، فان قووا على ذلك ونفوه عنها، ولم يكن بها
أحد يعاديك أتيتهم، وما أنا لغدرهم بآمن، وان لم يفعلوا أقمت بمكانك
إلى أن يأتي الله بأمره، فان فيها حصونا وشعوبا، فقال الحسين: يا ابن

(٤٢) اعلام الوری للطبرسی ص ١٠٢٢٣ الارشاد للمفيد ص ٢٢٠.

(٤٣) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٤٢.

(٤٤) الارشاد ص ٢٢٠.

(٤٥) الارشاد للمفيد ص ٢٢٠.

عم، انى لأعلم أنك لى ناصح وعلى شفيق، ولكن مسلم بن عقيل كتب إلى باجتماع أهل المصر على بيعتى ونصرتى، وقد أجمعت على المسير اليهم، قال: انهم من خبرت وجربت، وهم أصحاب أبيك وأخيك وقتلتك غدا مع أميرهم - ما أصدقه وما أحنك به وأخبر بهم - أنك لو قد خرجت فبلغ ابن زياد خروجك استنفرهم إليك، وكان الذين كتبوا إليك أشد من عدوك، فان عصيتنى وأبيت إلا الخروج الى الكوفة فلا تخرجن نساءك وولدك معك، فوالله انى لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ونساؤه وولده ينظرون إليه» (٤٦).

هذا ما قاله عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما، وله من المنزلة والمقام عند علي رضى الله عنه ما لا يخفى على أحد حتى كتب مفيد الشيعة:

كان أمير المؤمنين يتعشى ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد الله بن العباس» (٤٧).

وهذا ما كان يحمل من الشيعة، وكيف لا وقد قال فيهم علي رضى الله عنه نفسه: لوددت أن معاوية صاربنى بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ منى عشرة منكم وأعطانى رجلا منهم» (٤٨).

ثم أيد ابن عباس أبوبكر بن هشام فى وصف الشيعة بالغدر والخيانة وعدم الخروج إليهم كما نقله الشيعة المسعودى: دخل أبوبكر بن الحارث بن هشام على الحسين فقال: يا بن عم، إن الرحم يظاثرنى عليك، ولا أدري كيف أنا فى النصيحة لك، فقال: يا أبا بكر ما أنت ممن يستغش ولا يتهم، فقل، فقال أبوبكر: كان أبوك أقدم سابقة، وأحسن فى الاسلام أثراً، وأشد بأساً، والناس له أرجى، ومنه أسمع

(٤٦) مروج الذهب ج ٣ ص ٥٥.

(٤٧) الارشاد للمفيد ص ١٤.

(٤٨) نهج البلاغة

وعليه أجمع ، فسار الى معاوية والناس مجتمعون عليه إلا أهل الشام وهو أعز منه ، فخذلوه ، وتثاقلوا عنه ، حرصاً على الدنيا ، وضناً بها ، فجرعوه الغيظ ، وخالفوه حتى صار الى ما صار إليه من كرامة الله ورضوانه ، ثم صنعوا بأخيك بعد أبيك ما صنعوا ، وقد شهدت ذلك كله ورأيت ، ثم أنت تريد أن تسير الى الذين عدوا على أبيك وأخيك تقاتل بهم أهل الشام وأهل العراق ومن هو أعد منك وأقوى ، والناس منه أخوف ، وله أرجى ، فلو بلغهم مسيرك إليهم لاستطغوا الناس بالأموال ، وهم عبيد الدنيا ، فيقاتلك من وعدك أن ينصرك ، ويخذلك من أنت أحب إليه ممن ينصره ، فاذكر الله في نفسك ، فقال الحسين : جزاك الله خيراً يا ابن عم ، فقد أجهدك رأيك ، ومهما يقض الله يكن ، فقال : إنا لله وعند الله نحتسب يا أبا عبد الله ، ثم دخل على الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي والي مكة وهو يقول :

كم نرى ناصحاً في عصي وظنين المغيب يلفي نصيحاً
فقال : وما ذاك ؟ فأخبره بما قال للحسين ، فقال : نصحت له ورب الكعبة» (٤٩).

ثم ونقل القصة بكاملها من الشيعة أنفسهم كي يعرف ويدرك خيانة القوم وجبنهم . فيذكر المسعودي :

واتصل خبر مجيء مسلم الكوفة بيزيد فكتب الى عبيد الله بن زياد بتولية الكوفة ؛ فخرج من البصرة مسرعاً حتى قدم الكوفة على الظهر ، فدخلها في أهله وحشمه وعليه عمامة سوداء قد تلثم بها ، وهو راكب بغلة والناس يتوقعون قدوم الحسين فجعل بن زياد يسلم على الناس فيقولون ؛ وعليك السلام يا ابن رسول الله ! قدمت خير مقدم ،

حتى انتهى الى القصر وفيه النعمان بن بشير، فتحصن فيه، ثم اشرف عليه، فقال: يا ابن رسول الله مالي وما لك؟ وما حملك على قصد بلدي من بين البلدان؟ فقال ابن زياد: لقد طال نومك يا نعيم، وحسر اللثام عن فيه، فعرفه، ففتح له، وتنادى الناس: ابن مرجانة، وحصبوه بالحصباء، فقاتهم ودخل القصر، ولما اتصل خبر ابن زياد بمسلم تحول الى هانيء بن عروة المرادي، ووضع ابن زياد الرصد على مسلم حتى علم بموضعه، فوجه محمد بن الأشعث ابن قيس الى هانيء، فجاءه فسأله عن مسلم، فأنكره فأغلظ له ابن زياد القول، فقال هانيء: إن لزياد أهلك عندي بلاء حسناً، وأنا احب مكافأته به، فهل لك في خير؟ قال ابن زياد: وما هو؟ قال تشخص الى أهل الشام أنت وأهل بيتك سالمين بأموالكم، فإنه قد جاء حق من هو أحق من حقك وحق صاحبك، فقال ابن زياد: أدنوه مني، فأدنوه منه، فضرب وجهه بقضيب كان في يده حتى كسر انفه وشق حاجبه، ونثر لحم وجنته، وكسر القضيب على وجهه ورأسه، وضرب هانيء بيده الى قائم سيف شرطي من تلك الشرطة، فجاذبه الرجل، ومنعه السيف، وصاح أصحاب هانيء بالباب: قتل صاحبنا، فخافهم ابن زياد، وأمر بحبسه في بيت الى جانب مجلسه، وأخرج اليهم ابن زياد شريحاً البقاضي، فشهد عندهم أنه حتى لم يقتل، فانصرفوا، ولما بلغ مسلماً ما فعل ابن زياد بهانيء، أمر منادياً فنادى «يامنصور» وكانت شعارهم، فتنادى أهل الكوفة بها، فاجتمع اليه في وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل، فسار الى ابن زياد، فتحصن منه، فحاصروه في القصر فلم يمس مسلم ومعه غير مائة رجل، فلما نظر الى الناس يتفرقون عنه سار نحو أبواب كندة، فما بلغ الباب إلا ومعه منهم ثلاثة، ثم خرج من الباب فاذا ليس معه منهم أحد، فبقى

حائراً لا يدري أين يذهب، ولا يجد أحداً يدلّه على الطريق فنزل عن فرسه شئ متلداً في أزقة الكوفة لا يدري أين يتوجه، حتى انتهى الى باب مولاة للأشعث بن قيس، فاستسقاها ماء فسقته، ثم سأله عن حاله، فأعلمها بقضيته، فرقت له وآوته، وجاء ابنها فعلم بموضعه، فلما أصبح غدا الى محمد بن الأشعث فأعلمه، فمضى ابن الأشعث الى ابن زياد فأعلمه» (٥٠).

فقتله وقتل هانيء بن عروة وهو يصيح :

يآل مراد، وهو شيخها وزعيمها، وهو يومئذ يركب في أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل، واذا أجابتها أحلافها من كندة وغيرها كان في ثلاثين ألف دارع، فلم يجد زعيمهم منهم أحداً فشلا وخذلانا» (٥١).

فلما بلغ الحسين القادسية لقيه الحر بن يزيد التميمي فقال له : أين تريد يا ابن رسول الله؟ قال : أريد هذا المصر، فعرفه بقتل مسلم وما كان من خبره، ثم قال : ارمع، فاني لم أدع خلفي خيراً ارجوه لك، فهم بالرجوع فقال له أخيه مسلم : والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل كلنا، فقال الحسين : لا خير في الحياة بعدكم» (٥٢).
ثم قال للناس :

أما بعد فانه قد أتانا خبر فظيع قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبد الله بن يقطر وقد خذلنا شيعتنا فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف في غير حرج ليس معه ذمام فتفرق الناس عنه وأخذوا يميناً وشمالاً حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة ونفريسير ممن انضموا إليه وإنما فعل ذلك لأنه (ع) علم أن الأعراب الذين اتبعوه إنما

(٥٠) مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ٥٧، ٥٨.

(٥١) مروج الذهب ص ٥٩.

(٥٢) ايضاً ص ٦٠، ٦١.

اتبعوه وهم يظنون انه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فكره ان يسيروا معه إلا وهم يعلمون على ما يقدمون، فلما كان السحر أمر أصحابه فاستقوا ماء واكثروا ثم ساروا حتى مربطن العقبة فنزل عليها فلقيه شيخ من بنى عكرمة يقال له عمرو بن لوزان فسأله أين يريد فقال له الحسين (ع) الكوفة فقال الشيخ انشدك لما انصرفت فوالله ما تقدم إلا على الأسنة وخذ السيوف وان هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطئوا لك الأشياء فقدمت عليهم كان ذلك رأياً فأما على هذه الحالة التي تذكر فاني لا أرى لك ان تفعل فقال له يا عبد الله ليس يخفى على الرأي وان الله تعالى لا يغلب على أمره» (٥٣).

ثم ارتحل الى الكوفة فلقى في الطريق واحداً من أهل الكوفة وأخبره عن غدرهم وتحاذلهم وجنهم قائلاً:

ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة بل نتخوف أن يكونوا عليك» (٥٤).

ولما عارضه ورفاقه جيش الكوفة ورأى منهم عكس ما كتبوا وقالت رسلهم، وتنكروا ما كتبوا اليه قال لبعض أصحابه:

اخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم الي، فأخرج خرجين مملوئين كتباً فنشرت بين يديه» (٥٥).

فأنكروا عليه هذه الكتب والرسائل، ثم سار حتى وصل كربلاء: فلما كثرت العساكر على الحسين أيقن أنه لا محيص له فقال: اللهم احكم بيننا وبين قوم دعونا لينصرونا ثم هم يقتلوننا، فلم يزل يقاتل حتى قتل رضوان الله عليه... وكان جميع من حضر مقتل الحسين

(٥٣) الارشاد للمفيد ص ٢٢٣، اعلام الوري للطبرسي ص ٢٣١، ٢٣٢، جلاء العيون للمجلس ج ٢ ص ٥٤٠.

(٥٤) الارشاد ص ٢٢٢.

(٥٥) اعلام الوري ص ٢٣٢، الارشاد ص ٢٢٥، جلاء العيون ص ٥٤١-٥٤٢.

من العساكر وحاربه وتولى قتله من أهل الكوفة خاصة، فلم يحضرهم شامي» (٥٦).

ثم يذكر اليعقوبى الشيعى المتحمس - كما يسميه وهوزن - «أن أهل الكوفة لما قتلوه،، انتهبوا مضاربه وابتزوا حرمه، وحملوهن الى الكوفة، فلما دخلن إليها خرجت نساء الكوفة يصرخن ويبكين، فقال على بن الحسين: هؤلاء يبكين علينا فمن قتلنا؟» (٥٧). وهنا نريد أن نثبت ما ذكره وهوزن المستشرق الالماني المتعاطف على الشيعة:

ولم يكن جمهور أهل الكوفة حريصاً على مساعدة الحكومة، ولكنه مع ذلك لم ينضم إلى صف أعدائها. وحتى أولئك الذين بعثوا بالكتب إلى الحسين وأقسموا على الاخلاص له تخلوا عنه في المحنة ولم يقدموا له يد المعونة، وقصارى ما فعلوه أنهم راقبوا المعركة من بعيد ومصرعه الأخير ثم بكوا. وقليلون جداً هم أولئك الذين تجاسروا على اللحاق به ومشاركته في مصيره، مثل أبى ثمامة الصائدى خازن بيت المال، وابن عوسجة. وعدا هذا فإن بعض الذين شاركوه في مصرعه إما أنهم كانوا من أولئك الذين التقطهم عرضاً في الطريق أو من أولئك الذين دفعتهم الحمية الانسانية في اللحظة الأخيرة إلى الانضمام إليه وإن لم يكن لهم من قبل شأن به أو لم يكونوا من شيعته. وقد أبرز المؤرخون هذا التعارض بين المكلفين، الذين لم يعملوا شيئاً، وبين غير المكلفين الذين أخرجوا الأولين، أبرزوه وعرضوه أحيانا عرضاً درامياً. وما هو جدير بالاعتبار أن الأنصار أيضاً، لا القرشيون وحدهم، قد تخلوا عن الحسين، فلم يخرج من المدينة واحد منهم معه ولم يكن منهم بين شيعة الكوفة إلا أفراد قلائل

(٥٦) مروج الذهب ج ٣ ص ٦١.

(٥٧) تاريخ اليعقوبى ج ١ ص ٢٣٥.

جداً. والثورة التي قامت في المدينة سنة ٦٣ هـ لم تكن من أجل آل علي،
كما أن علي بن الحسين نفّض يديه منها.
وفي مقابل الجبناء وغير المخلصين كان أعداء الشيعة الصرحاء
وهم أتباع حكومة بنى أمية وموظفوها. ولم يكن الجدال يدور حول أمور
دينية إيمانية» (٥٨).

وعلى ذلك قال البغدادي:

روافض الكوفة موصوفون بالغدر، والبخل، وقد سار المثل بهم
فيهما، حتى قيل: أبخل من كوفي، وأغدر من كوفي، والمشهور من
غدرهم ثلاثة أشياء:

أحدهما: أنهم بعد قتل علي رضي الله عنه بايعوا ابنه الحسن، فلما
توجه لقتال معاوية غدروا به في ساباط المدائن، قطعنه سنان الجعفي في
جنبه فصرعه عن فرسه، وكان ذلك أحد أسباب مصالحته معاوية.

والثاني: أنهم كاتبوا الحسين بن علي رضي الله عنه، ودعوه إلى
الكوفة لينصروه على يزيد بن معاوية فاغتر بهم، وخرج إليهم، فلما بلغ
كربلاء غدروا به، وصاروا مع عبيد الله بن زياد يدا واحدة عليه، حتى
قتل الحسين وأكثر عشيرته بكرباء.

والثالث: غدرهم يزيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب بعد أن
خرجوا معه على يوسف بن عمر، ثم نكثوا بيعته وأسلموا عند اشتداد
القتال حتى قتل وكان من أمره ما كان» (٥٩).

فهؤلاء كانوا الشيعة، شيعة علي والحسن والحسين، وهذه هي
كانت معاملتهم لأئمتهم وقادتهم.

(٥٨) الخوارج والشيعة ص ١٣٤.

(٥٩) الفرق بين الفرق ص ٣٧.

ولقد فصلنا في ذلك القول لأنه بعد هذه الحادثة حصل في التشيع تطور كبير، وبدأ يتجه الى اتجاه ديني ويصبغ بصبغة مذهبية بعد أن كان سياسياً بحتاً، يرى رأى علي وأولاده مقابل معاوية وبنى أمية. وبذلك صرح وهوزن بكل وضوح حيث يذكر مقتل الحسين وبعده قيام المختار باسم الثار، فيقول:

كان التشيع في الكوفة آنذاك قد لبس ثوباً جديداً. وقد عرفنا من قبل المعنى الذي كان يدل عليه في الأصل. لقد كان تعبيراً عن الاتجاه السياسي العام لمعارضة العراق لسلطان الشام. وفي بادىء الأمر كان الأشراف صفاً واحداً مع سائر الناس ويتولون قيادتهم. ولكن حينما أحرق الخطر تراجعوا واستلنوا لاغراء الحكومة (حكومة الأمويين في الشام) ثم استخدموا للقضاء على الثورات الشيعية. وبهذا انفصلوا عن الشيعة، فتحدد نطاق التشيع واتخذ شيئاً فشيئاً صورة فرقة دينية في تعارض مع الأرستقراطية ونظام العشائر، وأصبح بفضل استشهاد زعمائه وأوليائه ذا طابع مثالي خيالي. وكان أنصار سليمان بن صرد يرمون إلى الثورة على أرستقراطية العشائر في الكوفة. ولكن المختار كان أول من نفذ هذا الغرض وحققه عملياً. وإلى هذه الحركة اجتذب الموالي أيضاً. وهؤلاء كان اجتذابهم سهلاً لأنهم كانوا ذوى نزعة واضحة إلى الحكم الديني، لا القومي الشعوبي، وإن كان العرب هم الذين كانوا يتولونه حتى ذلك الحين، كما كانوا - أعني الموالي - يكرهون المتعصبين لسيادة العرب.

فلما ارتبطت الشيعة بالعناصر المضطهدة تخلت عن تربية القومية العربية وكانت حلقة الارتباط هي الاسلام. ولكنه لم يكن ذلك الاسلام القديم، بل نوعاً جديداً من الدين» (٦٠).

وبدا التشيع يحمل الأفكار الأجنبية المدسوسة، كما بدأ يحصل فيه التفرق الكثير، «وصار مأوى وملجأ لكل من أراد هدم الاسلام لعداوة أو حقد، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزردشتية وهندية، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته، كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستارا يضعون وراءه كل ما شاءت أهواؤهم، فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة، وقال الشيعة: ان النار محرمة على كل شيعي الا قليلا، كما قال اليهود: لن تمسنا النار الا اياما معدودات، والنصرانية ظهرت في التشيع في قول بعضهم: ان نسبة الامام الى الله كنسبة المسيح اليه، وقالوا: ان اللاهوت اتحد بالانسوت في الامام، وان النبوة والرسالة لا تنقطع أبدا، فمن اتحد به اللاهوت فهو نبي، وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله والحلول، ونحو ذلك من الأقوال التي كانت معروفة عند البراهمة والفلاسفة والمجوس من قبل الإسلام، وتستتر بعض الفرس بالتشيع وحاربوا الدولة الأموية، وما في نفوسهم الا الكره للعرب ودولتهم، والسعى لاستقلالهم» (٦١).

كما نقل عن المقرئ أنه قال:

إن الفرس كانوا ذوى سعة وعلويد على جميع الامم وجلالة الخطر في أنفسهم بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم الاحرار والأسیاد، وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، وكان العرب عند الفرس أقل الامم خطرا، تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة، وراموا كيد الاسلام بالمحاربة في أوقات شتى، وفي كل ذلك يظهر الله الحق... فرأوا أن كيده على

الحيلة أنجع ، فأظهر قوم منهم الاسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل البيت واستبشاع ظلم علي ، ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن طريق الهدى» (٦٢) .

ونرجع الآن الى تفرقهم واختلافهم بعد ذكرنا إياهم وخذلانهم مناصرة زعمائهم ومن كانوا يدعون حبهم وموالاتهم ، فبعد قتل الحسين رضى الله عنه افرقت الشيعة ثلاث فرق كما يذكر النوبختي :

الكيسانية

فلما قتل الحسين حارت فرقة من أصحابه وقالت : قد اختلف علينا فعل الحسن وفعل الحسين لأنه إن كان الذى فعله الحسن حقاً واجب صواباً من موادعته معاوية وتسليمه له عند عجزه عن القيام بمحاربته مع كثرة أنصار الحسن وقوتهم فما فعله الحسين من محاربته يزيد بن معاوية مع قلة أنصار الحسين وضعفهم . وكثرة أصحاب يزيد لعنة الله عليه حتى قتل وقتل أصحابه جميعاً باطل غير واجب لأن الحسين كان أعذر في القعود عن محاربة يزيد وطلب الصلح والموادة من الحسن في القعود عن محاربة معاوية . وإن كان ما فعله الحسين حقاً واجباً صواباً من مجاهدة يزيد بن معاوية حتى قتل وقتل ولده وأصحابه فقعود الحسن وتركه مجاهد معاوية وقتاله ومعه الكثير باطل فشكوا لذلك في إمامتهما ورجعوا فدخلوا في مقالة العوام وبقي سائر أصحاب الحسين على القول الأول بإمامة حتى مضى .

ثم افرقوا بعده ثلاث فرق : (فرقة) قالت بإمامة محمد بن الحنفية وزعمت انه لم يبق بعد الحسن والحسين أحد أقرب إلى أمية المؤمنين عليه السلام من محمد بن الحنفية فهو أولى الناس بالإمامة

ان الحسين أولى بها بعد الحسن من ولد الحسن فمحمد هو الامام بعد الحسين .

(وفرقه) قالت إن محمد بن الحنفية رحمه الله تعالى هو الإمام المهدي وهو وصي علي بن أبي طالب عليه السلام ليس لأحد من أهل بيته أن يخالفه ولا يخرج عن إمامته ولا يشهر سيفه إلا بإذنه وإنما خرج الحسن بن علي إلى معاوية محارباً له بإذن محمد ووادعه وصالحه بإذنه وإن الحسين إنما خرج لقتال يزيد بإذنه ولو خرجا بغير إذنه هلكا وضلا وإن بن خالف محمد بن الحنفية كافر مشرك وأن محمداً استعمل المختار بن بي عبيد على العراقيين بعد قتل الحسين وأمره بالطلب بدم الحسين وثأره قتل قاتليه وطلبهم حيث كانوا وسماه كيسان لكيسه ولما عرف من قيامه مذهبه فيهم فهم يسمون (المختارية) ويدعون : الكيسانية» (٦٣).

ولقد ذكرنا قبل ذلك أن الكيسانية وجدت بعد قتل علي رضي الله عنه ولكن غلب هذا الاسم على المختارية، ومن الكيسانية تفرعت روع كثيرة، وتفرقت فرق متعددة مثل الكرايية والحربية والرزازمية البيانية والراوندية وأبو المسلمية والهاشمية والحارثية وغيرها الكثيرة لكثيرة (٦٤).

ويجمع هذه الفرق كلها القول بإمامة محمد بن الحنفية والاعتقاد بمقائده التي زرع بذورها السبئية وعبد الله بن سبأ، الغيبة والرجعة تناسخ وغيرها، وفي ذلك قال شاعرهم :

إن الأئمة من قریش ولالة الحق أربعة سواء
ي والثلاثة من بنيهم هم الأسباط ليس بهم خفاء

(٦٣) فرق الشيعة للنوبختي ص ٤٧ ٤٨ .

(٦٤) انظر لمعرفة ذلك فرق الشيعة للنوبختي ص ٤٨ وما بعد ومقالات الإسلاميين ص ٨٩ والفرق
رق ص ٣٨ وما بعد، والحوزة العين ص ١٥٧ وما بعد، والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص
والتبصير للاسفرائيني، مقدمة ابن خلدون ص ١٩٩ وما بعد ط . مصر .

فسبط سبط إيمان وبر
وسبط لا يذق الموت حتى
تغيب لا يرى فيهم زمانا
وقد أجاب على هذه الأبيات البغدادي في كتابه (الفرق بين
الفرق) (٦٦).

وقال أحد الكيسانيين أيضا:

ألا حي المقيم بشعب رضوى
أضر بمعشر والوك منا
وعادوا فيك أهل الأرض طرا
لقد أمسى بجانب شعب رضوى
وما ذاق ابن خولة طعم موت
وان له به لمقيل صدق
وأجابه البغدادي أيضا بقوله:

لقد أفنيت عمرك بانتظار
فليس بشعب رضوى من إمام
ولا من عنده غسل وماء
وقد ذاق ابن خولة طعم موت
ولو خلد امرؤ لعلو مجد

والجدير بالذكر أن من الكيسانية انتقلت الإمامة إلى بنى العباس
لأن بعض فرقها اعتقدت انتقال الامامة من أبي هاشم بن محمد بن
الحنفية إلى محمد بن علي بن العباس، ومنه إلى ابنه ابراهيم، ومن

(٦٥) الفرق بين الفرق ص ٤١.

(٦٦) انظر ص ٤٢.

(٦٧) فرق الشيعة ص ٥١.

(٦٨) الفرق بين الفرق ص ٤٣.

ابراهيم الى أبى العباس، ومن أبى العباس الى أبى جعفر المنصور
المؤسس للدولة العباسية (٦٩).

ومن بين هذه الفرق كلها اشتهرت فرقة المختار بن أبى عبيد
الثقفى لما كان له من صولة وجولة باسم القضاص بدم الحسين رضى الله
عنه، وقد ذكر المختار هذا، الكشى فى (رجاله) عن محمد بن مسعود
قال: حدثنى ابن أبى علي الخزازي قال: [حدثنى] خالد بن يزيد
العمري عن الحسن بن زيد عن عمر بن علي: أن المختار أرسل إلى علي
بن الحسين «ع» بعشرين ألف دينار فقبلها وبنى بها دار عقيل بن أبى
طالب ودارهم التى هدمت. قال: ثم انه بعث إليه بأربعين ألف دينار
بعدما أظهر الكلام الذى أظهره فردها ولم يقبلها، والمختار هو الذى دعا
الناس إلى محمد بن علي بن أبى طالب ابن الحنفية وسمو الكيسانية،
وهم المختارية، وكان لقبه كيسان ولقب بكيسان لصاحب شرطته المكنى
أبا عمرة وكان اسمه كيسان. وقيل انه سمى كيسان بكيسان مولى علي
بن أبى طالب «ع» وهو الذى حمّله على الطلب بدم الحسين ودله على
قتلته، وكان صاحب سره والغالب على أمره، وكان لا يبلغه عن رجل
من أعداء الحسين «ع» أنه فى دار أو موضع الا قصده وهدم الدار بأسرها
وقتل كل من فيها من ذى روح، وكل دار بالكوفة خراب فهى مما هدمها،
وأهل الكوفة يضربون به المثل فاذا افتقر انسان قالوا «دخل أبو عمرة بيته»
حتى قال فيه الشاعر:

ابليس بما فيه خير من أبى عمرة

يغويك ويطفيك ولا يعطيك كسرة (٧٠)

كما ذكره النوبختى الذى نقلنا عنه آنفا:

(٦٩) انظر فرق الشيعة ص ٦٩، مقدمة ابن خلدون ص ١٩٩

(٧٠) رجال الكشى ص ١١٧

ولقد ذكره وهوزن أيضاً بالتفصيل ، ولعل الحديث عنه أطول حديث في كتابه نقطع منه هذا الجزء لتصوير الرجل وتحليله الذى حلل به شخصيته :

كان المختارينعت بأنه سحار (الطبري ج ٢ ص ٧٣٠ س. ١٣)، وأنه «الدجال» (الطبري ص ٦٨٦ س ٧)، ويوصف عادة بـ«الكذاب». وهذا النوصف لا لأنه زعم أنه مكلف من قبل ابن الحنفية، بل لأنه تبدى على أنه نبي. حقاً إنه لم يسم نفسه بهذا الاسم، ولكنه أتى أفعالاً من شأنها أن تعطى عنه هذه الفكرة، فكرة أنه نبي. وكان يتكلم وكأنه جالس فى الحضرة الإلهية، يعلم الغيب، ويسجع سجع الكهان بطلاقة ومهارة. ويريد أن يفرض شخصيته على الناس، وأفلح فى هذا أيضاً وإن كان نجاحه لدى الخاصة والعقلاء أقل منه لدى العامة والدهماء. وطالما حالفه النصر اتسعت دوائر المؤمنين به. فلما منى بالهزيمة أدبرت عنه الدنيا. وراحت الروايات تطلق سهامها على ذكره بعد مقتله. فى البدء كانت تذمه دون أن تشوه صورته. ولكنها راحت بعد ذلك فى مرحلة متأخرة تنعته بنعوت أملاها الحقد. وهذه النعوت نفسها هى التى تسود الصورة التى كونتها عنه الأجيال التالية. ودوزي لا يستخدم غيرها لرسم الصورة التى عملها للمختارفى كتابه «مقالة فى تاريخ الاسلام»: فىقول عنه إنه هو الذى أمر بإطلاق الحمام البيض، وأنه كان خارجياً ثم زبيرياً ثم شيعياً، وأنه ابتدع القول بالبداء فى الله كيما يبرر قلبه هو من مذهب الى مذهب. ولكن لا يحق للمرء أن يجعله معرضاً للسخرية من أجل أن يفهمه على حقيقته. ولحسن الحظ كان لنشر «تاريخ» الطبرى الفضل فى وضع حد لهذا النحو من تصوير الرجل.

فإن كان لابد من الإجابة عن السؤال : هل كان المختار نبياً صادقاً أو متنبئاً كاذباً؟ - فلا مناص من تعديله إلى هذه الصيغة : أكان المختار مخلصاً أم غير مخلص؟ قد يأخذ عليه المرء أنه استعان بالتنبؤ للوصول إلى الحكم . ولكن هذا المأخذ عنه قد يؤخذ على محمد ، وعلى المرء أن يلاحظ أن الإسلام دين سياسى وأن أى نبي مسلم لابد أن يسعى إلى الحكم . ولكن ما هو أشد من ذلك المأخذ خطراً وأكبر وزناً هو أنه تستر وراء شيخ وناطور خيالى (هو محمد بن الحنفية) لم يعرف عن أمره شيئاً ولم يشأ أيضاً أن يعلم عن أمره شيئاً . فلم يكن ضميره نقياً من هذه الناحية ، ولكن الظروف فى ذلك الحين لم تسمح له - بوصفه مسلماً وشيعياً - أن يظهر باسمه هو الخاص ، بل كان عليه أن يخلق لنفسه مركز «أمين» للمهدى المستتر . . . وإن المختار اتخذ نقطة ابتدائه من بدعة غريبة غامضة اختط بها المختار وهى «السبئية» . والسبئية كانت قد اتخذت اتجاهها أنشأ يسيطر على طبقات واسعة بحيث اضطرت الشيعة بوجه عام إلى اتخاذ موقف أشد حدة بإزاء الإسلام السني وازداد إبراز الخلافات بين الشيعة والسنة . والسبئية يسمون أيضاً «الكيسانية» وكان كيسان زعيماً للموالى ، فإن كان فى نفس الوقت زعيماً للسبئية ، فيستنتج من هذا أن السبئية والموالى كانوا شيئاً واحداً تقريباً (ص ٦٢٣ س ١٤ ، ص ٦٥١ س ٢) . واعتماداً على هذا الاستنتاج مضى البعض فزعم أن التشيع كمذهب دينى إيرانى الأصل ، لأن غالبية موالى الكوفة كانوا إيرانيين . قال دوزى (فى كتابه المذكور آنفاً ، ص ٢٢٠ وما يليها) : «كانت الشيعة فى حقيقتها فرقة فارسية ، وفيها يظهر أجلى ما يظهر ذلك الفارق بين الجنس العربى ، الذى يحب الحرية ، وبين الجنس الفارسى الذى اعتاد الخضوع كالعبيد . لقد كان مبدأ انتخاب خليفة للنبي أمراً

غير معهود ولا مفهوم، لأنهم لم يعرفوا غير مبدأ الوراثة في الحكم، لهذا اعتقدوا أنه ما دام محمد لم يترك ولداً يرثه، فإن علياً هو الذي كان يجب أن يخلفه وأن الخلافة يجب أن تكون وراثية في آل علي. ومن هنا فإن جميع الخلفاء - ما عدا علياً - كانوا في نظرهم مغتصبين للحكم لا تجب لهم طاعة. وقوي هذا الاعتقاد عندهم كراهيتهم للحكومة والسيطرة العربية، فكانوا في الوقت نفسه يلقون بأنظارهم النهمة إلى ثروات سادتهم. وهم قد اعتادوا أيضاً أن يروا في ملوكهم أحفاداً منحدرين من أصلاب الآلهة الدنيا، فقلوا هذا التوقير الوثني إلى علي وذريته. فالطاعة المطلقة «للإمام» الذي من نسل علي - كانت في نظرهم الواجب الأعلى، حتى إذا ما أدى المرء هذا الواجب، استطاع بعد ذلك بغير لائمة ضمير أن يفسر سائر الواجبات والتكاليف تفسيراً رمزياً وأن يتجاوزها ويتعداها. لقد كان «الأمام» عندهم هو كل شيء، إنه الله قد صار بشراً. فالخضوع الأعمى المقرون بانتهاك الحرمات - ذلك هو الأساس في مذهبهم» وعلى نحو مشابه يتحدث أ. ملر في كتابه المذكور سابقاً جـ ١ ص ٣٢٧، ويضيف إلى هذا أن الفرس كانوا - تحت تأثير الأفكار الهندية قبل الإسلام بعهد طويل - يميلون إلى القول بأن الشاهنشاه هو تجسد لروح الله التي تنتقل في أصلاب الملوك من الآباء إلى الأبناء. أما أن آراء الشيعة كانت تلائم الإيرانيين - فهذا أمر لا سبيل إلى الشك فيه، أما كون هذه الآراء قد انبعثت من الإيرانيين، فليست تلك الملاءمة دليلاً عليه» (٧١).

وأما عقائدهم الباقية فإنها لمبسوطة موجودة في كتب الفرق، ولقد ذكرنا ما فيها الكفاية وتفي بالمطلوب. ولقد طولنا الكلام في هذه الفئة من

الشيعة وهذا الرجل لأنه هو وطائفته هم تركة السبئية الحقيقية ، ومنهم أخذ بالأفكار وتمسك بالأراء من جاء من الشيعة بعدهم ، وعندئذ بدأ التشيع الأصلي يذوب ، والشيعة الأولى ينقرضون إلا القليل القليل . وعلى رأسهم أولاد علي وبنو هاشم ، وبدأت أفكار السبئية تتسرب إليهم وتتغلب عليهم ، خصوصا شهادة حسين رضى الله عنه جعلت الموالين لعلي وأولاده ، وحتى بعض الطالبين أيضا يحسون بالحرمان الكبير واليأس الكثير ، ويجدون أنفسهم تواقفة إلى الانتقام وخصوصا قلب نظام الحكم القائم المتهم بقتل الحسين وأهله في كربلاء ، وبدأ بعض الجهلة والمغفلين ينقمون كل ما يتصل بالحكام ويغضون كل ما يرى برأيهم وحتى العقائد والمعتقدات ، فلما رأى هؤلاء أن ولاية الأمر يعظمون أبا بكر وعمر وعثمان وبقية أصحاب النبي ﷺ وأزواجه أمهات المؤمنين بدوا يتبرؤن منهم ويتكلمون فيهم . لا لأنهم يجدون عليهم شيئا ، بل كرها لكل ما يسمعون على المنابر وفي المحاريب . وعلى ذلك نقل الذهبي عن شيخ الاسلام ابن تيمية :

كان السلف متفقين على تقديم أبى بكر وعمر حتى شيعة علي رضى الله عنه . وروى ابن بطة عن شيخه المعروف بأبى العباس بن مسروق : حدثنا محمد بن حميد حدثنا جرير عن سفيان عن عبد الله بن زياد بن حدير قال : قدم أبو اسحاق السبيعي الكوفي ، قال لنا شمر بن عطية : قوموا إليه ، فجلسنا إليه ، فتحدثوا . فقال أبو اسحاق : خرجت من الكوفة وليس أحد يشك في فضل أبى بكر وعمر وتقديمهما ، وقدمت الآن وهم يقولون ويقولون ، ولا والله ما أدري ما يقولون . . . وعن ضمرة عن سعيد بن حسن قال : سمعت ليث بن أبى سليم يقول : أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون على أبى بكر وعمر أحدا . وقال أحمد بن

حنبل حدثنا سفيان بن عيينة عن خالد بن سلمة عن مسروق قال : حب
أبى بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة . ومسروق من أجل تابعى
الكوفة وكذلك قال طاوس . . . وقد روى ذلك عن ابن مسعود . وكيف
لا تقدم الشيعة الأولى أبا بكر وعمر وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي بن
أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم
عمر . وقد روى هذا عنه من طرق كثيرة قيل إنها تبلغ ثمانين طريقا . وقد
روى البخارى عنه فى صحيحه من حديث الهمدانين - الذين هم
أخص الناس بعلى حتى كان يقول :

ولو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلى بسلام
فقد رواه البخارى من حديث سفيان الثورى وهو همدانى ، عن
منذروه وهو همدانى عن محمد بن الحنفية قال : قلت لأبى : يا أبت من خير
الناس بعد رسول الله ﷺ ؟ فقال : يا بنى أوما تعرف ؟ فقلت : لا .
قال : أبو بكر . فقلت : ثم من ؟ قال : عمر . وهذا يقوله لابنه بينه وبينه ،
ليس هو مما يجوز أن يقوله تقيّة . ويرويه عن أبيه خاصة . وقاله على
المنبر . وعنه أنه كان يقول : لا أوتى بأحد يفضلنى على أبى بكر وعمر
إلا جلدته حد المفترى» (٧٢)

«وكتب محب الدين الخطيب فى الهامش هذا نص تاريخى عظيم فى
تحديد تطور التشيع ، فان أبا إسحق السبيعى كان شيخ الكوفة وعالمها ،
ولد فى خلافة أمير المؤمنين عثمان قبل شهادته بثلاث سنين ، وعمر حتى
توفى سنة ١٢٧ ، وكان طفلاً فى خلافة أمير المؤمنين علي . وهو يقول عن
نفسه : رفعنى أبى حتى رأيت علي بن أبى طالب يخطب أبيض الرأس
واللحية . ولو عرفنا متى فارق الكوفة ثم عاد فزارها لتوصلنا إلى معرفة

الزمن الذى كان فيه شيعة الكوفة علويين يرون ما يراه إمامهم من تفضيل أبى بكر وعمر، ومتى أخذوا يفارقون عليا ويخالفونه فيما كان يؤمن به ويعلنه على منبر الكوفة من أفضلية أخويه صاحبي رسول الله ﷺ ووزيريه وخليفته على أمته فى أتقى وأطهر أزمانها. ومن العجيب أن الخوارج والإباضية ثبتوا على عقيدتهم الأولى فى أبى بكر وعمر كما كانوا عليه مع علي إلى مدة الحكم، والشيعية نقضوا هذه العقيدة وعصوا فيها إمامهم بعد القرن الأول، أى فى أواخر حياة أبى اسحاق السبيعي^(٧٣).

هذا وبلغ الأمر بعد تطور الشيعة إلى حد أنهم بدءوا ينكرون المسلمين والأسس التى عليها يقوم المذهب الإسلامى الحنيف والشرعية السماوية السمحاء. فقط لأن الحكام يتمسكون بها ويعتقدونها، مثل القرآن، الكتاب الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسنة رسول الله التى جعلها الله بياناً لهذا القرآن^(٧٤).

ثم وبعد شهادة الحسين رضى الله عنه كثرت الخزعبلات والخرافات فى الشيعة حتى إن المخلصين من الأشراف ومن الشيعة الأولى حاولوا إقامة السد فى طريق هذه السخافات ومنع الناس عن اعتناقها ولكنهم فشلوا فى ذلك، ثم اضطروا إلى التباعد عنها وعن التشيع بعدما قنطوا ويثسوا من رجوع القوم إلى الحق وانتهائهم عن الغي والضلالات، فهذا هو ابن الأثير إبراهيم يذكره وهوزن ضمن تسلط المختار على الشيعة وامتناع إبراهيم عن الانضمام إليه حيث يقول: ° فكان على المختار أن يكسب رجلاً آخر فى الكوفة نفسها لا يستطيع من دونه أن يلقى رؤساء الشيعة نجاحاً ضد الأشراف والوالى.

(٧٣) أيضاً، الهامش ص ٣٦٠، ٣٦١.

(٧٤) ولقد فصلنا القول فى هذا فى كتابنا (الشيعة والقرآن) و(الشيعة والسنة) من أراد معرفة ذلك

فليرجع إليهما.

هذا الرجل هو إبراهيم بن الأشتر زعيم قبيلة النخع من مذحج . وكان بارعاً ماكرأً مستقل الرأي ، وكان كأبيه مخلصاً لعلي ، وكان على اتصال بابن الحنفية . ولكنه لم يكن يؤمن بالتشيع على الصورة التي استحال إليها في ذلك العهد . لم يشأ الانضمام إلى سليمان بن صرد كما لم يرغب في أن يعرف شيئاً عن المختار . ولم تفلح المحاولات في اكتسابه . وأخيراً وصله كتاب يطلب فيه ابن الحنفية نفسه منه أن يعترف بالمختار بن أبي عبيد . ولكنه تضايق من كون ابن الحنفية يلقب نفسه في هذا الكتاب بلقب «المهدي» وهو أمر لم يعهد منه ، فحاك في صدره الشك في صحته . ولكن الذين قدموا بالكتاب ، والمختار نفسه أكدوا صحة الكتاب ، إلا اثنين لفتا نظره بتحفظهم ، وهما : عامر بن شراحيل الشعبي الراوى الفقيه المحدث الكبير . وأبوه شراحيل . فانتحى بعامر ناحية وسأله هل يشك في أمانة هؤلاء الشهود على صحة الكتاب . فقال عامر الشعبي : معاذ الله فإنهم «سادة القراء ومشايخه المصروف وفرسان العرب ولا أرى مثل هؤلاء يقولون إلا حقاً!» (الطبرى ٢/٦١٢) . فسأله ابن الأشتر أن يكتب له أسماءهم وكتب محضراً صورياً بما وقع . فلما اطمأن قلبه بهذا امثل لما ورد في الكتاب ووضع نفسه في خدمة المختار بن أبي عبيد^(٧٥) . ولما تقلب المختار وبدأ يظهر ما كان يكنه من الأفكار السبئية من عداوة السلف الصالح والطعن في أصحاب رسول الله ﷺ :

أخذوا يعتبرون على المختار أنه تأمر عليهم بغير رضى منهم ولا بأذن من ابن الحنفية وأنه أظهر هو وسببته (بيدع ابتدعها في الاسلام) البراءة من أسلافهم الصالحين^(٧٦) .

«واحتل هؤلاء الأشراف المراكز الرئيسية في الكوفة وحصروا

(٧٥) الخوارج والشيعة ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٧٦) أيضاً ص ١٥٥ .

المختار في القصر والمسجد وقطعوا الاتصال بينه وبين الخارج . وحتى
يفسد عليهم تدبيرهم اقترح عليهم أن يبعثوا من قبلهم وفدا الى ابن
الحنفية ويرسل هو من قبله وفدا اليه لسؤاله في تأييد ابن الحنفية له ،
ولكن لم ينجح في هذا التدبير^(٧٧) .

ويقول :

كان المختار في الذروة ، وكان أيضا أمام الهاوية . فالشيعة العرب
من الجيل القديم كانوا لا يثقون به حتى اعتزلوه جانبا^(٧٨) .
وهذا القدر يكفي لبيان الصراع الذي حدث بين الشيعة في التطور
والتغير من المنهج الأول القديم ، وبدأ الشيعة أكثرهم يعتقدون بمثل
هذه الخرافات والسخافات عن الحمايات البيض بأنها ملائكة ، وعن
الكرسي المقدس والنبوءات وأخبار الغيب .

ثم حصلت التفرقة في الشيعة مرة ثانية بعد قتل المختار :

ففرقة قالت بإمامة علي بن الحسين ، وكان يكنى بأبي محمد ويكنى
بأبي بكر وهي كنيته الغالبة عليه فلم تزل مقيمة على إمامته حتى توفي
بالمدينة في المحرم في أول سنة أربع وتسعين وهو ابن خمس وخمسين سنة ،
وكان مولده في سنة ثمان وثلاثين وأمه أم ولد يقال لها سلافة وكانت تسمى
قبل أن تسبى جهانشاه وهي ابنة يزجرد بن شهریار بن كسرى ابرويز بن
هرمز وكان يزجرد آخر ملوك فارس .

(وفرقة) قالت انقطعت الإمامة بعد الحسين إنما كانوا ثلاثة أئمة
مسمين بأسمائهم استخلفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وأوصى
اليهم وجعلهم حججا على الناس وقوماً بعده واحداً بعد واحد فلم يثبتوا
إمامة لأحد بعدهم .

(٧٧) أيضا ص ١٥٦ .

(٧٨) الخوارج والشيعة ص ١٥٩ .

(وفرقة) قالت إن الإمامة صارت بعد مضي الحسين في ولد الحسن والحسين فهي فيهم خاصة دون سائر ولد علي بن أبي طالب وهم كلهم فيها شرع سواء من قام منهم ودعا لنفسه فهو الإمام المفروض الطاعة بمنزلة علي بن أبي طالب واجبة إمامته من الله عز وجل على أهل بيته وسائر الناس كلهم فمن تخلف عنه في قيامه ودعائه الى نفسه من جميع الخلق فهو هالك كافر ومن ادعى منهم الإمامة وهو قاعد في بيته مرخى عليه ستره فهو كافر مشرك وكل من اتبعه على ذلك وكل من قال بإمامته (٧٩).

وفرق أخرى كثيرة، منها من قالت بإمامة أبناء الحسن ومن قالت بغيره.

ومنهم من ذهب الى إثبات النبوة بعد النبي ﷺ لغيره، ومنهم من أوجب الالهية لغير الله عز وجل كما ذكرهم ابن حزم في فصله:
فالطائفة التي أوجبت النبوة بعد النبي ﷺ فرق، فمنهم الغرابية وقولهم ان محمدا ﷺ أشبه بعلي من الغراب بالغراب، وان الله عز وجل بعث جبريل عليه السلام بالوحي الى علي، فغلط جبريل بمحمد..
وفرقة قالت بنبوة علي، وفرقة قالت بأن علي بن أبي طالب والحسن والحسين رضى الله عنهم وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي والحسن بن محمد والمنتظر ابن الحسن أنبياء كلهم.

وفرقة قالت بنبوة محمد بن إسماعيل بن جعفر فقط وهم طائفة من القرامطة.

وفرقة قالت بنبوة علي وبنيه الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن

الحنفية فقط . وهم طائفة من الكيسانية وقد حام المختار حول أن يدعى النبوة لنفسه وسجع أسجاعا وأنذر بالغيوب عن الله تعالى واتبعه على ذلك طوائف من الشيعة الملعونة وقال بإمامة محمد بن الحنفية .

وفرقه قالت بنبوة المغيرة بن سعيد . . . وقالت فرقة منهم بنبوة منصور العجلي وهو الملقب بالكسف ، وكان يقال إنه المراد بقول الله عز وجل : وإن يروا كسفا من السماء ساقطا . . . والقسم الثانى الذين يقولون بالإلهية لغير الله عز وجل فأولهم قوم من أصحاب عبد الله بن سبأ الحميرى لعنه الله أتوا الى علي بن أبى طالب فقالوا مشافهة أنت هو فقال لهم ومن هو قالوا أنت الله فاستعظم الأمر وأمر بنار فاججت واحرقهم بالنار فجعلوا يقولون وهم يرمون فى النار الآن صح عندنا انه الله لأنه لا يعذب بالنار إلا الله وفى ذلك يقول رضى الله عنه :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناراً ودعوت قنبراً يريد قنبراً مولاه وهو الذى تولى طرحهم فى النار نعوذ بالله من ان نفتن بمخلوق أو يفتن بنا مخلوق فيما جل أودق فان محنة أبى الحسن رضى الله عنه من بين أصحابه رضى الله عنهم كمحنة عيسى عليه السلام بين أصحابه من الرسل عليهم السلام وهذه الفرقة باقية إلى اليوم فاشية عظيمة العدد يسمون العليانية منهم كان اسحاق بن محمد النخعى الأحمر الكوفى وكان من متكلميهم وله فى ذلك كتاب سماه الصراط نقض عليه البهنى والفياض لما ذكرنا ، ويقولون ان محمداً رسول علي ، وقالت طائفة من الشيعة يعرفون بالمحمدية ان محمداً عليه السلام هو الله ، نعالى الله عن كفرهم . . . وفرقة قالت بالإلهية آدم عليه السلام والنبين بعده نبيا نبيا إلى محمد عليه السلام ثم بالإلهية علي ثم بالإلهية الحسن ثم الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ووقفوا هاهنا واعلنت

الخطابية بذلك نهراً بالكوفة في ولاية عيسى بن موسى بن محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس فخرجوا صدر النهار في جموع عظيمة في ازوراد؛ محرمين يناصون باعلى اصواتهم لييك جعفر! لييك جعفر قال ابن عياش وغيره كأنى انظر اليهم يومئذ فخرج اليهم عيسى بن موسى فقاتلهم فقتلهم واصطلمهم، ثم زادت فرقة على ما ذكرنا فقالت بالاهية محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد وهم القرامطة وفيهم من قال بالاهية أبو سعيد الحسن بن بهرام الجبائي وابنائهم بعده، ومنهم من قال بالاهية أبي القاسم النجار القائم باليمن في بلاد همدان المسمى بالمنصور، وقالت طائفة منهم بالاهية عبيد الله ثم الولاة من ولده الى يومنا هذا، وقالت طائفة بالاهية أبي الخطاب محمد بن أبي زينب مولى بنى اسد بالكوفة وكثر عددهم بها حتى تجاوزوا الالف وقالوا هو اله وجعفر بن محمد اله اله ان أبا الخطاب اكبر منه وكانوا يقولون جميع اولاد الحسن ابناء الله واحباؤهم وكانوا يقولون انهم لا يموتون ولكنهم يرفعون الى السماء واشبهه علي الناس بهذا الشيخ الذى ترون، ثم قالت طائفة منهم بالاهية معمر بن الحنطة بالكوفة وعبدوه كان من أصحاب أبي الخطاب لعنهم الله أجمعين، وقالت طائفة بالاهية الحسن بن منصور حلاج القطن المصلوب ببغداد بسعى الوزير ابن حامد بن العباس رحمه الله ايام المقتدر، وقالت طائفة بالاهية محمد بن علي ابن الشلمغانى الكاتب المقتول ببغداد ايام الراضى وكان امر اصحابه ان يفسق الارفع قدراً منهم به ليولج فيه النوا كل هذه الفرق ترى الاشتراك في النساء، وقالت طائفة منهم بالاهية شباش المغيم في وقتنا هذا حياً بالبصرة، وقالت طائفة منهم بالاهية أير مسلم السراج ثم قالت طائفة من هؤلاء بالاهية المقنع الاعور القصار القائم بثار أبي مسلم واسم هذا القصار هاشم وقتل لعنه الله ايام المنصور

واعلنوا بذلك فخرج المنصور فقتلهم وافناهم الى لعنة الله ، وقالت
الرنودية بالالهية أبى جعفر المنصور ، وقالت طائفة منهم بالالهية عبد الله
ابن الخرب الكندى الكوفى وعبدوه وكان يقول بتناسخ الارواح وفرض
عليهم تسعة عشر صلاة فى اليوم والليلة فى كل صلاة خمسة عشر ركعة
الى ان ناظره رجل من متكلمى الصفرية واوضح له براهين الدين فاسلم
وصح اسلامه وتبرأ من كل ما كان عليه واعلم اصحابه بذلك وظهر
التوبة فتبرأ منه جميع اصحابه الذين كانوا يعبدونه ويقولون بالالهية
ولعنوه وفارقوه ورجعوا كلهم الى القول بامامة عبد الله بن معاوية بن عبد
الله بن جعفر بن أبى طالب وبقي عبد الله بن الخرب على الاسلام
وعلى مذهب الصفرية الى ان مات وطائفته الى اليوم تعرف بالخرزية
ومن السبائية القائلين بالالهية علي ، وطائفة تدعى النصرية وقد غلبوا فى
وقتنا هذا على جند الاردن والشام وعلى مدينة طبرية خاصة ومن قولهم
لعن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ولعن الحسن والحسين ابني علي رضى الله
عنهم وسبهم باقذع السب وقذفهم بكل بلية والقطع بانها وابنيها رضى
الله عنهم ولعن مبغضيه شياطين تصوروا فى صورة الانسان وقولهم فى
عبد الرحمن بن ملجم الماردى قاتل علي رضى الله عنه عن علي ولعنة الله
على ابن ملجم فيقول هؤلاء ان عبد الرحمن بن ملجم الماردى افضل
اهل الارض واكرمهم فى الآخرة لانه خلص روح اللاهوت مما كان
يتشبث فيه من ظلمة الجسد وكدره فاعجبوا لهذا الجنون واسألوا الله
العافية من بلاء الدنيا والآخرة فهى بيده لا بيد أحد سواه جعل الله حظنا
منها الاوفى ، واعلموا ان كل من كفر هذه الكفرات الفاحشة ممن ينتمى
الى الاسلام فانما عنصرهم الشيعة والصوفية فان من الصوفية من يقول
ان من عرف الله تعالى سقطت عنه الشرائع ، وزاد بعضهم واتصل بالله

تعالى ، وبلغنا ان بنيسابور اليوم في عصرنا هذا رجلا يكنى ابا سعيد ابا الخير هكذا معاً من الصوفية مرة يلبس الصوف ومرة يلبس الحرير المحرم على الرجال ومرة يصلى في اليوم الف ركعة ومرة لا يصلى لا فريضة ولا نافلة وهذا كفر محض ونعوذ بالله من الضلال» (٨٠).

وقد ذكر هذه الفرق كلها كل من الأشعري والبغدادى والملطى والاسفرائينى وغيرهم من الأعلام .
وجل هذه الفرق حدثت بعد قتل الحسين رضى الله عنه وفي أيام علي بن الحسين الملقب بزين العابدين .

الشيعة بعد علي بن الحسين

توفى علي بن الحسين وهو على ولاء كامل ووفاء تام لحكام بنى أمية وخلفائه حتى انه تجنب مساعدة ومناصرة كل من قام ضدهم في المدينة أو في مكة (٨١).

الزيدية

وخلف علي بن الحسين أولادا كثيرين ، منهم محمد المكنى بأبى جعفر الباقر وزيد وعمر وغيرهم ، فاختلف الشيعة في أمر محمد بن علي وزيد بن علي ، فقوم اتبعوا محمدا وقوم منهم زيدا كما يذكر المؤرخ الشيعى :

إن الزيدية قالوا بإمامة علي ثم ابنه الحسن ثم أخيه الحسين ثم ابنه زين العابدين ، ثم ابنه زيد بن علي وهو صاحب هذا المذهب ، وخرج بالكوفة داعيا إلى الإمامة فقتل وصلب بالكناسة ، وقال الزيدية بإمامة

(٨٠) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ص ١٨٣ وما بعد .

(٨١) انظر لذلك كتب التاريخ للشيعة والسنة .

ابنه يحيى من بعده، فمضى إلى خراسان وقتل بالجوزجان بعد أن أوصى إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن السبط، فخرج بالحجاز فقتل وعهد إلى أخيه إبراهيم فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زيد، فوجه إليهم المنصور عساكره فقتل إبراهيم وعيسى وذهب آخرون من الزيدية إلى أن الامام بعد يحيى هو أخوه عيسى، ونقلوا الإمامة في عقبه، وقال آخرون منهم إن الامام بعد محمد بن عبد الله هو أخوه إدريس الذى فر الى المغرب ومات هناك، وقام بأمره ابنه إدريس واختط مدينة فاس، وكان عقبه ملوك المغرب، وكان منهم الداعى الذى ملك طبرستان، وأخوه محمد، ثم قام بهذه الدعوة فى الديلم الناصر الأطروش منهم وأسلموا على يده (٨٢).

وأما النوبختى فكتب:

الزيدية، الأقوياء منهم : الضعفاء . فاما الضعفاء منهم فسموا العجلية، وهم أصحاب هارون سعيد العجلي، وفرقة منهم يسمون البترية، وهم أصحاب كثير النواء والحسن بن صالح بن حى وسالم بن أبى حفصة والحكم بن عتبية وسلمة بن كهيل وأبى المقدام ثابت الحداد وهم الذين دعوا الناس الى ولاية علي عليه السلام ثم خلطوها بولاية أبى بكر وعمر فهم عند العامة أفضل هذه الأصناف وذلك أنهم يفضلون علياً ويشبتون إمامة أبى بكر ويستقصون عثمان وطلحة والزبير ويرون الخروج مع كل من ولد علي عليه السلام يذهبون فى ذلك الى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ويشبتون لمن خرج من ولد علي الإمامة عند خروجه ولا يقصدون فى الإمامة قصد رجل بعينه حتى يخرج، كل ولد علي عندهم على السواء من أى بطن كان.

(٨٢) الشيعة فى التاريخ لمحمد حسين الزين ص ٧٠، ٧١، ٧٢، ومثل ذلك فى شيعة دراسلام

رسى لمحمد حسين الطباطبائى ط قم. ص ٣٤.

وأما الأقوياء فمنهم أصحاب (أبى الجارود) وأصحاب (أبى خالد الواسطى) وأصحاب (فضيل الرسان) و«منصور بن أبى الأسود».

وأما (الزيدية) الذين يدعون (الحسينية) فانهم يقولون من دعا الى الله عز وجل من آل محمد فهو مفترض الطاعة، وكان (علي بن أبى طالب) إماماً فى وقت ما دعا الناس وأظهر أمره ثم كان بعد «الحسين» إماماً عند خروجه وقبل ذلك إذا كان مجانباً لمعاوية ويزيد بن معاوية حتى قتل، ثم زيد بن علي بن الحسين المقتول بالكوفة، أمه أم ولد، ثم يحيى بن زيد بن علي المقتول بخراسان وأمّه ريطة بنت أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، ثم ابنه الآخر عيسى بن زيد بن علي، وأمّه أم ولد، ثم محمد بن عبد الله بن الحسن وأمّه هند بنت أبى عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن العزى بن قصى، ثم من دعا الى طاعة الله من آل محمد صلى الله عليه وآله فهو إمام» (٨٣).

ولقد ذكر الشهرستانى عند ذكر فرق الشيعة واختلافهم فى الآراء: الزيدية أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي عليه السلام ساقوا الإمامة فى أولاد فاطمة عليها السلام ولم يجوزوا ثبوت الإمامة فى غيرهم إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمى عالم زاهد شجاع سخي خرج بالإمامة يكون إماماً واجب الطاعة سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين، وعن هذا قالت طائفة منهم بإمامة محمد وإبراهيم الإمامين ابني عبد الله بن الحسن بن الحسين الذين خرجا فى أيام المنصور، وقتلا على ذلك، وجوزوا خروج إمامين فى قطرين يستجمعان هذه الخصال ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة. وزيد بن علي لما كان مذهبه هذا المذهب أراد أن يحصل الأصول والفروع حتى يتحلى بالعلم

تتلمذ في الاصول واصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة مع اعتقاد واصل
 ن جده علي بن أبي طالب في حروبه التي جرت بينه وبين أصحاب
 لجمل وأصحاب الشام ما كان على يقين من الصواب، وإن أحد
 فريقين منهما كان على الخطأ لا بعينه، فاقتبس منه الاعتزال وصارت
 محابه كلها معتزلة، وكان من مذهبه جواز إمامة المفضول مع قيام
 الفضل، فقال: كان علي بن أبي طالب أفضل الصحابة إلا أن الخلافة
 ضت الى أبي بكر لمصلحة رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين نائرة
 فتنة وتطيتب قلوب العامة، فإن عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة
 إن قريبا وسيف أمير المؤمنين علي عليه السلام عن دماء المشركين من
 يش لم يحف بعد، والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر كما هي،
 كانت القلوب تميل اليه كل الميل ولا تنقاد له الرقاب كل الانقياد،
 نانت المصلحة أن يكون القيام بهذا الشأن من عرفوه باللين والتودد
 لتقدم بالسن والسبق في الإسلام والقرب من رسول الله ﷺ. ألا ترى
 لما أراد في مرضه الذي مات فيه تقليد الأمر عمر بن الخطاب رضي الله
 نه زعق الناس وقالوا: لقد وليت علينا فظا غليظا، فما كانوا يرضون
 ير المؤمنين عمر لشدة وصلابة وغلظ له في الدين وفضاظة على الأعداء
 نى سكنهم أبو بكر رضي الله عنه.

وكذلك يجوز أن يكون المفضول إماما والأفضل قائم، فيرجع اليه
 الأحكام ويحكم بحكمه في القضايا. ولما سمعت شيعة الكوفة هذه
 نالة منه وعرفوا أنه لا يتبرأ من الشيخين رفضوه حتى أتى قدره عليه
 ميت رافضة وجرت بينه وبين أخيه محمد الباقر مناظرة لا من هذ
 جه بل من حيث كان يتلمذ لواصل بن عطاء ويقتبس العلم ممن يجو
 طاء على جده في قتال الناكثين والقاسطين ومن يتكلم في القدر علم

غير ما ذهب إليه أهل البيت . ومن حيث إنه كان يشترط الخروج شرطاً في كون الإمام إماماً حتى قال له يوماً على قضية مذهبك والدك ليس بإمام فانه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج .

ولما قتل زيد بن علي وصلب قام بالإمامة بعده يحيى بن زيد ومضى إلى خراسان . . . فزيد بن علي قتل بكناسة الكوفة ، قتله هشام بن عبد الملك ، ويحيى بن زيد قتل بجوزجان خراسان قتله أميرها ، ومحمد الامام قتله بالمدينة عيسى بن ماهان ، وإبراهيم الإمام قتل بالبصرة . أمر بقتلهم المنصور ولم ينتظم أمر الزيدية بعد ذلك حتى ظهر بخراسان ناصر الاطروش ، فطلب مكانه ليقتل فاخفى واعتزل إلى بلاد الديلم والجليل لم يتحلوا بدين الاسلام بعد ، فدعى الناس دعوة إلى الاسلام على مذهب زيد بن علي ، فدانوا بذلك ونشأوا عليه ، وبقيت الزيدية في تلك البلاد ظاهرين وكان يخرج واحد بعد واحد من الأئمة ويلى أمرهم وخالفوا بنى أعمامهم من الموسوية في مسائل الأصول ومالت أكثر الزيدي بعد ذلك عن القول بإمامة المفضول وطعن في الصحابة طعن الإمامية وهم أصناف ثلاثة : جارودية وسلمانية وبترية ، والصالحية منهم والبترية على مذهب واحد .

الجارودية أصحاب أبي الجارود زعموا أن النبي ﷺ نص على علي عليه السلام بالوصف دون التسمية والامام بعده علي والناس قصر حيث لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف . وانما نصبوا أبا بكر باختيارهم فكفروا بذلك وقد خالف أبو الجارود في هذه المقالة إمامه زيد بن علي فانه لم يعتقد بهذا الاعتقاد .

واختلف الجارودية في التوقف والسوق ، فساق بعضهم الإمام من علي إلى الحسن ثم إلى الحسين ثم إلى علي بن الحسين زيد

العابدين، ثم إلى زيد بن علي، ثم منه إلى الامام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين... والذين قالوا بإمامة محمد الإمام اختلفوا فمنهم من قال: إنه لم يقتل وهو بعد حي وسيخرج فيملا الأرض عدلا. ومنهم من أقر بموته وساق الإمامة إلى محمد بن القاسم بن علي بن الحسين بن علي بن صاحب الطالقان. وقد أسرف أيام المعتصم وحمل إليه فحبسه في داره حتى مات.

ومنهم من قال بإمامة يحيى بن عمر صاحب الكوفة فخرج ودعا الناس واجتمع عليه خلق كثير وقتل في أيام المستعين وحمل رأسه إلى محمد بن عبد الله بن ظاهر حتى قال فيه بعض العلوية:

قتلت أعز من ركب المطايا وجئتك استلينك في الكلام
وعز علي أن ألقاك إلا وفيما بيننا حد الحسام

وهو يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين زيد بن علي.

وأما أبو الجارود فكان يسمى سرحوب. سماه بذلك أبو جعفر محمد

بن علي الباقر رضي الله عنه. وسرحوب شيطان أعمى يسكن البحر^(٨٤)

وذكر القاضي النعمان الزيدية في ارجوزته بقوله :

وقالت الطائفة الزيدية	مقالة لم تك بالمرضية
بأن كل قائم يقوم من	نسل الحسين بن علي والحسن
بسيفه يدعو إلى التقدم	فهو الامام دون من لم يقم
منهم ومن كل امرئ في وقته	مستترا قد انزوى في بيته
واتبعوا زيدا على ما رتبوا	من الدعاوى، وإليه نسبوا
حتى إذا قتل قاموا بعده	مع الحسين حين قام وحده

(٨٤) الملل والنحل ج ١ ص ٢٠٧ وما بعد، ومثل ذلك في مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٨ وما

بعد، ومقدمة ابن خلدون ص ١٩٧، الفرق بين الفرق ص ٢٩، والتبصير ص ٣٢، الفصل ج ٤ ص ١٧٩، ومقاتل الطالبين للأصفهاني الشيعي ص ١٢٧ وما بعد.

واتبعوا يحيى بن زيد إذ بدا ثم تولوا بعده محمدا
 أعنى ابن عبد الله من نسل حسن وكلهم ظل قتيلا مرتين
 فهولاء عندهم أئمة ومن يقوم بعدهم للأمة
 وكل من سواهم الرعية كسائر الأمة بالسوية (٨٥)
 وقبل أن تنتهى من الكلام فيهم نريد أن نذكر شيعة الكوفة
 وجنهم وتحاذهم القديم، الكوفة التى وضعوا فيها روايات مختلفة كثيرة
 عن علي رضى الله عنه أنه قال :

كانى بك ياكوفة تمدين مد الاديم العكاظى ، تعركين بالنوازل ،
 وتركبين بالزلازل ، وانى لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوء الا ابتلاه الله
 بشاغل أورماه بقاتل» (٨٦) .

وقال :

انه يحشر من ظهورها يوم القيامة سبعون ألفا ، وجوهم على
 صورة القمر . وقوله عليه السلام : هذه مدينتنا ومحلتنا ، ومقر شيعتنا .
 وقول جعفر بن محمد عليه السلام : اللهم ارم من رماها ، وعاد من
 عادها .

وقوله عليه السلام : تربة تحبنا ونحبها» (٨٧) .

نذكر فى هذه الكوفة عبارتين عن إمامى الشيعة الكبار ، فان
 المسعودى روى أن زيد بن علي بن الحسين الذى استشهد فى سنة احدى
 وعشرين ومائة أو اثنتين وعشرين ومائة :

شاور أخاه أبا جعفر بن علي ابن الحسين بن علي ، فأشار عليه بأن
 لا يركن الى أهل الكوفة ، اذ كانوا أهل غدر ومكر ، وقال له : بها قتل

(٨٥) الارجوزة المختارة للقاضى النعمان ص ٢١٤ ط مونتريال - كندا .

(٨٦) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج ٣ ص ١٩٧ .

(٨٧) أيضا ص ١٩٨ .

جدك علي، وبها طعن عمك الحسن، وبها قتل أبوك الحسين، و
أغماها شتمنا أهل البيت» (٨٨).

وأما الثاني فهو المفيد يكتب وهو يذكر زيد بن علي :
انه لم يكره قوم قط حد السيف الا ذلوا. فلما وصل الى
اجتمع اليه أهلها فلم يزلوا به حتى بايعوه على الحرب، ثم نقض
وأسلموه فقتل، وصلب بينهم أربع سنين لا ينكر أحد منهم ولا يه
ولسان» (٨٩).

هذا كان أمر الزيدية (٩٠) وهؤلاء كانوا هم.

وهناك فرق أخرى افترقوا وتفرعوا الى فرق وفروع أخرى غير
الزيدية مثل الذين قالوا بامامة عبد الله بن محمد بن عبد الله بن حسن
المثنى بن علي بن أبي طالب المقتول بها، «وزعموا أنه القائم وأنه الامام
المهدي وأنه قتل، وقالوا إنه حي لم يمت مقيم بجبل يقال له العلمية وهو
الجبل الذي في طريق مكة، ونجد الحاجز عن يسار الطريق وأنت ذاهب
الى مكة وهو الجبل الكبير وهو عنده مقيم فيه حتى يخرج لأن رسول الله
صلى الله عليه وآله قال: القائم المهدي اسمه اسمي واسم أبيه اسم
أبي، وكان أخوه «إبراهيم بن عبد الله بن الحسن» خرج بالبصرة ودعا
الى إمامة أخيه (محمد بن عبد الله) واشتدت شوكته فبعث اليه المنصور
بالخيل فقتل بعد حروب كانت بينهم، وكان (المغيرة بن سعد) قال بهذا
القول لما توفي أبو جعفر محمد بن علي وأظهر المقالة بذلك فبرئت منه
الشيعة اصحاب (أبي عبد الله جعفر بن محمد) عليهما السلام ورفضوه
فزعم أنهم رافضة وأنه هو الذي سماهم بهذا الاسم، ونصيب

(٨٨) مروج الذهب ج ٣ ص ٢٠٦.

(٨٩) الارشاد المفيد ص ٢٦٩.

(٩٠) ولقد اختصرنا القول في الزيدية لقصدنا اصدار كتاب مستقلا

أصحاب المغيرة إماماً وزعم أن الحسين بن علي أوصى اليه ثم أوصى اليه علي بن الحسين ثم زعم أن أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام وعلى آبائه السلام أوصى اليه فهو الامام الى أن يخرج المهدي وأنكروا إمامة أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام وقالوا لا إمامة في بني علي بن أبي طالب بعد أبي جعفر محمد بن علي وأن الامامة في (المغيرة بن سعيد) إلى خروج المهدي وهو عندهم (محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن) وهو حي لم يمت ولم يقتل فسموا هؤلاء (المغيرة) باسم المغيرة بن سعيد مولى خالد بن عبد الله القسري ثم ترقى الأمر بالمغيرة إلى أن زعم انه رسول نبي وأن جبرئيل يأتيه بالوحي من عند الله ، فأخذه خالد بن عبد الله القسري فسأله عن ذلك فأقر به ودعا خالداً اليه فاستتابه خالد فأبى أن يرجع عن قوله فقتله وصلبه وكان يدعى أنه يحيى الموتى وقال بالتناسخ وكذلك قول أصحابه إلى اليوم» (٩١).

وطائفة اعتقدت الإمامة لمحمد الباقر بن علي زين العابدين ، وقالوا إنه هو الإمام بعد أبيه بنص منه (٩٢).

وبعد وفاة محمد الباقر سنة أربعة عشرة بعد المائة اجتمعت الشيعة حول ابنه جعفر ، البقية الذين بقوا على إمامته لأن البعض منهم رجعوا ومالوا عن إمامته كما ذكر النوبختي :

وأما الذين ثبتوا على إمامة علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ، ثم لعلي بن الحسين عليه السلام ثم نزلوا إلى القول بإمامة أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين باقر العلم عليه السلام فأقاموا على إمامته الى أن توفي غير نفريسير منهم فانهم سمعوا رجلا منهم يقال له : «عمر بن رياح» زعم أنه سأل أبا جعفر عليه السلام عن مسألة

(٩١) فرق الشيعة للنوبختي ص ٨٢، ٨٣، ٨٤.

(٩٢) الكافي للكليني ج ١ ص ٣٠٤.

فأجابه فيها بجواب ثم عاد اليه في عام آخر فسأله عن تلك المسألة بعينها فأجابه فيها بخلاف الجواب الأول فقال لأبي جعفر هذا خلاف ما أجبته في هذه المسألة العام الماضي فقال له ان جوابنا ربها خرج على وجه التقية فشك في أمره وإمامته فلقى رجلاً من أصحاب أبي جعفر يقال له (محمد بن قيس) فقال له اني سألت أبا جعفر عن مسألة فأجابني فيها بجواب ثم سألته عنها في عام آخر فأجابني فيها بخلاف جوابه الأول فقلت له لم فعلت ذلك فقال فعلته للتقية وقد علم الله أني ما سألته عنها إلا وأنا صحيح العزم على التدين بما يفتينى به فلا وجه لاتقائه إياي وهذه حالي فقال له محمد بن قيس فلعله حضرك من اتقاه فقال له ما حضر مجلسه في واحدة من المسألتين غيري لا ولكن جوابيه جميعاً خرجا على وجه التبخيت ولم يحفظ ما أجاب به في العام الماضي فيجيب بمثله، فرجع عن إمامته وقال لا يكون إماماً من يفتي بالباطل على شيء بوجه من الوجوه ولا في حال من الأحوال ولا يكون إماماً من يفتي تقية بغير ما يجب عند الله ولا من يرخى ستره ويغلق بابه ولا يسع الإمام إلا الخروج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمال بسببه الى قول البترية ومال معه نفر يسير» (٩٣).

الشيعة أيام جعفر بن الباقر

وفي أيامه كمل التطور في التشيع والتغير الجذري والتبدل التام الذي شمل عامة الشيعة، والذي كان بلؤه بعد مقتل الحسين رضى الله عنه وعلى أيدي السبئية، فانهم استطاعوا بعد ستين سنة من قتله وبعد تسعين سنة من نشأتهم فصل طائفة من الناس عن المسلمين في معظم

المعتقدات وجل العقائد، الطائفة الكاملة التى تنسب إلى التشيع لعلى وأولاده رضى الله عنهم بجميع فرقها وطوائفها مع اختلاف القادة والزعماء واتجاهاتهم ومطامعهم، أغراضهم وأهدافهم، من حيث استغلوا النعمة المتوارثة والغضب الشديد المتنقل من الآباء إلى الأبناء من المحن والآلام والأوجاع نتيجة معارضة الحكام ومخالفة ولاية الأمور، والمقاتلة ضدهم والخروج عليهم والتشريد والتقتيل، زيادة على ذلك الدسائس والمؤامرات التى تدبر ويحكم نسيجها من وراء الأستار والتسميم الذهنى والفكرى، والاختلاط مع الشعوب الأجنبية بأفكارها وآرائها، المقهورة والمهزومة والمتغلبة عليها وعلى بلادها وأمورها، والمتورة على الولاة وعساكرها الغازية المنصورة وجيوشها المظفرة المتغلبة، ثم واجتماع الفرس والموالى من البابليين والعاشوريين والكلدانيين وغيرهم من أصحاب الحضارات القديمة والثقافات الراقية - حسب زعمهم - واحتياجهم إلى منظمة نائرة على الحكم والحكام والناقمة على كل ما صدر منهم أو يصدر من الآراء والأفكار وحتى العقائد والمعتقدات. هذه الأشياء كلها جعلت التشيع يتقلب فى قالب جديد، والشيعية تتكون كتلة مختلفة عن الحكام والأخذين بزمام الأمور اختلافا كاملا فى جميع ما يذهبون اليه ويعتقدون به، وتشهد على ذلك رواية مروية عن جعفر أنه قال إن كل حكم يخالف العامة يؤخذ به ويترك ما يوافقهم، فسأله سائل:

جعلت فداك، أرايت ان كان فقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنة، ووجدنا أحد الخبرين موافقا للغامة والآخر مخالفا لهم، بأى الخبرين يؤخذ؟

قال: ما خالف العامة فقيه الرشاد.

فقلت: جعلت فداك، فان وافقها الخبران جميعا؟

قال: ينظر إلى ما هم إليه أميل، حكامهم وقضاتهم فيترك ويؤخذ بالآخر^(٩٤).

فيجب أن يكون هناك خلافا ويجب أن تكون مخالفة ولو على حساب القرآن والسنة، ولو على حساب الدين والمذهب. ولما كانت الأفكار السبئية والعقائد المختلفة منهم تناوى الإسلام وتعاليمه، وكانت تلك العقائد والأفكار المختلفة المخترعة صادرة من الذين ادعوا التشيع لعللي فكان الأجدر والأليق أن تتبنى ويتمسك بها لأنها تخالف معتقدات العامة وصدرت من الذين انتحلوا حب علي ومودته.

وبدأ الشيعة يتجاهرون وبدأت الشيعة تصوغ وتصنع في ضوء العقائد السبئية المسائل والفتاوى في العبادات والمعاملات، وتشرع في العقائد والمعاملات، وتنسبها إلى أئمة أهل بيت علي رضي الله عنه لتأسيس مذهب جديد وتكوين دين مستقل، له تشريعه وفقهه، وأصوله وأسس، وقواعده وقوانينه، منفصلة عن الدين الذي جاء به محمد ﷺ وقدمه للبشر كافة، واعتنقه أول من اعتنق به أصحابه الأخيار ورفاقه الكرام البررة، ونقلوه عنه وتعاليمه التي أعطاهم إياهم من القرآن وإرشادات الرسول الناطق بالوحي. وصار التشيع قائما على أقاويل الرجال وأفعالهم سواء صدرت هذه الأقوال منهم أم لا، ولكنها تكفى بأنها نسبت إليهم، وإن عارضها أو ناقضها أي هذه الأقوال والأفعال قول وفعل ثابت عنهم قالوا: لم يكن هذا الا تقية: وإن خالفها الكتاب المنزل من السماء قالوا: إن الكتاب حصل فيه التغير والتبديل، وإن عارضتها السنة الثابتة قالوا: إنها لم تنقل الا عن المرتدين - عياذا بالله - لأن أصحاب الرسول كلهم ارتدوا بعده الا ثلاثة^(٩٥) قال القرآن مغير ومبدل،

(٩٤) الأصول من الكافي، كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث ج ١ ص ٦٨.

(٩٥) انظر لتفصيل ذلك كتابنا (الشيعة والسنة) و(الشيعة وأهل البيت) و(الشيعة والقرآن).

والحديث رواه كفرة مرتدون، فلا عبرة بهما. لأن القرآن والحديث يناصران العامة ونحن على خلاف ما يقوله العامة.

ولأجل ذلك نبه أولاد علي رضي الله عنه، الطيبون منهم، على كذب وافتراء هؤلاء المتحلين المدعين جهم كما روى عن جعفر بن الباقر - الإمام السادس المعصوم عند الشيعة - أنه قال:

لقد أمسينا وما أحد أعدى لنا ممن يتحل مودتنا» (٩٦).

وعنه أيضا أنه قال:

إننا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا، فيسقط صدقنا بكذبه عند الناس، كان رسول الله أصدق الناس لهجة وكان مسليمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين (ع) أصدق من برأ الله من بعد رسول الله، وكان الذي يكذب عليه من الكذب عبد الله بن سبأ لعنه الله، وكان أبو عبد الله الحسين بن علي (ع) قد ابتلى بالمختار، ثم ذكر أبو عبد الله الحارث الشامي والبنان فقال: كانا يكذبان على علي بن الحسين (ع)، ثم ذكر المغيرة بن سعيد وبزيعا والسري وأبا الخطاب ومعمرا وبشار الأشعري وحمة اليزيدي وضائب النهدي - أي أصحابه - فقال: لعنهم الله، أنا لا نخلو من كذاب يكذب علينا كفانا الله مؤنة كل كذاب وأذاقهم الله حر الحديد» (٩٧).

وعن حفيده علي الرضا - الإمام الثامن المعصوم حسب زعمهم - أنه قال: كان بنان يكذب على علي بن الحسين (ع) فأذاقه الله حر الحديد، وكان المغيرة بن سعيد يكذب على ابن جعفر (ع) فأذاقه الله حر الحديد، وكان محمد بن بشري يكذب على ابن الحسن علي بن موسى

(٩٦) رجال الكشي ص ٢٥٩ تحت ترجمة أبي الخطاب.

(٩٧) أيضا ص ٢٥٧، ٢٥٨.

الرضي (ع) فأذاقه الله حر الحديد، وكان أبو الخطاب يكذب على أبي عبد الله (ع) فأذاقه الله حر الحديد، والذي يكذب على محمد بن الفرات (٩٨).

وعن أبي جعفر محمد الباقر أنه قال :

لعن الله بنان البيان، وإن بنان لعنه الله كان يكذب على أبي، أشهد أن أبي كان عبدا صالحا» (٩٩).

وبدءوا يتبرءون منهم ويمنعون متبعيهم من الوقوع في شركهم وحبائلهم كما نقل الكشي عن جعفر أنه ذكر عنده جعفر بن واقد ونفر من أصحاب أبي الخطاب ف قيل : إنه صار اليهم يتردد وقال فيهم : وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله، قال هو الامام، فقال أبو عبد الله (ع) : لا والله لا يأويني وإياه سقف بيت أبدا، هم شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، والله ما صغر عظمة الله تصغيرهم شيئا قط، وإن عزيزا جال في صدره ما قالت اليهود فمحي الله اسمه من النبوة. والله لو أن عيسى أقربا قالت فيه النصارى لأورثه الله صمما إلى يوم القيامة، والله لو أقررت بما يقول في أهل الكوفة لأخذتني الأرض، وما أنا إلا عبد مملوك لا أقدر على ضر شيء ولا نفع شيء.

محمد بن مسعود قال : حدثني علي بن محمد قال : حدثني محمد بن أحمد بن يحيى عن محمد بن عيسى عن زكريا عن ابن مسكان عن قاسم الصيرفي قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : قوم يزعمون أنني لهم امام، والله ما أنا لهم بإمام، ما لهم لعنهم الله كلما سترت سترًا هتكوه هتك الله سترهم، أقول كذا يقولون إنما يعني كذا، أنا إمام من أطاعني» (١٠٠).

(٩٨) أيضا ص ٢٥٦.

(٩٩) رجال الكشي ص ٢٥٥.

(١٠٠) رجال الكشي ص ٢٥٤، ٢٥٥.

ولكن باءت الجهود المخلصة بالفشل وزادت الشيعة في غلوائهم
 وغيهم لكثرة ما وجد في ذلك الزمان من الكذابين ومن المنتحلين مؤدة
 أهل البيت والمدعين موالاتهم ومشايعتهم من أبى الخطاب وأبى البصير
 المرادى وزرارة بن أعين وجابر الجعفى ومغيرة بن سعيد والهشامين وأبى
 الجارود وغيرهم، فكثرت الآراء وتشعبت، وزادت الفرق وتفرقت،
 ذهب بعضها الى المذاهب البعيدة وزاد حتى على السبئية مؤسسي
 بنيانها وواضعى نواتها، وقربت البعض منها واحصرت على تلقى ما
 لقتته السبئية وألقته اليهم، وقلل الأخذ بعض منها وأكثر البعض، ولقد
 أقر بذلك مؤرخ شيعى حيث قال :

ولم يتمكن الصادق - في تلك الظروف القاسية التى ظهر فيها
 الزيدية - أن يناظرهم غالبا فى شىء من أمر الإمامة . لأنه كان يتكتم
 فيها، ويتقى ملوك عصره، ويحذر من وشاتهم وجواسيسهم الكثيرة، ومع
 تكتمه الشديد قد أحضره المنصور وقال له - قتلى الله إن لم أقتلك أتلحد
 فى سلطانى؟

فقال له الصادق (ع) : والله ما فعلت ولا أردت . وإن كان بلغك
 فمن كاذب» (١٠١).

فمن الذين اختلفوا أول الأمر على جعفر وأخذوا عليه فى حياته
 من ذكرهم النوبختى :

وأما الفرقة الأخرى من أصحاب أبى جعفر محمد بن علي عليه
 السلام فنزلت إلى القول بإمامة أبى عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام
 فلم تنزل ثابتة على إمامته أيام حياته غير نفر منهم يسير فانهم لما اشار
 جعفر بن محمد إلى إمامة ابنه اسمعيل ثم مات اسمعيل فى حياة أبيه

رجعوا عن إمامة جعفر وقالوا كذبنا ولم يكن إماماً لأن الأمام لا يكذب ولا يقول ما لا يكون وحكموا على جعفر انه قال ان الله عز وجل بداله في إمامة اسمعيل فأنكروا «البداء» والمشيئة من الله وقالوا هذا باطل لا يجوز ومالوا الى مقالة (البرية) ومقالة سليمان بن جرير وهو الذي قال لأصحابه بهذا السبب أن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقاتلين لا يظهرون معها من أئمتهم على كذب أبداً وهما القول بالبداء وإجازة التقية، فأما البداء فان أئمتهم لما أحلوا أنفسهم من شيعتهم محل الأنبياء من رعيتهما في العلم فيما كان ويكون والاخبار بما يكون في غد وقالوا لشيعتهم أنه سيكون في غد وفي غابر الأيام كذا وكذا فان جاء ذلك الشيء على ما قالوه قالوا لهم : ألم نعلمكم أن هذا يكون فنحن نعلم من قبل الله عز وجل ما علمته الأنبياء وبيننا وبين الله عز وجل مثل تلك الأسباب التي علمت بها الأنبياء عن الله ما علمت، وإن لم يكن ذلك الشيء الذي قالوا انه يكون على ما قالوا لشيعتهم بدا لله في ذلك بكونه، وأما التقية فانه لما كثرت على أئمتهم مسائل شيعتهم في الحلال والحرام وغير ذلك من صنوف أبواب الدين فأجابوا فيها وحفظ عنهم شيعتهم جواب ما سألوههم وكتبوه ودونوه ولم يحفظ أئمتهم تلك الأجوبة لتقادم العهد وتفاوت الأوقات لأن مسائلهم لم ترد في يوم واحد ولا في شهر واحد بل في سنين متباعدة وأشهر متباعدة وأوقات متفرقة فوقع في أيديهم في المسألة الواحدة عدة أجوبة مختلفة متضادة وفي مسائل مختلفة أجوبة متفقة، فلما وقفوا على ذلك منهم ردوا اليهم هذا الاختلاف والتخليط في جواباتهم وسألوههم عنه وانكروه عليهم فقالوا من أين هذا الاختلاف وكيف جاز ذلك؟ قالت لهم أئمتهم : إنما أجبنا بهذا للتقية ولنا أن نجيب بما أجبنا وكيف شئنا لأن ذلك الينا ونحن نعلم بما يصلحكم وما فيه

بقاؤكم وكف عدوكم عنا وعنكم ، فمتى يظهر من هؤلاء على كذب ومتى يعرف لهم حق من باطل ، فمال الى سليمان بن جرير هذا لهذا القول جماعة من أصحاب أبي جعفر وتركوا القول بإمامة جعفر عليه السلام» (١٠٢).

وهنا آخران من أهل البيت ادعيا الإمامة في حياة جعفر وهما عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي ، وهو الذي كان يقول : ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله مرتين» (١٠٣).

والذي قال عنه الأصفهاني الشيعي :

كان عبد الله بن الحسن بن الحسن شيخ بنى هاشم والمقدم فيهم ، وذا الكثير منهم فضلا ، وعلمًا وكرما» (١٠٤).

والثاني ابنه محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية ، هو الذي كتب فيه الأصفهاني الشيعي :

وكان محمد بن عبد الله بن الحسن من أفضل أهل بيته ، وأكبر أهل زمانه في زمانه ، في علمه بكتاب الله ، وحفظه له ، وفقهه في الدين ، وشجاعته ، وجوده ، وبأسه ، وكل أمر يجمل بمثله ، حتى لم يشك أحد أنه المهدي ، وشاع ذلك له في العامة ، وبإيعه رجال من بنى هاشم جميعا ، من آل أبي طالب ، وآل العباس ، وسائر بنى هاشم» (١٠٥).

وقد ذكر الكليني في (كافيه) ادعاءهما الإمامة زمن جعفر ودعوتها إياه إليهما حيث ذكر أن عبد الله بن الحسن دخل على جعفر بن الباقر وقال :

(١٠٢) فرق الشيعة للنوختي ص ٨٤ الى ٨٧.

(١٠٣) مقاتل الطالبين للأصفهاني ص ١٨١.

(١٠٤) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج ١ ص ٢٠٥ ، مقاتل ص ١٨٠.

(١٠٥) مقاتل ص ٢٣٣.

قد علمت جعلت فداك أن السن لى عليك وأن فى قومك من هو
سن منك ولكن الله عز وجل قد قدم لك فضلا ليس هو لأحد من قومك
وقد جئتكم معتمداً لما أعلم من برك، واعلم - فديتك - إنك إذا أجبته لم
يتخلف، عنى أحد من أصحابك ولم يختلف علي اثنين من قريش ولا
غيرهم، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إنك تجد غيرى أطوع لك
منى ولا حاجة لك فى، فوالله إنك لتعلم أنى أريد البادية أو أهم بها
فأثقل عنها، وأريد الحج فما أدركه إلا بعد كد وتعب ومشقة على نفسى،
فاطلب غيرى وسله ذلك ولا تعلمهم أنك جئتنى، فقال له: إن الناس
مادون أعناقهم إليك وإن أجبته لم يتخلف عني أحد ولك أن لا تكلف
قتالا ولا مكروها، قال: وهجم علينا ناس فدخلوا وقطعوا كلامنا، فقال
أبى: جعلت فداك ما تقول؟ فقال: نلتقى إن شاء الله، فقال: أليس
على ما أحب؟ فقال: على ما تحب إن شاء الله من إصلاحك... فقال
له أبو عبد الله عليه السلام: يا ابن عم إني أعينك بالله من التعرض لهذا
الأمر الذى أمسيت فيه؛ وإني لخائف عليك أن يكسبك شرا، فجرى
الكلام بينهما، حتى أفضى إلى ما لم يكن يريد وكان من قوله: بأى شيء
كان الحسين أحق بها من الحسن؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: رحم
الله الحسن ورحم الحسين وكيف ذكرت هذا؟ قال: لأن الحسين عليه
السلام كان ينبغي له إذا عدل أن يجعلها فى الأسن من ولد الحسن...
فقام أبى يجر ثوبه مغضبا فلحقه أبو عبد الله عليه السلام، فقال له:
أخبرك أنى سمعت عمك وهو خالك يذكر أنك وبنى أبيك
ستقتلون، فان أطعته ورأيت أن تدفع بالتي هى أحسن فافعل، فوالله
الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم الكبير المتعال
على خلقه لوددت أنى فديتك بولدى وبأحبهم الى بأحب أهل بيتى

الي، وما يعدلك عندى شىء، فلا ترى أئى غششتك، فخرج أبى من عنده مغضبا أسفا. . . ثم أتى محمد بن عبد الله بن حسن، فأخبر أن أباه وعمومته قتلوا - قتلهم أبو جعفر - إلا حسن بن جعفر وطباطبا وعلي بن إبراهيم وسليمان بن داود بن حسن وعبد الله بن داود، قال: فظهر محمد بن عبد الله عند ذلك ودعا الناس لبيعته، قال: فكنت ثالث ثلاثة بايعوه واستوثق الناس لبيعته ولم يختلف عليه قرشى ولا أنصارى ولا عربى، قال: وشاور عيسى بن زيد وكان من ثقاته وكان على شرطه، فشاوره فى البعثة إلى وجوه قومه، فقال له عيسى بن زيد: إن دعوتهم دعاء يسيراً لم يجيئك، أو تغلظ عليهم، فخلني وإياهم فقال له محمد: امض إلى من أردت منهم، فقال:

ابعث إلى رئيسهم وكبيرهم - يعنى أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام - فإنك إذا أغلظت عليه علموا جميعاً أنك ستمرهم على الطريق التى أمررت عليها أبا عبد الله عليه السلام، قال: فوالله ما لبثنا أن أتى أبابى عبد الله عليه السلام حتى أوقف بين يديه فقال له عيسى بن زيد: أسلم تسلم: فقال له عبد الله عليه السلام: أحدثت نبوة بعد محمد صلى الله عليه وآله؟ فقال له محمد: لا ولكن بايع تأمن على نفسك ومالك وولدك ولا تكلفن حرباً، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما فى حرب ولا قتال ولقد تقدمت إلى أبيك وحذرت الذى حاق به ولكن لا ينفع حذر من قدر، يا ابن أخى عليك بالشباب ودع عنك الشيوخ، فقال له محمد: ما أقرب ما بينى وبينك فى السن، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: إني لم أعازك ولم أجىء لأتقدم عليك فى الذى أنت فيه، فقال له محمد: لا والله لا بد من أن تباع، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما فى يا ابن أخى طلب ولا حرب وإني لأريد الخروج إلى البادية

فيصدين ذلك ويثقل علي حتى تكلمني في ذلك الأهل غير مرة، ولا بمنعني منه إلا الضعف، والله والرحم أن تدبر عنا ونشقى بك، فقال له : بأبا عبد الله قد والله مات أبو الدوانيق - يعنى أبا جعفر - فقال له أبو عبد الله عليه السلام : وما تصنع بي وقد مات ؟ قال : أريد الجمال بك، قال : ما إلى ما تريد السبيل ، لا والله مامات أبو الدوانيق إلا أن يكون مات موت النوم قال : والله لتبايعنى طائعاً أو مكرهاً ولا تحمد في بيعتك ، فأبى عليه إباء شديداً وأمر به إلى الحبس ، فقال له عيسى بن زيد : أما إن طرحناه في السجن وقد خرب السجن وليس عليه اليوم غلق ، خفنا أن يهرب منه ، فضحك أبو عبد الله عليه السلام ، ثم قال : لا حول ولا قوة لا بالله العلي العظيم أوتراك تسجنني ؟ قال : نعم والذي أكرم محمد صلى الله عليه وآله بالنبوة لأسجنتك ولأشدّدن عليك ، فقال عيسى بن زيد : احبسوه في المخبأ - وذلك دار ربطة اليوم - فقال له أبو عبد الله عليه السلام : أما والله إني سأقول ثم أصدّق ، فقال له عيسى بن زيد : لو كلمت لكسرت فمك ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : أما والله أكشف يا أزرق لكأني بك تطلب لنفسك جحراً تدخل فيه وما أنت في المذكورين عند اللقاء وإني لأظنك إذا صفق خلفك ، طرت مثل الهيق لنافر ، فنفر عليه محمد بانتهاز : احبسه وشدد عليه واغلظ عليه ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : أما والله لكأني بك خارجاً من سدة أشجع إلى طن السوادى وقد حمل عليك فارس معلم في يده طرّادة نصفها أبيض نصفها أسود ، على فرس كميّ أقرح فطعنك فلم يصنع فيك شيئاً ضربت خيشوم فرسه فطرخته وحمل عليك آخر خارج من زقاق آل أبي بهار الدثليين عليه غدירתان مضافورتان ، وقد خرجتا من تحت بيضة ، شير شعر الشاربين ، فهو والله صاحبك ، فلا رحم الله رمته ، فقال له

محمد: يا أبا عبد الله، حسبت فأخطأت وقام إليه السراقى بن سلق
الحوث، فدفع في ظهره حتى أدخل السجن واصطفى ما كان له من مال
وما كان لقومه ممن لم يخرج مع محمد^(١٠٦).

هذا ما حصل فى حياة جعفر بن الباقر من افتراق الشيعة ونحزبهم
بأحزاب مختلفة وتشعبهم فى فرق متعددة.

الشيعة بعد وفاة جعفر

وأما بعد وفاته سنة ثمان وأربعين ومائة حصل الاختلاف العظيم،
وافترق الشيعة الى فرق عديدة كثيرة، ولقد عدها الكاتب الشيعى
المشهور النوبختى. وهو الأوائل من كتب فى الفرق من القوم ست فرق،
فقال:

فلما توفى أبو عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام افترقت الشيعة
بعده ست فرق . . . ودفن فى القبر الذى دفن فيه أبوه وجده فى
البقيع . . . وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر وأمه
اسماء^(١٠٧) بنت عبد الرحمن بن أبى بكر^(١٠٨).

والفرق الستة التى عدها، الأولى منها:

الناووسية: وهى التى قالت إن جعفر بن محمد حي لم يمت ولا
يموت حتى يظهر ويلى أمر الناس وأنه هو المهدي، وزعموا أنهم رووا عنه
أنه قال: ان رأيتم رأسى قد أهوى عليكم من جبل فلا تصدقوه فأنو
صاحبكم وأنه قال لهم: ان جاءكم من يخبركم عنى أنه مرضنى وغسلنى
وكفنى فلا تصدقوه، فأنى صاحبكم صاحب السيف، وهذه الفرق

(١٠٦) الأصول من الكافى، كتاب الحجة ج ١ ص ٣٥٨ وما بعد.

(١٠٧) وعلى ذلك كان يقول: لقد ولدنى أبو بكر مرتين (كشف الغمة للأربلى الشيعى ج ٢

ص ١٦١.

(١٠٨) فرق الشيعة للنوبختى ص ٧٨.

تسمى الناوسية وسميت بذلك لرئيس لهم من أهل البصرة يقال له :
فلان بن فلان الناوس» (١٠٩).

وزعم قوم أن الذي يتبدى للناس لم يكن جعفرا، وإنما تصور
الناس في تلك الصورة، وانضم الى هذه الفرقة قوم من السبئية فزعموا
جميعا أن جعفرا كان عالما بجميع معالم الدين من العقلية والشرعية،
فاذا قيل للواحد منهم : ما تقول في القرآن أو في الرؤية أو في غير ذلك من
أصول الدين أو في فروعه؟ يقول : أقول فيها ما كان يقوله جعفر
الصادق، يقلدونه» (١١٠).

هذا ما حصل في حياة جعفر بن الباقر من افتراق الشيعة وتخزيم
بأحزاب مختلفة وتشعبهم في فرق متعددة.

والفرقة الثانية : السمطية أو الشميطية : وهم القائلون إن الإمام
بعد جعفر بن محمد ابنه محمد بن جعفر، وذلك لأن أباه جعفر وصي له في
صباه، وكان يقول : إنه يشبه أبي محمد الباقر وجدى رسول الله، فجعل
هؤلاء الإمامة في محمد بن جعفر وولده من بعده.

وهذه الفرقة تسمى السمطية وتنسب الى يحيى بن أبي السميط أو
بى الشميط» (١١١).

والجدير بالذكر أن محمد بن جعفر هذا خرج أيام المأمون، ودعا
لناس الى نفسه :

وبايع له أهل المدينة بامرة المؤمنين» (١١٢).

(١٠٩) أيضا ص ٨٧، ٨٨.

(١١٠) الفرق بين الفرق ص ٦١، مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٩٧، اعتقادات فرق المسلمين
ركن للرازي ص ٥٣، الملل والنحل للشهرستاني ج ٢ ص ٣٠٢، الحور العين ص ١٦٢، التبصير
مفرائني ص ٤٠، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج ٤ ص ١٨٠، الخطط للمقريزي
ص ١٧٤.

(١١١) انظر فرق الشيعة ص ٩٨، مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٩٩، الفرق بين الفرق
٦٢، ٦١، اعتقادات للرازي ص ٥٤، التبصير ص ٤١، الحور العين ص ١٦٣، الملل لابن حزم
ص ٣.

(١١٢) مقاتل للاصفهاني ص ٣٥٧، الارشاد ص ١١٤، تاريخ بغداد ج ٢ ص ١١٤.

فحصلت بينه وبين جيوش المأمون بقيادة هارون بن المسيب معارك عديدة.

ثم وجه اليه هارون خيلا فحاصرت في موضعه، لأنه كان موضعا حصينا لا يوصل اليه، فلما بقوا في الموضع ثلاثا ونفذ زادهم وماؤهم، جعل أصحابه يتفرون ويتسللون يمينا وشمالا، فلما رأى ذلك لبس بردا ونعلا، وصار الى مضرب هارون فدخل اليه وسأله الأمان لأصحابه، ففعل هارون ذلك» (١١٣).

وذكر المفيد بأنه كان يرى رأى الزيدية في الخروج بالسيف، ولذلك اتبعه كثير من الزيدية الجارودية (١١٤).

والفرقة الثالثة: الفطحية: فلقد ذكرها الكشي تحت عنوان الفطحية بقوله:

هم القائلون بإمامة عبد الله بن جعفر بن محمد، وسموا بذلك لأن قيل إنه كان أقطع الرأس، وقال بعضهم: كان أقطع الرجلين وقال بعضهم: إنهم نسبوا الى رئيس من أهل الكوفة يقال له: عبد الله بن فطيح، والذين قالوا بإمامته عامة مشائخ العصابة وفقهائها، مالوا الى هذه المقالة فدخلت عليهم الشبهة لما روى عنهم عليهم السلام أنهم قالوا: الإمامة في الأكبر من ولد الإمام إذا مضى إمام... ثم إن عبد الله مات بعد أبيه بسبعين يوما، فرجع الباقيون إلا شاذًا منهم عن القول بإمامته إلى القول بإمامة أبي الحسن موسى (ع) ورجعوا الى الخبر الذي روى: إن الإمامة لا يكون في الأخوين بعد الحسن والحسين (ع)» (١١٥).

وذكر مثل هذا التوخي الشيعي وزاد:

ومال الى هذه الفرقة جل مشائخ الشيعة وفقهائها، ولم يشكوا في

(١١٣) مقاتل ص ٥٤٠، الارشاد ص ٢٨٦.

(١١٤) الارشاد للمفيد ص ٢٨٦.

(١١٥) رجال الكشي ص ٢١٩.

أن الإمامة في محمد بن جعفر وفي ولده من بعده، فمات عبد الله ولم يخلف ذكره» (١١٦).

وأما المفيد فقال :

وكان عبد الله بن جعفر أكبر إخوته بعد إسماعيل ولم يكن منزلته عند أبيه كمنزلة غيره من ولده في الإكرام، وكان متبها بالخلاف على أبيه في الاعتقاد ويقال أنه كان يخالط الحشوية ويميل إلى مذهب المرجئة، وادعى بعد أبيه الإمامة واحتج بأنه أكبر إخوته الباقين، فاتبعه على قوله جماعة من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام، ثم رجع أكثرهم بعد ذلك إلى القول بإمامة أخيه موسى عليه السلام لما تبينوا ضعف دعواه وقوة أمر أبي الحسن (ع) ودلالة حقه وبراهين إمامته وأقام نفر يسير منهم على أمرهم، ودانوا بإمامة عبد الله بن جعفر، الطائفة الملقبة بالفطحية» (١١٧).

وقد ذكرهم الأربلي أيضا في كشف الغمة (١١٨).

ويسمون العمارية أيضا كما ذكره الأشعري في (مقالات الاسلاميين) نسبة إلى رئيس لهم يعرف بعمار (١١٩).

والجدير بالذكر أن الشيعة يروون روايات عن أئمتهم المعصومين حسب زعمهم بأن الإمامة في أكبر الأبناء كما روى الكليني :

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : ان الأمر في الكبير ما لم تكن به عاهة» (١٢٠).

وبذلك استدلل على إمامته واحتج بأنه أكبر الاخوة الباقين فاتبعه

(١١٦) فرق الشيعة للنوبختي ص ٩٩.

(١١٧) الارشاد ص ٢٨٥، ٢٨٦.

(١١٨) ج ٢ ص ٣٩٣.

(١١٩) ج ١ ص ٩٩.

(١٢٠) كتاب الحجّة من الكافي في الاصول ج ١ ص ٣٥٧.

على قوله جماعة من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام» (١٢١).

ثم ومع هذا كيف يعدلون عنه ولم يكن به عاهة؟

اللهم الا أنهم يذكرون أنه كان يخالف أباه في العقائد (١٢٢).

ونريد أن نلفت الأنظار الى أن ابن جعفر الآخر وهو محمد أيضا كان منكرا لإمامة أبيه جعفر ومخالفا لأفكاره وآرائه كما ذكره الطبرسي والمفيد (١٢٣).

والفرقة الرابعة: الذين قالوا بإمامة موسى بن جعفر - وأنكروا

إمامة عبد الله وخطوؤه في فعله وجلسه مجلس أبيه وادعائه الإمامة (١٢٤).

فسنذكر تفاصيل واختلافات هؤلاء فيما بعد تحت أيام موسى الملقب بالكاظم.

الإسماعيلية

وأما الفرقة الخامسة والسادسة التي حدثت ونشأت من بين الشيعة فهي الإسماعيلية فأولا نذكرهم من الشيعة أنفسهم، فيقول النوبختي:

وفرقة زعمت أن الامام بعد جعفر بن محمد ابنه اسماعيل بن

جعفر، وأنكرت موت اسماعيل في حياة أبيه وقالوا: كان ذلك على جهة

التليس من أبيه على الناس لأنه خاف فغيبه عنهم، وزعموا أن إسماعيل

لا يموت حتى يملك الأرض يقوم بأمر الناس وأنه هو القائم لأن أباه أشار

إليه بالإمامة بعده وقلدهم ذلك له وأخبرهم أنه صاحبه، والإمام لا يقول

الا الحق، فلما ظهر موته علمنا أنه قد صدق وأنه القائم وأنه لم يمت،

(١٢١) الإرشاد للمفيد ص ٢٨٥.

(١٢٢) كشف الغمة للأربلي ج ٢ ص ٣٩٣.

(١٢٣) انظر اعلام الورى ص ٢٩١، الإرشاد للمفيد ص ٢٨٦.

(١٢٤) فرق الشيعة للنوبختي ص ١٠٠.

وهذه الفرقة هي الاسماعيلية الخالصة (١٢٥).

ثم لهم فرق كثيرة نذكر بعضها بالاختصار، فذكر المفيد تحت عنوان: أولاد أبي عبد الله عليه السلام وعددهم وأسماؤهم وطرف من اخبارهم:

وكان إسماعيل أكبر الاخوة وكان أبو عبد الله عليه السلام شديد لمحبة له والبر به والاشفاق عليه وكان قوم من الشيعة يظنون انه القائم بعد أبيه والخليفة له من بعده إذ كان أكبر إخوته سناً وليل أبيه اليه لإكرامه له فمات في حياة أبيه عليه السلام بالعريض وحمل على رقاب رجال الى أبيه بالمدينة حتى دفن بالبقيع.

وروى أن أبا عبد الله عليه السلام جزع عليه جزعاً شديداً، حزن عليه حزناً عظيماً وتقدم سريره بغير حذاء ولا رداء وأمر بوضع سريره على الأرض قبل دفنه مراراً كثيرة وكان يكشف عن وجهه وينظر اليه يريد بذلك تحقيق أمر وفاته عند الطائين خلافة له من بعده وإزالة لشبهة عنهم في حياته.

ولما مات إسماعيل (رحمه الله) انصرف عن القول بإمامته بعد أبيه من كان يظن ذلك فيعتقدده من أصحاب أبيه وأقام على حياته شريعة لم يكن من خاصة أبيه ولا من الرواة عنه وكانوا من الأبعد والأطراف.

فلما مات الصادق عليه السلام انتقل فريق منهم إلى القول بإمامة موسى بن جعفر عليه السلام وافترق الباقيون فريقين فريق منهم رجعوا من حياة إسماعيل وقالوا بإمامة ابنه محمد بن إسماعيل لظنهم ان الإمامة نانت في أبيه وأن الابن أحق بمقام الإمامة من الأخ.

وفريق ثبتوا على حياة إسماعيل وهم اليوم شذاذ لا يعرف منهم

أحد يومى اليه ، وهذان الفريقان يسميان بالإسماعيلية والمعروف منه الآن من يزعم أن الإمامة بعد إسماعيل فى ولده وولد ولده الى آخر الزمان» (١٢٦).

وذكر مثل ذلك فى كتب الشيعة الأخرى مثل (شرح ابن أبى الحديد) و(أعيان الشيعة) و(الشيعة فى التاريخ). ولقد ذكر الإسماعيلية من السنة كل من الأشعرى والبغدادى والأسفرائينى والرازى والشهرستانى وغيرهم من المتقدمين ، كما ذكره كثير من المتأخرين السنة ولكن نذكر ما ذكره ابن خلدون ، فيقول : فأما الإسماعيلية فقالوا بإمامة إسماعيل الإمام بالنص من أبى جعفر ، وفائدة النص عليه عندهم وإن كان قد مات قبل أبىه إنما هو بقا الإمامة فى عقبه كقصة هارون مع موسى صلوات الله عليهما قالوا : ثم انتقلت الإمامة من إسماعيل إلى ابنه محمد المكتوم وهو أول الأئمة المستورين ، لأن الإمام عندهم قد لا يكون له شوكة فيستر وتكون دعاة ظاهرين إقامة للحجة على الخلق ، وإذا كانت له شوكة ظهر وأظه دعوته ، قالوا : وبعد محمد المكتوم ابنه جعفر الصادق وبعده ابنه محمد الحبيب وهو آخر المستورين وبعده ابنه عبد الله المهدي الذى أظهر دعوا أبو عبد الله الشيعى فى كتامة وتتابع الناس على دعوته ثم أخرجه م معتقله بسجلماسة وملك القيروان والمغرب وملك بنوه من بعد مصر م هو معروف فى أخبارهم ، ويسمى هؤلاء نسبة إلى القول بإمام إسماعيل ويسمون أيضا بالباطنية نسبة إلى قولهم بالإمام الباطن أ المستور ، ويسمون أيضا الملحدة لما فى ضمن مقالاتهم من الإلحاد ، وله مقالات قديمة ومقالات جديدة دعا إليها الحسن بن محمد الصباح

آخر المائة الخامسة وملك حصونا بالشام والعراق ولم تزل دعوته فيها إلى أن توزعها الهلاك بين ملوك الترك بمصر وملوك التتر بالعراق» (١٢٧).
وذكرهم الشهرستاني بقوله :

الإسماعيلية قالوا : إن الإمام بعد جعفر إسماعيل نصا عليه باتفاق من أولاده إلا أنهم اختلفوا في موته في حال حياة أبيه ، فمنهم من قال : لم يمت إلا أنه أظهر موته تقية من خلفاء بني العباس ، وعقد محضرا وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة . ومنهم من قال : الموت صحيح ، والنص لا يرجع القهقري . والفائدة في النص بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيره ، فالإمام بعد إسماعيل محمد بن إسماعيل ، وهؤلاء يقال لهم : المباركية ، ثم منهم من وقف على محمد بن إسماعيل وقال برجعته بعد غيبته ، ومنهم من ساق الإمامة في المستورين منهم ، ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم» (١٢٨).

ثم ساق أدلتهم لإثباتهم إمامة إسماعيل بن جعفر بقوله :
إسماعيل بن جعفر وهو ابنه الأكبر المنصوص في بدء الأمر ، قالوا : لم يتزوج الصادق على أمه بواحدة من النساء ولا اشترى جارية كسنة رسول الله في حق خديجة وكسنة علي في حق فاطمة ، وذكرنا اختلافهم في موته في حال حياة أبيه ، فمنهم من قال : إنه مات ، وإنما فائد النص عليه انتقال الإمامة منه إلى أولاده خاصة كا نص موسى الى هارون عليهما السلام ، ثم مات هارون في حال حياة أخيه ، وإنما فائدة النص انتقال الإمامة منه الى أولاده فإن النص لا يرجع القهقري والقول بالبدأ محال ، ولا ينص الإمام على واحد من ولده إلا بعد السماع من آبائه ، والتعيين لا يجوز على الإبهام والجهالة .

(١٢٧) مقدمة ابن خلدون ص ٢٠١ .

(١٢٨) الملل والنحل للشهرستاني ج ٢ ص ٥ .

وممنهم من قال : إنه لم يمت لكن أظهر موته تقية عليه حتى لا يقصد بالقتل ، ولهذا القول دلالات : منها أن محمد كان صغيرا وهو أخوه لأمه مضى الى السرير الذى كان إسماعيل نائما عليه وزفع الملاء فأبصره وهو قد فتح عينه وعدا الى أبيه مفزعا وقال : عاش أخى عاش أخى ، قال والده : إن أولاد الرسول كذا يكون حالهم فى الآخرة قالوا : وما السبب فى الإشهاد على موته ؟ . وعن هذا لما رفع إلى المنصور أن إسماعيل بن جعفر رؤى بالبصرة مر على مقعد فدعى فبرىء باذن الله بعث المنصور الى الصادق أن إسماعيل فى الاحياء ، وانه رؤى بالبصرة ؟ أنفذ السجل إليه وعليه شهادة عامله بالمدينة .

قالوا : وبعد إسماعيل محمد بن إسماعيل السابع التام ، وإنما تم دور السبعة به ، ثم ابتدئ منه بالأئمة المستورين الذين كانوا يسرون فى البلاد ويظهرون الدعاة جهرا ، قالوا : ولن تخلو الأرض قط من إمام حي ، إما ظاهر مكشوف وإما باطن مستور ، فإذا كان الإمام ظاهرا يجوز أن يكون حجته مستورة ، وإذا كان الإمام مستورا فلا بد أن يكون حجته ودعائه ظاهرين ، وقالوا : إنما الأئمة تدور أحكامهم على سبعة كأيام الأسبوع والسموات السبع والكواكب السبع ، والنقباء تدور أحكامهم على اثنى عشر ، قالوا : وعن هذا وقعت الشبهة للإمامية القطعية حيث قرروا عدد النقباء للأئمة ، ثم بعد الأئمة المستورين كان ظاهر المهدي والقائم بأمر الله وأولادهم نصا بعد نص على إمام بعد إمام . ومذهبهم أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ، وكذلك من مات ولم يكن فى عنقه بيعة إمام مات ميتة جاهلية . . . وأشهر ألقابهم الباطنية ، وانما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا ، ولكل تنزيلا تأويلا ، ولهم ألقاب غير هذا من القرامطة والمزدكية والملحدة ، وهم

يقولون : نحن اسماعيلية لأننا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم . . . ثم أصحاب الدعوة الجديدة تنكبوا هذه الطريقة حين أظهر الحسن بن الصباح دعوته وقصر عن الالتزامات كلمته واستظهر بالرجال وتحصن بالقلاع ، وكان بدؤ صعوده الى قلعة ألموت في شعبان سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة وذلك بعد أن هاجر الى بلاد إمامه وتلقى منه كيفية الدعوة لأبناء زمانه ، فعاد ودعا الناس أول دعوة الى تعيين إمام صادق قائم في كل زمان وتميز الفرقة الناجية من سائر الفرق بهذه النكته وهو أن لهم إماما وليس لغيرهم إمام» (١٢٩) .

القرامطة

وتفرعت على الاسماعيلية فرق عديدة ، المشهور منها : القرامطة المنسوبون إلى حمدان الأشعث المعروف بقرمط لقصر قامته ورجليه وتقارب خطوه ، في سنة أربع وستين ومائتين ٢٦٤ هـ ، وكان ظهوره بسواد الكوفة ، فاشتهر مذهبه بالعراق ، وقام ببلاد الشام صاحب الحال ، والمدثر المطوق ، وقام أبو سعيد الجنابي بالبحرين ، وعظمت دولته ودولة بنيه حتى أوقعوا بعساكر الخلفاء العباسيين ، وغزوا بغداد والشام ومصر والحجاز ، وانتشرت دعائهم بأقطار الأرض .

فدخل جماعة من الناس في دعوتهم ، ومالوا إلى قولهم الذي سموه علم الباطن وهو تأويل شرائع الاسلام ، وصرفها عن ظواهرها الى أمور زعموها من عند أنفسهم ، فضلوا وأضلوا عالما كثيرا .

وقيل غير ذلك في تاريخ ظهور حمدان هذا وفي تسميته بقرمط ، يقول الوطواط «ظهر في أيام خلافة المعتمد سنة ٢٧٨ هـ من سواد الكوفة

رجل أحمر العينين يسمى كرميته ، فاستثقلوا هذه اللفظة فخففوها وقالوا قرمط ، ثم ذكر أنواع تعاليمه وبدعه الفاسدة ، وذكر أن المعز الفاطمي وقائده جوهر قد حاربوا القرامطة حروباً دامية سنة ٣٦٢هـ .

ويقول ابن خلكان «والقرامطة نسبتهم إلى رجل من سواد الكوفة يقال له قرمط بكسر القاف ، ولهم مذهب مدموم ، وكانوا قد ظهروا في سنة ٢٨١هـ في خلافة المعتضد ، وقيل كان ظهورهم في سنة ٢٧٨هـ . ويرى أبو الفداء «أن ظهورهم كان في هذه السنة أى سنة ٢٧٨هـ في سواد الكوفة ، وأن الرجل الذي دعاهم إلى مذهبه كان شيخاً وقد تمرض بقرية من سواد الكوفة ، فحمله رجل من أهل القرية يقال له كرميته لحمرة عينيه وهو بالنبطية اسم لحمرة العين . فلما تعافى الشيخ المذكور سمي باسم ذلك الرجل الذي آواه ومرضه . ثم خفف فقالوا قرمط بكسر القاف . ودعا قوماً من أهل البادية ممن ليس لهم دين ولا عقل إلى دينه ، فأجابوه» .

ولا يهمننا أكان الرجل الذي دعا القرامطة هو نفس الرجل المسمى بقرمط أو غيره ولكنه سمي باسم قرمط؟ وإنما يهمننا أن نعرف تاريخ ظهورهم في أي سنة كان ، لنعرف أكان في زمن الأئمة من أهل البيت أم لا؟ وقد رأيت اختلاف الروايات في تحديد زمان ظهورهم . والأرجح أنه كان في سنة ٢٧٨هـ أى بعد انقضاء زمن الأئمة الميامين وفي أثناء الغيبة الصغرى للامام الثاني عشر (١٣٠) .

وقد ذكرهم الأشعري بقوله :

القرامطة يزعمون أن النبي ﷺ نص على بن أبي طالب ، وأن علياً نص على إمامة ابنه الحسن ، وأن الحسن بن علي نص على

إمامة أخيه الحسين بن علي ، وأن الحسين بن علي نص على إمامة ابنه علي بن الحسين ، وأن علي بن الحسين نص على إمامة ابنه محمد بن علي ، ونص محمد بن علي على إمامة ابنه جعفر ، ونص جعفر على إمامة ابنه محمد بن اسماعيل ، وزعموا أن محمد بن اسماعيل حي الى اليوم ، لم يمت ، ولا يموت حتى يملك الأرض ، وأنه هو المهدي الذي تقدمت البشارة به ، واحتجت في ذلك بأخبار رويها عن أسلافهم ، يخبرون فيها أن سابع الأئمة قائمهم» (١٣١).

كما ذكرهم الآخرون :

ومنها المباركية وغيرها ، والموجود المشهور منها فرق ثلاثة :
 الأغاخانية أو النزارية أتباع آغاخان ، والبهرة أو المستعلية والسليمانية .
 ولكل واحدة منها عقائد وآراء متفقة في بعضها ومختلفة في البعض الآخرى منها ، ولنا ، فيهم ، في جميع فرقهم وعقائدهم ، آرائهم وأفكارهم والاسس التي قام عليها معتقداتهم ، وفي تاريخهم وفي بداية أمرهم كلام مستقل طويل ناقشنا فيه آراء المستشرقين والكتاب المصريين والاسماعيليين ، السوريين منها والهنديين ، وفندنا بعض الآراء التي ابتنوها عن هؤلاء القوم وأثبتنا أخطاءهم الفاحشة ، التاريخية منها والعقائدية ، كما أوردنا في بحثنا ذاك معلومات جديدة حقيقية عن معتقدات القوم الأصلية من كتبهم العتيقة القديمة ، المخطوطة منها والمطبوعة ، وأثبتنا فيه جهالات كثيرة للأسماء الكبيرة وللأشخاص المشهورة المعروفة وحتى من يتربع على زعامة الاسماعيلية ويدعى أنه من أكابرها . وهذا في كتاب مستقل (١٣٢) ولأجل ذلك تجنبنا إطالة القول في

(١٣١) مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٩٨ .

(١٣٢) وسيصدر هذا الكتاب عما قريب ان شاء الله بعد صدور هذا الكتاب ، وكنا ننوي اصداره قبل هذا حيث كنا قد جمعنا كل شيء عن الاسماعيلية ولكننا تأخرنا بعدما سمعنا بوجود بعض المخطوطات الأخرى التي لم نحصل عليها حتى الآن ، فأردنا أن لا ينقصنا شيء من ذلك ، ويكون

كتابنا هذا عنهم وعقائدهم ، واكتفينا بنقل الأقوال وسرد العبارات عمن كتب في الفرق من الشيعة والسنة كيلا نخرج عن أصل الموضوع ولا يطول بنا الحديث .

الدروز

ومن الفرق التي تفرعت وخرجت من الاسماعيلية ، ومنها أخذت أفكارها وعقائدها طائفة الدروز ، وكانت نشأتها أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي الذي تولى ملك مصر بعد وفاة أبيه سنة ٣٨٦ وكان عمره آنذاك أحد عشر عاما ، واستقل به سنة ٣٩٠ بعد قتل أحد الأوصياء عليه (١٣٣) .

فاستغل صغر عمره وطموحه وشذوذه في المأكل والمشرب والسكن والقيام والهالة المقدسة التي كانت تحيطه بعض دعاة الاسماعيلية الملاحدة مرسلوا الفرس والمجوس ، فأحاطوا به وزينوا له فكرة ألوهيته وبوبيته ، وكان من أبرزهم حمزة بن علي احمد الزوزني ومحمد بن اسماعيل الدرزي والحسن بن حيدرة الفرغاني وغيرهم المشهور بالأخرم أو الأجدع (١٣٤) . فذهبوا شأوا بعيدا في الانحراف والانحلال ، ويقول المؤرخون : إن بداية الدعوة الى الوهية الحاكم كانت سنة ٤٠٨ (١٣٥) .

ومن أهم عقائدهم ألوهية الحاكم كما ورد في مصحف الدروز ميثاق للدروزيين أن يقولوا : آمنت بالله ، ربي الحاكم ، العلي الأعلى ،

البحث كاملا شاملا وجامعا مانعا قدر الاستطاعة وما ذلك على الله بعزيز .
واننا نلرى بأن هذا الكتاب سيثير ضجة كبرى في الأوساط العلمية العالمية حيث اكتشفنا فيه بعض الحقائق المستورة التي لم يهتد اليها من اشتهر وعرف في العالم بتخصصه من المستشرقين والمصريين ، وحتى من الاسماعيلية أنفسهم ، كما كشفنا فيه النقاب عن بعض البديهييات التي خفيت على هؤلاء الفئة من الناس . فهناك وفيه الملتقى ان شاء الله بالتفصيل .

(١٣٣) انظر سبط النجوم العوالي ج ٢ ص ٤١٤ .

(١٣٤) انظر طائفة الدروز لمحمد كامل حسين ص ٧٥ .

(١٣٥) أضواء على العقيدة الدرزية لأحمد فوزان ، طائفة الدروز لمحمد كامل حسين .

رب المشرقين، ورب المغربين، واله الأصليين والفرعين، منشئ الناطق والأساس، مظهر الصورة الكاملة بنوره، الذي على العرش استوى، وهو بالأفق الأعلى، ثم دنا فتدلى، وآمنت به، وهورب الرجعى، وله الأولى والآخرة، وهو الظاهر والباطن.

وآمنت بأولي العزم من الرسل، ذوي مشارق التجلي المبارك حولها وبحاملي العرش الثمانية، وبجميع الحدود، وأومن عاملا قائما بكل أمر ومنع ينزل من لدن مولانا الحاكم، وقد سلمت نفسي وذاتي وذواتي، ظاهرا وباطنا، علما وعملا، وأن أجاهد في سبيل مولانا، سرا وجهرا، بنفسي ومالي وولدي وما ملكت يداي، قولاً وعملاً، وأشهدت على هذا الاقرار جميع ما خلق بمشارقي ومات بمغاربي.

وقد التزمت وأوجبت على هذا نفسي وروحي بصحة من عقلي وعقيدتي، واني أقرب هذا، غير مكروه أو منافق، واني أشهد مولاي الحق الحاكم، من هو في السماء اله وفي الأرض اله، وأشهد مولاي هادي المستجيبين، المنتقم من المشركين المرتدين، حمزة بن علي بن أحمد، من به أشرقت الشمس الأزلية، ونطقت فيه وله سحب الفضل: انني قد برئت وخرجت من جميع الأديان والمذاهب والمقالات والاعتقادات قديمها وحديثها، وآمنت بما أمر به مولانا الحاكم الذي لا أشرك في عبادته أحدا في جميع أدواري» (١٣٦).

ومن عقائدهم: التناسخ والحلول:

كلما مات انسان انتقلت روحه لمولود جديد (١٣٧).

كما أن من أهم عقائدهم الغيبة والرجعة، ويقولون بأن الحاكم بأمر الله غاب عن الأبصار، وسيرجع في آخر الزمان وسيحل عند الركن

(١٣٦) مصحف الدروز: عرف العهد والميثاق ص ١٠٨، ١٠٩.

(١٣٧) الدروز والثورة السورية لكريم ثاقب ص ٣٤.

اليمانى من الكعبة.

وغيره من العقائد المشتركة بينهم وبين الشيعة، ولقد ذكرهم شيخ الاسلام ابن تيمية، هؤلاء والنصيرية، فى جواب سائل سأله:

الدرزية هم أتباع هشتكين الدرزى، وكان من موالى الحاكم أرسله الى أهل وادى تيم الله بن ثعلبة، فدعاهم الى إلهية الحاكم، ويسمونه البارى، العلام، ويخلفون به، وهم من الإسماعيلية القائلين بأن محمد بن اسماعيل نسخ شريعة محمد بن عبد الله، وهم أعظم كفرا من الغالية، يقولون بقدم العالم، وإنكار المعاد، وإنكار واجبات الاسلام ومحرماته، وهم من القرامطة الباطنية الذين هم أكفر من اليهود والنصارى ومشركى العرب، وغايتهم أن يكونوا فلاسفة على مذهب أرسطو وأمثاله، أو مجوسا. وقولهم مركب من قول الفلاسفة والمجوس، ويظهرون التشيع نفاقا. والله أعلم.

فقال شيخ الاسلام ردا عليه: كفر هؤلاء مما لا يختلف فيه المسلمون، بل من شك فى كفرهم فهو كافر مثلهم، لاهم بمنزلة أهل الكتاب ولا المشركين، بل هم الكفرة الضالون، فلا يباح أكل طعامهم، وتسبى نساؤهم، وتؤخذ أموالهم. فانهم زنادقة مرتدين لا تقبل توبتهم، بل يقتلون أينما ثقفوا، ويلعنون كما وصفوا، ولا يجوز استخدامهم للحراسة والبوابة والحفاظ، ويجب قتل علمائهم وصلحائهم لثلا يضلوا غيره، ويحرم النوم معهم فى بيوتهم، ورفقتهم، والمشى معهم، وتشيع جنازتهم اذا علم رثاها. ويحرم على ولاية أمور المسلمين إضاعة ما أمر الله من إقامة الحدود عليهم بأى شىء يراه المقيم المقام عليه» (١٣٨).

فهذه هى الفرق التى افرقت وحدثت ونشأت بعد موت جعفر بن

الباقر، وتفرقت آراؤهم واختلفت أقوالهم مع اتفاقهم على توارث الأفكار السبئية.

فرق الشيعة أيام موسى الكاظم

ثم الذين قالوا بإمامة موسى بن جعفر أيضا تفرقوا الى فرق عديدة، في حياته وبعد مماته. كما ذكر النوبختي الشيعي:

ثم ان جماعة من المؤمنين بموسى بن جعفر لم يختلفوا في أمره فثبتوا على إمامته إلى حبسه في المرة الثانية، ثم اختلفوا في أمره فشكوا في إمامته عند حبسه في المرة الثانية التي مات فيها في حبس الرشيد فصاروا خمس فرق» (١٣٩).

وذلك في سنة ثلاث وثمانين ومائة.

فالفرقة الاولى قالت:

انه مات في حبس السندی بن شاهك وان يحيى بن خالد البرمكى سمه في رطب وعنب بعثهما اليه فقتله، وإن الإمام بعد موسى على بن موسى الرضا فسميت هذه الفرقة القطعية، لأنها قطعت على وفاة موسى بن جعفر وعلى إمامة عليّ ابنه بعده ولم تشك في أمرها، ولا ارتابت ومضت على المنهاج الأول.

وقالت الفرقة الثانية: ان موسى بن جعفر لم يمّت وانه حى ولا يموت حتى يملك شرق الأرض وغربها ويملاها كلها عدلا كما ملئت جورا وأنه القائم المهدي. وزعموا أنه خرج من الحبس ولم يره أحد نهرا ولم يعلم به، وأن السلطان وأصحابه ادعوا موته وموهوا على الناس وكذبوا، وأنه غاب عن الناس واختفى. ورووا في ذلك روايات عن أبيه

جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال : هو القائم المخمبها فان يدهده رأسه عليكم من جبل فلا تصدقوا فانه القائم» (١٤٠).

وسميت هذه الفرقة بالموسوية لانتظارها موسى بن جعفر» (١٤١).
كما تسمى المفضلية :

لأنهم نسبوا الى رئيس لهم يقال له المفضل بن عمر، وكان ذا قدر فيهم (١٤٢).

ويقال لهم الممطورة :

لأنهم لما أظهروا هذه المقالة قال لهم قوم : والله ما أنتم الا كلاب ممطورة يعنى أنهم من الكلاب المبتلة بالمطر من غاية ركافة هذه المقالة (١٤٣).

ولأن الناس يطردونهم ويتحرزون منهم (١٤٤).
وقد ذكرهم ابن حزم في الفصل (١٤٥).
والفرقة الثانية قالت :

انه القائم وقد مات ، ولا تكون الامامة لغيره حتى يرجع فيقوم ويظهر، وزعموا أنه قد رجع بعد موته الا أنه مختلف في موضع من المواضع حتى يأمر وينهى ، وأن أصحابه يلقونه ويرونه . واعتلوا في ذلك بروايات عن أبيه أنه قال : سمي القائم لأنه يقوم بعد ما يموت» (١٤٦).
والفرقة الثالثة قالت :

انه قد مات وانه القائم ، وان فيه شبها من عيسى بن مريم صلى

(١٤٠) أيضا ص ١٠١.

(١٤١) الفرق بين الفرق ص ٦٣.

(١٤٢) مقالات الاسلاميين للأشعرى ج ١ ص ١٠١.

(١٤٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٤.

(١٤٤) التبصير ص ٤١.

(١٤٥) ج ٤ ص ١٧٩.

(١٤٦) فرق الشيعة ص ١٠١.

الله عليه وانه لم يرجع ولكنه يرجع في وقت قيامه فيملاً الارض عدلاً كما
ملئت جوراً، وان أباه قال: إن فيه شبهاً من عيسى بن مريم وإنه يقتل في
يدى ولد العباس فقد قتل» (١٤٧).

والرابعة قالت:

لا ندرى أموحى أم ميت، لأننا قد روينا فيه أخباراً كثيرة تدل
على أنه القائم المهدي فلا يجوز تكذيبها وقد ورد علينا من خبر وفاة أبيه
وجده والماضين من آبائه عليهم السلام في معنى صحة الخبر، فهذا أيضاً
مما لا يجوز رده وإنكاره لوضوحه وشهرته وتواتره من حيث لا يكذب مثله،
ولا يجوز التوسط عليه، والموت حق والله عز وجل يفعل ما يشاء، فوقفنا
عند ذلك على إطلاق موته وعلى الاقرار بحياته، ونحن مقيمون على
إمامته لا نتجاوزها حتى يصح لنا أمره وأمر هذا الذي نصب نفسه مكانه
وأدعى الإمامة يعنون على بن موسى الرضا، فإن صحت لنا إمامته
كإمامة أبيه من قبله بالدلالات والعلامات الموجبة للإمامة بالاقرار منه
على نفسه بإمامته وموت أبيه، لا بأخبار أصحابه سلمنا له ذلك
وصدقناه» (١٤٨).

ومثل ذلك ذكر الرازي في اعتقادات فرق المسلمين
والمشركين (١٤٩) والأشعري في مقالات الاسلاميين (١٥٠) والمطلى في
التنبيه (١٥١) والاسفرائيني في التبصير (١٥٢) والبغدادى في الفرق بين
الفرق (١٥٣) والمفيد في الارشاد (١٥٤) والشهرستاني في الملل والنحل (١٥٥).

(١٤٧) أيضاً ص ١٠٢.

(١٤٨) أيضاً ص ١٠٣، ١٠٤.

(١٤٩) ص ٥٤.

(١٥٠) ج ١ ص ٨٨.

(١٥١) ص ٣٨.

(١٥٢) ص ٤٢.

(١٥٣) ص ٦٤.

(١٥٤) ص ٣٠٢.

(١٥٥) ج ٢ ص ٤٠٣. الهامش.

وكانت هناك فرقة أخرى سادسة وهي : البشرية ، ذكرها النوبختي بقوله : «البشرية» أصحاب محمد بن بشير مولى بني أسد من أهل الكوفة قالت ان موسى بن جعفر لم يمت ولم يحبس وإنه حي غائب وأنه القائم المهدي في وقت غيبته استخلف على الأمر محمد بن بشير وجعله وصيه وأعطاه خاتمه وعلمه جميع ما يحتاج اليه رعيته وفوض اليه أموره وأقامه مقام نفسه فمحمد بن بشير الامام بعده وأن محمد بن بشير لما توفي أوصى الى ابنه سميع بن محمد بن بشير فهو الامام ومن أوصى اليه (سميع) فهو الامام المفترض الطاعة على الامة إلى وقت خروج موسى وظهوره فما يلزم الناس من حقوقه في أموالهم وغير ذلك مما يتقربون به الى الله عز وجل فالفرض عليهم اداؤه إلى هؤلاء إلى قيام القائم، وزعموا أن علي بن موسى ومن ادعى الامامة من ولد موسى بعده فغير طيب الولادة ونفوسهم عن أنسابهم وكفروهم في دعواهم الإمامة، وكفروا القائلين بإمامتهم واستحلوا دماءهم وأموالهم، وزعموا أن الفرض من الله عليهم إقامة الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان وأنكروا الزكاة وألحج وسائر الفرائض، وقالوا بإباحة المحارم من الفروج والغلمان، واعتلوا في ذلك بقول الله عز وجل : اويزوجهم ذكرانا واناثا (٤٢ : ٥٠) وقالوا بالتناسخ وأن الأئمة عندهم واحد إنما هم منتقلون من بدن الى بدن، والمواساة بينهم واجبة في كل ما ملكوه من مال، وكل شيء أوصى به رجل منهم في سبيل الله فهو لسميع بن محمد واوصيائه من بعده» (١٥٦).

ولقد ذكر محمد بن بشير هذا، الكشي في رجاله بقوله :

أن محمد بشير لما مضى أبو الحسن «ع» ووقف عليه الواقعة جاء

محمد بن بشير - وكان صاحب شعيذة ومخاريق معروفا بذلك فادعى أنه يقول بالوقف على موسى بن جعفر «ع» هو كان ظاهرا بين الخلق يرويه جميعا يترأى لأهل النور والنور ولأهل الكدوزة في مثل خلقهم بالانسانية والبشرية اللحمانية، ثم حجب الخلق جميعا عن إداراكه، وهو قائم فيهم موجود كما كان غير أنهم محجوبون عن إدراكه كالذى كانوا يدركونه .

وكان محمد بن بشير هذا من أهل الكوفة من موالى بنى اسد وله أصحاب، قالوا: إن موسى بن جعفر لم يمت ولم يحبس وإنه غاب واستتر وهو القائم المهدي، وأنه في وقت غيبته استخلف على الامة محمد بن بشير وجعله وصيه واعطاه خاتمه وعلمه جميع ما يحتاج اليه رعيته في أمر دينهم ودنياهم وفوض إليه جميع أمره وأقامه مقام نفسه، فمحمد بن بشير الامام بعده . . . وكفرو القائلين بإمامتهم واستحلوا دماءهم وأموالهم وزعموا أن كل من انتسب إلى محمد فهم ثبوت وطروق وأن محمدا هورب حل في كل من انتسب اليه وأنه لم يلد ولم يولد وأنه محتجب في هذه الحجب . وزعمت هذه الفرقة والمخسمة والعلياوية وأصحاب أبى الخطاب أن كل من انتسب إلى أنه من آل محمد فهو مبطل في نسبه مفتر على الله كاذب، وانهم الذين قال الله تعالى فيهم انهم يهود ونصارى في قوله: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر من خلق﴾ «محمد» في مذهب الخطابية و«على» في مذهب العلوية فهم ممن خلق . هذان كاذبون فيما ادعوا إذ كان محمد عندهم وعلى هورب لا يلد ولا يولد ولا يستولد، تعالى الله عما يصفون وعما يقولون علوا كبيرا . وكان سبب قتل محمد بن بشير لعنه الله لانه كان معه شعيذة ومخاريق فكان يظهر الواقعة انه ممن وقف على على بن موسى «ع» وكان يقول في موسى بالربوبية ويدعى

لنفسه انه نبي ، وكان عنده صورة قد عملها واقامها شخصا كأنه صورة
ابى الحسن «ع» من ثياب حرير وقد طلاها بالأدوية وعالجها بحيل عملها
فيها حتى صارت شبه صورة انسان ، وكان يطويها فاذا أراد الشعبذة نفخ
فيها فأقامها فكان يقول لأصحابه : ان أبا الحسن «ع» عندي فان أحببتم
أن تروه وتعلموا أنى نبي فهلما أعرضه عليكم ، وكان يدخلهم البيت
والصورة مطوية معه فيقول لهم : هل ترون في البيت مقبلا أو ترون غيرى
وغيركم ؟ فيقول : فأخرجوا فيخرجون من البيت فيصير هو وراء الستر
بينه وبينهم ثم يقدم تلك الصورة ثم يرفع الستر بينهم وبينه فينظرون الى
صورة قائمة وشخص كأنه شخص أبى الحسن لا ينكرون منه شيئا ،
ويقف هو معه بالقرب فيريهم من طريق الشعبذة انه يكلمه ويناجيه
ويدنونه كأنه يساره ، ثم يغمزهم أن يتنحوا فيتنحون ويسبل الستر بينه
وبينهم فلا يرون شيئا ، وكانت معه أشياء عجيبة من صنوف الشعبذة ما
لم يروا مثلها فهلكوا بها ، فكانت هذه حاله مدة حتى رفع خبره الى
بعض الخلفاء أحسبه هارون أو غيره ممن كان بعده من الخلفاء أنه
زنديق ، فأخذه وأراد ضرب عنقه فقال له : يا أمير المؤمنين استبقنى فانى
أأخذ لك أشياء يرغب الملوك فيها ، فأطلقه فكان أول ما أخذ له الدوالى
فانه عمد الى الدوالى فسواها وعلقها وجعل الزبيق بين تلك الالواح ،
فكانت الدوالى تمتلىء من الماء وتملى الالواح وينقلب الزبيق من تلك
الالواح وينقلب الزبيق من تلك الالواح فيتسع الدوالى لذلك ، فكانت
تعمل من غير مستعمل لها وتصب الماء فى البستان فأعجبه ذلك مع أشياء
عملها ، يضاهى الله بها فى خلقه الجنة فقواه وجعل له مرتبة ، ثم انه يوما
من الايام انكسر بعض تلك الالواح فخرج منها الزبيق فتعطلت
فاستراب أمره ، وظهر عليه التعطيل والاباحات (١٥٧).

هذا وقد ادعى الامامة في عهده آخرا من بنى عمومته . أحدهما حسين بن علي بن الحسن بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي . وأمه زينب بنت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ، فلقد ادعى الامامة أيام أبي موسى الهادي العباسي حفيد أبي جعفر المنصور (١٥٨).

وبايعه على إمامته يحيى وسليمان وإدريس بنو عبد الله بن الحسن بن بن الحسن ، وعبد الله الحسن الافطس ، وإبراهيم بن اسماعيل الطباطبائي ، وعمر بن الحسن بن علي بن الحسن بن الحسين ، وعبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن المثنى ، وعبد الله بن جعفر بن محمد ، وعبد الله بن جعفر بن الباقر ، وعبد الله وعمر ابنا إسحاق بن الحسن بن علي زين العابدين وغيرهم (١٥٩).

حتى قال الأصفهاني :

ولم يتخلف عنه أحد من الطالبين إلا الحسن بن جعفر بن حسن المثنى فإنه استعفاه ولم يكرهه .

وموسى بن جعفر بن محمد - الامام السابع المزعوم عند الشيعة - قال عنيزة القصباني : رأيت موسى بن جعفر بعد عتمة وقد جاء الى الحسين صاحب فخ ، فانكب عليه شبه الركوع ، وقال : أحب أن تجعلني في سعة وحل من تخلفي عنك ، فأطرق الحسين طويلا لا يجيبه ، ثم رفع رأسه اليه ، فقال : أنت في سعة (١٦٠).

وقد ذكر هذا الكليني في (كافيه) حيث قال :

حدثنا عبد الله بن الفضل مولى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

قال :

(١٥٨) انظر مروج الذهب والطبري وابن كثير وغيرها من الكتب .

(١٥٩) انظر مقاتل الطالبين للأصفهاني الشيعي ص ٤٤٦ و ٤٥٦ .

(١٦٠) أيضا ص ٤٤٧ .

لما خرج الحسين بن علي المقتول بفتح واحتوى على المدينة، دعا موسى بن جعفر الى البيعة، فأتاه فقال له: يا ابن عم لا تكلفني ما كلف ابن عمك أبا عبد الله، فيخرج مني مالا اريد كما خرج من أبي عبد الله ما لم يكن يريد، فقال له الحسين: انما عرضت عليك أمرا فان أردته دخلت فيه، وان كرهته لم أحملك عليه والله المستعان» (١٦١).

والثاني الذي ادعى الامامة أيامه يحيى بن عبد الله بن الحسن المثنى. وقد ذكره الكيني أيضا حيث قال:

كتب الى موسى بن جعفر يدعوه: خبرني من ورد علي من أعوان الله على دينه ونشر طاعته بما كان من تحنك مع خذلانك، وقد احتجبتها واحتجها أبوك من قبلك، وقديما ادعيتم مالميس لكم وبسطتم أعمالكم الى ما لم يؤتكم الله، فاستهويتم وأضللتهم وأنا محذرك ما حذرك الله من نفسه، فكتب اليه ابو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: من موسى بن جعفر. ذكرت أني شبطت الناس عنك لرغبتى عما في يديك. واحذرك معصية الخليفة (١٦٢) وأحثك على بره وطاعته وأن تطلب لنفسك أماتا قبل أن تأخذك الأظفار ويلزمك الخناق من كل مكان، فتروح الى النفس من كل مكان ولا تجده، حتى يمن الله عليك بمنه وفضله ورقة الخليفة أبقاه الله، فيؤمنك ويرحمك ويحفظ فيك أرحام رسول الله والسلام على من اتبع الهدى» (١٦٣).

فهذه هي الفرق الشيعية أيام موسى وبعده، وهذه هي عقائدهم وأفكارهم المثبتة من كتب الشيعة والسنة أيضا، والذي قيل: حمله الرشيد

(١٦١) الأصول من الكافي ج ١ ص ٣٦٦.

(١٦٢) انظر الى الصدق كيف يتطلع وحتى من الكذابين، امام معصوم للشيعة يمنع الناس عن معصية الخليفة العباسي والخروج عليه، فهل هناك شك بأنه لم يكن أولاد علي يدعون في أنفسهم ما ينسب اليهم هؤلاء القوم.

(١٦٣) الأصول من الكافي ج ١ ص ٣٦٧.

من المدينة وقد قدم اليها منصرفا من العمرة، ثم شحص هارون للحج وحمله معه، ثم انصرف على طريق البصرة، فحبسه عند السندی بن شاهك فتوفي في حبسه بغداد لخمس ليال بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة وهو ابن خمس أو أربع وخمسين سنة، ودفن في مقابر قریش» (١٦٤).

الشيعة أيام على بن موسى الملقب بالرضا

وحصل الاختلاف في الشيعة الذين اجتمعوا حول على بن موسى الرضا ختن المأمون على ابنته بعد وفاته .
 ففرقة قالت بأن الامام بعده أخوه احمد بن موسى بن جعفر :
 «أوصى اليه والى الرضا عليه السلام وأجازوها في أخوين . فهي :
 المؤلفة ، فقطعوا على امامة على بن موسى .
 وفرقة منهم تسمى المحدثه ، كانوا من أهل الأرجاء وأصحاب الحديث ، فدخلوا في القول بامامة موسى بن جعفر وبعده بامامة على بن موسى ، وصاروا شيعة رغبة في الدنيا وتصنعا ، فلما توفي على بن موسى عليه السلام رجعوا الى ما كانوا عليه .
 وفرقة كانت من الزيدية الأقوياء منهم والبصراء ، فدخلوا في امامة على بن موسى عليه السلام عندما أظهر المأمون فضله وعقد بيعته تصنعا للدنيا واستكانوا الناس بذلك دهرا ، فلما توفي على بن موسى عليه السلام رجعوا الى قومهم من الزيدية (١٦٥) .
 وفرقة اخرى قالت :

ان الامامة بعد على بن موسى عليه السلام لابنه محمد بن على

(١٦٤) فرق الشيعة ص ١٠٥، ١٠٦ .

(١٦٥) أيضا ص ١٠٧ .

عليه السلام، ولم يكن لغيره (١٦٦).

وكانت هناك فرق أخرى غير هذه الفرق اتبعت فريقا من الطالبيين الذين ادعوا الامامة في أيام الرضا ودعوا الناس اليهم، فمنهم محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن ابي طالب، وهو المعروف بابن الطباطبا.

ومحمد بن يحيى بن يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي.

ومحمد بن جعفر عم علي الرضا.

وابراهيم بن موسى بن جعفر أخو علي الرضا.

وحسين بن الحسن بن علي بن علي زين العابدين وغيرهم.

وقد ذكرهم جميعا ودعوتهم الناس اليهم وخروجهم على المأمون وتسلطهم على بعض المدن والناطق، ومعاركهم مع عساكر العباسيين من الشيعة، الأصفهاني في مقاتل الطالبيين (١٦٧)، والمسعودي في كتابه مروج الذهب. ولقد ننقل عنه خروج هؤلاء العلويين وادعاءهم الامامة بايجاز واختصار، فيقول:

وفي سنة تسع وتسعين ومائة خرج ابو السرايا السري بن منصور الشيباني بالعراق، واشتد أمره، ومعه محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب، وهو ابن طباطبا، ووثب بالمدينة محمد بن سليمان بن داود ابن الحسن بن الحسن بن علي رحمهم الله، ووثب بالبصرة علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي عليهم السلام، وزيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، فغلبوا على البصرة.

وفي هذه السنة مات ابن طباطبا الذي كان يدعوا اليه ابو السرايا،

(١٦٦) أيضا ص ١٠٦.

(١٦٧) ص ٥١٣ وما بعد.

وأقام أبو السرايا مكانه محمد بن محمد بن يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي .

وظهر في هذه السنة باليمن - وهي سنة تسع وتسعين ومائة - إبراهيم ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي ، وظهر في أيام المأمون بمكة ونواحي الحجاز محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رحمهم الله ، وذلك في سنة مائتين ، ودعا لنفسه ، واليه دعت النبطية من فرق الشيعة وقالت بإمامته وقد افترقوا فرقا : فمنهم من غلا ، ومنهم من قصر ، وسلك طريق الإمامية ، وقد ذكرنا في كتاب «المقالات في أصول الديانات» وفي كتاب «أخبار الزمان» من الأمم الماضية والأجيال الخالية والممالك الدائرة ، في الفن الثلاثين من أخبار خلفاء بني العباس ومن ظهر في أيامهم من الطالبين ، وقيل : إن محمد بن جعفر هذا دعا في بدء أمره وعنفوان شبابه الى محمد بن إبراهيم بن طباطبا صاحب أبي السرايا ، فلما مات ابن طباطبا ، وهو محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن دعا لنفسه ، وتسمى بأمر المؤمنين ، وليس في آل محمد ممن ظهر لإقامة الحق عن سلف وخلف قبله وبعده من تسمى بأمر المؤمنين غير محمد بن جعفر هذا ، وكان يسمى بالديباجة ؛ لحسنه وبهائه وظهر في أيام المأمون أيضا بالمدينة الحسين بن الحسن ابن علي بن علي بن الحسين بن علي ، وهو المعروف بابن الأفطس ، وقيل : انه دعا في بدء أمره الى ابن طباطبا ، فلما مات ابن طباطبا دعا إلى نفسه والقول بإمامته وسار الى مكة فأتى الناس وهم بمنى ، وعلى الحاج داود بن عيسى بن موسى الهاشمي ، فهرب داود ، ومضى الناس الى عرفة ، ودفعوا الى مزدلفة بغير إنسان عليهم من ولد العباس ، وقد كان ابن الأفطس وافي الموقف بالليل ، ثم صار الى المزدلفة والناس بغير إمام

فصلى بالناس، ثم مضى الى منى، فنحرو ودخل مكة وجرد البيت مما عليه من الكسوة إلا القباطي البيض فقط. (١٦٨).

والجدير بالذكر أن على بن موسى هو الذى جعل المامون العباسى فيه ولاية العهد بعده:

وأمر المامون الحسن بن سهل والفضل بن سهل وزيريه أن يعرضا ذلك عليه فامتنع منه فلم يزالا به حتى أجاب ورجعا إلى المامون فعرفاه إجابته، فسربذلك وجلس للخاصة فى يوم خميس وخرج الفضل بن سهل فأعلم برأى المامون فى على بن موسى عليه السلام وانه قد ولاه عهده وسماه الرضا وأمرهم بلبس الخضرة والعود لبيعته فى الخميس الآخر على أن يأخذوا رزق سنة، فلما كان اليوم ركب الناس على طبقاتهم من القواد والحجاب والقضاة وغيرهم فى الخضرة، وجلس المامون ووضع للرضا عليه السلام وسادتين عظيمتين حتى لحق بمجلسه وفرشه وأجلس الرضا (ع) عليهما فى الخضرة وعليه عمامة وسيف، ثم أمر ابنه العباس بن المامون أن يبايع له أول الناس فبايعه الناس ووضعت البذرو قامت الخطباء والشعراء، فجعلوا يذكرون فضل الرضا عليه السلام وما كان عليه من أمره ثم قال المامون للرضا عليه السلام: اخطب الناس وتكلم فيهم، فحمد الله وأثنى عليه وقال: ان لنا عليكم حقا برسول الله ولكم علينا حقا به، فاذا أنتم أدبتم الينا ذلك وجب علينا الحق لكم، ولم يذكر عنه غير هذا فى ذلك المجلس، وأمر المامون فضربت له الدراهم وطبع عليها اسم الرضا عليه السلام، وزوج اسحاق بن موسى بن جعفر بنت عمه اسحاق بن جعفر بن محمد وأمره فحج بالناس وخطب للرضا عليه السلام فى كل بلد بولاية العهد» (١٦٩).

(١٦٨) مروج الذهب للمسعودى ج ٣ ص ٤٣٩، ٤٤٠.

(١٦٩) الارشاد للمفيد ص ٣١٠، ٣١١، اعلام الورى للطبرسى ص ٣٣٤.

ولكنه مات قبل أن ينال الخلافة، في حياة المأمون.

«ولما توفي الرضا عليه السلام كتم المأمون موته يوما وليلة ثم أنفذ الى محمد بن جعفر الصادق عليه السلام وجماعة من آل أبي طالب الذين كانوا عنده فلما حضروه نعاه اليهم وبكى وأظهر حزنا شديدا وتوجعا وأراهم إياه صحيح الجسد، قال يعز علي يا أخى ان أراك في هذه الحال قد كنت أؤمل ان أقدم قبلك فأبى الله إلا ما أراد، ثم أمر بغسله وتكفينه وتحنيطه وخرج مع جنازته يحملها حتى انتهى الى الموضع الذى هو مدفون الآن، فدفنه والموضع دار حميد بن قحطبة في قرية يقال لها سناباد على قرية من نوقان بأرض طوس. وفيها قبر هارون الرشيد وقبر أبي الحسن عليه السلام بين يديه في قبلته.

ومضى الرضا علي بن موسى عليهما السلام ولم يترك ولدا نعلمه إلا الإمام بعده أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام وكانت سنة يوم وفاة أبيه سبع سنين وأشهر» (١٧٠).

وكان ذلك في صفر سنة ثلاث ومائتين وله يومئذ خمسة وخمسون سنة، وأمه أم ولد يقال لها أم البنين.

الشيعة أيام محمد بن علي الملقب بالجواد أو التقى

ولقد حصل الاختلاف الشديد بين الشيعة في امامة محمد بن علي لأنه لم يكن بلغ الحلم عند وفاة أبيه، ولذلك اختلف الشيعة في امامته وتفرقوا عنه كما مر وقالوا :

لا يجوز الامام إلا بالغا ولو جاز أن يأمر الله عز وجل بطاعة غير بالغ

(١٧٠) الارشاد للمفيد ص ٣٠٤، اعلام الزرى للطبرسى ص ٣١٣، عيون اخبار الرضا ج ٢ ص ٢٤٧، كشف الغمة ج ٣ ص ٧٢، جلاء العيون ج ٢ ص ٧٣٩، منتهى الآمال ص ١٠٤٩.

لجاز أن يكلف الله غير بالغ فكما لا يعقل أن يحتمل التكليف غير بالغ فكذلك لا يفهم القضاء بين الناس ودقيقه وجليله وغامض الأحكام وشرائع الدين وجميع ما أتى به النبي صلى الله عليه وآله وما تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة من أمر دينها ودنياها طفل غير بالغ ولو جاز أن يفهم ذلك من قد نزل عن حد البلوغ درجة لجاز أن يفهم ذلك من قد نزل عن حد البلوغ درجتين وثلاثاً وأربعاً راجعاً إلى الطفولية، حتى يجوز أن يفهم ذلك من طفل في المهد والخرق وذلك غير معقول ولا مفهوم ولا متعارف.

ثم إن الذين قالوا بإمامة أبي جعفر محمد بن علي بن موسى عليهم السلام اختلفوا في كيفية علمه لحدثة سنه ضروباً من الاختلاف: فقال بعضهم لبعض: الإمام لا يكون إلا عالماً وأبو جعفر غير بالغ وأبوه قد توفي فكيف علم ومن أين علم، فأجابوا:

فقال بعضهم: لا يجوز أن يكون علمه من قبل أبيه لأن أباه حمل إلى خرسان وأبو جعفر ابن أربع سنين وأشهر ومن كان في هذه السن فليس في حد من يستفرغ تعليم معرفة دقيق الدين وجليله ولكن الله عز وجل علمه ذلك عند البلوغ بضروب مما يدل على جهات علم الإمام مثل الإلهام والنكت في القلب والتفري في الأذن والرؤيا الصادقة في النوم والمملك المحدث له ووجوه رفع المنار والعمود والمصباح وعرض الأعمال لأن ذلك كله قد صحت الأخبار الصحيحة القوية الأسانيد فيه التي لا يجوز دفعها ولا رد مثلها.

وقال بعضهم: قبل البلوغ هو إمام على معنى أن الأمر له دون غيره إلى وقت البلوغ فإذا بلغ علم لا من جهة الإلهام والنكت ولا الملك ولا لشيء من الوجوه التي ذكرتها الفرقة لأن الوحي منقطع بعد النبي صلى الله عليه وآله بإجماع الأمة ولأن الإلهام إنما هو أن يلحقك عند

الخاطر والفكر معرفة بشيء قد كانت تقدمت معرفتك به من الأمور النافعة فذكرته وذلك لا يعلم به الأحكام وشرائع الدين على كثرة اختلافها وعللها قبل أن يوقف بالسمع منها على شيء، لأن أصح الناس فكرا وأوضحه خاطرا وعقلا وأحضره توفيقا لو فكر وهو لا يسمع بأن الظهر أربع والمغرب ثلاث والغداة ركعتان ما استخرج ذلك بفكره ولا عرفه بنظره ولا استدل عليه بكمال عقله ولا أدرك ذلك بحضور توفيقه ولا لحقه علم ذلك من جهة التوفيق أبدا، ولا يعقل أن يعلم ذلك إلا بالتوقيف والتعليم فقد بطل أن يعلم شيئا من ذلك بالالهام والتوفيق، لكن نقول: أنه علم ذلك عند البلوغ من كتب أبيه وما ورثه من العلم فيها ومارس له فيها من الأصول والفروع، وبعض هذه الفرقة تجيز القياس في الأحكام للامام خاصة على الأصول التي في يديه لأنه معصوم من الخطأ والزلل فلا يخطيء في القياس وإنما صاروا إلى هذه المقالة لضيق الأمر عليهم في علم الامام وكيفية تعليمه إذ ليس هو بالغ عندهم.

وقال بعضهم: الامام يكون غير بالغ ولو قلت سنه لأنه حجة الله فقد يجوز أن يعلم وإن كان صبييا ويجوز عليه الأسباب التي ذكرت من الالهام والنكت والرؤيا والملك المحدث ورفع المنار والعمود وعرض الاعمال كل ذلك جائز عليه وفيه كما جاز ذلك عن سلفه من حجج الله الماضين، واعتلوا في ذلك بيحيى بن زكريا وأن الله آتاه الحكم صبييا وبأسباب عيسى بن مريم وبحكم الصبي بين يوسف بن يعقوب وامرأة الملك ويعلم سليمان بن داود حكما من غير تعليم وغير ذلك فانه قد كاز في حجج الله ممن كان غير بالغ عند الناس» (١٧١).

وولد محمد بن علي هذا سنة خمس وتسعين ومائة بالمدينة، وقبض (١٧١) فرق الشيعة للتوختى ص ١١٠، ١١١، ١١٢.

ببغداد سنة عشرين ومائتين وله يومئذ خمس وعشرون سنة، وأمه أم ولد يقال لها سميكة وكانت نوبية (١٧٢).

وكان متزوجا من ابنة المامون أم الفضل.

«فكانت إحدى الأختين تحت محمد بن علي بن موسى والأخرى تحت أبيه علي بن موسى» (١٧٣).

وفي أيامه ادعى الإمامة واحد من الحسينيين وهو محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (١٧٤).

«وانقاد إليه وإلى إمامته خلق كثير من الناس، ثم حمله عبد الله بن طاهر إلى المعتصم، فحبسه في أزج اتخذها في بستان بسر من رأى، وقد تنوزع في محمد بن القاسم، فمن قائل يقول: انه قتل بالسسم، ومنهم من يقول: ان ناسا من شيعة من الطالقان أتوا ذلك البستان فتأتوا للخدمة فيه من غرس وزراعة، واتخذوا سلام من الحبال واللبود والطالقانية ونقبوا الأزج وأخرجوه فذهبوا به، فلم يعرف له خبر إلى هذه الغاية، وقد انقاد إلى إمامته خلق كثير من الزيدية إلى هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة - ومنهم خلق كثير يزعمون ان محمدا لم يمت، وأنه حي يرزق، وأنه يخرج فيملؤها عدلا كما ملئت جورا، وأنه مهدي هذه الأمة، وأكثر هؤلاء بناحية الكوفة وجبال طبرستان والديلم وكثير من كور خراسان» (١٧٥).

(١٧٢) الارشاد للمفيد ص ٣١٦، اعلام الورى ص ٣٤٤، ٣٤٥، مروج الذهب ج ٣

ص ٤٦٤.

(١٧٣) مروج الذهب ج ٣ ص ٤٤١.

(١٧٤) مقاتل الطالبين ص ٥٧٧، أيضا الطبري وابن الاثير وغيرهما.

(١٧٥) مروج الذهب ج ٣ ص ٤٦٥.

الشيعة في أيام علي بن محمد المكنى بأبي الحسن والملقب بالهادي أو النقي

ولما مات محمد بن علي خلف ابنه عليا وموسى ، وكان الأكبر منهما لا يتجاز الثامنة من العمر حسب قول الشيعة ، وكانا من الصغر بمكان حتى «أوصى أبوهما علي تركته من الضياع والأموال والنفقات والرقيق إلى عبد الله بن المساور الى أن يبلغا (١٧٦) الحلم» (١٧٧) .
فاختلف الشيعة في أمرهما ، فقوم قالوا بامامة محمد بن علي ، وقوم ذهبوا الى امامة أخيه موسى بن محمد (١٧٨) .

النصيرية

وفي حياة علي بن محمد الهادي المكنى بأبي الحسن ظهرت من الشيعة فرقة اخرى ، فقالت :

بنوة رجل يقال له محمد بن نصير النميري ، وكان يدعى أنه نبي بعثه أبو الحسن العسكري عليه السلام ، وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن ويقول فيه بالربوبية ويقول بالإباحة للمحارم ويحلل نكاح لرجال بعضهم بعضا في أدبارهم ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل ، لأنه إحدى الشهوات والطيبات ، وأن الله عز وجل لم يحرم شيئا من ذلك ، وكان يقوى أسباب هذا النميري محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات ، فلما توفي قيل له في علته وقد كان اعتقل لسبانه : لمن هذا الامر من بعدك؟ فقال : لأحمد ، فلم يدروا من هو ، فافترقوا ثلاث فرق ، فرقة قالت :

(١٧٦) ولا ندرى كيف يعتمد على صبي في أمور الدين من لم يعتمد عليه أبوه - وهو إمام معصوم ند الشيعة - في أمر دنياه .

(١٧٧) الكافي ج ١ ص ٣٢٥ .

(١٧٨) انظر فرق الشيعة ص ١١٣ .

انه (احمد) ابنه ، وفرقة قالت : هو احمد بن موسى بن الحسن بن الفرات ،
 وفرقة قالت : احمد بن ابي الحسين محمد بن محمد بن بشير بن زيد ،
 فتفرقوا فلا يرجعون إلى شيء ، وادعى هؤلاء النبوة عن أبي محمد
 فسمت النميرية أو النصيرية (١٧٩) .

ولقد ذكر الشهرستاني النصيرية في ملله ، وذكر مذهبهم أنهم
 يقولون :

إن الله تعالى ظهر بصورة اشخاص ولما لم يكن بعد رسول الله ﷺ
 شخص افضل من علي عليه السلام وبعده اولاده المخصوصون هم خير
 البرية فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم واخذ بأيديهم فعن هذا اطلق
 اسم الالهية عليهم ، وانما اثبتنا هذا الاختصاص لعلى دون غيره لانه
 كان مخصوصا بتأييد من عند الله تعالى مما يتعلق بباطن الاسرار ، قال
 النبي ﷺ انا احكم بالظاهر والله يتولى السرائر ، وعن هذا كان قتال
 المشركين الى النبي ﷺ وقاتل المنافقين إلى علي ، وعن هذا شبهه بعيسى
 ابن مريم وقال لولا ان يقول الناس فيك ما قالوا في عيسى بن مريم وإلا
 لقلت فيك مقالا وربما اثبتوا له شركة في الرسالة ، اذ قال فيكم من يقاتل
 على تأويله كما قاتلت على تنزيله الا وهو خاصف النعل ، فعلم التأويل
 وقاتل المنافقين ومكاملة الجن ، وقلع باب خبير لا بقوة جسدانية من ادا
 الدليل على ان فيه جزء آلهيا وقوة ربانية ، او يكون هو الذي ظهر إلا
 بصورته وخلق بيده وامر بلسانه ، وعن هذا قالوا كان هو موجود قبل خلق
 السموات والارض ، قال كنا اظلة على يمين العرش فسبحنا فسبحنا
 الملائكة بتسبيحنا فتلك الظلال وتلك الصور العرية عن الاظلال هي
 حقيقة وهي مشرقة بنور الرب تعالى اشراقا لا ينفصل عنها سواء كانت في

هذا العالم اوفي ذلك العالم، وعن هذا قال انا من احمد ك الضوء من الضوء
يعني لا فرق بين النورين الا ان احدهما سبق والثاني لاحق، به قال له
وهذا يدل على نوع شركة، فالنصيرية اميل الى تقرير الجزء الإلهي
والاسحاقية اميل الى تقرير الشركة في النبوة» (١٨٠).

وذكر الرازي أن هذه الطائفة موجودة في حلب ونواحي الشام الى
يومنا هذا (١٨١).

ونحن نقول: أنها موجودة حتي اليوم في سوريا وتركيا، ويعرفون
بالعلويين.

وأما النصيرية فيقولون: إن محمد بن النصير النميري لم يدع
النبوة، بل انه كان بابا للامام الحادي عشر الحسن العسكري» (١٨٢).

ويقولون: إنه كان ينافسه رجل اسمه ابو يعقوب اسحاق بن محمد
النخعي، فادعى هو الثاني هو الباب للحسن العسكري
فالحاصل أن هؤلاء الذين يقولون ويصرحون بالوهية على، وكان
رسول الله هو رسوله هو كما يقولون:

ان عليا أرسل جابر بن يزيد الجعفي في قضاء غرض له، فلما أن
وصل الى الیوضع المقصود رأى علي بن أبي طالب جالسا على كرسي
من نور والسيد محمد (يعنى سيدنا محمدا) عن يمينه والسيد سلمان (يعنى
الصحابي الجليل سلمان الفارسي) عن شماله، ثم التفت جابر الى ورائه
فراه هكذا، ثم نظره عن يمينه فراه هكذا، ثم نظره الى السماء فراه في
السماء والملائكة حوله يسبحون بحمده ويسجدون له» (١٨٣).

(١٨٠) الملل والنحل للشهرستاني ج ٢ ص ٢٦٠، ٢٥.

(١٨١) اعتقادات فرق المسلمين والمشرکين للرازي ص ٦١.

(١٨٢) تاريخ العلويين للطويل ص ٢٠٢.

(١٨٣) البآكورة السليمانية ص ٨٧.

وقد دونوا لهم قرآنا مستقلا، ومنها هذه الآيات: ربنا آمنا بما أنزلت
واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اشهد علي أيها الحجاب
العظيم أشهد علي أيها الباب الكريم اشهد علي يا سيدى المقداد اليمين،
اشهد علي يا سيدى أبو الدر الشمال بأن ليس إلهاً إلا علي بن أبي
طالب الأ صلح المعبود، ولا حجاب إلا السيد محمد، المحمود، ولا باب
إلا السيد سلمان الفارسي المقصود، وأكبر الملائكة الخمسة الأيتام، ولا
رأي إلا رأي شيخنا وسيدنا الحسين بن حمدان الخصبي الذي شرع
الأديان في سائر البلدان، أشهد بأن الصورة المرئية التي ظهرت في البشرية
هي الغاية الكلية وهي الظاهرة بالنورانية وليس إله سواها وهي علي بن
أبي طالب، وأنه لم يحاط ولم يحصر ولم يدرك ولم يبصر، أشهد بأنى نصيرى
الدين جندبي الرأي جنبلاى الطريقة خصيبى المذهب حلى المقال
ميمونى الفقه وافر الرجعة البيضاء والكرة الزهراء وفي كشف الغطاء
وجلاء العماء وإظهار ما كنتم وإجلاء ما خفي وظهور علي بن أبي طالب
من عين الشمس قابض على كل نفس، الأسد من تحته وذو الفقار بيده
والملائكة خلفه والسيد سلمان بين يديه والماء ينبع من بين قدميه والسيد
محمد ينادي ويقول: هذا مولاكم علي بن أبي طالب فاعرفوه وسبحوه
وعظموه وكبروه. هذا خالقكم ورازقكم فلا تنكروه. اشهدوا علي يا
أسيادي أن هذا ديني واعتقادي وعني اعتمادي وبه أحيأ وعليه أموت وعلي
بن أبي طالب حي لا يموت بيده القدرة والجبروت، إن السمع والبصر
والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا علينا من ذكرهم السلام» (١٨٤)

وغير ذلك من الخرافات.

«وتوفى على بن محمد هذا بسرمن رأي في رجب سنة أربع وخمسين

ومائتين، وولد سنة اثنتى عشرة ومائتين، وكان المتوكل قد أشخصه مع يحيى بن أكتم الى سرمن رأى، فأقام بها وأمه» (١٨٥).

هذا ولقد ادعى فى أيامه كثير من العلويين الامامة وبإيعهم خلق من الشيعة ومن أهل بيت على رضى الله عنه، منهم يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن على زين العابدين (١٨٦).

فاستولى على الكوفة وما حولها، ولما قتل أيام المستعين العباسى رثاه كثير من الشعراء حتى قال الاصفهاني:

وما بلغنى أن أحدا ممن قتل فى الدولة العباسية من آل أبى طالب رثى بأكثر مما رثى به يحيى، ولا قيل فيه الشعر بأكثر مما قيل فيه» (١٨٧).

ووافق على ذلك ابن الأثير فى تاريخه الكامل (١٨٨).

وكذلك ادعى الامامة حسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن المثنى:

ظهر ببلاد طهرستان وغلب عليهما وعلى جرجان بعد حروب كثيرة وقتال شديد (١٨٩).

وكذلك حسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسين بن على بن سينا احدى وخمسين ومائتين (١٩٠).

الشيعة فى أيام الحسن بن على العسكرى

ولما توفى ابو الحسن بن على الهادى افترقت الشيعة الى فرق

-
- (١٨٥) الارشاد ص ٣٢٧، اعلام الورى للطبرى ص ٣٥٥، كشف الغمة ج ٣ ص ١٦٦، جلاء العيون ج ٢ ص ٧٥٤.
- (١٨٦) مقاتل الطالبين للأصفهاني ص ٦٣٩، مروج الذهب ج ٤ ص ٦٣.
- (١٨٧) مقاتل الطالبين ص ٤٦٥، ويمثل ذلك فى مروج الذهب ج ٤ ص ٦٤.
- (١٨٨) ج ٥ ص ٣١٥.
- (١٨٩) مروج الذهب ج ٤ ص ٦٨.
- (١٩٠) أيضا ص ٦٩، ومقاتل الطالبين للأصفهاني ص ٦٦٥.

«فرقة قالت بامامة ابنه محمد، وقد كان توفي في حياة أبيه بسر من رأى، وزعموا أنه حي لم يميت واعتلوا في ذلك بأن أباه أشار اليه وأعلمهم أنه الامام من بعده، والامام لا يجوز عليه الكذب ولا يجوز البداء فيه فهو وان كانت ظهرت وفاته لم يميت في الحقيقة ولكن أباه خاف عليه فغيبه وهو القائم المهدي، وقالوا فيه بمثل مقالة أصحاب اسماعيل بن جعفر» (١٩١).

والجدير بالذكر أن محمدا هذا وهو المكنى بأبي جعفر كان وصى أبيه والخليفة بعده حسب تصريحات الشيعة ولكنه مات قبل أن يصل اليه الامامة وخلافة أبيه فشك القوم في أمره وامامة أبيه، فقال أبوه علي الهادي المكنى بأبي الحسن:

بدا لله في أبي محمد بعد أبي جعفر عليه السلام ما لم يكن يعرف له، كما بدأ في موسى بعد مضي اسماعيل ما كشف عن حاله وهو كما حدثتكم نفسك وان كره المبطلون، وأبو محمد ابني الخلف من بعدي، عنده علم ما يحتاج اليه ومعه آلة الامامة» (١٩٢).

وفرقة قالت بامامة جعفر بن علي - وهو الملقب بجعفر الكذاب عند الشيعة، وقالوا:

أوصى اليه أبوه بعد مضي محمد وأوجب امامته وأظهر أمره وأنكروا امامة محمد أخيه وقالوا: انما فعل ذلك أبوه اتفاقا عليه ودفاعا عنه، وكان الامام في الحقيقة جعفر بن علي» (١٩٣).

وفرقة قالت بامامة الحسن العسكري ابن علي، وكان يكنى بأبي محمد (١٩٤).

وقال المفيد:

(١٩١) فرق الشيعة ص ١١٦، ١١٧.

(١٩٢) الاصول من الكافي، كتاب الحجّة، باب الاشارة والنص على أبي محمد ج ١ ص ٣٢٧.

(١٩٣) التوبختي ص ١١٧، ١١٨.

(١٩٤) أيضا ص ١١٧.

وكان الامام بعد أبى جعفر عليه السلام ابنه أبو الحسن على بن محمد (ع) لاجتماع خصال الامامة فيه وتكامل فضله وانه لا وارث لمقام أبيه سواه وثبوت النص عليه بالامامة والاشارة اليه من أبيه بالخلافة» (١٩٥).

وتوفى يوم الجمعة سنة ستين ومائتين، وكان مولده بالمدينة في شهر ربيع الاول من سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، ودفن في داره بسرمن رأى في البيت الذى دفن فيه أبوه، وأمّه أم ولد يقال لها خديثة (١٩٦).

وعمره يومئذ ثمانى وعشرون سنة.

وقال النوبختى :

قل : يقال لامه اصفان، وقيل : سليل وقيل غير ذلك.

وصلى عليه ابو عيسى بن المتوكل.

وكانت في سنى امامته بقية ملك المعتز أشهراً، ثم ملك المهتدى أحد عشر شهراً وثمانية وعشرين يوماً، ثم ملك احمد المعتمد على الله بن جعفر المتوكل عشرين سنة وأحد عشر شهراً» (١٩٧).

وفى أيامه ادعى كثير من العلويين الامامة، منهم على بن زيد بن الحسين العلوى (١٩٨).

وكذلك الكثيرون الذين ذكرهم الاصفهانى في مقاتل الطالبين والمسعودى في مروج الذهب. وأما من السنة فذكرهم جميع المؤرخين.

الشيعة بعد وفاة الحسن العسكرى

مات الحسن العسكرى بدون خلف ولا عقب كما نص على ذلك

(١٩٥) الارشاد ص ٣٢٧.

(١٩٦) ايضاً ص ٣٣٥.

(١٩٧) اعلام الورى ص ٣٦٧.

(١٩٨) مقاتل الطالبين ص ٦٧٥، مروج الذهب للمسعودى ج ٣ ص ٩٤.

النوبختى :

توفى ولم ير له أثر، ولم يعرف له ولد ظاهر، فاقسم ميراثه أخوه جعفر وأمه (١٩٩).

فأوجد موته خلافا شديدا في شيعته لأن التشيع بعد تطوره يوجب على مدعى الامامة أن يكون بعده عقب، وكذلك أن يكون عليه نص من الذى قبله، وهو الذى يقوم بتجهيزه وتكفينه، فكيف وهنا لا يرى له أثر فالتجؤ والتأويل ذلك الى سخافات عديدة، كل قوم حسب أهوائهم ومزاعمهم يهون. فقال النوبختى :

فافترق أصحابه بعده أربع عشرة فرقة، ففرقة قالت : ان الحسن بن على حى لم يموت، وانما غاب وهو القائم، ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهر لأن الأرض لا تخلو من امام

وقالت الفرقة الثانية : ان الحسن بن على مات وعاش بعد موته وهو القائم المهدي لأننا روينا أن معنى القائم هو أن يقوم بعد انرت ويقوم ولا ولد له، لأن الامامة كانت تثبت لولده ولا أوصى الى أحد فلا شك أنه القائم

وقالت الفرقة الثالثة :

ان الحسن بن على توفى، والامام بعده أخوه جعفر واليه أوصى الحسن فلما قيل له ان الحسن وجعفر ما زالا متهاجرين متصارمين متعادين طول زمانهما وقد وقفت على صنائع جعفر وسوء معاشرته له في حياته ولهم من بعد وفاته في اقتسام موارثه، قالوا : انما ذلك بينهما في الظاهر، وأما في الباطن فكان متراضيين متصافيين لاخلاف بينهما ومن قوى امامة جعفر وأمال الناس اليه على بن الطاهر الخراز، وكان متكلمها محجاجا وأعانتة على ذلك اخت الفارس بن حاتم بن ماهويه القزويني .

وقالت الفرقة الرابعة:

ان الامام بعد الحسن جعفر وان الامامة صارت اليه من قبل أبيه،
لا من قبل الحسن، وان الحسن كان مدعيا باطلا، لأن الامام لا يموت
حتى يوصى ويكون له خلف، والحسن قد توفى ولا وصية له ولا ولد،
والامام لا يكون من لا خلف له ظاهر، معروف مشار اليه، كما لا تجوز
أن تكون الامامة في الأخوين بعد الحسن والحسين كما نص عليه جعفر.
وأما الفرقة الخامسة : فانها رجعت الى القول بامامة محمد بن
على أحيى الحسن المتوفى في حياة أبيه، وأما الحسن وجعفر فانها ادعيا مالم
يكن لهما لأن جعفرا فيه خصال مذمومة وهوبها مشهور، ظاهر الفسق
وغير صائن لنفسه، معلن بالمعاصي، ومثل هذا لا يصلح للشهادة على
درهم فكيف يصلح لمقام النبي صلى الله عليه وآله؟ وأما الحسن فقد
توفى ولا عقب له. وقالت الفرقة السادسة:

ان للحسن بن على ابنا سماه محمدا وولد قبل وفاته بسنتين،
وزعموا أنه مستور، لا يرى خائف من جعفر. وقالت الفرقة السابعة:
بل ولد بعد وفاته بثمانية أشهر، وان الذين ادعوا له ولدوا في حياته
كاذبون مبطلون في دعواهم، لأن ذلك لو كان لم يخف غيره ولكنه مضى
ولم يعرف له ولد، ولا يجوز أن يخفى ذلك وقد كان الحبل فيما مضى قائما
ظاهرا ثابتا عند السلطان وعند سائر الناس، وامتنع من قسمة ميراثه من
أجل ذلك حتى بطل ذلك عند السلطان وخفى أمره، فقد ولد له ابن
بعد وفاة أبيه بثمانية أشهر وقد كان أمر أن يسمى محمدا وأوصى بذلك وهو
مستور لا يرى.

وقالت الفرقة الثامنة:

انه لا ولد لحسن أصلا لأننا قد امتحنا ذلك وطلبناه بكل وجه فلم

نجده ولو جاز لنا ان نقول في مثل الحسن وقد توفي ولا ولد له أن له ولدا خفيا لجاز مثل هذه الدعوى في كل ميت عن غير خلف ولجاز مثل ذلك في النبي صلى الله عليه وآله أن يقال خلف ابنا نبيا رسولا ، وكذلك في عبد الله بن جعفر بن محمد أنه خلف ابنا ، وأن ابا الحسن الرضا عليه السلام خلف ثلاثة بنين غير ابي جعفر احدهم الامام ، لأن مجي الخبر بوفاة الحسن بلا عقب كمجىء الخبر بأن النبي صلى الله عليه وآله لم يخلف ذكرا من صلبه ولا خلف عبد الله بن جعفر ابنا ولا كان للرضا اربعة بنين ، فالولد قد بطل لا محالة ولكن هناك حبل قائم قد صح في سرية له وستلد ذكرا إماما متى ما ولدت فانه لا يجوز أن يمضي الامام ولا خلف له فتبطل الامامة وتخلو الارض من الحجة ، واحتج اصحاب الولد على هؤلاء فقالوا : انكرتم علينا امرا قلتم بمثله ثم لم تقنعوا بذلك حتى اضعفتم اليه ما تنكره العقول ، قلتم أن هناك حبلا قائما فان كنتم اجتهدتم في طلب الولد فلم تجدوه فانكروموه لذلك فقد طلبنا معرفة الحبل وتصحيحه أشد من طلبكم واجتهدنا فيه أشد من اجتهدكم فاستقصينا في ذلك غاية الاستقصاء فلم نجده فنحن في الولد أصدق منكم لأنه قد يجوز في العقل والعادة والتعارف أن يكون للرجل ولد مستورا لا يعرف في الظاهر ويظهر بعد ذلك ويصح نسبه ، والامر الذي ادعيتموه منكر شنيع ينكره عقل كل عاقل ويدفعه التعارف والعادة مع ما فيه من كثرة الروايات الصحيحة عن الأئمة الصادقين أن الحبل لا يكون اكثر من تسعة اشهر وقد مضى للحبل الذي ادعيتموه سنون وإنكم على قولكم بلا صحة ولا بينة .

وقالت الفرقة التاسعة : ان حسن بن علي قد صحت وفاة أبيه وجده وسائر آبائه عليهم السلام ، فكما صحت وفاتهم بالخبر الذي لا

يكذب مثله فكذلك صح أنه لا امام بعد الحسن والأرض اليوم
بلا حجة الا أن يشاء الله فيبعث القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله
فيحيى الأرض بعد موتها كما بعث محمد صلى الله عليه وآله على حين
فترة من الرسل .

وقالت الفرقة العاشرة :

ان أبا جعفر محمد بن علي كان انيت في حياة أبيه وهو انذى كان
الامام بوصية من أبيه ، ثم أوصى هو الى غلام له صغير كان في خدمته
يقال له نفيس ، ثم بعد وفاته نقل هذا الغلام الوصية الى جعفر .

وقالت الفرقة الحادية عشرة :

قد اشتبه علينا الامر ، ولا ندرى من هو الامام ، وان الأرض لا
تخلو من حجة فتتوقف ولا نقدم على شىء حتى يصح لنا الأمر ويتبين .
وقالت الفرقة الثانية عشر :

ليس القول كما قال هؤلاء بل لا يجوز أن تخلو الأرض من حجة ،
ولو خلت لساخت الأرض ومن عليها . وأما هو خائف مستور بستر الله لا
يجوز ذكر اسمه ولا السؤال عن مكانه ، وليس علينا البحث عن أمره بل
البحث عن ذلك وطلبه محرم .

وقالت الفرقة الثالثة عشرة :

ان الحسن بن علي توفى وانه كان الامام بعد أبيه وأن جعفر بن
علي الامام بعده ، كما كان موسى بن جعفر اماما بعد عبد الله بن جعفر
للخبر الذى روى أن الامامة فى الأكبر من ولد الامام اذا مضى ، وأن
الخبر الذى روى عن الصادق عليه السلام أن الامامة لا تكون فى أخوين
بعد الحسن والحسين عليهما السلام صحيح لا يجوز غيره ، وانما ذلك اذا
كان للماضى خلف من صلبه فانها لا تخرج منه الى أخيه بل تثبت فى

خلفه، واذا توفي ولا خلف له رجعت الى أخيه ضرورة لأن هذا معنى الحديث عندهم، وكذلك قالوا في الحديث الذي روى أن الامام لا يغسله الا امام، وان هذا عندهم صحيح لا يجوز غيره وأقروا أن جعفر بن محمد عليهما السلام غسله موسى وادعوا أن عبد الله أمره بذلك لأنه كان الامام بعده وأن جاز أن لا يغسله لأنه امام صامت في حضرة عبد الله، فهؤلاء الفطحية الخالص الذين يميزون الامامة في أخوين اذا لم يكن الأكبر منهما خلف ولدا والامام عندهم جعفر بن علي على هذا التأويل ضرورة.

وأما الفرق الرابعة عشرة فقالت:

ان الامام بعده ابنه محمد وهو المنتظر غير أنه مات وسيجيء ويقوم بالسيف ويملأ الارض قسطا وعدلا كم ملئت الارض ظلما وجورا (٢٠٠).
فهذه هي الفرق المشهورة للشيعة ذكرناها من كتب القوم أنفسهم مع سرد الروايات والعبارات من كتب السنة أيضا تأييدا وتوثيقا، لا أصلا واستدلالا، غير أن هنالك فرقا شيعية أخرى ذكرها أصحاب الفرق من السنة من البيانية والجناحية والرزائية والمقنعية والحلمانية والحلاجية والأزافرة وغيرهم، لم نذكرها لانقراضها ولعدم ورود ذكرها في كتب الشيعة وكى لا يقول قائل:

يعلم الله أن هذه الاسماء كلها لم نسع بها ولم نرها في كتب الشيعة وما هي الا مختلفة لا يقصد من ذكرها غير التشنيع والتهجين، وهي أسماء بلا مسميات، ولم يذكرها أحد من المؤرخين، ولا نقلها من كتب في الملل والنحل من الشيعة كالشيخ أبي محمد الحسن بن موسى النوبختي من أهل القرن الرابع في كتاب الفرق والمقالات المتكفل بذكر

وبقيت هناك فرقة أخرى ألا وهي : الاثنا عشرية أو الجعفرية أو الامامية فانها ذكرت ضمن الأربع عشرة فرقة التي افترقت بعد موت الحسن العسكري، ولكن لما لها من أهمية، وان هذا السرد الطويل لم يكن الا لأجلها، لأنه عند اطلاق لفظ الشيعة لا يتبادر الى الذهن الآن الا هذه الفرقة. فنخصص لها بابا مستقلا في تاريخها وعقائدها وعلاقتها بالسبئية وتوارثها جميع الأفكار الموجودة في الفرق البائدة من الغلاة والمتطرفين، كما سنذكر الفرق التي تفرقت منها وهي موجودة حتى الآن. ونلفت ههنا أنظار القراء والباحثين الى أمر هام يجب الانتباه اليه وهو أن كل فرقة من فرق الشيعة التي ذكرناها في هذا الباب سيجد القارئ من مطالعة موجز المعتقدات والعقائد التي حملها اولئك، أن كل واحدة منها أخذ حظا وافرا من السبئية أبناء اليهود، واغترفت غرضا كثيرة من الأديان الباطلة الاخرى من النصرانية والمجوسية والأفكار المدسوسة من الهندوس والبابليين والعاشوريين والكلدانيين وغيرهم، كما أن الشيعة بعد تطور التشيع الاول في جميع أدوارهم وعصورهم التزموا بقول الرجعة والغيبة والولاية والبراءة والوصاية والتوارث كما أرسخها مؤسس تقوم عبد الله بن سبأ وشلتته الماكرة.

السِّقَّةُ الإِثْنَا عَشَرِيَّةُ

إن الطائفة الإمامية الذين قالوا بإمامة الموهوم الذى سموه محمد بن الحسن العسكرى، يقول فيهم السمعانى فى (الأنساب) :

الإمامية جماعة من غلاة الشيعة، وإنما لقبوا بهذا اللقب لأنهم يرون الإمامة لعلّى وأولاده ويعتقدون أنه لا بد للناس من إمام وينتظرون إماما سيخرج فى آخر الزمان (١) .

وهى الطائفة التى تسمى بالاثنى عشرية لاعتقادهم إمامة الاثنى عشر من على بن أبى طالب والحسن بن على وإمامة أخيه الحسين وإمامة زين العابدين على بن الحسين وإمامة محمد بن على الباقر وإمامة جعفر بن محمد الصادق وإمامة موسى بن جعفر الكاظم وإمامة على بن موسى الرضا وإمامة محمد بن على الجواد وإمامة على بن محمد الهادى وإمامة الحسن بن على العسكرى وإمامة محمد بن الحسن المهدي وهو الإمام الثانى عشر (٢) .

ويسمون أيضا : الجعفرية باعتبار أن مذهبهم فى الفروع هو مذهب الإمام جعفر بن محمد الصادق عليها السلام، ونسب مذهبهم فى الفروع إليه باعتبار أن أكثره مأخوذ عنه (٣) .

(١) الأنساب للسمعانى .

(٢) الشيعة فى التاريخ ص ٤٥ - ٤٦ .

(٣) أعيان الشيعة الجزء الأول القسم الأول ص ٢٠ .

ويسمون أيضا : الرافضة أو الروافض لرفضهم مناصرة أئمتهم ومتابعيتهم وغدرهم بهم وعدم وفائهم لهم كما وصفهم على رضى الله عنه بقوله :

لو ميزت شيعتي لما وجدتهم إلا واصفة ، ولو امتحتتهم لما وجدتهم إلا مرتدين ، ولو تمحصتهم لما خلص من الألف واحد^(٤) .

وكما قال على بن الحسين الملقب بزين العابدين أنه لم يبق أحد من شيعة الحسين إلا ارتد تخاذلا وجبنا ورفضنا لنصرتهم إياه ، اللهم إلا الخمسة : أبو خالد الكابلي ويحيى ابن أم الطويل وجبير بن مطيع وجابر بن عبد الله وشبكة التى كانت زوجة الحسين^(٥) .

ورفضهم مناصرة أئمتهم وخذلانهم إياهم وتركهم أوحادا في المعارك والحروب التى هم أسعروا نيرانها معروف ومشهور ، ولقد ذكرنا بعض الوقائع منها فيما سبق ، ومن أواد التفصيل فليرجع إلى كتاب (مقاتل الطالبين) للأصفهاني ، فإنه ليجد هناك المئات من أولاد على بن أبى طالب الذين دعوا إلى الخلافة والحكم ، ثم خذلوا ورفضوا من قبل الشيعة وقيل إنهم سمو بالروافض لرفضهم زيد بن على بن الحسين على مدحه أبا بكر وعمر فقال زيد :

رفضونا اليوم ، ولذلك سموا هذه الجماعة بالرافضة^(٦) .

وذكر الرازى مثل ذلك حيث قال :

إنما سموا بالروافض لأن زيدا بن على بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه خرج على هشام بن عبد الملك ، فطعن عسكره فى أبى بكر فمنعهم من ذلك فرفضوه ولم يبق معه إلا مائتا

(٤) كتاب الروضة من الكافي ج ٨ ص ٣٣٨ .

(٥) مجالس المؤمنين ص ١٤٤ ط . طهران .

(٦) ناسخ التواريخ للمرزة تقى خان الشيعى ج ٢ ص ٥٩٠ .

فارس . فقال لهم : - أى زيد بن على - رفضتمونى ؟ . قالوا : نعم ، فبقى عليهم هذا الأسم (٧) .
وأما قول من قال :

الرافضة لقب ينزبه من يقدّم عليا عليه السلام فى الخلافة وأكثر ما يستعمل للتشفى والانتقام ، وإذا هاجت هائجة العصبية لم يتوقف فى إطلاقه على كل شيعى (٨) .

فليس إلا مبنيا على الجهل أو التجاهل فرارا من العار الذى لصق بهم أبد الدهر لأنه ورد فى بخارى القوم :

عن محمد بن سليمان عن أبيه أنه قال : قلت لأبى عبد الله جعفر - الإمام السادس المعصوم حسب زعم الشيعة - : جعلت فداك فإننا قد نبزنا نبذاً أثقل ظهورنا وماتت له أفئدتنا واستحلت له الولاية دماءنا فى حديث رواه لهم فقهاؤهم ، قال : فقال أبو عبد الله عليه السلام : الرافضة ؟ قلت : نعم ، قال : لا والله ما هم سموكم ولكن الله سماكم به (٩) .

ويسمون أنفسهم الخاصة وغيرهم العامة - فعل اليهود - (١٠) .
فهذه هى الاسماء المشهورة لهذه الطائفة ، فالقائلون بالغائب الموهوم يسمون بهذه الاسماء التى ذكرناها ، ثم إنهم تحيروا فى إثبات وجوده وولادته قبل ثبوت إمامته للشيعة وزعامته التشيع ، فاضطربت فيه أقوالهم وتضاربت فيه آراؤهم ، فقائل يقول : بأن أباه مات ولم ير له أثر ولم يعرف له ولد ظاهر (١١) .

(٧) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازى ص ٥٢ .

(٨) أعيان الشيعة الجزء الأول القسم الأول ص ١٧ .

(٩) كتاب الروضة من الكافي ج ٥ ص ٣٤ .

(١٠) أنظر أعيان الشيعة ج ١ ص ٢٠ .

(١١) فرق الشيعة للتوبختى ص ١١٨ - ١١٩ .

وقائل قال :

كان منه الحمل في جارية له ولكنه بطل ذلك الحمل أو سقط كما ذكره الكليني في رواية طويلة له عن أحمد بن عبيد الله بن خاقان أنه قال : إن الحسن العسكري لما مات :

صارت سرّ من رأى ضجة واحدة وبعث السلطان إلى داره من فتشها وفتش حجرها وختم على جميع ما فيها وطلبوا أثر ولده وجاءوا بنساء يعرفن الحمل ، فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهن ، فذكر بعضهن أن جارية هنا بها حمل ، فجعلت في حجرة ووكل بها تحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم ، ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التي توهم عليها الحمل لازمين حتى تبين بطلان الحمل (١٢) .

وقائل قال منهم : بل ولد لحسن بعده بشانية أشهر (١٣) .

والآخرون قالوا : ولد ذلك الموهوم قبل وفاته بستتين :

فأما مولده بسرّ من رأى في ثالث وعشرين من رمضان سنة ثمان وخمسين ومائتين (١٥) .

وقال قائلهم : كان مولده في سنة ست وخمسين (١٥) .

وقال قائل : لا بل ولد قبل وفاته بخمس سنوات :

وكان مولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمس

وخمسين ومائتين (١٦) .

وهكذا اختلف في اسم الجارية التي قالوا إنها ولدته ، فقال

(١٢) كتاب الحجة من الكافي ج ١ ص ١٢٦ .

(١٣) فرق الشيعة ص ١٢٦ .

(١٤) كشف الغمة للاريلي ج ٣ ص ٢٢٧ .

(١٥) منتهى الآمال للعباس القمي ص ١١٩٨ الفارسي .

(١٦) الارشاد للمفيد ص ٣٤٦ ، اعلام الوري للطبرسي ص ٤١٩ .

قائلهم : إن اسمها نرجس (١٧) .

وقيل : اسمها صقيل أو صيقل (١٨) .

وقيل : حكيمة (١٩) .

وقيل غير ذلك .

وعلى ذلك قال ابن حزم :

وقالت القطيعية من الإمامية الرافضة كلهم وهم جمهور الشيعة ومنهم المتكلمون والنظارون والعدد العظيم بأن محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حي لم يموت ولا يموت حتى يخرج فيملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وهو عندهم المهدي المنتظر، ويقول طائفة منهم : إن مولد هذا الذي لم يخلق قط في سنة ستين ومائتين سنة موت أبيه، وقالت طائفة منهم : بل بعد موت أبيه بمدة . وقالت طائفة منهم : بل في حياة أبيه ورووا ذلك عن حكيمة بنت محمد بن علي بن موسى وأنها شهدت ولادته وسمعته يتكلم حين سقط من بطن أمه ويقرأ القرآن، وإن أمه نرجس، وأنها كانت هي القابلة، وقال جمهورهم : بل أمه صقيل، وقالت طائفة منهم : بل أمه سوسن . وكل هذا هوس، ولم يعقب الحسن المذكور لا ذكراً ولا أنثى، فهذا أول نوك الشيعة ومفتاح عظيماهم وأخفها وإن كانت مهلكة (٢٠)

ثم القصص التي اختلقت واخترعت لولادة هذا المولود الذي لم يولد قط وعن اختفائه عن الأعين، عن الخاصة والعامة وعن الأقارب والأباعد، وعدم علم أهل البيت وأهل الدار وعدم معرفتهم به . ثم

(١٧) الإرشاد للمفيد ص ٣٤٦ .

(١٨) كشف الغمّة ج ٣ ص ٢٢٧ .

(١٩) أيضاً .

(٢٠) الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٨١ .

وكيفية بلوغه إلى درجة الإمامة والاحاطة بجميع العلوم التي هي من خواص الإمامة ولوازمها عند القوم، كل ذلك جعل القوم ينسجون الاساطير ويبالغون في الأكاذيب لإثبات مدعاهم الذي لم يثبت ولن يثبت لأن حكاياتهم الجديرة أن توصف بأنها خرافات وخزعبلات هي نفسها تشهد على فشلهم وخذلانهم في إيجاد اللاموجود. وسرد للقارىء بعض هذه الخرافات لكي يعرف ويعلم كذب القوم وحقيقتهم الأصلية. ولأهمية الموضوع أردنا بعض التفصيل وخاصة إنها - أى الاثنى عشرية - هي الطائفة الوحيدة التي تدعى التشيع الأصلى وكونهم الشيعة الأصليين وعلى وجود معدومهم يتأسس مذهبهم وتقوم ديانتهم

ولقد ذكر مفسر الشيعة وعلم من أعلامهم، الذي يلقبونه بأمين الإسلام ومن علمائهم في القرن السادس من الهجرة أبو على الطبرسى في كتابه نقلا عن صدوق الشيعة وأحد أئمتهم في الحديث، الذي جعلوه في الصحاح الأربعة لهم، ابن بابويه القمى :

فمن الأخبار التي جاءت في ميلاده (ع) ما رواه الشيخ أبو جعفر بن بابويه عن محمد بن الحسن بن الوليد، عن محمد بن يحيى العطار عن الحسين بن رزق الله عن موسى بن محمد بن القاسم بن حمزة (عن حكيمة بنت محمد بن على) بن موسى ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام قال : حدثتني حكيمة بنت محمد بن الرضا (ع) قالت : بعث إلى أبو محمد الحسن بن على (ع) فقال : يا عم اجعلنى إفطارك الليلة عندنا فإنها ليلة النصف من شعبان وإن الله تعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة وهو حجة الله في أرضه، قالت فقلت له : ومن أمه ؟ قال : نرجس، فقلت له : جعلنى الله فداك ما بها أثر، فقال : هو ما أقول لك، قالت : فجئت فلما سلمت وجلست

جاءت تنزع خفى وقالت لى : ياسيدتى كيف أمسيت؟ . فقلت : بل أنت سيدتى وسيدة أهلى ، قالت : فأنكرت قولى وقالت : ما هذا ، فقلت لها : يابنية إن الله تعالى سيهب لك فى ليلتك هذا غلاما سيداً فى الدنيا والآخرة ، قالت : فخجلت واستحييت ، فلما أن فرغت من صلاة العشاء الآخرة أفطرت وأخذت مضجعى فرقدت فلما كان فى جوف الليل قمت إلى الصلاة ففرغت من صلاتى وهى قائمة ليس بها حادث ثم جلست معقبة ثم اضطجعت ، ثم انتبهت أخرى وهى راقدة ، ثم قامت فصلت ونامت ، قالت حكيمة : وخرجت اتفقد الفجر فإذا أنا بالفجر الأول كذب السرحان وهى نائمة ، قالت حكيمة : فدخلتنى الشكوك فصاح بى أبو محمد من المجلس فقال : لا تعجلى ياعمة فإن الأمر قد قرب ، قالت : فجلست فقرأت (الم السجدة) و(يس) فبينما أنا كذلك إذا انتبهت فزعة فوثبت إليها ، فقلت : اسم الله عليك ، ثم قلت لها : تحسين شيئا؟ قالت : نعم ، فقلت لها : اجمعى نفسك واجمعى قلبك فهو ما قلت لك .

قالت حكيمة : ثم أخذتنى فترة وأخذتها فترة فانتبهت بحسب سيدى فكشفت الثوب عنها فإذا به عليه السلام ساجداً يتلقى الأرض بمساجده فضمته إلى فإذا أنا به نظيف منظم ، فصاح بى أبو محمد هلمى إلى ابنى ياعمة ! فجئت به إليه فوضع يديه تحت أيتيه وظهره ووضع قدميه على صدره ، ثم أدلى لسانه فى فيه وأمر يده على عينيه وسمعه ومفاصله ثم قال : تكلم يابنى فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله . ثم صلى على أمير المؤمنين وعلى الأئمة (ع) إلى أن وقف على أبيه ثم أحجم .

ثم قال أبو محمد : ياعمة ! اذهبى به إلى أمه ليسلم عليها واثينى

به فذهبت به فسلم ورددته ووضعته في المجلس .

ثم قال عليه السلام : ياعمة إذا كان يوم السابع فائتينا ، قالت
حكيمه : فلما أصبحت جئت لأسلم على أبي محمد وكشفت الستر
لأفقد سيدي فلم أره فقلت له : جعلت فداك ما فعل سيدي ؟ . قال :
ياعمة استودعناه الذي استودعت أم موسى ، قالت حكيمه : فلما كان يوم
السابع جئت وسلمت على أبي محمد فقال : هلمى إلى ابني فجئت
بسيدي وهو في الخرقه ففعل به كفعلته الأولى ثم أدلى لسانه في فيه كأنها
يغذيه لبناً أو عسلاً ، ثم قال : تكلم يا بني فقال أشهد أن لا إله إلا الله
وثنى الصلاة على محمد وعلى أمير المؤمنين وعلى الأئمة حتى وقف
على أبيه (ع) ثم تلا هذه الآية (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في
الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الأرض ونرى
فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) (٢١) .

وروى مثل ذلك بزيادات كثيرة خاتمة محدثي الشيعة ملا باقر
المجلسي عن الكليني صاحب (الكافي) ، وعن ابن بابويه القمي ، وعن
شيخ الطائفة الطوسي ، وعن السيد مرتضى الذي لقبه بعلم الهدى
وغيرهم (٢٢) .

ومؤرخ الشيعة ورجالهم ومحدثهم عباس القمي في منتهى
الآمال (٢٣) .

وروى القوم عن كبار محدثيهم ، عن ابن بابويه القمي ، وعن شيخ
الطائفة الطوسي بأسانيد معتبرة معتمدة كما ذكروا خرافات كثيرة يخجل
الإنسان بذكرها ويمجها العقل ويزدريها الفكر ولكن أنى لشاقي

(٢١) اعلام الورى للطبرسى ص ٤١٨ - ٤٢٠ ، روضة الواعظين للفتال النيسابورى الشيعى
ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٢٢) جلاء العيون فارسى ص ٧٧٠ وما بعد .

(٢٣) ص ١٢٠٤ وما بعد .

أصحاب الرسول الحياء والخجل ، وما ورد فيه أن حكيمة تقول :
 " بدأت أقرأ على نرجس : إنا أنزلناه في ليلة القدر ، فأجابني الجنين
 من بطنها يقرأ بمثل ما أقرأ ، وسلم عليّ ، ففرغت لما سمعت ، فصاح بي
 أبو محمد عليه السلام : لا تعجبي من أمر الله إن الله تعالى ينطقنا صغارا
 بالحكمة ويجعلنا حجة في أرضه كبارا ، فلم يستتم الكلام حتى غيّبت
 عني نرجس ، فلم أرها كأنه ضرب بيني وبينها حجاب فعدوت نحو أبي
 محمد (ع) وأنا صارخة فقال لي : ارجعي يا عمة فإنك ستجدينها في
 مكانها قالت : فرجعت فلم ألبث إلى أن كشف الغطاء الذي بيني وبينها
 وإذا أنا بها وعليها من أثر النور ما غشى بصري فإذا أنا بالصبي عليه
 السلام ساجداً لوجهه جاثياً على ركبتيه رافعاً سبابته نحو السماء وهو
 يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن جدى رسول الله (ص) وأن أبى أمير
 المؤمنين ثم عد إماماً إماماً إلى أن بلغ إلى نفسه فقال : اللهم أنجز لى
 وعدى وأتم لى أمرى ، وثبت وطأتى وأملاً الأرض بى عدلاً وقسطاً
 فصاح بى أبو محمد (ع) وقال : يا عمة تناوليهِ وهاتيه فتناولته وأتيت به
 نحوه فلما مثلت بين يدي أبيه وهو على يدي فسلم على أبيه فتناوله
 الحسن (ع) منى والطير يرفرف على رأسه ويناوله لسانه فيشرب منه ثم
 قال : امض به إلى أمه لترضعه ورديه إلى قالت فتناولته أمه فأرضعته
 ورددته إلى أبى محمد والطير يرفرف على رأسه فصاح طير منها فقال له :
 احمله واحفظه ورده إلينا فى كل اربعين يوماً فتناوله الطير وطار به فى جو
 السماء واتبعه سائر الطيور فسمعت أبا محمد يقول : أستودعك الذى
 اودعته أم موسى ، فبكت نرجس فقال : اسكتى فإن الرضاع محرم عليه
 إلا من نديك وسيعاد إليك كما رد موسى إلى أم موسى وذلك قول الله عز
 وجل : ﴿ فرددناه إلى أمه كى تقرر عينها ولا تحزن ﴾ ، قالت حكيمة : قلت

فما هذا الطير؟ قال هذا روح القدس الموكل بالأئمة عليهم السلام يوفقهم ويسددهم ويرببهم العلم قالت حكيمة: فلما أن كان بعد أربعين يوماً رد الغلام ووجهه إلى ابن أخى فدعاني فدخلت عليه فإذا أنا بصبي متحرك يمشى بين يديه فقلت ياسيدى هذا ابن سنتين فتبسم عليه السلام ثم قال: إن أولاد الأنبياء والأوصياء إذا كانوا أئمة ينشئون بخلاف ما ينشأ غيرهم وإن الصبى منا إذا أتى عليه شهر كان كمن أتى عليه سنة وإن الصبى منا ليتكلم فى بطن أمه ويقرأ القرآن ويعبد الله تعالى عند الرضاع وتطيف به الملائكة وتنزل عليه بالسلام صباحاً ومساءً قالت حكيمة: فلم أزل أرى ذلك الصبى فى كل أربعين يوماً إلى أن رأيته رجلاً قبل مضى أبى محمد بأيام قلائل فلم اعرفه فقلت لابن أخى (ع) من هذا الذى تأمرنى أن أجلس بين يديه؟ فقال لى: هذا ابن نرجس وهذا خليفتى من بعدى وعن قليل تفقدوننى فاسمعى وأطيعى» (٢٤).

ومثل ذلك روى الطبرسى أيضاً فى أعلام الورى (٢٥).

وزاد: حدثنى نسيم الخادم قال: قال لى صاحب الزمان وقد دخلت بعد مولده بليلة، فعطست فقال: يرحمك الله، قال نسيم: ففرحت بذلك فقال: ألا أبشرك بالعطاس؟ فقلت: بلى، فقال: هو أمان من الموت إلى ثلاثة أيام» (٢٦).

وابن الفثال قال:

لما ولد السيد عليه السلام قال أبو محمد: ابعثوا إلى أبى عمرو، فبعث إليه فصار إليه، فقال له: اشتر أربعة آلاف رطل خبز وعشرة آلاف

(٢٤) جلاء العيون للمجلسى ص ٧٧٢، منتهى الآمال للقمى ص ١٢٠٦، روضة الواعظين ج ٢

ص ٢٥٩.

(٢٥) ص ٤٢٠.

(٢٦) أعلام الورى ص ٤٢٠.

رطل لحم وفرقه واحسبه

قال على بن هاشم : وعق عنه بكذا وكذا شاة .

وروى أنه لما ولد السيد (ع) رأيت له نورا ساطعا قد ظهر منه وبلغ أفق السماء ، ورأيت طيورا بيضا تهبط من السماء وتمسح أجنحتها على رأسه ووجهه وسائر جسده ثم تطير ، فأخبرنا أبا محمد بذلك فضحك ، ثم قال : تلك ملائكة السماء نزلت للتبرك بهذا المولود ، وهى أنصاره إذا خرج» (٢٧) .

ولعاقل أن يعقل ويسأل : ولماذا الخوف ، ثم الدخول فى السرداب مادامت الملائكة حاميته وأنصاره ؟ .

ثم ولماذا كان البحث والتفتيش والتنقيب عن مولود للحسن العسكرى مادام أنه كان موجودا وقد بلغ الرشد وشب وترعرع ؟ .
ثم وكيف حاز تركة اخسن أخوه جعفر مع وجود من يكون وارثا له من أولاده ؟ .

ورابعا : ولماذا لم يشب ولم ينم الحسن والحسين سبطا رسول الله ﷺ ولهما من مكانة ومنزلة لا تخفى على أحد ؟ . كما أن الحسين حسب زعم القوم هو أب الأئمة الذين خلفوا بعده ومع وجود رسول الله آنذاك ، فكان صبيا عندما غادر رسول الله الدنيا وحتى بروايات القوم ، ثم ومن غير المعدوم نمى هذا النمو وترعرع وشب بهذه العجلة ؟ فما هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا .

خامسا : وهل يصدق بهذه الأقاصيص التى لم يحسن واضعوها صناعتها وصياغتها شخص لديه شىء من التعقل وقليل من الفكر ؟ .
وهل حكايات الطير وغياب النرجس إلا الأباطيل التى يسامر بها

المسامرون ويحيون بها الليالي في الأندية والمقاهي ؟ .

ثم وكيف خفى كل هذا على الهاشميين والأسرة العلوية مع من فيهم من أم الحسن وأخيه وعلى رأسهم نقيب الطالبين أحمد بن عبد الصمد المعروف بابن الطومار الذي كان لديه سجل يدون فيه مواليد العلويين . وعلى ذلك لما ادعى أحد من الأدعياء أنه محمد بن الحسن العسكري سنة ٣٠٢ وصل خبره إلى الخليفة المقتدر العباسي ، فأمر باحضار مشائخ آل أبي طالب ونقيهم للبت في أمره ، فشهد الجميع على كذبه بدليل أن الحسن العسكري لم يعقب ، فحبس الدعوى وضرب شهر بين الناس (٢٨) .

فهذه القصص وهذه الخرافات بنفسها تشهد على فشل القوم في إثبات المدعى .

هذا وزيادة على ذلك اختلاف الشيعة أنفسهم وذهاب أكثرهم إلى إمامة الآخرين ، والآراء المتعددة ، بعد يأسهم عن ولادة ابن الحسن العسكري وعن وجوده بعده .

وأخيرا ننقل ذلك الخبر الموثوق ، المعتمد لدى القوم والمنقول في أصح كتبهم ، في (الكافي) ما هو فصل قاطع في الموضوع ، وذلك ما رواه الكليني عن أحمد بن عبيد الله بن خاقان وهو شيعي مشهور معلن تشييعه وموالاته للحسن العسكري أن الحسن العسكري :

لما اعتل بعث السلطان إلى أبيه أن ابن الرضا قد اعتل ، فركب من ساعته فبادر إلى دار الخلافة ثم رجع مستعجلا ومعه خمسة من خدم أمير المؤمنين كلهم من ثقاته وخاصته ، فيهم تحرير فأمرهم بلزوم دار الحسن وتعرف خبره وحاله ، وبعث إلى نفر من المتطبيين فأمرهم

بالاختلاف إليه وتعاهده صباحا ومساء ، فلما كان بعد ذلك بيومين أو ثلاثة أخبر أنه قد ضعف ، فأمر المتطيين بلزوم داره وبعث إلى قاضى القضاة فأحضره مجلسه وأمره أن يختار من أصحابه عشرة ممن يوثق به فى دينه وأمانته وورعه ، فأحضرهم فبعث بهم إلى دار الحسن وأمرهم بلزومه ليلا ونهارا ، فلم يزالوا هناك حتى توفى عليه السلام فصارت سر من رأى ضجة واحدة وبعث السلطان إلى داره من فتشها وفتش حجرها وختم على جميع ما فيها وطلبوا أثر ولده وجاءوا بنساء يعرفن الحمل ، فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهن ، فذكر بعضهن أن هناك جارية بها حمل فجعلت فى حجرة ووكل بها تحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم ، ثم أخذوا بعد ذلك فى تهيئته وعطلت الأسواق وركبت بنو هاشم والقواد وأبى وسائر الناس إلى جنازته ، فكانت سر من رأى يومئذ شبيها بالقيامة ، فلما فرغوا من تهيئته بعث السلطان إلى أبى عيسى بن المتوكل فأمره بالصلاة عليه ، فلما وضعت الجنازة للصلاة عليه دنا أبو عيسى منه فكشف عن وجهه فعرضه على بنى هاشم من العلوية والعباسية والقواد والكتاب والقضاة والمعدلين وقال :

هذا الحسن بن على بن محمد بن الرضا مات حتف أنفه على فراشه حضره من حضره من خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان ومن القضاة فلان وفلان ومن المتطيين فلان وفلان ، ثم غطى وجهه وأمر بحمله من وسط داره ودفن فى البيت الذى دفن فيه أبوه .

ولما دفن أخذ السلطان والناس فى طلب ولده وكثر التفتيش فى المنازل والدور وتوقفوا عن قسمة ميراثه ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التى توهم عليها الحمل لازمين حتى تبين بطلان الحمل ، فلما بطل الحمل عنهن قسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر وادعت أمه وصيته وثبت

ذلك عند القاضي» (٢٩) .

وذكر هذا الخبر جميع مؤرخي الشيعة ومؤلفيهم ومحدثيهم من المفيد في الإرشاد (٣٠) والطبرسي في أعلام الوري (٣١) والأربلي في كشف الغمة (٣٢) والملا باقر المجلسي في جلاء العيون (٣٣) وصاحب الفصول في الفصول المهمة (٣٤) والعباس القمي في منتهى الآمال (٣٥) .
فهذا هو الخبر الذي رواه جميع مؤرخي الشيعة ومحدثيها قد يهدم ما أرادوا بناءه على الأساطير والقصص والحكايات والخرافات من ولادة الثاني عشر المعلوم ونشأته وإمامته .

ثم ولقد أقرّ بهذه الحقيقة الناصعة كبار القوم وزعمائهم بأن الحسن العسكري مات :

فلم يظهر ولده في حياته، ولا عرفه الجمهور بعد وفاته، وتولى جعفر بن علي أخو أبي محمد (ع) وأخذ تركته، وسعى في حبس جوارى أبي محمد واعتقال حلائله . . . وحاز جعفر ظاهراً تركة أبي محمد عليه السلام واجتهد في القيام عند الشيعة مقامه» (٣٦) .

ولماذا قالوا بولادة هذا المعلوم ؟

ثم ان القوم لم يضطروا إلى إيجاد هذا المعلوم واختلاق هذا الموهوم إلا فراراً من الاسئلة التي تطرح عليهم من قبل مخالفينهم وهرباً من المآزق

(٢٩) كتاب الحجة من الكافي ص ٥٠٥ .

(٣٠) ص ٣٣٩ .

(٣١) ص ٣٧٧- ٣٧٨ .

(٣٢) ج ٣ ص ١٩٨- ١٩٩ .

(٣٣) تحت ذكر المهدي .

(٣٤) أيضاً .

(٣٥) أيضاً .

(٣٦) الارشاد للمفيد ص ٣٤٥ ، اعلام الوري للطبرسي ص ٣٨٠ ، كشف الغمة ج ٣

التي كانوا يقعون فيها حسب الأسس التي اخترعوها والقواعد التي ابتدعوها والأصول التي أوجدوها هم أنفسهم لبيان أوصاف الإمام وخصائله والشروط التي توجد فيه واللوازم التي تلزمه إياه، فإنهم قالوا : ان الإمام لا يموت حتى يوصى ، ويكون له خلف (٣٧) .

وذكر الكليني عن جعفر أنه قال :

لا يموت الإمام حتى يعلم من يكون بعده ، فيوصى إليه (٣٨) .

ثانيا : لا يكون إلا في الأعقاب وأعقاب الأعقاب كما روى

الكليني عن جعفر أنه قال :

لا تعود الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين أبدا ، إنما جرت من علي بن الحسين كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾ ، فلا تكون بعد علي بن الحسين إلا في الأعقاب وأعقاب الأعقاب (٣٩) .

وروى الكليني عن عيسى بن عبد الله بن عمر بن علي بن أبي

طالب عليه السلام أنه قال :

قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إن كان كون - ولا أراني الله -

فبمن أئتم؟ فأومأ إلى ابنه موسى ، قال : قلت : فإن حدث يموسى

حدث فبمن أئتم؟ قال : بولده ، قلت : فإن حدث بولده حدث وترك أخا

كبيرا وابنا صغيرا فبمن أئتم؟ قال : بولده ثم واحدا فواحدا . وفي نسخة

الصوافي : ثم هكذا أبدا (٤٠) .

(٣٧) فرق الشيعة للتريختي ص ١٢٣ .

(٣٨) الأصول من الكافي كتاب الحجة ، باب ان الإمام يعرف الإمام الذي يكون من بعده ج ١

ص ٢٧٧ .

(٣٩) أيضا ، باب اثبات الإمامة في الأعقاب وأعقاب الأعقاب وانها لا تعود في أخ ولا عم ج ١

ص ٢٨٦ .

(٤٠) أيضا .

وتوثيقا لهذه القاعدة وتأكيذا لها نقلوا عن علي بن موسى الرضا أنه
سئل :

أتكون الإمامة في عمّ أو خال؟ فقال : لا ، قيل : ففي أخ؟ قال :
لا ، قيل : ففيمن؟ قال : في ولدي ، وهو يومئذ لا ولد له» (٤١) .

ويقصد بذلك لا بد أن يولد له ولد لأن وجوده من أحد الأدلة على
صحة الإمامة .

ثالثا : ولا يكون إلا في الكبير . كما روى الكليني عن علي بن موسى أنه
قال :

للإمام علامات ، منها أن يكون أكبر (٤٢) ولد أبيه» (٤٣) .

وكما رووا عن جعفر أنه قال :

ان الأمر في كبير ما لم تكن فيه عاهة» (٤٤) .

ومثل ذلك قال علي بن موسى بن جعفر حينما سئل عن دلالة
صاحب هذا الأمر فقال :

الدلالة عليه الكبير» (٤٥) .

رابعا : قالوا : إن الإمام لا يغسله إلا الإمام . كما نقلوا عن علي
الرضا أنه قال :

إن الإمام لا يغسله إلا إمام من الأئمة عليهم السلام» (٤٦) .

خامسا : يستوى عليه درع رسول الله ﷺ كما رووا عن الباقر أنه
بين علامات الإمام فقال : ومنها : وإذا لبس درع رسول الله صلى الله
(٤١) أيضا .

(٤٢) وهذا هو الدليل القوي والحجة القاطعة للاسماعيلية بأن الإمام كان بعد جعفر اسماعيل ابنه
لأنه هو أكبر أبنائه .

(٤٣) الأصول من الكافي ج ١ ص ٢٨٤ .

(٤٤) الأصول من الكافي كتاب الحجّة ، باب الأمور التي توجب حجّة الإمام ج ١ ص ٢٨٤ .

(٤٥) أيضا .

(٤٦) أيضا ، باب ان الإمام لا يغسله إلا إمام ص ٣٨٤ .

عليه وآله كان عليه وفقا، وإذا لبس غيره من الناس طویلهم وقصیرهم زادت علیهم شبرا» (٤٧).

ومثل ذلك روى ابن بابويه القمي عن علي بن موسى الرضا - الإمام الثامن للشيعة - أنه قال :

ويستوى عليه درع رسول الله صلى الله عليه وآله» (٤٨).

وبذلك استدلل جعفر بن الباقر على إمامة موسى ابنه - حسب زعمهم - كما يروى عبد الرحمن بن الحجاج أنه قال لجعفر :

جعلني الله فداك، قد عرفت انقطاعي إليك، فمن ولي الناس بعدك؟ فقال: إن موسى قد لبس الدرع وساوى عليه» (٤٩).

سادسا : ويكون عنده سلاح رسول الله كما روى الكليني عن علي بن موسى بن جعفر أنه قال :

والسلاح فينا بمنزلة التابوت في بني اسرائيل، تكون الإمامة مع السلاح حيث ما كان» (٥٠).

وبمثل ذلك قال جعفر :

يعرف صاحب هذا الأمر ثلاث خصال : لا تكون إلا فيه : هو أولى الناس بالذي قبله وهو وظيفه وعنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله» (٥١).

سابعا : لا يكون الإمام إلا من يكون أشجع الناس وأعلم الناس، كما روى الكليني عن أبي الحسن أنه قال :

(٤٧) أيضا، باب مواليد الأئمة ج ١ ص ٣٨٩.

(٤٨) عيون أخبار الرضا، باب ما جاء عن الرضا في علامات الإمام ج ١ ص ٢١٣.

(٤٩) الأصول من الكافي ج ١ ص ٣٠٨.

(٥٠) أيضا ص ٢٨٤.

(٥١) أيضا ص ٣٧٩.

نجن في العلم والشجاعة سواء» (٥٢) .

وكما روى الحر العاملي عن علي بن موسى بن جعفر أنه قال :
الإمام أحد دهره لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل
ولا له مثل ولا نظير مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا
اكتساب ، بل اختصاص من الفضل الوهاب» (٥٣) .

وروى ابن بابويه القمي أيضا عن علي بن موسى بن جعفر أنه
قال :

للإمام علامات ، يكون أعلم الناس وأشجع الناس» (٥٤) .
ثامنا : إن الإمام لا يحتلم ولا يجنب كما رووا ذلك عن علي بن
موسى بن جعفر» (٥٥) .

تاسعا : إن الإمام يعلم بما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليه
شيء ، وعنده جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل ويعرفها على
اختلاف ألسنتها» (٥٦) .

وأشياء كثيرة كثيرة .

ولقد ذكر ابن بابويه القمي عن علي بن موسى بن جعفر أنه
قال :

للإمام علامات : يكون أعلم الناس ، وأحكم الناس ، وأتقى
الناس ، وأحلم الناس ، وأشجع الناس ، وأسخر الناس ، وأعبد
الناس ، ويولد مختونا ، ويكون مطهراً ، ويرى من خلفه كما يرى من بين

(٥٢) أيضا ص ٢٧٥ .

(٥٣) الفصول المهمة ، باب يجب أن يكون الإمام أعلم الناس ص ١٤٢ ط . قم . إيران .

(٥٤) كتاب الخصال لابن بابويه القمي ج ٢ ص ٥٢٨ ط . طهران .

(٥٥) أنظر عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢١٣ ، كتاب الخصال ج ٢ ص ٥٢٨ .

(٥٦) الكافي للكليني ، كتاب الحجة ج ١ ص ٢٢٧ ، ٢٦٠ ، الفصول المهمة للحر العاملي

يديه، ولا يكون له ظلٌ، وإذا وقع على الأرض من [بطن] أمه وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشهادة، ولا يجتلم، وتنام عينه ولا ينام قلبه. ويكون محدثاً ويستوى عليه درع رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يرد له بول ولا غائط لأن الله عز وجل قد وكل الأرض بابتلاع ما يخرج منه. ويكون له رائحة أطيب من رائحة المسك، ويكون أولى الناس منهم بأنفسهم وأشفق عليهم من آبائهم، وأمّهاتهم، ويكون أشد الناس تواضعاً لله عز وجل، ويكون آخذ الناس بما يأمرهم به وأكف الناس عنه، ويكون دعاؤه مستجاباً حتى لو أنه دعا على صخرة لانشق نصفين، ويكون عنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسيفه ذو الفقار، ويكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعته إلى يوم القيامة وصحيفة فيها أسماء أعدائهم إلى يوم القيامة، ويكون عنده الجامعة وهي صحيفة طولها سبعون ذراعاً فيها جميع ما يحتاج إليه ولد آدم، ويكون عنده الخبث الأكبر والأصغر إهاب ماعز وإهاب كبش فيهما جميع العلوم حتى أرش الخدش وحتى الجلدة ونصف الجلدة وثلاث الجلدة، ويكون عند مصحف فاطمة عليها السلام

وفي حديث آخر إن الإمام مؤيد بروح القدس وبينه وبين الله عز وجل عمود من نور يرى فيه أعمال العباد وكلما احتاج إليه لدلالة أطل عليه» (٥٧)

وأخيراً عن جعفر أنه قال :

لوبيقبت الأرض بغير إمام لساخت» (٥٨)

وقال :

(٥٧) كتاب الخصال للقمي ص ٥٢٧، ٥٢٨

(٥٨) الأصول من الكافي، باب أن الأرض لا تخلو من حجة ج ١ ص ١٧٩

لولم يبق من الأرض إلا اثنان فأحدهما الحجة» (٥٩) .
 هذه هي الأسس الكبيرة التي وضعوا عليها بناء إمامة أئمتهم ،
 ولما وجدوا أن أكثر الذين يعتقدون فيهم الإمامة ولا تنطبق عليهم هذه
 الصفات ولا يصدق عليهم هذه الشروط حيث إن بعضهم ليس بأكبر
 ولد أبيه مثل موسى الكاظم والحسن العسكري ، وبعضهم لم يغسله إمام
 مثل علي بن موسى بن جعفر ، فإن ابنه محمد الجواد لم يتجاوز الثامنة من
 عمره آنذاك .

وكذلك موسى بن جعفر فإن ابنه علي الرضا لم يغسله لغيابه عنه
 عندئذ .

والجدير بالذكر أن محمد بن الرضا - الإمام الثامن من عندهم -
 كان بالمدينة حين وفاته (٦٠) .

وكذلك الحسين بن علي لم يثبت أنه غسله ابنه علي زين العابدين
 لملازمته الفراش ولحيلولة عساكر ابن زياد دون ذلك .

وبعضهم لا يستوى عليه درع رسول الله مثل محمد بن علي
 الرضا ، فإنه لم يتجاوز الثامنة عند وفاة أبيه ، وكذلك ابنه علي بن محمد
 مات عنه وهو صغير .

ومنهم من لم يكن عنده سلاح رسول الله ، ولو كان عنده لما نازعه
 في الأمر أخوه زيد ، وكموسى بن جعفر حيث نازعه عبد الله الأفطح
 وغيره .

ومنهم من لم يكن أعلم الناس ، فكيف يكون الصبي أعلمهم ،
 وقد نقل عن القوم أنفسهم بأن من يظنونه إماما من الصبيان قد وكل
 أمرهم إلى الآخرين إلى أن يستأنس منهم الرشد والعلم ، وكذلك فقد

شك كبار الشيعة وزعماءهم حتى في علم جعفر بن الباقر، فهذا هو زرار بن أعين كبير رواة القوم، الذي قال فيه جعفر نفسه :
 رحم الله زرار بن أعين، لولا زرار ونظراؤه لاندست أحاديث
 أبي» (٦١) ..

فهذا زرار قال عن جعفر وأبيه :
 رحم الله أبا جعفر، فإن في قلبي عليه لفته» (٦٢) .
 وقال فيه أيضا : وصاحبكم أيضا ليس له بصير بكلام الرجال» (٦٣)

ومثل ذلك حكموا في علم ابنه موسى، والقائل هو أبو بصير
 المرادى أحد الأركان الأربعة في رواية الحديث الشيعي، وأبو بصير هذا
 هو الذي بشره جعفر بن محمد بالجنة (٦٤) .

فلقد ذكر الكشي عن شعيب الأقرقوفي أنه ذكر أبا الحسن عنده،
 فقال أبو بصير : أظن صاحبنا ماتناهي حكمه بعد، وفي رواية أظن
 صاحبنا ما تكامل علمه» (٦٥) .

وأما الشجاعة فبعد الحسين بن علي لم يكن واحد منهم معروفا
 بهذا الوصف بين الناس حسب روايات الشيعة، بل كل ما نقل عنهم
 يدل على عكس ذلك، فلم يخرج واحد منهم ضد الحكام ولا
 السلاطين، بل خلاف ذلك، كان منهم من أقرب عبوديته لهم، ومنهم
 متخاذل عن نصرته بنى عمومته الخارجين على الأمراء والولاة، ومنهم
 متجنب محتز محتاط ومنهم داع إلى التزام الولاء والإطاعة لهم كما ذكرنا
 كل ذلك في الباب السابق .

(٦١) رجال الكشي ص ١٢٤ .

(٦٢) أيضا ص ١٣١ . تحت ترجمة زرار بن أعين .

(٦٣) أيضا ص ١٣٣ .

(٦٤) أنظر رجال الكشي ص ١٥٢ تحت ترجمة أبي بصير المرادى .

(٦٥) أيضا ص ١٥٤ .

وهذا كله حسب روايات القوم أنفسهم ، وما فعله الحسن وما قالوه له وفيه فمعروف ومشهور .

ومنهم من جاء النص بأنه كان يجنب ويحتلم كعلي بن أبي طالب والحسن والحسين ، ورووا النص عن رسول الله ﷺ أنه قال : لا يحل لأحد يجنب في هذا المسجد إلا أنا وعلى وفاطمة والحسن والحسين» (٦٦) .

وأما العلم بما كان وما يكون فلو كان كذلك لم يختلف أجوبتهم على السائلين لعلمهم أنهم من مخلصي شيعتهم ، لأنهم عند ذاك علموا بأنهم ليسوا من المخالفين كما ذكر ذلك النوبختي :

«عمر بن رياح» زعم أنه سأل أبا جعفر عليه السلام عن مسألة فأجابه فيها بجواب ، ثم عاد إليه في عام آخر فسأله عن تلك المسألة بعينها فأجابه فيها بخلاف الجواب الأول ، فقال لأبي جعفر : هذا خلاف ما أجبتني في هذه المسألة العام الماضي ، فقال له : ان جوابنا ربما خرج على وجه التقية فشكك في أمره وإمامته فلقى رجلا من أصحاب أبي جعفر يقال له (محمد بن قيس) فقال له : اني سألت أبا جعفر عن مسألة فأجابني فيها بجواب ثم سألته عنها في عام آخر فأجابني بخلاف جوابه الأول ، فقلت له : لم فعلت ذلك؟ فقال : فعلته للتقية ، وقد علم الله أني ما سألته عنها إلا وأنا صحيح العزم على التدين بما يفتيني به وقبوله والعمل به فلا وجه لاتقائه إياي وهذه حالي فقال له محمد بن قيس : فلعله حضرك من اتقاه؟ فقال : ما حضر مجلسه في واحدة من المسألتين غيري لا ولكن جوابيه جميعاً خرجا على وجه التبخيخ ولم يحفظ ما أجاب به في العام الماضي فيجيب بمثله ، فرجع عن إمامته وقال : لا يكون إمام

من يفتى بالباطل على شيء» (٦٧) .

ومثل ذلك ذكر الكليني في (الكافي) عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر قال :

سألته عن مسألة فأجابني ، ثم جاءه رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابني ، ثم جاء رجل آخر فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي ، فلما خرج الرجلان قلت :

يا ابن رسول الله رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبته صاحبه ؟ فقال : يا زرارة ، ان هذا خير لنا وابقى لنا ولكم ، ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدقكم الناس علينا ولكان أقل لبقائنا وبقائكم .

قال : ثم قلت لأبي عبد الله عليه السلام : شيعتكم لو حملتموهم على الأسنة أو على النار لمضوا وهم يخرجون من عندكم مختلفين ؟ قال : فأجابني بمثل جواب أبيه» (٦٨) .

وكذلك لو كانوا يعلمون الغيب لما قتل البعض منهم ومات الآخرون مسمومين حسب روايات القوم ، فانهم قالوا :

لم يكن إمام إلا مات مقتولا أو مسموما (٦٩) .

لأنهم عند ذلك علموا بذلك .

وأما التكلم بجميع اللغات فليس إلا من الأساطير التي اختلقها القوم للضحك على عقول الناس .

فهذه هي الأشياء التي جعلت الشيعة في موقف حرج ومأزق لا يرجى منه الخروج .

(٦٧) فرق الشيعة للنوختي ص ٨٠-٨١ .

(٦٨) الأصول من الكافي ، كتاب العلم باب اختلاف الحديث ج ١ ص ٦٥ .

(٦٩) الأصول من الكافي ج ١ ص ٣٧٥ ، عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢١٤ .

وعندما لم يولد مولود للحسن العسكري رأوا أن جميع قواعدهم قد انهارت، وأسسهم قد انهدمت، ولم يبق مجال للتأويل الذي كانوا يتأولون به في السابق والسابقين، ورأوا أنه لا مخلص ولا منجى منه إلا أن يوجدوا معدوما ليتخلصوا به في المستقبل عن جميع الاسئلة التي تنجم عن عدم وجود تلك الأوصاف التي وضعوها كالعلامات للإمام، هذا وزيادة على ذلك كانت إمامة الحسن العسكري معرضة للخطر حيث لم تنطبق عليه علامات كثيرة، منها أنه لم يعقب ولم يخلف .

ثم ولم يوص إلى من بعده .

ولم يغسله إمام كذلك .

ولم يستوبعده على أحد درع رسول الله .

ومن لا يكون موجودا كيف يحكم عليه بأنه عالم وشجاع .

وأخيرا خلعت الأرض من حجة، وبقيت بلا إمام ولم تسخ .

فحاروا واضطربوا ولم يجدوا جوابا لأن عدم وجود المولود للحسن العسكري لم يكن ليقضى على إمامة الحسن العسكري فحسب، بل كان يتخطى إلى هدم إمامة الآخرين أيضا حيث إنهم هم الذين رسخوا هذه القواعد التي - طالما انكسرت وانعدمت في الكثيرين منهم - لأنه بذلك يخطئ نبوءاتهم ويغلط أقاويلهم وهم معصومون عن الخطأ والزلل، لا ينطقون إلا بما يُلهمون، فهذا هو النوبختي وهو الشيعي المتعصب المشهور، من أكابر هذه الطائفة وعظماء هذه السلالة، متكلم فليسوف إمامي الاعتقاد^(٧٠) يصرح بعبارة واضحة لا غبار عليها بأن الشيعة تحيروا بعد موت الحسن وذهبوا إلى آراء مختلفة متعددة، وتفرقوا فرقا كثيرة متنوعة :

ففرقة قالت : إن الحسن حتى لم يمّت وإنما غاب وهو القائم -
وسبب هذا القول ؟ - ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهر لأن الأرض لا
تخلو من إمام .

وفرقه قالت : إن الحسن بن علي مات وعاش بعد موته . . . ولو
كان له ولد لصحّ موته ولا رجوع ، لأن الإمامة تثبت لخلفه وما أوصى
لأحد .

وفرقه قالت : إن جعفر هو الإمام لا الحسن ، وتوفى الحسن لا
عقب عليه ، وإن الإمام لا يموت حتى يوصى ، ويكون له خلف .
وفرقه قالت : إن الإمام بعد علي لم يكن جعفرًا لأن فيه خصالا
مذمومة وهوبها مشهور ، ولا الحسن لأنه قد توفى ، ولا يجوز أن يموت
الإمام بلا خلف ، ولذلك الإمام بعد علي هو ابنه محمد المتوفى في حياة
أبيه .

وفرقه قالت : إن الإمام بعد علي الحسن وبعد الحسن أخوه
جعفر ، وأما ما روى عن جعفر بأنه لا تكون الإمامة في أخوين بعد
الحسن والحسين عندما يكون للماضي خلف من صلبه ، وإذا لم يكن
رجعت إلى أخيه ضرورة .
وأقاويل كثيرة .

فعند ذلك اضطروا إلى أن يقولوا إن للحسن ابنا ، كيف يكون
إمام قد ثبتت إمامته ووصيته وجرت أموره على ذلك وهو مشهور عند
الخاص والعام ، ثم يتوفى ولا خلف له .
وفرقه منهم ردّت عليهم وقالوا :

لا ولد للحسن أصلا لأننا قد امتحنا ذلك وطلبناه بكل وجه فلم
نجدّه ولو جاز لنا أن نقول في مثل الحسن وقد توفى ولا ولد له أن له ولداً

خفياً لجاز مثل هذه الدعوى في كل ميت عن غير خلف ولجاز مثل ذلك في النبي صلى الله عليه وآله أن يقال خلف ابناً وأن أبا الحسن الرضا عليه السلام خلف ثلاثة بنين غير أبي جعفر أحدهم الإمام لأن مجيء الخبر بوفاة الحسن بلا عقب كمجىء الخبر بأن النبي صلى الله عليه وآله لم يخلف ذكراً من صلبه ولا خلف عبد الله بن جعفر ابناً ولا كان للرضا أربعة بنين فالولد قد بطل لا محالة ولكن هناك حبل قائم قد صح في سرية له وستلد ذكراً إماماً متى ولدت فانه لا يجوز أن يمضى الإمام ولا خلف له فتبطل الإمامة وتخلو الأرض من الحجة .

وردت عليهم طائفة فقالوا : واحتج أصحاب الولد على هؤلاء فقالوا : انكرتم علينا أمراً قلتم بمثله ثم لم تقنعوا بذلك حتى أضفتم إليه ما تنكره العقول ، قلتم أن هناك حبلاً قائماً فإن كنتم اجتهدتم في طلب الولد فلم تجدوه فانكروتموه لذلك فقد طلبنا معرفة الحبل وتصحيحه أشد من طلبكم واجتهدنا فيه أشد من اجتهدكم فاستقصينا في ذلك غاية الاستقصاء فلم نجدناه فنحن في الولد أصدق منكم لأنه قد يجوز في العقل والعادة والتعارف أن يكون للرجل ولد مستور لا يعرف في الظاهر ويظهر بعد ذلك ويصح نسبه والأمر الذي ادعيتموه منكر شنيع ينكره عقل كل عاقل ويدفعه التعارف والعادة مع ما فيه من كثرة الروايات الصحيحة عن الأئمة الصادقين أن الحبل لا يكون أكثر من تسع أشهر وقد مضى للحبل الذي ادعيتموه سنون وإنكم على قولكم بلا صحة ولا بينة .

وفرقه قالت : ولد للحسن ولد بعده بثمانية أشهر ، وإن الذين ادعوا ولداً في حياته كاذبون مبطلون في دعواهم ، لأن ذلك لو كان لم يخف ولكنه مضى ولم يعرف له ولد ، وقد كان الحبل فيما مضى قائماً ظاهراً ثابتاً عند السلطان وعند سائر الناس ، وامتنع من قسمة ميراثه من أجل ذلك

حتى بطل بعد ذلك عند السلطان وخفى أمره فقد ولد بعد وفاته بشمانية أشهر وقد كان أمر أن يسمى محمدا وأوصى بذلك وهو مستورا لا يرى . وأخيرا قالت الفرقة الثانية عشرة وهم الإمامية : ليس القول كما قال هؤلاء كلهم بل لله عز وجل حجة من ولد الحسن بن علي ، ولا تكون الإمامة في الاخوين بعد الحسنين ، ولو جاز ذلك لصحّ قول أصحاب إسماعيل بن جعفر ومذهبهم ، ولثبت إمامة محمد بن جعفر ، وأيضا لا يجوز أن تخلو الأرض من حجة ، ولو خلت لساخت الأرض ومن عليها .

وعلى ذلك نحن مقرّون بوفاة الحسن ، معترفون أن له ولدا قائما من صلبه وأنه مخفى ، وليس للعباد أن يطالبوا آثار ما سترت عنه ، ولا يجوز ذكر اسمه ، ولا السؤال عن مكانه ، وطلبه محرّم لا يحل ولا يجوز» (٧١) .

فهذه هي الحقيقة الناصعة التي تنبىء عن ضرورة إيجاد المولود للحسن العسكري مستغنية عن التعليق والتعقيب عليه .

بماذا أثبتوا إمامة أئمتهم؟

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى إن القوم لم يثبتوا إمامة أئمتهم مع ادعائهم النص والإشارة بأنه لا يكون الشخص إماما إلا حينما يكون منصوبا عليه من قبل إمام قبله وهو يشير إليه بأنه هو المنصوص ، ولقد بوّب القوم في كتبهم أبوابا مستقلة في هذا المعنى مثل الكليني وغيره فإنهم بوّسوا بعنوان «باب الإشارة والنص» لكل واحد من أئمتهم المزعومين ، ولكنه من العجائب أن أئمتهم أنفسهم من قبلهم لم يثبتوا إمامتهم بهذا حسب روايات القوم ولا بالشروط التي ذكروها من الوصية

والكبر واستواء درع الرسول عليهم ووجود سلاح رسول الله عندهم
 وغسلهم آباءهم، وكونهم الأعلام والأشجع وإحاطتهم علم الغيب وغير
 ذلك من الأوصاف والخصائل التي جعلوها علائم للإمامة وشروطا لها،
 والتي ذكرناها آنفا، بل عكس ذلك التجثوا لإثبات مدعاهم إلى
 الشعبدات والنيرنجيات وفنون من السحر حسب زعم الشيعة، ولو
 عندهم الوصية وعليهم النص وإليهم الإشارة لما التجثوا إليها. فمثلا
 يذكرون أن علي بن الحسين الملقب بزين العابدين جاءت إليه امرأة من
 شيعة علي والحسن والحسين، وقد بلغت من الكبر عتيا، فقالت :

أتيت علي بن الحسين عليهما السلام وقد بلغ بي الكبر إلى أن
 أرعشت وأنا أعدّ يومئذ مائة وثلاث عشرة سنة، فرأيت راجعا وساجدا أو
 مشغولا بالعبادة فيشت من الدلالة فأومأ إلي بالسبابة فعاد إلى
 شبابي» (٧٢).

ومثل ذلك ذكروا لما قتل الحسين أرسل محمد بن الحنفية إلى علي
 بن الحسين وقال له :

. قتل أبوك رضى الله عنه وصلى على روحه ولم يوص وأنا عمك
 وصنو أبيك، وولادتي من علي عليه السلام في، سنّي وقديمي أحق بها
 منك في حدائك، فلا تنازعني في الوصية ولا الإمامة ولا تحاجني . . .
 فردّ عليه علي بن الحسين - انطلق بنا إلى الحجر الأسود حتى نتحاكم
 عليه ونسأله عن ذلك، فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود، فقال علي بن
 الحسين لمحمد بن الحنفية : ابدأ أنت فابتهل إلى الله عز وجل وسله أن
 ينطق لك الحجر، ثم سل، فابتهل محمد في الدعاء وسأل الله، ثم دعا
 الحجر فلم يجبه . . . ثم دعا الله علي بن الحسين عليهما السلام . . .

(٧٢) الكافي في الأصول، باب ما يفصل به بين دعوى الحق والمبطل في أمر الإمامة ج ١

فتحرك الحجر حتى كاد أن يزول عن موضعه، ثم أنطقه الله عز وجل بلسان عربى مبين، فقال: اللهم إن الوصية والإمامة إلى على بن الحسين^(٧٣).

وكما نقلوا عن موسى بن جعفر أنه لما حصل بينه وبين أخيه عبد الله - وكان أكبر ولد جعفر - خلاف في الإمامة :

أمر موسى بجمع حطب في وسط الدار وأرسل إلى أخيه عبد الله يسأله أن يصير إليه، فلما صار إليه ومع موسى جماعة من الإمامية، فلما جلس موسى أمر بطرح النار في الحطب فاحترق ولا يعلم الناس السبب فيه حتى صار الحطب كله جمرا، ثم قام موسى وجلس بشيابه في وسط النار وأقبل يحدث الناس ساعة، ثم قام فنفض ثوبه ورجع إلى المجلس، فقال لأخيه عبد الله: ان كنت تزعم أنك الإمام بعد أبيك فاجلس في ذلك المجلس^(٧٤).

وذكر الكليني قصة أخرى لإثبات إمامة موسى بن جعفر وأحقية بها من موسى وإسماعيل وغيرهما من إخوته الكبار بأن شخصا جاء إلى موسى بن جعفر فسأله عن الإمام من هو؟ فقال :

إن أخبرتك تقبل؟ قال: بلى جعلت فداك؟ قال: أنا هو، قال: فشئء أستدل به؟ قال: اذهب إلى تلك الشجرة - وأشار بيده إلى أم غيلان - فقل لها: يقول لك موسى بن جعفر: أقبلى، قال: فأتيتها فرأيته والله اتخذ الأرض خذا حتى وقفت بين يديه، ثم أشار إليها فرجعت^(٧٥).

وكذلك أثبتوا إمامة محمد بن على الرضا أنه جاء إليه شخص

(٧٣) أيضا ج ١ ص ٣٤٨، اعلام الورى للطبرسى ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٧٤) كشف الغمة للأربلى ج ٣ ص ٣٧.

(٧٥) الأصول من الكافي ج ١ ص ٢٥٣، اعلام الورى للطبرسى ص ٣٠٢.

فقال : والله إنى أريد أن أسألك مسألة وانى والله لاستحى من ذلك ، فقال لى : أنا أخبرك قبل أن تسألنى ، تسألنى عن الإمام ؟ فقلت : هو والله هذا ، فقال : أنا هو ، فقلت علامة ؟ فكان فى يده عصا فنطقت وقالت : إن مولاي إمام هذا الزمان وهو الحجة (٧٦) .

وبهذا عارضوا أصولهم وأساسهم بأن الإمامة لا تثبت إلا بالنص والاشارة ، ولا يكون الإمام إلا منصوباً ، مشار إليه من الإمام الذى قبله حيث إن أئمتهم حسب رواياتهم لم يختلفوا مع أئمتهم ولم يحصل النزاع بينهم إلا لعدم وجود النص والوصية والاشارة وعدم شهرتها حتى بين أبناء أب واحد وإلا لما اضطروا إلى هذه الخزعبلات .

هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى النص الذى جعلوه مثبتاً لإمامة أئمتهم ليس إلا مجرد الدعوى ولا دليل قائم معه كما ذكر ابن حزم فى فصله راداً على الشيعة وعلى ادعائهم النص :

ان عمدة احتجاجكم فى إيجاب إمامتكم التى تدعيها جميع فرقكم انها هى وجهان فقط ، أحدهما النص عليه باسمه والثانى شدة الفاقة إليه فى بيان الشريعة إذ علمها عنده لا عند غيره ولا مزيد ، فأخبرونى بأى شيء صار محمد بن على بن الحسين أولى بالإمامة من إخوته زيد وعمر وعبد الله وعلى والحسين فان ادعوا نصاً من أبيه عليه أو من النبى ﷺ أنه الباقر ، لم يكن ذلك ببدع من كذبهم ولم يكونوا أولى ببنك الدعوى من الكيسانية فى دعواهم النص على ابن الحنفية ، وان ادعوا أنه كان أفضل من اخوته كانت أيضاً دعوى بلا برهان والفضل لا يقطع على ما عند الله عز وجل فيه بما يبدو من الإنسان فقد يكون باطنه خلاف ظاهره ، وكذلك يسألون أيضاً ما الذى جعل موسى بن جعفر أولى بالإمامة من أخيه محمد

أو اسحاق أو علي؟ فلا يجدون إلى غير الدعوى سييلاً، وكذلك أيضاً يسألون ما الذي خص علي بن موسى بالإمامة دون أخوته وهم سبعة عشر ذكراً؟ فلا يجدون شيئاً غير الدعوى، وكذلك يسألون ما الذي جعل محمد بن علي بن موسى أولى بالإمامة من أخيه علي بن علي وما الذي جعل علي بن محمد أولى بالإمامة من أخيه موسى بن محمد وما الذي جعل الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى أحق بالإمامة من أخيه جعفر بن علي؟ فهل هاهنا شيء غير الدعوى الكاذبة الذي لا حياة لصاحبها، والتي لو ادعى مثلها مدع للحسن بن الحسن أول عبد الله بن الحسن أو لأخيه الحسن بن الحسن أو لابن أخيه علي بن الحسن أو لمحمد بن عبد الله القائم بالمدينة أو لأخيه إبراهيم أو لرجل من ولد العباس أو من بنى أمية أو من أى قوم من الناس كان لساواهم في الحماقة، ومثل هذا لا يشتغل به من له مسكة من عقل أو منحة من دين، ولو قلت أوراقاً من الحياء، فبطل وجه النص» (٧٧).

وعلاوة على ذلك يقول الإمامية أو الاثنا عشرية أو الجعفرية أو الروافض - كما سباهم الله - ان الإمام لا يكون إلا معصوماً من الأخطاء ومنصوباً من قبل الله عز وجل، ولا يكون في عنقه بيعة أحد غيره . أما كونه معصوماً من قبل الله عز وجل فلا يخلو كتاب من كتبهم التي تذكر مسألة الإمامة إلا وقد ذكروا فيه هذا، وهذا أمر مشهور مستغن عن ذكر مصدره ومرجعه .

وأما أن الإمام لا يكون في عنقه بيعة أحد فكما ذكر الكليني أن هشام بن سالم دخل على موسى بن جعفر بعد وفاة أبيه وهوباك حيران لا يدرى إلى أين يتوجه ولا من يقصد، إلى المرجئة؟ إلى القدريّة؟ إلى

الزيدية؟. إلى المعتزلة؟. إلى الخوارج؟. فقال له :

جعلت فداك فمن لنا من بعده؟. قال : إن شاء الله أن يهديك هداك، قال : قلت : جعلت فداك فأنت هو؟. ما أقول ذلك، قال : قلت في نفسي : لم أصب طريق المسألة، ثم قلت له : جعلت فداك عليك إمام؟ قال : لا، فداخلى شيء لا يعلم إلا الله عز وجل إعظاما له وهيبة أكثر مما كان يحلّ بى من أبيه إذا دخلت عليه» (٧٨).

وقد ورد مثل ذلك في كثير من كتب الشيعة بأن الإمام لا يكون إماما وفي عنقه بيعة أحد .

هذا وإكمالا للبحث وإتماما للفائدة نلقى نظرة عابرة حول هذه الأوصاف ولوازم الإمامة الثلاثة ليشمل البحث جميع الجوانب المهمة في هذا المبحث، فنقول :

إن العصمة التى جعلوها من خواص الإمام ولوازمه، واحتجوا بها على إمامة أئمتهم بأنه لم يكن أحد معصوما غيرهم (٧٩).

فإنها لم تثبت لهم أيضا، وأحوالهم وأقوالهم تشهد على ذلك، فإن عليا رضى الله عنه - وهو الإمام المعصوم الأول حسب زعم الشيعة - اختلف معه ابنه الأكبر حسن السبط - وهو الإمام الثانى المعصوم عند القوم - في مسألة أخذه البيعة من الناس بعد استشهاد عثمان ذى النورين رضى الله عنه، وكما اختلف معه أيضا في خروجه لمحاربة مطالبى دم عثمان كما مر ذكره في الباب الثانى من هذا الكتاب. ويلزم من ذلك أن واحدا منهما كان مصيبا والثانى مخطئا أعنى الإمام الأول وهو على، أو الإمام الثانى وهو الحسن، لأن واحدا منهما يرى رأيا والثانى يخالفه فلا بد

(٧٨) الأصول من الكافي، كتاب الحجة، باب ما يفصل به بين دعوة الحق والمبطل في أمر الإمامة

ج ١ ص ٣٥١-٣٥٢.

(٧٩) أنظر منهاج الكرامة للحلى ص ٧١ وغيره .

من أن يكون أحدهما على صواب والآخر على خطأ .
ثم ولقد ثبت في التاريخ أن عليا رضى الله عنه صوّب رأى الحسن
بعد كارثة الجمل وتأسف على عدم أخذه برأى الحسن وتقيد به .
وثانيا : لقد أقر بصذور خطأ وامكان الوقوع فيه ، على رضى الله
عنه نفسه حيث قال :

لا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل ، فإنى لست آمن أن أخطئ^(٨٠)

وثالثا : لقد ذكر المؤرخون أن الحسن رضى الله عنه لما أراد الصلح
مع معاوية خالفه في ذلك مع من خالفه أخوه الحسين - وكلاهما إمامان
معصومان عند الشيعة - لكن الحسن لم يلتفت إلى رأى الحسين وصالح
معاوية وكان الحسين يبدى الكراهة من صلح الحسن مع معاوية
ويقول :

لوجزّ أنفى كان أحب إليّ مما فعله أخى^(٨١) .

والظاهر أن واحدا منها كان مصيبا والآخر مخطئا .
هذا ومثل هذا كثير .

وأما كونه منصوبا من قبل الله عز وجل فأیضا ليس إلا دعوى مجردة
عن الدليل ، ولم ينزل الله به من سلطان ، ولكل أن يدعى بأن الله هو
الذى نصبه مادام أن الوحي منقطع ونزول جبريل على أحد مسدود .
وأما أن الإمام لا يكون إماما إلا ولا يكون في عنقه بيعة أحد فهذا
لم يتحقق ولا في واحد من أئمة القوم من على رضى الله عنه إلى الحسن
العسكرى ، اللهم إلا أن يقال في ذلك الموهوم المعلوم الذى لم يولد ، لأنه

(٨٠) الكافي في الأصول نقلا عن أعيان الشيعة لمحسن الأمين ج ١ ص ١٣٦ .

(٨١) أعيان الشيعة الجزء الأول - القسم الأول ص ٦٥ .

قد ثبت تاريخيا ومن كتب القوم أنفسهم بأن كل واحد منهم بايع أئمة زمانهم وخلفاءهم .

فإن الإمام الأول المعصوم حسب زعم الشيعة على بن أبى طالب رضى الله عنه بايع أبابكر ثم عمر ثم عثمان (٨٢) .

كما بايع الحسن وهو الإمام المعصوم الثانى لدى الشيعة معاوية رضى الله عنه (٨٣) .

وكما بايعه الحسين أيضا وهو الإمام الثالث المعصوم (٨٤) .

وبايع على بن الحسين يزيد وأقر بعبوديته له حسب رواية الشيعة - وهو الإمام المعصوم الرابع عند القوم (٨٥) .

وهلم جرا .

فهذه هى حقيقة شروط القوم اللازمة للأئمة ، المنفية فى أئمتهم باعترافهم وإقرارهم وثبوتهم من كتبهم أنفسهم .

لماذا أوجبوا إمامة أئمتهم؟

إن الشيعة يقولون :

إن الإمامة واجبة وانها رئاسة عامة فى أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن النبى (ص) ، وإنما وجبت لأنها لطف واللفظ واجب كما تقدم فى النبوة ، وانما كانت لطفاً لأن الناس إذا كان لهم رئيس مطاع مرشد يردع الظالم عن ظلمه ويحملهم على الخير ويردعهم عن الشر كانوا أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد وهو اللطف ، فالدليل

(٨٢) أنظر لتفصيل ذلك النصوص الثابتة من كتب القوم أنفسهم فى كتابنا «الشيعة وأهل البيت» .

ط . لاهور - باكستان .

(٨٣) مروج الذهب للمسعودى الشيعى ج ٢ ص ٤٣١ ، رجال الكشى ١٠٢ .

(٨٤) رجال الكشى ص ١٠٢ .

(٨٥) الكافى الكلينى ، ج ٨ ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .

الدال على وجوب النبوة يدل على وجوب الإمامة» (٨٦) .
ويقول السيد الزين :

أما الإمامة فهي واجبة . . . لأن الإمام نائب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حفظ الشرع الإسلامي وتيسير المسلمين على طريقه القويم ، وفي حفظ وحراسة الأحكام عن الزيادة والنقصان والإمام موضح للمشاكل من الآيات والأحاديث ومفسر للمجمل والمتشابه ويميز للناسخ من المنسوخ» (٨٧) .
وقال الحلّي :

إن الإمام يجب أن يكون حافظا للشرع لانقطاع الوحي بموت النبي صلى الله عليه وآله وقصور الكتاب والسنة عن تفاصيل أحكام الجزئيات الواقعة إلى يوم القيامة ، فلا بد من إمام منصوب من الله تعالى وحاجة العالم داعية إليه ولا مفسدة فيه فيجب نصبه . . . وأما الحاجة فظاهرة أيضا لما بيناه من وقوع التنازع بين العالم ، وأما انتفاء المفسدة فظاهر أيضا لأن المفسدة لازمة لعدمه ، وأما وجوب نصبه فلأن عند ثبوت القدرة والداعي وانتفاء الصارف يجب الفعل» (٨٨) .

فقالوا بهذه الأقوال إثباتا لإمامة أئمتهم مع أن الوجوه والأسباب والعلل التي بينوها لوجوب الإمامة هي التي تنفي إمامة أكثر أئمتهم ، بل إمامة جميعهم غير علي رضي الله عنه حيث إن أئمتهم الاثني عشر المزعومين لم يملكوا الرئاسة العامة في أمور الدين والدنيا ولم يملكوا ردع الظالم عن ظلمه وحمل الناس على الخير وردعهم عن الشر طبق روايات القوم أنفسهم ، فان واحدا منهم لم يولد على القول الصحيح ، ولو

(٨٦) أعيان الشيعة الجزء الأول القسم الثاني ص ٦ .

(٨٧) الشيعة في التاريخ ص ٤٤ - ٤٥ .

(٨٨) منهاج الكرامة للحلّي ص ٧٢ - ٧٣ .

سلمت ولادته تنازلا لم يملك الظهور خوفا على حفظه وبقائه فضلا عن حفظ الشرع الإسلامي وحراسة الأحكام عن الزيادة والنقصان، والبعض الآخر مثل الإمام الحادي عشر والعاشر كانوا أطفالا صغارا حتى احتاج آبؤهم أن يجعلوا القيمين عليهم وعلى أموالهم وودائعهم حتى يبلغوا الحلم لعدم قدرتهم على حفظ تركة الآباء وإراثهم، فمن لا يكون حافظا على تركته وماله وأمور دينه أجدد أن لا يكون حافظا على أمور الآخرين، أمور دينهم ودينهم .

ثم قد ثبت من كتب القوم أنفسهم أن أئمتهم كانوا يفتنون حتى خاصتهم وشيعتهم خلاف ما أنزل الله وما بينه الرسول وخلاف ما كانوا يرونه في قلوبهم صيانة على أنفسهم وحفاظا على حياتهم كما مر سابقا عن جعفر وأبيه الباقر (وطالما كانوا يحلون الحرام ويحرمون الحلال لهذا الغرض) وكما رواه الكليني في كافيته عن موسى بن أشيم قال :

كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسأله رجل عن آية من كتاب الله عز وجل فأخبره بها، ثم دخل عليه داخل فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبر الأول، فدخلني من ذلك ما شاء الله حتى كأن قلبي يشرح بالسكاكين، فقلت في نفسي : تركت أبا قتادة بالشام لا يخطيء في الواو وشبهه، وجئت إلى هذا يخطيء هذا الخطأ كله فبينما أنا كذلك إذا دخل آخر فسأله عن تلك الآية، فأخبره بخلاف ما أخبرني وأخبر صاحبي» (٨٩) .

وكما رواه أيضا عن محمد بن مسلم قال :

دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وعنده أبو حنيفة، فقلت له : جعلت فداك رأيت رؤيا عجيبة، فقال لي : يا ابن مسلم هاتها، ان

العالم بها جالس وأوما بيده إلى أبي حنيفة، فقلت: رأيت كأنى دخلت داري وإذا أهلى قد خرجت على فكسرت جوزا كثيرا ونشرته على فتعجبت من هذه الرؤيا، فقال أبو حنيفة: أنت رجل تخاصم وتحاول أن تنال مالك في مواريث أهلِكَ فبعد نصب شديد تنال حاجتك منها إن شاء الله، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أصبت والله يا أبا حنيفة.

قال: ثم خرج أبو حنيفة من عنده، فقلت له: جعلت فداك انى كرهت تعبير هذا الناصب، فقال: يا ابن مسلم لا يسوءك الله فما يواطىء تعبيرهم تعبيرنا ولا تعبيرنا تعبيرهم وليس التعبير كما عبره، قال: فقلت له: جعلت فداك فقولك: أصبت وتحلف عليه وهو مخطىء؟ قال: نعم حلفت عليه أنه أصاب الخطأ^(٩٠).

وأخيرا ننقل ما نقلناه سابقا وما رواه الكليني:

عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن مسألة فأجابنى، ثم جاء رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابنى، ثم جاء رجل آخر فسأله فأجابه بخلاف ما أجابنى وأجاب صاحبى، فلما خرج الرجلان قلت: يا بن رسول الله رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت به صاحبه؟ فقال: يا زرارة إن هذا خير لنا وأبقى لنا ولكم، ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدقكم الناس علينا ولكان أقل لبقائنا وبقائكم.

قال: ثم قلت لأبى عبد الله عليه السلام: شيعتكم لو حملتموهم على الأسنة أو على النار لمضوا وهم يخرجون من عندكم مختلفين؟ قال: فأجابنى بمثل جواب أبيه^(٩١).

فهل عن مثل هؤلاء يقال إنهم يحفظون ويحرسون الأحكام عن

(٩٠) كتاب الرضا من الكافي ج ٨ ص ٢٥٢.

(٩١) الأصول من الكافي، باب اختلاف الحديث ج ١ ص ٦٥.

الزيادة والنقصان، ثم والبقية الآخرون مثل الحسن تنازلوا عن رئاستهم الدنيوية علنا وجهرا رغم أنوف المنكرين، وسلموا إليهم أمورهم وأمور غيرهم الدنيوية، وقد اعترف بعضهم بعبوديتهم للآخرين حسب روايات القوم عن علي بن الحسين الملقب بزين العابدين، وبعضهم لم ينلها أى الرئاسة الدنيوية مع جدّه وجهده لنيلها وإدراكها كحسن السبط رضى الله عنه حسب تصريحات القوم، فهذه حقيقة معتقدتهم فى الإمامة ووجوبها، وعلى ذلك قال ابن حزم :

وأما وجه الحاجة إلى الإمامة فى بيان الشريعة فما ظهر قط من أكثر أئمتهم بيان لشيء مما اختلف فيه الناس وما بأيديهم من ذلك شيء إلا دعاوى مفتعلة قد اختلفوا أيضاً فيها كما اختلف غيرهم من الفرق سواء، إلا أنهم أسوأ حالا من غيرهم لأن كل من قلد إنساناً كاصحاب أبى حنيفة لأبى حنيفة وأصحاب مالك لمالك وأصحاب الشافعى للشافعى وأصحاب أحمد لأحمد فإن هؤلاء المذكورين اصحاباً مشاهير نقلت عنهم أقوال صاحبهم ونقلوها هم عنه ولا سبيل إلى اتصال خبر عندهم ظاهر مكشوف يضطر الخصم إلى أن هذا قول موسى بن جعفر ولا أنه قول على بن موسى ولا أنه قول محمد بن على بن موسى ولا أنه قول على بن محمد ولا أنه قول الحسن بن على وأما من بعد الحسن بن على فعدم بالكلية وحماقة ظاهرة، وأما من قبل موسى بن جعفر فلو جمع كل ما روى فى الفقه عن الحسن والحسين رضى الله عنهما لما بلغ عشر أوراق، فما ترى المصلحة التى يدعونها فى إمامهم ظهرت ولا نفع الله تعالى بها قط فى علم ولا عمل لا عندهم ولا عند غيرهم، ولا ظهر منهم بعد الحسين رضى الله عنه من هؤلاء الذين سموا أحد ولا أمر منهم أحد قط بمعروف معلن، وقد قرأنا صفة هؤلاء المخاذلين المتممين إلى

الإمامية، القائلين بأن الدين عند أئمتهم، فما رأينا إلا دعاوى باردة وآراء فاسدة كأسخف ما يكون من الأقوال، ولا يخلو هؤلاء الأئمة الذين يذكرون من أن يكونوا مأمورين بالسكوت أو مفسوحاً لهم فيه، فإن يكونوا مأمورين بالسكوت فقد أبيع للناس البقاء في الضلال وسقطت الحجة في الديانة عن جميع الناس وبطل الدين ولم يلزم فرض الإسلام وهذا كفر مجرد، وهم لا يقولون بهذا، أو يكونوا مأمورين بالكلام والبيان فقد عصوا الله إذ سكتوا وبطلت إمامتهم، وقد لجأ بعضهم إذ سئلوا عن صحة دعواهم في الأئمة إلى أن ادعوا الإلهام في ذلك فإذا قد صاروا إلى هذا الشغب فإنه لا يضيق عن أحد من الناس ولا يعجز خصومهم عن أن يدعوا أنهم ألهموا بطلان دعواهم . . . ثم أن بعض أئمتهم المذكورين مات أبوه وهو ابن ثلاث سنين، فنسأله من أين علم هذا الصغير جميع علوم الشريعة وقد عدم توقيف أبيه له عليها لصغره، فلم يبق إلا أن يدعوا له الوحي، فهذه نبوة وكفر صريح» (٩٢).

الشيخة

ثم أفرقت الشيعة الاثنا عشرية إلى فرق كثيرة من أهمها الشيخية نسبة إلى الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي البحراني المولود سنة ١١٦٦ هـ (٩٣) المتوفى سنة ١٢٤٣ هـ (٩٤).

وسمّاه الخوانساري «ترجمان الحكماء المتألهين ولسان العرفاء والمتكلمين، غرة الدهر وفيلسوف العصر، العالم لأسرار المباني والمعاني» وكتب في ترجمته :

لم يعد في هذه الأواخر مثله في المعرفة والفهم، والمكرمة والحزم،

(٩٢) الفصل في المنل والأهواء والنحل لابن حزم ج ٤ ص ١٠٣-١٠٤.

(٩٣) دائرة المعارف الإسلامية الاردية ج ٢ ص ٨٢ ط. جامعة بنجاب - باكستان.

(٩٤) روضات الجنات للخوانساري ج ١ ص ٩٤.

وجودة السليقة، وحسن الطريقة، وصفاء الحقيقة، وكثرة المعنوية، والعلم بالعربية، والأخلاق السنية، والشيم المرضية، والحكم العلمية والعملية، وحسن التعبير والفصاحة ولطف التقرير والملاحاة، وخلوص المحبة والوداد؛ لأهل بيت الرسول الأجداد، بحيث يرمى عند بعض أهل الظاهر من علمائنا بالافراط والغلو؛ مع أنه - لاشك - من أهل الجلالة والعلو.

ورد بلاد العجم في أواسط عمره، وكان بها في نهاية القرب من ملوكها وأربابها. وكان أكثر مقامه فيها بدار العبادة يزد. ثم انتقل منها إلى إصبهان، وتوقف فيها أيضاً برهة من الزمان.

ولما أراد أن يرجع إلى أصله الذي كان في وصل الحسين عليه السلام وورد بلدة قرميسين - التي هي واقعة في البين - استدعى منه الوقوف بها أميرها العادل الكبير المغوار المغيار محمد على ميرزا بن السلطان فتحعلي شاه قاجار. فأجابه إلى ذلك - لما استلزمه من المصالح أو صرف المهالك - إلى أن توفي الوالي المذكور في سفره منه إلى حرب بغداد، وآل الأمر في تلك المملكة إلى الفتنة والفساد.

فارتحل منها إلى أرض الحائر الشريف، ليصرف فيها بقية عمره الطريف، ويجمع أمره على التصنيف والتأليف، والقيام بحق التكليف...

وقد يذكر في حقه أيضاً أنه كان ماهراً في أغلب العلوم، بل واقفاً على جملة من الحرف والرسوم، وعارفاً بالطب والقراءة والرياضة والنجوم، ومدعياً لعلم الصنعة والأعداد والطلسمات ونظائرها من الأمر المكتوم» (٩٥).

ويذكر ان له من المؤلفات ما يقارب المائة (٩٦).

وقيل : أكثر من ذلك (٩٧).

وذكر عنه تلميذه السيد كاظم الرشتي :

إن مولانا رأى الإمام الحسن عليه السلام ذات ليلة وضع لسانه المقدس في فمه . فمن ريقه المقدس ومعونة الله ، تعلم العلوم . وكان في فمه كطعم السكر وأحلى من العسل وأطيب من زائحة المسك ، ولما استيقظ أصبح في خاصته محاطاً بأنوار معرفة الله ، طافحاً بأفضاله ، منفصلاً عن كل ما هو مغاير لله ، وزاد اعتقاده في الله في نفس الوقت الذي ظهر فيه استسلامه لارادة العلى . وبسبب ازدياد شوقه والرغبة الشديدة التي استولت على قلبه نسي الأكل واللبس الا ما يسدّ به حاجته الضرورية» (٩٨) .

فالأحسائي هذا كان له بجانب الكتب والمؤلفات دروس في كربلاء وطوس وغيرها من البلاد الشيعية ، وفيها ينشر أفكاره وعقائده ومعتقداته ، فانه كان يقول :

إن الله تجلى في على وفي أولاده الأحد عشر . وإنهم مظاهر الله وأصحاب الصفات الإلهية والنعوت الربانية ، وهم أئمة الهدى ، مختلفون في الصورة متفقون في الحقيقة» (٩٩) .

وكان يقول :

إن الأئمة هم العلة المؤثرة في وجود المخلوقات ، وهم مظهر الإرادة الإلهية والمعبرون عن مشيئة الله ، ولولا هم ما خلق الله شيئاً . ولذلك فهم

(٩٦) دائرة المعارف الإسلامية ، اردوج ٢ ص ٨٣ .

(٩٧) هداية الطالبين لحاجي محمد كريم خان .

(٩٨) مطالع الأنوار للزرندي البهائي ص ٣ ، نقلاً عن كتاب دليل المتحيرين وارشاد المسترشدين

للسيد كاظم الرشتي .

(٩٩) مقدمة نقطة الكاف للمستشرق الانجليزى براؤن ص يح الفارسية ط . ليدن .

الغاية من الخلق ، وكل ما يفعله الله فهو يفعله بواسطتهم ، ولكن ليس لهم من ذاتهم قوة ، وهم مجرد وسائط .

ولما كانت ذات الله لا تدرك وكانت لا تحيط بها أفهام جميع المخلوقات ، فإن الإنسان لا يستطيع معرفتها إلا بتوسط الأئمة الذين هم في الحقيقة محال للذات العلية ، ومن أخطأ في حقهم أخطأ في حق الله ، واللوح المحفوظ هو قلب الإمام المحيط بكل السماوات وكل الأرضين ، والأئمة هم أول المخلوقات والسابقون على كل شئ» (١٠٠) .

ثم كان يعتقد في الغائب المزعوم الثاني عشر :

أولا : أنه ميت ، كما كان يقول :

إن المهدي الغائب المنتظر ظهوره عند الشيعة هو الآن من سكان العالم الروحاني غير هذا العالم الذي يسمونه بجابلقاء وجابر ساء» (١٠١) .
وإن الإمام روحى له الفداء لما خاف من أعدائه خرج من هذا العالم ودخل في جنة الهورقلياء» (١٠٢) .

ثانيا : كان يقول إن الراجع لا يكون ذلك ابن الحسن العسكري بل يكون أحد غيره الذى حلّ فيه روحه ، كما قال :
وسيعود في هذا العالم بصورة شخص من أشخاص هذا العالم
يعنى بطريق ولادة عامة الناس» (١٠٣) .

ثالثا : يكون ذلك الشخص هو نفس الإمام محمد بن الحسن العسكري ولو ولد من أب وأم آخرين جديدين :

(١٠٠) دائرة المعارف الإسلامية لأحمد الشتاوى ج ١٤ ص ١٢ ط . طهران .

(١٠١) دائرة المعارف للبستاني ج ٥ ص ٢٦ .

(١٠٢) الكواكب الدرية ص ٢٠ الفارسي . ط . القاهرة .

(١٠٣) أيضا ص ٢٠ .

انه المهدي بعينه وان ذلك الجسم اللطيف الروحاني قد ظهر في هذا الجسم الكثيف المادي» (١٠٤) .

رابعا : يطلق عليه اسم القائم :

لانه يقوم بعدما يموت .

ولما سئل : أيقوم من القبر؟ .

أجاب : يقوم من قبره أى من بطن أمه ، وقال : ان جابلسا وجابلقا منزل الموعود ومحل المنتظر في السماء لا في الأرض كما يعتقد ويظن أكثر الناس» (١٠٥) .

وكان ينكر المعاد والبعث الجسماني مطلقا لأن الجسم يتكون من العناصر الأربعة وبعد خروج الروح تنحل الأجزاء والعناصر ، ولا تبقى لها أثر ، فتصير إلى الفناء الابدی .

والشيء الذي يبقى ويعود هو الجسم اللطيف الروحاني هو جوهر الجواهر عنده ، والذي يسمونه الجسم الهورقليائي تبعا للمصطلحات الكيماوية القديمة .

«فجوهر الجواهر هو الجسم الهورقليائي الذي يحشرويعاد ، والعناصر الباقية التي هي أعراض ولواحق فهي تنتشر وتنحل وتندمج في أصلها كالماء في الماء والطين في الطين ، والروح البالية أيضا تفنى ويبقى الجسم الأصلي الذي يظهر في عرض الجسم من الأبعاد الثلاثة» (١٠٦) .

ومن العقائد التي نشرها بين الناس أن الإمام المهدي يتجلى ويظهر في كل مكان في صورة رجل يكون هو المؤمن الكامل أو الباب أو

(١٠٤) دائرة المعارف للبستاني ج ٥ ص ٢٦ .

(١٠٥) الكواكب ص ٢٠ - ٢١ .

(١٠٦) دائرة المعارف الإسلامية للارضية نقلا عن مجلة (يقها) الفارسية رقم ١٦٢ ص ٨٢

الولى ، ولا بد من الإيمان به .

فالأركان الأربعة التى هى أصل الدين وأصوله عندهم هى :

(١) التوحيد .

(٢) النبوة .

(٣) والإمامة .

(٤) والاعتقاد بالرجل الكامل (١٠٧) .

ولقد حلت هذه الشخصية فى عصر الأحسانى فى جسمه ، ولأجل ذلك يسمى ركننا رابعا أو الباب فالباب فى رأيه شخص حلّ فيه روح الباب ، والمهدى الذى حلّ فيه روح المهدى ، والإمام والنبى كذلك ، وهم مع ذلك مختلفون فى الصورة متحدون فى الحقيقة كما ذكرنا سابقا لأن الله تعالى هو المتجلى فى الجميع على اختلاف المراتب والمناصب .

وكان ينكر المعراج الجسمانى والروحى ، بل كان يقول ان رسول الله موجود فى كل مكان فى كل آن ، وعلى ذلك لا معنى لهذا القول انه كان فى الأرض وعرج به إلى السماء لأنه ليس بمقيّد فى مكان وزمان ، فمن رآه فى السماء رآه واللواحق السماوية وعوارضها ملتصقة به» (١٠٨) .

وبعد أن مات الأحسانى تولى زعامة الشيخة ومنصبه ، تلميذه السيد كاظم الرشتى سنة ١٢٤٢ هـ ونهج منهجه وسلك مسلكه ، وصار ركننا رابعا للشيخة غير أنه زاد الطين بلة حيث قال :

حلّ فيه روح الأبواب كما حلّ فى الأحسانى ولكن آن الآوان لانقطاع الأبواب ومجىء المهدى نفسه» (١٠٩) .

ويقول الشيخة :

(١٠٧) دائرة المعارف الإسلامية مادة احسانى ، والعقيدة والشرعة لجولد زهر ص ١٠٣ .

(١٠٨) فهرست لأبى القاسم إبراهيمى شيخ الشيخة ص ١٩٦ . ط . إيران .

(١٠٩) انظر الكواكب ص ٢٤ ط . فارسى .

العالم قديم بالزمان حادت بالذات ، لأن الأعراض لا يمكن أن توجد بدون الجوهر ، والصور لا يمكن أن توجد بدون محلها . والأعراض حادثة زائلة توجد تارة وتنعدم تارة ، تأتي من العدم وتعود إلى العدم . أما الجوهر فليس شيئا حادثا زائلا ، وعلى هذا فإن المادة في ذاتها حادثة . هي موجودة أبدا في المستقبل لا في الماضي وإلا لكان للحياة الأخرى نهاية وفنيت الجنة والنار ، والجنة هي محبة أهل البيت ، أهل بيت النبي عليه السلام ، الأئمة . والجنة والنار تحدثان بسبب أفعال الإنسان» (١١٠) .

ولقد ذكره الخوانساري في كتابه بقوله :

ان تلميذه العزيز ، وقدوة أرباب الفهم والتمييز ، بل قرّة عينه الزاهرة ، وقوة قلبه الباهرة الفاخرة ، بل حليفه في شدائده ومحنه ، ومن كان بمنزلة القميص على بدنه ، أعنى السيد الفاضل الجامع البارع الجليل الحازم ، سليل الأجلة السادة القادة الأفاخم الأعظم ، ابن الأمير سيد قاسم الحسيني الجيلاني الرشتي ، الحاج سيد كاظم ، النائب في الأمور منابه ، وإمام أصحابه المقتدين به بالحائز المطهر الشريف إلى زماننا هذا» (١١١) .

وروّج هذا الرشتي أفكار شيخه وأدخل الكثيرين في مذهبه ومذهب الأحسائي ، وصارت فرقة مستقلة حتى دخل فيه الكثيرون من شيعة إيران وعربستان والعراق وآذربايجان والكويت (١١٢) ثم خلف الرشتي محمد كريم خان الكرمانى ابن ظهير الدولة حاكم كرمان ، ثم ابن محمد كريم خان محمد خان ، ويَعده أخوه زين العابدين ، ثم ابن زين العابدين قاسم خان ابراهيمي .

(١١٠) دائرة المعارف العربية ج ١٤ ص ١٣ لأحمد الشتاوى ط . طهران .

(١١١) روضات الجنات للخوانساري ج ١ ص ٩٢ .

(١١٢) فهرست ج ١ ص ٢١٧ .

ومن الجدير بالذكر أن الباب علي محمد الشيرازي أيضا كان من تلامذة السيد كاظم الرشتي ومن المعتنقين بأفكار الشيخية وكل من قبلوا دعوته كانوا من الشيعة الشيخية أيضا (١١٣).

ومن الطرائف أن عامة الشيعة الاثني عشرية في باكستان والهند يعتقدون نفس الاعتقادات التي روجها الأحسائي والرشتي ولو أنهم لا ينسبون أنفسهم إلى الشيخية، فإنهم شيخية اعتقادا ولو أن بعضا من علمائهم تجاهروا بالقول إنهم يعتقدون اعتقاد الشيخية، وفتحوا مراكزها في مختلف المدن، وفي باكستان لهم مركز كبير في ملتان وفي كراتشي أيضا، وأن أكثر المساعدات والإمدادات كتبها ومالا تأتي إليهم من دولة الكويت. ونكتفي بهذا القدر من البيان عن الشيخية مع أننا ننوى إصدار كتاب مستقل ولو في المستقبل البعيد إن شاء الله حول هذه الطائفة لما عمّ صيتها وكثر معتنقوها من الشيعة أنفسهم.

النوربخشية

وهناك طائفة أخرى توجد في وديان هملايا وكوهستان ببلتستان المتصلة بتبت الصينية، يدعى الشيعة الاثنا عشرية بأنها فرقة من فرقهم لأنهم يسمون أنفسهم الشيعة النوربخشية نسبة إلى محمد نوربخش القوهستاني من مواليد سنة ٧٩٥هـ، ويقولون:

أنه ولد في قاوين قصبة قوهستان، وكان أبوه هاجر من الأحساء، وقيل: إن أباه عبد الله ولد في الأحساء وجدّه محمد ولد في القطيف» (١١٤)

وكان محمد نوربخش مريدا لخواجه اسحاق الختلائي تلميذ السيد علي الهمداني الذي أعجب بقابلياته حتى لقبه بنوربخش بمعنى

(١١٣) انظر لذلك كتابنا (البابية) ط. ادارة ترجمان السنة لاهور باكستان، وكذلك كتابه (البهائية) ط. باكستان.

(١١٤) أنساب بيوتات سكان قاين ص ١٥٩ ط. طهران ١٣٦٩.

واهب الأنوار» (١١٥) .

ويقولون : إن نسبه اكتشف عن طريق الكشف الصوفي بأنه علوى» (١١٦) .

ثم ادعى محمد نوربخش هذا بأنه هو المهدي الذي أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام بمجيئه في آخر الزمان لأن اسمه يواطىء اسمه ، واسم أبيه يواطىء اسم أبيه فهو محمد وأبوه عبد الله ، وكذلك كنيته حيث سمي أحد أبنائه القاسم ، ولقبه أنصاره بالإمام والخليفة على كافة المسلمين (١١٧) .

وكان يقول : لقد كنت أخفي حالي ولكن وجب إظهارها لتقوم الحاجة على الناس كافة على صورة تعرفهم بمظهر الكل والهادى إلى السبيل» (١١٨) .

وقد قام بالثورة العلنية الكبيرة ضد حكومة إيران آنذاك وقبض عليه ، ولما اطلق سراحه ذهب إلى كردستان وبدأ يثّ دعوته فيها فانقاد إليه سكانها ، وضرب النقود باسمه» (١١٩) .

ثم ألقى القبض عليه وأعلن على منبر هرات وهو في قيده يوم الجمعة سنة ٨٤٠هـ تنازله عن دعوى الخلافة وما يستتبعها ، ثم سير إلى كيلان ، ومن هناك إلى الرى ، وتوفي هناك سنة ٨٦٩هـ (١٢٠) .

وكان أتباعه موجودين آنذاك بكثرة في بلاد العراق وإيران .

ويظهر من هذا السرد الموجز السريع أن محمد نوربخش لم يكن

(١١٥) طرائق الحقائق للحاج معصوم على ج ٢ ص ١٤٣ .

(١١٦) مجالس المؤمنين للتستري ص ٣١٤ .

(١١٧) هامش ديوان شمس تبريزى ، نقلا عن الفكر الشيعى والزعات الصوفية للدكتور كامل

مصطفى الشيبى ص ٣٣٥ .

(١١٨) أيضا ص ٣٣٦ .

(١١٩) مجالس المؤمنين ص ٣١٤ .

(١٢٠) ملخص ما ذكره كامل مصطفى الشيبى في الفكر الشيعى ص ٣٣٣ .

اثني عشريا لأن الاثنى عشرية لا يرون المهدي إلا ابن الحسن العسكري المزعوم، وهذا عكس هؤلاء يعدّ نفسه مهديا وأكثر من ذلك أنه ردّ في كتابه على من يزعم أن ابن الحسن العسكري هو المهدي الموعود، فقال :

وزعم بعض الناس أن محمد بن الإمام العسكري عليهما السلام هو المهدي الموعود وليس كذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في محمد المهدي الموعود: يواطىء اسمه اسمي وكنيته كنيتي واسم أبيه اسم أبي، وقيل: اسم أمه اسم أمي، وفي هذا المهدي لا يواطىء شيئا منهم إلا اسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم» (۱۲۱).

«والحقيقة أن محمد نوربخش لم يكن شيعيا اثني عشريا، بل كاذبا صوفيا من أصحاب وحدة الوجود، عرض لانتقال الولاية من آدء والأنبياء إلى أقطاب التصوف وأخرجها من التناسخ واصطلح لها اسم البروز بدلا منه، فكان وصول الروح إلى الجنين في الشهر الرابع عند معاذا إنسانيا يصل الوجود الإنساني بالوجود الحقيقي وجود الله، ورب كان في هذا عنصر يفيد صدور النوربخشية عن الفلسفة الاشراقية كما يفترض الدكتور محمد علي أبوريان دون أن يجد مبررا واضحا يصح افتراضه. وقد جاء في غزل نوربخش شعري متصل بوحدة الوجود قال في ما ترجمته :

سواء أكنّا هادين أم مهديين
فنحن بالمقارنة بالقدم أطفال مهديون
قطرة نحن من محيط الوجود
ولا عبرة بمدى طاقتنا من الكشف والشهود

فيا إلهي متى أعود من القطرة

ويا إلهي أبلغني بحر النور

وذكر نوربخش العشق على الصورة التي عبر عنها محمد بن عربي

قوله :

دين بدين الحب انى توجهت ركائبه، فالحب دينى وإيمانى

ولكنه أخذ الجانب السلبي من المسألة وعبر عنها بأبيات لطيفة منها

أترجمته :

منذ اليوم الذى استجلبت فيه طلعة حبى

غدوت متميزا من الخلائق أجمعين

وذلك أنى صرت مبرا من العقيدة والمذهب

والملة كلية وأصبحت ولا دين لى

وذكر استغراقه فى هذا العشق إلى الحد الذى اضاع معه كيانه

شخصى فجعل يتساءل : أنا نوربخش نفسه أم من أنا؟» (١٢٢).

نعم لاشك فى ذلك أن الصفويين لما تسلطوا على إيران وأجبروا

ناس على اعتناق التشيع على حد السيف أعلن النوربخشية

بيعتهم ، ولذلك لما فتح إسماعيل الصفوى التستر كان يسأل الناس عن

ييديتهم ، فمن قال : نحن على مذهب نور الله الشيخ نوربخشى لم

من يتعرض لهم» (١٢٣).

وفر كثير من مريدى هذا الصوفى الوجودى إلى شبه القارة الهندية

نشوا إلى الجبال ومناطق منعزلة ، فبقوا هناك على طريقتهم الصوفية .

وأكبر دليل على كون القوم غير الاثنى عشرية أن لهم فقها

صا ، وكذلك كيان مستقل ومدارس مستقلة ولو أنهم يقومون ببعض

(١٢٢) الفكر الشيعى والنزعات الصوفية للدكتور كامل مصطفى الشبيى ص ٣٣٩-٣٤٠

(١٢٣) مجمع الأوصياء ص ٣٠٢ ، نقلا عن الفكر الشيعى ص ٣٤١ .

الأعمال التي يقوم بها الشيعة الاثنا عشرية من المآتم على الحسين، وغير ذلك ولكنهم يختلفون معهم في أشياء كثيرة أيضا، ومنها الإغراق في التصوف والسلسلة الصوفية التي تصل إلى السهروردي وجنيد البغدادى والسرى السقطى، وكل هؤلاء ليسوا من الشيعة، وقد ذكر محمد نوربخش سلسلته الصوفية بعنوان السلسلة الذهبية، ونقلها من كتابه كما ذكرها :

محمد نوببخش . خواجه اسحاق الختلانى . حضرة امير الكبير السيد على الهمدانى . حضرة الشيخ محمد المزدقانى . حضرة الشيخ علاء الدولة السمنانى . حضرة الشيخ عبد الرحمان الاسفرانى . حضرة الشيخ أحمد الذاكر الجوزقانى . حضرة الشيخ على اللالا . حضرة الشيخ نجم الدين الكبرى . حضرة الشيخ عمار ياسر البديسى . حضرة الشيخ أبو النجيب السهروردي . حضرة الشيخ أحمد الغزالى . حضرة الشيخ أبوبكر النساجى . حضرة الشيخ أبو على الكاتبى . حضرة الشيخ أبى على الرودبارى . حضرة الشيخ جنيد البغدادى . حضرة الشيخ سرى السقطى . حضرة الشيخ معروف الكرخى . حضرة الإمام علوى الرضا (۱۲۴)

ثم ولقد ذكر محمد نوربخش هذا فى كتابه عبارة صريحة تدل على عدم تشيعه وهو يذكر الوقائع التي حدثت بعد وفاة رسول الله ﷺ فدا أبوأى وروحي فقال :

ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بايع الأنصار والمهاجرون أبا بكر رضى الله عنه على الإمارة بالاتفاق لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أمره بإمامة الصلاة الفريضة أيام مرضه

فبايع أصحابه كله على أبى بكر اتباعا لأمره صلى الله عليه وآله وسلم لأن الصلاة عماد الدين وقوامه كما قال أمير المؤمنين على عليه السلام إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرض ليالى وأياما ينادى بالصلاة، فيقول عليه السلام: مروا أبابكر يصلى بالناس.

فلما قبض رسول الله عليه الصلاة وآله وسلم نظرت فإذا الصلاة علم الإسلام وقوام الدين فرضينا لدينانا من رضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لديننا فبايعناه.

وذلك أن عليا عليه السلام لما رأى النزاع بين الصحابة بسقيفة بنى ساعدة في الخلافة يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتجهيزه وقد نزع خاتم النبى صلى الله عليه وآله وسلم من يده المباركة، ففوض الخاتم إلى أبى بكر رضى الله عنه وقال: فاذهب إلى الناس وأدركهم واجمعهم على إمارتك فذهب إليهم أبوبكر ومعه عمر بن الخطاب رضى الله عنهما، فكلم الناس عمر فى إمارة أبى بكر ورضوا بإمارة أبى بكر رضى الله عنه واتفقوا كلهم ببركة خاتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبتدبير على المرتضى عليه السلام» (١٢٥).

وعلى كل فهذه هى الطائفة الأخرى التى اختلفت (١٢٦). فى تشيعها، ونظن أن هذا القدر كاف فى هذا الموضوع.

(١٢٥) أيضا ص ٥١-٥٢.

(١٢٦) لقينى كثير من علماء الشيعة فى باكستان فسألتهم عن النوربخشية فالأكثر قالوا بأنهم ليسوا من الاثنى عشرية ولكنهم يدعون التشيع الاثنى عشرى لجلب الأموال وحصول المنافع من شيعة الخليج الدول العربية الاثنى عشرين وشيعة إيران أيضا ولقد رضى علماء الشيعة الايرانيين بادعائهم هذا مبتكار عدد الشيعة، والا فهم ليسوا من الامامية الاثنى عشرية.

وقال البعض: انهم من الشيعة الاثنى عشرية ولكنهم من الفرقة التى ابتعدت عن الاثنى عشرية الخالص بنزعاتها الصوفية وبافكارها المناوئة المختلفة للتشيع الاثنى عشرية.

الأخبارية والأصولية

وهناك اختلاف آخر حدث بين الاثنى عشرية في القرون المتأخرة وهو اختلاف ما يسمى باختلاف الأخباريين والأصوليين، فافترقت الاثنى عشرية إلى فرقتين متحاربتين متعاديتين حملت إحداها على الأخرى وشنعت الأخرى على الأولى، وكثر النزاع حتى اتهم الأخباريون الأصوليين بالخروج عن التشيع الحقيقي الأصلي، وكتبت الكتب وألفت الرسائل وتحزبت الأحزاب، فقال الأخباريون: نعتقد بظاهر ما ورد به الأخبار، متشابهة كانت أم غير متشابهة فنجرى التشابهات على ظواهرها ونقول فيها ما قاله سلفنا» (١٢٧).

وبعبارة صريحة أكثر:

إن الأخباريين هم الذين يتمسكون بظواهر الحديث مقابل الأصوليين الذين يرون الأدلة العقلية من الأدلة الشرعية» (١٢٨).

ومعناه أن الأخباريين لا يرون الأدلة الشرعية إلا الكتاب والحديث. والمعروف أن الحديث عند الشيعة ما نقل عن أحد أئمتهم المعصومين حسب زعمهم الاثنى عشري ومن رسول الله أيضا، فكل ما نقل عن هؤلاء فهو حديث عندهم وهو حجة لأنه منقول عن معصوم وحجة، وما نقل عن الحجة حجة على اليقين، ثم لا ينظر عندهم أن هذا الحديث ما منزلته وشأنه مادام وجد في الأصول الأربعمائة ونقل منها، والأصول عند القوم الكتب التي ألفها وجمعها أصحاب الأئمة» (١٢٩).

فمادام أصحاب الأئمة نقلوا هذه الروايات من الأئمة فإنها لا (١٢٧) موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية للشيخ التهانوي ج ١ ص ٩٣ ط. خياط.

بيروت.

(١٢٨) لغت نامه دهخدا ص ١٤٨٥ ط. طهران ١٣٢٦.

(١٢٩) أعيان الشيعة الجزء الأول، القسم الثاني ص ٩٣.

تحتاج إلى النظر والبحث والتحقيق والتفتيش ، لا عن السند لأنها من صاحب الإمام ولا عن المتن لأنه من الإمام ، وعقول الناس قاصرة عن إدراك كنه ما يقوله الإمام حسب رواية الإمام المعصوم الخامس عند الشيعة محمد الباقر :

إن حديث آل محمد صعب مستعصب لا يؤمن به إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان ، فما ورد عليكم من حديث آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلانت له قلوبكم وعرفتموه فاقبلوه ، وما اشمأزت منه قلوبكم وأنكرتموه فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمد ، وإنما الهالك أن يحدث أحدكم شيء منه لا يحتمله ، فيقول : والله ما كان هذا والله ما كان هذا ، والإنكار هو الكفر» (١٣٠) .

وقد نقلوا عن موسى الكاظم - الإمام السابع المعصوم حسب زعمهم - أنه قال لأحد شيعته علي بن سويد السائي :

ادع إلى صراط ربك فينا من رجوت إجابته ولا تحصر حصرنا ، ووال آل محمد ولا تقل لما بلغك عنا أو نسب إلينا : هذا باطل وإن كنت تعرف خلافه ، فإنك لا تدري لم قلناه ، وعلى أي وجه وصفناه ، آمن بما أخبرتك ولا تكشف بما استكتمتك» (١٣١) .

وعلى ذلك فإن الرجوع إلى دليل آخر من الأدلة العقلية ليس إلا جهل وضلال في نظر هؤلاء وإذا لم يوجد في المسألة شيء فعليها الأرجاء حتى يأتي فيه خبر عن إمام من الأئمة كما رووا عن جعفر بن الباقر أنه سئل عن رجل اختلف عليه رجلان في دينه من أمر كلاهما يرويه ، أحدهما يأمر بأخذه والآخر ينهيه عنه كيف يصنع ؟ فقال : يرجئه حتى

(١٣٠) الأصول من الكافي ج ١ ص ٤٠١ ، باب ما جاء أن حديثهم صعب مستعصب .

(١٣١) رجال الكشي ص ٣٨٦ ط . كربلاء .

يلقى من يجبره فهو في سعة حتى يلقاه» (١٣٢) .

وذكر ابن بابويه القمي عن علي بن موسى - الإمام الثامن المعصوم عنده - أنه قال :

وما لم تجدوه في شيء من هذه الوجوه فردّوه علينا، فنحن أولى بذلك، ولا تقولوا فيه بآرائكم، وعليكم بالكف والتثبت والوقوف وأنتم طالبون باحثون حتى يأتيكم البيان من عندنا» (١٣٣) .
وإن رجع إلى شيء آخر ضلّ وأضلّ كما نقلوا عن موسى الكاظم عن محمد بن حكيم أنه قال :

قلت لأبي الحسن موسى عليه السلام : جعلت فداك فقهنّا في الدين وأغنانا الله بكم عن الناس حتى إن الجماعة منا لتكون في المجلس ما يسأل رجل صاحبه تحضره المسألة ويحضره جوابها فيما من الله علينا بكم، فربّما ورد علينا شيء لم يأتنا فيه عنك ولا عن آبائك شيء فنظرنا إلى أحسن ما يحضرنا وأوفق الأشياء لما جاءنا عنكم فنأخذ به؟ .
فقال : هيهات هيهات في ذلك والله هلك من هلك يا ابن حكيم، قال : ثم قال : لعن الله أبا حنيفة» (١٣٤) .
وأيضاً :

عن سمعة بن مهران عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : قلت : أصلحك الله إنا نجتمع فتذاكر ما عندنا فلا يردّ علينا شيء إلا وعندنا فيه شيء مسطر وذلك مما أنعم الله به علينا بكم، ثم يرد علينا الشيء الصغير ليس عندنا فيه شيء فينظر بعضنا إلى بعض، وعندنا ما يشبهه فنقيس على أحسنه؟

(١٣٢) الأصول من الكافي، كتاب فضل العلم ج ١ ص ٦٦ .

(١٣٣) عيون أخبار الرضا للعقبي - نقلا عن الكافي في الأصول، الهامش ص ٦٦ .

(١٣٤) الكافي في الأصول ج ١ ص ٥٦ .

فقال : ومالككم وللقياس ؟ إنما هلك من هلك من قبلكم بالقياس ، ثم قال : إذا جاءكم ما تعلمون ، فقولوا به ، وإن جاءكم مالا تعلمون فيها - وأهوى بيده إلى فيه - ثم قال : لعن الله أبا حنيفة كان يقول : قال على وقلت أنا ، وقالت الصحابة وقلت ، ثم قال : أكنت تجلس إليه ؟ فقلت : لا ولكن هذا كلامه ، فقلت : أصلحك الله أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس بما يكتفون به في عهده ؟ قال : نعم وما يحتاجون إليه يوم القيامة ، فقلت : فضاع من ذلك شيء ؟ فقال : لا هو عند أهله (١٣٥) .

هذا هو مذهب الأخبارية من الإمامية ، أى العمل بالأخبار المنقولة عن المعصومين حسب زعمهم أو المنسوبة إليهم بدون النظر إلى شيء آخر .

وأما الأصوليين فرأوا أن هناك دليل العقل ومنه البراءة الأصلية والاستصحاب وغيرها ، ومثل للبراءة الأصلية السيد محسن أمين في كتابه بقوله :

البراءة الأصلية فيما لا نص فيه بوجوب ولا تحريم بعد الفحص لاستقلال العقل بقبح العقاب بلا بيان ، ومنه قولهم عدم الدليل على كذا فيجب انتفاءه وهذا يكون مع الشك في الوجوب ، ومثل له المحقق في المعبر بقولنا : ليس الوتر واجبا لأن الأصل براءة العهدة ، ومنه أن يختلف الفقهاء في حكم بالأقل والأكثر فنقتصر على الأقل كما يقول بعض الأصحاب في عين الدابة نصف قيمتها ، ويقول الآخر : ربع قيمتها ، فيقول المستدل : ثبت الربع إجماعا ، فينتفى الزائد نظرا إلى البراءة الأصلية ويكون مع الشك في التحريم كالشك في حرمة التدخين وحرمة

شرب قهوة البنّ، فيقال: لم يقم دليل على التحريم والأصل براءة الذمة» (١٣٦).

ثم ذكر الأخباريين ومذهبهم بقوله :

الأخبارية الإمامية أنكروا البراءة الأصلية وأوجبوا الاحتياط في مواردّها للأخبار الآمرة بالاحتياط الحائثة عليه المحمولة على الاستحباب أو مورد العلم بالتكليف والشك في المبرىء المعارضه بقولهم عليهم السلام: كل شيء فيه حلال وحرام فهو لك حلال حتى تعرف الحرام منه فتدعه وأمثاله» (١٣٧).

وكذلك ذكر مغنية «أن الأخباريين ينكرون الاستصحاب في الحكم الشرعى الكلى» (١٣٨).

واتهم الأخباريون الأصوليين :

ان الباعث لهم على الاختراع هذه القواعد الأصولية والأدلة الأربعة الشرعية هو أنسهم بكتب المخالفين للإمامية بلا ضرورة داعية إليه وبدون قيام حجة حاکمة» (١٣٩).

فألف كل فئة كتبا كثيرة لتأييد مسلكهم، فمن الأخباريين ألف محمد أمين بن محمد شريف الاسترا آبادى كتابه المشهور (الفوائد المدنية).

وردّ عليه نور الدين العاملى بكتابه (الفوائد المكية في مداحض حجج الخيالات المدنية ونقض أدلة الأخبارية) (١٤٠).

(١٣٦) أعيان الشيعة الجزء الاول القسم الثانى ص ١٨.

(١٣٧) أيضا.

(١٣٨) علم أصول الفقه في ثوبه الجديد لمحمد جواد مغنية ص ٣٥٤ ط. دار العلم. بيروت.

(١٣٩) الفوائد المدنية في الرد على القائل بالاجتهاد والتقليد في الاحكام الالهية لمحمد امين

ط. طهران.

(١٤٠) انظر لذلك كتاب الذريعة للطهرانى ج ١٦ ص ٣٥٩.

وردّ عليه أيضا السيد دلدار على اللكهنوي بكتاب سّمَاه (أساس الأصول)، وهذا الكتاب موجود بين أيدينا طبع في الهند، وذكره صاحب الذريعة إلى تصانيف الشيعة (١٤١).

ثم ردّ عليه ميرزه محمد عبد النبي النيسابوري الهندي الشهير بالأخباري بكتاب سّمَاه (معاول العقول لقلع أساس الأصول) ودافع فيه عن (الفوائد المدنية) وعنّف القول على مؤلف الأساس، وهذا الكتاب موجود مطبوع أيضا، وقد ذكره صاحب الذريعة في كتابه (١٤٢).

ثم ردّ عليه السيد نظام الدين حسين والسيد أحمد على وغيرهم بكتاب (مطارق الحق واليقين لكسر معاول الشياطين) وقد ذكر هذا الكتاب الطهراني في موسوعته (١٤٣).

فهاتان هما فرقتان أخريان انبثقتا عن الشيعة الاثني عشرية أيضا، ويعدّ من أعيان الطائفة الأخبارية الحر العاملي صاحب (وسائل الشيعة)، والنوري الطبرسي صاحب (مستدرك الوسائل)، ومحمد حسين كاشف الغطاء، ونعمت الله الجزائري وغيرهم.

ومن أعيان الطائفة الثانية في الآونة الأخيرة السيد دلدار على، والطباطبائي، ومحسن الحكيم، والخوانساري، وشريعت مداري، واخميني، وغيرهم.

أهم كتب الشيعة الاثني عشرية ورجالاتهم

وأهم كتب الشيعة الاثني عشرية في الحديث :

(الكافي) للكليني - وهذا الكتاب يشتمل على أقسام ثلاثة :

الأصول والفروع والروضة : القسم الأول يشتمل على العقائد،

(١٤١) ج ٢ ص ٥٠٤ .

(١٤٢) ج ٢١ ص ٢٠٧ .

(١٤٣) ج ١ ص ٣٨ .

والقسم الثانى على الأحكام، والثالث على الخطب والمكاتيب وعلى الحكم والآداب، ويقولون : فيه ١٦١٩٩ حديثا .

الثانى : (من لا يحضره الفقيه) لابن بابويه القمى، وفيه ٦٥٩٣ حديثا .

الثالث : (تهذيب الأحكام) لابی جعفر الطوسى، وفيه ١٣٥٩٠ حديثا .

الرابع : (الاستبصار) وهذا أيضا للطوسى، وفيه ٦٥٣١ حديثا .

وهذه هى كتب الحديث الأربعة التى يطلق عليها الصحاح الأربعة الشيعية .

وهناك كتب أخرى فى الحديث منها :

(الأول) : الوافى تأليف الشيخ محمد بن مرتضى المدعوبملا بحسن الكاشى جمع فيه ما فى الكتب الأربعة من أحاديث الأصول والفروع ورتبها وبوبها وشرح بعض ما يلزمه الشرح والتفسير من المهمات وبين بعض وجوه الجمع بين المتعارضات وله نحو مائتى مصنف .

(الثانى) : وسائل الشيعة إلى أحاديث الشريعة تأليف الشيخ محمد بن الحسن بن الحر العاملى جمع فيه ما فى الكتب الأربعة وغيرها فى الفروع خاصة من ثمانين كتابا كانت عنده وسبعين نقل عنها بالواسطة ورتبه وبوبه على ترتيب كتب الفقه أحسن ترتيب وشرح بعض المهمات وجمع المتعارضات فصار كتابه هذا هو المعول والمرجع ولم يرزق الوافى ما رزقته الوسائل من الحظ لان ترتيبها أسهل مع ان تفسيرات الوافى اوفى وله مع ذلك الحظ الوافى لكن حظ الوسائل اوفى وبقية الكتب الأربعة يرجع إليها أيضا (١١٠٤) .

(الثالث) : بحار الأنوار في أحاديث النبي والأئمة الاطهار تأليف الشيخ محمد باقر ابن الشيخ محمد تقى المعروف بالمجلسي في ستة وعشرين مجلداً ضخماً كثير منها وحده عشرات المجلدات ويستغرق نسخه فقط العمر فضلاً عن تأليفه جمع فيه فنوناً من العلم جلها في غير الأحكام الفرعية وقليل منها في الفروع ومن جملتها تواريخ النبي والزهاء والأئمة الاثنى عشر صلى الله عليه وعليهم ، وأحوالهم ومناقبهم وما أثر عنهم من المواعظ والحكم والآداب جمعه من كل ما عثر عليه بدون انتقاء كما هو شأن البحار، ولم ينقل فيه من الكتب الأربعة المتقدمة إلا قليلاً لان غرض مؤلفيها الأهم الفروع وغرض الأهم غيرها فهو أجمع كتاب في فنون الحديث وأنواع العلوم ومتفرقات الأخبار يستمد منه العالم والمؤلف والواعظ وتستخرج منه الدرر والجواهر، فالمحمدون الثلاثة الأولون مع المحمدين الثلاثة الآخرين هم الذين حفظوا أخبار أهل البيت وآثارهم من الضياع وجمعوها ورتبوها والأولون منهم انتقوها واختاروها بحسب أسانيدها وكذا الأولان من الآخرين (١١١٠) .

(الرابع) : العوالم في الحديث تأليف المحدث المتبحر المولى عبد الله بن نور الله البحراني في مائة مجلد ولم يرزق من الحظ ما رزق البحار (اوائل المائة الثانية) .

(الخامس) : الشفا في حديث آل المصطفى جامع كبير يشتمل على عدة مجلدات للمتضلع في الحديث الشيخ محمد الرضا بن الفقيه الشيخ عبد الله التبريزي فرغ منه (١١٥٨) .

(السادس) : جامع الأحكام في الحديث تأليف السيد عبد الله الشبري في خمسة وعشرين مجلداً كبيراً مؤلفه من أكثر الناس تأليفاً (١٢٤٢) .

(السابع) : مستدركات الوسائل تأليف المحدث المتتبع البصير بالحديث والرجال الميرزا حسين النوري المعاصر جمع فيه ما فات صاحب الوسائل ورتبه على أبوابها في قريب من مجلداتها لكنه أدرج فيه الفقه الرضوي الذي لم يثبت أنه تصنيف الإمام الرضا (ع) وكثيراً مما هو في هذا القبيل مما لم يكن معتبر الاسناد عند صاحب الوسائل فليس هو في الحقيقة استدراكا عليه في كثير مما فيه وأفاد في آخره فوائد رجالية لا توجد في غيره والظاهر ان معظمها مأخوذ من جامع الرواة للحاج محمد الاردبيلي معاصر المجلسي (١٣٢٠) (١٤٤).

ويدعى الشيعة أن الكتب التي تشتمل على الأحاديث المروية من المعصومين حسب زعمهم تزيد على ستة آلاف وست مائة كتاب (١٤٥) .
وأما شيخهم المفيد فقال :

صنف الإمامية من عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى عهد أبي محمد الحسن العسكري أربع مائة كتاب تسمى الأصول، قال : فهذا معنى القول : له أصل» (١٤٦) .

هذا في الحديث ، وأما في الرجال فلهم (معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين) لأبي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي ، والمعروف برجال الكشي - من علماء القرن الرابع .

والثاني : (كتاب الرجال) لأبي العباس أحمد بن علي النجاشي المتوفى سنة ٤٠٥ هـ، المعروف برجال النجاشي .

والثالث : (كتاب الرجال) لشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي المتوفى سنة ٣٦٠ هـ، والمعروف برجال الطوسي .

(١٤٤) أعيان الشيعة الجزء الأول القسم الثاني ص ١١٣- ١١٤ .

(١٤٥) أيضاً ص ٩٣ .

(١٤٦) أيضاً .

والرابع : (كتاب الفهرست) للطوسي أيضا .
وهذه الكتب الأربعة هي الأصول ، وعليها المعول عند القوم (١٤٧)
وهناك كتب أخرى : مثل (معالم العلماء) لابن شهر آشوب
المازندراني المتوفى سنة ٥٨٨ هـ .
و (خلاصة الأقوال في الرجال) للحسن بن مطهر الحلبي المتوفى

٧٢٦ هـ .

- و (منهج المقال) للهامقاني .
- و (روضات الجنات) للخوانساري .
- و (الكنى والألقاب) للقمي ، وغيرها .
- و من كتبهم في التفسير المشهورة :
(تفسير العياشي) .
و (تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي) .
و (تفسير القمي) .
و (تفسير مجمع البيان) للطبرسي .
و (تفسير البرهان في تفسير القرآن) .
و (تفسير الصافي) .
و (نور الثقلين) للحويزي .
و (منهج الصادقين) لملا فتح الله الكاشاني .
و من أهم كتبهم في الفقه :
(شرائع الإسلام) لجعفر بن الحسين الحلبي .
(جامع المقاصد) لعبد العالي الكركي المتوفى ٩٣٧ هـ .
و (المسالك) لزين الدين العاملي .

وكذلك (شروح اللمعة الدمشقية) .

ومن أهم كتبهم في التاريخ :

(تاريخ يعقوبى) .

و (مروج الذهب) و (أخبار الزمان) للمسعودى .

و (ناسخ التواريخ) لمبرزه تقى خان معاصر ناصر الدين القاجارى .

وأهم كتبهم (نهج البلاغة) الذى يعدونه أقدس كتاب عندهم ويدعون أنه كتاب مشتمل على خطب ومكاتيب على رضى الله عنه، جمعه شريف الرضى ، ومن شروحه الهامة :

شرح ابن أبى الحديد المعتزلى الشيعى ، وشرح ابن الميثم وغيرها من الشروح .

وأما أعيانهم فهم مؤلفو هذه الكتب التى ذكرناها آنفاً، وقد ذكرنا تراجعهم فى هذا الكتاب وفى الكتب الأخرى التى ألفناها حول هذه الطائفة من الناس .

وهذا يعرف الشيعة الاثنا عشرية بالإيجاز والاختصار، وفيما أوردناه كفاية لمن أراد ذلك .

ونلحق هذا الباب باباً آخر لبيان صلة الاثنى عشرية بالعقائد السبئية وغيرهم من المنحرفين الضالين، والمؤامرين الماكرين ضد الإسلام ومؤسسى الفرقة والاختلاف بين المسلمين .

السِّمَةُ الْإِنْعَاسِيَّةُ وَالْعَقَائِدُ السَّبَائِيَّةُ

إننا ذكرنا السبئية وقائدها عبد الله بن سبأ فيما مضى بالتفصيل ،
 فنضطر إلى أن نعيد ذكر السبئية والأفكار التي حملوها والعقائد التي
 وجَّهوها بين الناس وعارضها على وأولاده الطيبون منهم رضوان الله
 عليهم ، وردوا عليها ، وقاوموها بكل عنف وشدة ، ولكنها تسربت فيما
 عد بين الذين يزعمون أنهم شيعتهم والموالون لهم باسم حب أهل
 البيت - وأهل البيت منها براء .

فنضطر إلى إعادتها لوضع النقاط على الحروف ولإثبات أن
 الشيعة وخصوصا الاثنى عشرية منهم الذين يعدّون أنفسهم معتدلين ،
 قد يخدع بهم الكثيرون من المغفلين من الناس ، ليسوا إلا ورثة أولئك
 لقوم الذين ضلّوا وأضلّوا ، ولا يوجد في أيديهم إلا تركتهم التي تركوها
 لفرقة والاختلاف بين المسلمين ولإبعاد بعض الناس عن العقائد
 لصحيحة التي نزلت من السماء وجاء بها جبرئيل ، وبلغها رسول الله
 ﷺ ، وكلام الله ، القرآن ، وسنة رسول الله الثابتة ، خالية من ذكرها
 بذكرتها .

ونحاول في هذا الباب أيضا أن لا نكون إلا منصفين ، ولا نلزم

القوم مالا يلتزمون به ، ولا ننسب إليهم مالا يثبتونه في كتبهم أنفسهم كما تعودنا ذلك بفضل الله ، وكما لاحظ القارئ في هذا الكتاب وغيره .

وتجنبنا لسرد العبارات التي سقناها من قبل - نلخص ما كان يقو به من المخططات ويروجه عبد الله بن سبأ وما كانت تنشره السبئية عقائد وآراء ، ثم نقارن تلك العقائد والآراء بأفكار الشيعة الاثنى عشر الموجودين حاليا وعقائدهم ، وهل هي موجودة فيهم أم لا ؟ . فنقول : أولا : قيام السبئية بتكوين جمعيات سرية يهودية باسم الإسلام تحت راية عبد الله بن سبأ .

ثانيا : إظهار الحب والولاء والمشايعة والموالة لعلی وأولا والانضمام إلى شيعتهم .

ثالثا : الحقد والبغض لأصحاب رسول الله ﷺ والبراءة أبي بكر وعمر وعثمان خلفاء نبي الله في أمته ، الثلاثة الراشدين المهديين والطعن فيهم وتفسيرهم وتكفيرهم .

رابعا : تأليب الناس وتحريضهم على عثمان واتهامه بتهم باط لإيقاع الفرقة بين الأمة الواحدة والشقاق في المسلمين ، والتشجيع على العمال ، وتشويه سمعة الحكام ، وخصوصا الذين قادوا المعارك الحاسمة وفازوا فيها .

خامسا : ترويج العقائد اليهودية والنصرانية والمجوسية ؛ المسلمين ، التي لا تمت إلى الإسلام بصلة ، لا قريبة ولا بعيد والكتاب المنزل من السماء على محمد ﷺ خال منها ، وكذلك تعليما الرسول الناطق بالوحي نزهاء وبريئة من التلوث بها مثل قولهم بالوص والولاية والعصمة والرجعة وعدم الموت وملك الأرض والحلول والولاية

بِأَلِيهِ الْخَلْقُ وَاتَّصَفَهُمْ بِصِفَاتِ اللَّهِ وَجَرِيانِ النُّبُوَّةِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَنَزُولِ الْوَحْيِ .

فهذه هي الأفكار السبئية التي اقتبسناها من عبارات الشيعة وأثمتهم حول عبد الله بن سبأ والعقائد التي دعوا إليها وروجوها بين المسلمين، والعبارات والنصوص التي سردناها في الباب الثاني حيث ذكرنا عبد الله بن سبأ والسبئية بالتفصيل . وهذه هي خلاصة أقوالهم التي قالوها والأعمال التي قاموا بها، والآن لنضع النقاط على الحروف نقول :

أما الأول : أي تكوين اليهود جمعيات تحت قيادة عبد الله بن سبأ لمدس والفتنة فلا نحتاج لإثباتها إلى أي شيء بعدما أثبتناها من أئمة شيعة في الفرق والرجال والتاريخ والنقد، غير السنة، وتصريحاتهم بعدما أطنبنا القول فيه فيما مر .

والثاني : أي أظهر الحب والولاء والموالة لعلي وأولاده، فهذا هو الذي جعله الشيعة شعاراً لهم وما أكثر ما قالوه في هذا وتقولوا به عليّ وأولاده - كذبا وزورا - حتى جعلوا الدين كله موالة لعلي وأولاده ون الإيمان بالقرآن والسنة، بل ودون الإيمان بالله ورسوله والامثال وأوامرهما والتجنب عن النواهي، وبدون العمل الصالح والسعي إلى لكارم والفضائل والحسنات، فلقد قالوا فيما قالوا وما أكثره وما أشنع .

عن أبي جعفر أنه قال :

هل الدين إلا الحب^(١) .

فالحب هو الدين، لا الصلاة ولا الزكاة ولا الحج ولا الصوم ولا ير ذلك من العبادات التي أمر الله باتيانها وأدائها، ولا الأمر بالمعروف

(١) كتاب الروضة من الكافي للكليني، باب وصية النبي لأمر المؤمنين ج ٨ ص ٨٠ ط طهران .

والنهي عن المنكر، ولا التجنب للبغى والفحشاء، ولا التقيّد بالقيود في المعاملات، ولا المراعاة التي أمر بها الإنسان للتعايش مع ذويه وعشيرته وجيرانه ومجتمعه، ولا الحقوق ولا الفرائض، ولا الواجبات ولا المحرمات، فإن الدين هو الحب وحده .

وهو الإيمان أيضا كما نقلوه عن أبي جعفر محمد الباقر - الإمام الرابع المزعوم :

حبنا إيمان وبغضنا كفر» (٢) .

لا الإيمان بالله ولا بالرسول ولا بسيد الأنبياء وخاتم المرسلين، ولا بالكتاب المنزل عليه ولا بالتعاليم التي منحها لأصحابه وتلاميذه لأنه « أرسل الرسول وما نزلت الكتب ولم يأت الأنبياء إلا للدعوة إلى علو وأولاده وحبهم والموالات لهم .

ولقد ذكر المفسر الشيعي الكبير البحراني في مقدمة تفسيره الكبير عن واحد من أصحاب عليّ، حبة العوفي أنه قال :

قال أمير المؤمنين عليه السلام : إن الله عز وجل عرض ولايتي على أهل السماوات وعلى أهل الأرض، « أقربها من أقربها وأنكرها من أنكرها، أنكرها، أنكرها يونس فحبسه في بطن الحوت حتى أقربها» (٣) .

وذكر عن (البصائر) عن محمد بن مسلم أنه قال :

سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إن الله أخذ ميثاق النبيين على ولاية عليّ، وأخذ عهد النبيين على ولاية عليّ» (٤) .

وليس هذا فحسب، بل وأكثر من ذلك كما قال :

وفي كنز الفوائد نقلا من خط الشيخ الطوسي من كتاب مسا

(٢) الاصول من الكافي ج ١ ص ١٨٨ .

(٣) بصائر الدرجات ج ٢ ص ١٠ ط ايران نقلا عن تفسير البرهان، مقدمة ص ٢٥ .

(٤) أيضا ص ٢٦ .

البلدان عن جابر الجعفي عن رجل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قال دخل سلمان على علي ، فسأله عن نفسه؟ فقال : يا سلمان ! أنا الذي دعيت الأمم كلها إلى طاعتي فكفرت فعذبت في النار وأنا خازنها عليهم حقا أقول يا سلمان انه لا يعرفني أحد حق معرفتي إلا كان معي ، أخذ الله على الناس الميثاق لي فصدق من صدق وكذب من كذب ، قال سلمان : لقد وجدتك يا أمير المؤمنين في التوراة كذلك وفي الإنجيل كذلك بأبي أنت وأمي ياقتيل كوفة ! أنت حجة الله الذي تاب به على آدم ، وبك أنجي يوسف من الحب ، وأنت قصة أيوب ، وسبب تغير نعمة الله عليه ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أتدرى ما قصة أيوب ؟ . قال : الله أعلم وأنت يا أمير المؤمنين ، قال : لما كان عند الانبعاث للمنطق شك أيوب في ملكي فقال : هذا خطب جليل وأمر جسيم ، فقال الله : ياأيوب ! أتشك في صورة أقمته انا ، إني ابتليت آدم بالبلاء فوهبته له وصفحته عنه بالتسليم عليه بأمره المؤمنين فانت تقول خطب جليل وأمر جسيم فوعزتي لأذيقنك من عذابي أوتتوب إلى بالطاعة لأمر المؤمنين ثم ادركته السعادة بي يعني انه تاب واذعن بالطاعة لعلي عليه السلام» (٥) .

وغير هذا أيضا :

ففي سرائر ابن ادريس من جامع البزنطي عن سليمان بن خالد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول :

ما من نبي ولا من آدمي ولا من إنسي ولا جنى ولا ملك في السماوات والأرض إلا ونحن الحجج عليهم ، وما خلق الله خلقا إلا وقد عرض ولايتنا عليه واحتج بنا عليه ، فمؤ من بنا وكافر جاحد حتى

السموات والأرض» (٦).

وتتمة هذا الخبر في مناقب ابن شهر آشوب عن محمد بن الحنفية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: عرض الله أمانتي على السموات السبع بالشواب والعقاب فقلن ربنا لا تحملنا بالشواب والعقاب لكننا نحملها بلا ثواب ولا عقاب، وإن الله عرض ولايتي وأمانتي على الطيور فأول من آمن بها البزاة البيض والقنابر، وأول من جحدها البوم والعنقا فلعنهما الله من بين الطيور، فأما البوم فلا تقدر أن تطير بالنهار لبغض الطير له، وأما العنقا فغابت في البحار لا ترى، وإن الله عرض أمانتي على الأرض فكل بقعة آمنت بولايتي جعلها طيبة زكية وجعل نباتها وثمرها حلواً عذباً وجعل ماءها زلالاً وكل بقعة جحدت إمامتي وأنكرت ولايتي جعلها سبخاً وجعل نباتها مرّاً وعلقماً وجعل ثمرها العوسج والخنظل وجعل ماءها ملحاً اجاجاً» (٧).

وأما بخارهم الكليني فروى في صحيحه عن أبي عبد الله جعفر - الإمام السادس عندهم - أنه قال:

ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبياً قط إلا بها» (٨).

وعن أبيه أبي جعفر - محمد الباقر - أنه قال:

والله إن في السماء لسبعين صفاً من الملائكة، لو اجتمع أهل الأرض كلهم يحصون عدد كل صف منهم ما أحصوهم، وإنهم ليدينون بولايتنا» (٩).

وعنه أيضاً أنه قال:

(٦) أيضاً ص ٢٦.

(٧) أيضاً.

(٨) كتاب الحجّة من الكافي ج ١ ص ٤٣٧.

(٩) أيضاً ص ٤٣٧.

ان الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذرّ» (١٠) .
وأخيراً روى الكليني عن إمامه المعصوم، عن أبي الحسن أنه
قال :

ولاية على عليه السلام مكتوبة في صحف جميع الأنبياء» (١١) .
وكما روى أيضاً عن سالم الحنط قال :
قلت لأبي جعفر عليه السلام : أخبرني عن قول الله تبارك
وتعالى : نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان
عربي مبين، قال : هي الولاية لأمر المؤمنين عليه السلام» (١٢) .
وكذلك سئل أبو جعفر عن قول الله عز وجل : ولو أنهم أقاموا
التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربهم، قال : الولاية» (١٣) .
وابنه جعفر قال :

ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، إن هذا لفي الصحف الأولى
صحف إبراهيم وموسى» (١٤) .

وروى الكليني عن الصومالي :
عن أبي جعفر عليه السلام قال : أوحى الله إلى نبيه صلى الله
عليه وآله : فاستمسك بالذي أوحى إليك إنك على صراط مستقيم،
قال : إنك على ولاية عليّ، وعليّ هو الصراط المستقيم» (١٥) .
وإن لم يأت العبد بولاية على لم يسأله عن شيء، وأمر به إلى

(١٠) ايضاً ص ٤٣٨ .

(١١) كتاب الحجّة من الكافي ج ١ ص ٤٣٧

(١٢) ايضاً، باب فيه نكت من التنزيل في الولاية ج ١ ص ٣١٢ .

(١٣) ايضاً ص ٤١٣ .

(١٤) ايضاً ص ٤١٨ .

(١٥) ايضاً ص ٤١٧ .

وعلى ذلك قال البحراني مفسر الشيعة :

إن الله لم يبعث نبيا قط إلا بعد ما أقر بالولاية لأهل البيت، وإن بعثة الأنبياء كانت لذلك أيضا» (١٦).

وإن هذه الموالاتة هي سبب دخول الجنة والنجاة من النار. لا الأعمال ولا الحسنات، فمن والى عليا وأولاده فهو من أهل الجنة، وغيره يدخل النار ولو صام وصلى كما نقلوا عن أبي جعفر أنه قال :

سواء علي من خالف لنا أهل البيت لا ييالي صلى أو صام، أو زنى أو سرق، إنه في النار، إنه في النار» (١٧).

وكذبوا على رسول الله أنه قال لعلي رضي الله عنه :
من أحببك كان مع النبيين في درجتهم يوم القيامة، ومن مات ييغضك فلا ييالي مات يهوديا أو نصرانيا» (١٨).

وكذلك روى صدوقهم - وهو كذوبهم :
قال رسول الله (ص) : يا علي إن الله تعالى قد غفر لك ولأهلك
ولشيعتك ومحبي شيعتك ومحبي محبي شيعتك، فابشر» (١٩).

وذكر العياشي في تفسيره عن أبي عبد الله جعفر أنه قال :
المؤمنون بعلي هم الخالدون في الجنة وإن كانوا في أعمالهم
مسيئة» (٢٠).

أحب علي حسنة لا تضر معها سيئة (٢١) ويغضه معصية لا تنفع

(١٦) انظر البرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني، مقدمة ص ٣٣٩ ط إيران.

(١٧) أيضا، الفصل الثاني في بيان فرض ولاية أهل البيت ص ٢١.

(١٨) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٥٨. ط طهران.

(١٩) أيضا ج ٢ ص ٤٧.

(٢٠) تفسير العياشي ج ١ ص ١٣٩.

(٢١) ويجب الانتباه أنه لم يرو هذه الروايات الا الوضاعون الدجالون من الشيعة الذين ينقلون عن

وأخيرا ما كذبوه على رسول الله ﷺ أنه قال :

سمعت الله عز وجل يقول :

على بن أبى طالب حجتى على خلقى ، ونورى فى بلادى وأمينى
على علمى ، لا أدخل النار من عرفه وإن عصانى ، ولا أدخل الجنة من
أنكره وإن اطاعنى» (٢٣).

فالقضية واضحة بأن طاعة الله ليست بطاعة ، ومعصية الله ليست
بمعصية مادام الحب والولاء لعلى وأولاده موجود ، وهذا ما كان يقصده
اليهودية البغضاء لابعاد أمة محمد ﷺ عن الشريعة السماوية التى لا
تفرق بين شخص وشخص ، ولا تجعل مدار العز والشرف إلا على
العمل والتقوى كما قال جل من قائل :

﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (٢٤).

وقال : ﴿أزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين﴾ (٢٥).

وقال : ﴿لقد أفلح المؤمنون. الذين هم فى صلاتهم خاشعون.

والذين هم عن اللغو معرضون. والذين هم للزكاة فاعلون. والذين هم

لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير

ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون. والذين هم

دجاجلة كذابين مثلهم ، وقد وردت هذه الروايات بطرق الشيعة الكذابين أيضا فى بعض كتب السنة
الذين لم يلتزموا بإيراد الروايات الصحيحة ، ولم يلزموا أنفسهم تنقيد الرواة وتنقيح أحوالهم ، فلا يعتمد
على تلك الروايات لأنها منقولة ومروية من الشيعة لترويج باطلهم ونشر أباطيلهم . والله الحمد والمنة ان
عند السنة معيارا قويا ومحكما صالحا لتنقية هذه الروايات وتنقيحها لتمييز الحق من الباطل ، كما عندهم
أصول وضوابط وقواعد لنقد الرجال جرحا وتعديلا ، فلا تقبل الروايات والرواة عندهم إلا الصادقة عن
الصدوق ، ولا يلتفت الى الضعاف والضعفاء والوضع والوضاع ، والى الأكاذيب والكذبة .

(٢٢) منهج الصادقين ج ٨ ص ١١٠ .

(٢٣) البرهان ، مقدمة ص ١٣ .

(٢٤) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٢٥) سورة الشعراء الآية ٩٠ .

لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون . الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴿٢٦﴾ .

وقال : ﴿ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرة يره﴾ ﴿٢٧﴾ .

وقال : ﴿ولا تزرز وازرة وزر أخرى﴾ ﴿٢٨﴾ .

وقال : ﴿فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى . وما يغنى عنه ماله إذا تردى﴾ ﴿٢٩﴾ .

وقال : ﴿كل نفس بما كسبت رهينة . إلا أصحاب اليمين . في جنات يتساءلون . عن المجرمين . ما سلككم في سقر . قالوا لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخاضعين . وكنا نكذب بيوم الدين . حتى أتانا اليقين . فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ ﴿٣٠﴾ .

نعم الشريعة التي لم تفرق بين شخص وشخص لحسبه ونسبه ، فلم تفرق بين أبى لهب بأنه يدخل الجنة لأنه عم النبي ﷺ ، ولم تقتصر على البيان بأنه من أهل النار بل قرن ذكره باللعن في الكتاب الذي يبقى أبد الدهر حيث قال :

﴿تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى نارا ذات لهب . وامراته حمالة الحطب . في جيدها حبل من مسد﴾ ﴿٣١﴾ .

ولم تفرق تلك الشريعة السمحاء بين بلال وغيره لأنه حبشى وغير

(٢٦) سورة المؤمنون الآية ١ الى ١١ .

(٢٧) سورة الزلزال الآية ٨، ٧ .

(٢٨) سورة الأنعام الآية ١٦٤ .

(٢٩) سورة الليل الآية ٩ .

(٣٠) سورة المدثر الآية ٣٨ الى ٤٨ .

(٣١) سورة تبت .

عربى وقرشى وغير مكى ، جاء مكة وهو مملوك لغيره ، بل بُشِّر بالجنة بلسان الناطق بالوحي لأن أعماله أهلتة لذلك .

وهم الذين كانوا يرون الإيمان بالله وبالرسول وبالكتاب الذى نزل عليه والأعمال الصالحة حسب أوامر الله وأوامر الرسول ﷺ سببا لدخول الجنة كانوا يقومون ليلا ويصومون نهارا ، ويرفعون رأيات الجهاد ، وينزل عليهم النصر من فوق السماء ، ويؤيدهم ملائكة الرب وجنود الرحمان ، وهم الذين كانوا يرون الجنة تحت ظلال السيوف لإحقاق الحق وإبطال الباطل ولإظهار دين الله على الدين كله ، وهم الذين كانوا يقهرون سلاطين الأمم وملوكها وجبابرة الأرض وطغاتها ، وهم الذين اندحرت أمامهم فلول اليهودية وجيوش النصرانية وعساكر المجوسية ، وهم الذين أريد بهم وبأخلافهم أن يبعدوا عن هذه الشريعة الحية المحيية الأموات ، والباعثة فيهم الأرواح ، أرادوا إماتة هذه الأمة المقدامة لردهم عن دينهم وإبعادهم عن تعاليم الإسلام الحقيقية ، عن الإيمان والعمل والجد والجهد والجهاد ، فقالوا : لا يحتاج لدخول الجنة وإرضاء الرب إلى كل هذه المشقة والعناء ، بل يكفى لها حب أشخاص والولاية لهم ، ففازوا في مقاصدهم الخبيثة بعض الفوز وانطلت مكائدهم على بعض السذج الغفلة من الناس ، والمغرورين والمخدوعين بأسماء أشخاص لم يكونوا إلا عباداً لله المتقين ، العاملين المؤمنين . فبدل أن يكون أمام أعينهم أن أول ما يسأل العبد عنه الصلاة ، كى يصلوا ويجتهدوا فى التقرب إلى الله بالركوع والسجود والقيام إليه قالوا :

قال أبو الحسن عليه السلام - الإمام الثامن عندهم - : أول ما يسأل عنه العبد حبنا أهل البيت (٣٢) .

وعلى ذلك جعلت الولاية أهم من الصلاة والزكاة وعن كل شيء
كما ذكرناه آنفاً، وكما ورد في الكافي للكليني عن أبي جعفر أنه قال :
بنى الإسلام على خمس، على الصلاة والزكاة والصوم والحج
والولاية، ولم يناد بشيء كما نودى بالولاية» (٣٣).

بل وهى المقصود كما كذبوا على النبى ﷺ أنه قال :
أتانى جبريل عليه السلام وقال : يا محمد ربك يقرئك السلام
ويقول : فرضت الصلاة ووضعتها عن المريض، وفرضت الصوم
ووضعتها عن المريض والمسافر، وفرضت الحج ووضعتها عن المقل المدقع،
وفرضت الزكاة ووضعتها عن من لا يملك النصاب، وجعلت حب على
بن أبى طالب عليه السلام ليس فيه رخصة» (٣٤).
ولذلك جعلوها مدار الكفر والإيمان كما هو ظاهر من هذه الروايات
وكما بيناه آنفاً .

وأما من قال من الشيعة المعاصرين (٣٥) بأن الاعتقاد بالولاية ليس
بالضرورى وأنه بعدم الاعتقاد بها لا يخرج عن كونه مسلماً ليس إلا خداعاً
وتزويراً، ولا يتفوه بمثل هذه الكلمات إلا فى كتب الدعاية والإيقاع
السذج من المسلمين فى شراكتهم وحبائلهم وإلا فهم لا يعتقدون بمثل
هذه الاعتقادات كما ذكر، وصرح به أئمة الشيعة .

ولقد ذكر السيد البحرانى عن عديد من أئمة الشيعة بأن هذه
العقيدة اليهودية التى أوجدها وأنشأها عبد الله بن سبأ اليهودى لتعطيل
الشريعة وإبعاد المسلمين عنها هى مدار الإيمان وهى مدار النجاة، والمنكر

(٣٣) الكافي فى الاصول، باب دعائم الاسلام ج ٢ ص ١٨ .

(٣٤) البرهان، مقدمة ص ٢٢ .

(٣٥) ألا وهو الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء فى كتابه (أصل الشيعة وفروعها)
ص ١٠٣، ١٠٤ الطبعة التاسعة بيروت ١٩٦٠م، وكذلك السيد محسن الأمين فى كتابه (أعيان الشيعة)
ج ١ ص ٦٩ .

بها لا يعد مؤمنا . ونذكر ههنا عن إمامهم وشيخهم المفيد أنه ذكر في كتاب المسائل :

اتفقت الإمامية على أن من ينكر إمامة إمام ووجد ما أوجبه الله تعالى له من فرض طاعته فهو كافر ضال مستحق الخلود في النار . . . وقال : لا يجوز لأحد من أهل الإيمان أن يغسل مخالفا للحق في الولاء ، ولا يصلى عليه» (٣٦) .

ونقل مثل ذلك عن بابويه القمي شيخ الطائفة الطوسي ، والملا باقر المجلسي ، والسيد شريف المرتضى وغيرهم من الكثيرين مثله .
وأما البغض والحقد لأصحاب النبي ﷺ والطعن فيهم والعيب عليهم وشتهم فصار من لوازم مذهب الشيعة ، ولما يوجد كتاب من كتبهم إلا وهو ملئ بالطعن والتعريض بهم ، بل ولقد خصص أبواب مستقلة لتكفير وتفسيق أصحاب النبي ﷺ ، ولا يذكرهم أحد من القوم إلا ويسبق ذكرهم بالشتيمة ويلحق بالسباب . ولقد مثلنا لهذا في كتابنا (الشيعة والسنة) في الباب الأول منه ، كما فصلنا القول في هذا الخصوص في كتابنا (الشيعة وأهل البيت) في الباب الثاني منه ولا نريد أن نعيد ما ذكرناه هناك تجنباً للإطالة . فليرجع القارئ في معرفة ذلك إلى هذين الكتابين . ونقتصر على ما كتبه إمام شيعة اليوم السيد الخميني في كتابه (كشف الأسرار) وهو مع كونه رجلا سياسيا - والسياسة تتطلب بعض الملاينة والمهادنة والمراعاة للآخرين - يذكر بكل صراحة ووضوح :

أن أبا بكر وعمر وعثمان لم يكونوا خلفاء رسول الله ﷺ ، بل وأكثر من ذلك أنهم غيروا أحكام الله وحلّلوا حرام الله ، وظلموا أولاد الرسول ، وجعلوا قوانين الرب وأحكام الدين (٣٧) .

(٣٦) البرهان ، مقدمة ص ٢٠ .

(٣٧) ملخص ما قاله السيد الخميني في كتابه (كشف الاسرار) ص ١١٠ وما بعد ط فارسي .

وبعد ذلك يذكر عقيدته وعقيدة الشيعة في الإمامة، فيقول تحت عنوان: لماذا لم يذكر اسم الإمام في القرآن صريحا:

ولقد ظهر مما ذكر أن الإمامة أصل من الأصول المسلمة الإسلامية بحكم العقل والقرآن، وأن الله قد ذكر هذا الأصل المسلم في عديد من مواضع القرآن، فيمكن أن يسأل سائل: مادام هذا فلماذا لم يذكر اسم الإمام في القرآن لكي لا يقع خلافات وحروب حوله كما وقعت، فالجواب على ذلك بوجوه، وقبل حل هذا الإشكال نريد أن نقول جهرا: إن كل الخلافات التي حلت بين المسلمين في جميع أمورهم وشئونهم لم تقع بينهم إلا من أثر يوم السقيفة، ولنولم يكن ذلك اليوم لم يكن بين المسلمين خلاف في القوانين السماوية، فنقول: لو ذكر اسم الإمام في القرآن فرضا لم يكن يرفع النزاع بين المسلمين لأن الذين لم يدخلوا في الإسلام إلا طمعا في الرئاسة وتجمعوا وتحزبوا لنيلها لم يكونوا مقتنعين بنصوص القرآن وآياته، ولم يكونوا منتهين عن أطماعهم وأغراضهم، بل كان من الممكن أن يزدادوا في مكرهم ويصلوا إلى هدم أساس الإسلام لأن الطامعين في الرئاسة والطالبين لها لورأوا مقصودهم لا يحصل باسم الإسلام لشكلوا آنذاك حزبا معارضا للإسلام ومخالفه، وأنذاك لم يكن لعلي بن أبي طالب أن يسكت فكان من نتيجة ذلك أن يحصل النزاع والخلاف الذي يقلع جذرة الإسلام ويقطع دابره، وعلى ذلك كان ذكر اسم علي بن أبي طالب في القرآن خلاف مصلحة أصل الإمامة.

وأیضا لو كان اسم الإمام مذكورا في القرآن لم يكن مستبعدا من الذين لم يكن علاقتهم بالإسلام والقرآن غير الدنيا والرئاسة، الذين جعلوا القرآن وسيلة لاجراء نياتهم الفاسدة لم يكن مستبعدا منهم أن يحذفوا تلك الآيات من القرآن ويحرفوا كتاب الله ويبعدوه عن أنظار الناس

إلى الأبد .

وأيضاً لو لم يحدث من هذا شيء على الفرض والتقدير لم يكن من غير المتوقع من ذلك الحزب الطامع الحريص على الرئاسة أن يختلقوا حديثاً كاذباً على رسول الله أنه قال قبيل وفاته إن الله خلع على بن أبي طالب من منصب الإمامة وجعل الأمر شورى بينكم .

ولا ينبغي لأحد أن يقول : لو ورد ذكر الإمام في القرآن لما استساغ الشيخان أن يخالفاه، ولو خالفاه فرضاً لم يقبله المسلمون وقاموا ضدهما، فنحن نقول : إنه لا ينبغي القول بهذا، لاننا نعرف أنها خالفا صريح القرآن جهراً وعلناً والناس لم يردوا عليهما، بل قبلوا مخالفتها للقرآن» (٣٨) ثم مثل بأمثلة كثيرة حسب زعمه لإثبات مخالفة أبي بكر وعمر رضى الله عنهما القرآن بعنوان «مخالفة أبي بكر النصوص القرآنية» و«مخالفة عمر قرآن الرب» (٣٩) .

وأخيراً قال بعد ذكر هذه المخالفات المزعومة :

ويعلم بهذا كله مخالفة أبي بكر وعمر القرآن في حضور المسلمين ولم يكن هذا الأمر ذا بال عندهم، بل كانوا هم معهما وفي حزبهما مناصرين مساعدين لهما في نيل المقصود، ويعرف بهذا كله أنه لو ورد ذكر الإمام في

(٣٨) كشف الاسرار للسيد الخميني (٥) ص ١١٢، ١١٣، ١١٤ ط فارسي .

(٣٩) انظر ص ١١٤ و ١١٧ - كشف الاسرار .

(*) والفروض أن يسمى هذا الكتاب كشف أسرار الخميني، لا كشف الأسرار للسيد الخميني لأنه فعلاً يكشف الأسرار عن هذا الرجل زعيم الشيعة ومصلح الأمة كما يزعمه بعض المغفلين والسذج من أهل السنة في مختلف بقاع الأرض من العالم الإسلامي وغير الإسلامي . وأتني أن يقوم بترجمة هذا الكتاب أحد من العارفين، يكون له معرفة باللغة الفارسية فينقله إلى اللغات العالمية الأخرى حتى تكون أسرار السيد الخميني مكشوفة عندهم .

والجدير بالذكر أن هذا الكتاب لازال يطبع في إيران ويوزع من قبل الحكومة الإيرانية في الداخل والخارج بدون أي تغيير وتبديل فيه، وواعجبا للموجدين للأعذار، الذين يختلقونها من عند أنفسهم، والكاتب المؤلف حي لا ينطق ببنت شفة في هذا الموضوع، وكيف ينطق وهذه هي العقائد التي يبتنى عليها مذهبه ومسلكه، وهذه هي الأسس التي يقوم عليها دينه وموقفه، وإن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار.

القرآن لم يكونوا تاركين للرئاسة لقول الله عز وجل ، ولا معطين له أى اهتمام ، وكما أن أبابكر الذى كان خداعه ظاهرا وزائدا استطاع أن يحرم ابنة رسول الله من ارثها الثابت بالقرآن والعقل باختلاق حديث مكذوب ، لم يكن مستبعدا من عمر أن يقول بأن الله أوجبريل أو الرسول أخطأوا فى ذكر إسم الإمام فى القرآن وآياته ، ولذلك لا ينظر إليه ولا يعمل به ، وأنداك قام حزب السنة وتابعوه على قوله وتركوا القرآن مهجورا ، كما أنهم تابعوه فى جميع التغييرات التى أتى بها فى دين الإسلام ورجحوا قوله على القرآن وآياته وقدموه على أحاديث رسول الإسلام وأقواله» (٤٠) .

وهناك كثير وكثير من هذا القبيل .

فهذه هى عقيدة القوم فى أبى بكر وعمر وعثمان وفى أصحاب رسول الله ﷺ رضى الله عنهم ورضوا عنه ، قد ذكرناها من رجل سياسى بارز يعد نائب الإمام الغائب عند الشيعة ، ومصلح الأمة عند بعض السنة طبق ما توراثه من السبئية وعبد الله بن سبأ ، وعليها يقاس عقيدة الآخرين من القوم الذين لم يمارسوا السياسة ولم يستلموا الزعامة الدينية والدينية ولم يتسلطوا على البلاد التى يسكنها كثير من السنيين الذين لا يحتاجون إلى المداينة والمراعاة .

وأما الطعن فى عثمان ذى النورين رضى الله عنه ، واللعن عليه وعلى عماله فإنها أمور لا تحتاج إلى البيان وخصوصا بعد ما ذكرنا فى الباب الأول والثانى من المثالب والمطاعن المنقولة من كتب القوم أنفسهم بذكر الصفحات والمجلدات ، ومن أراد الاستزادة فليرجع إليهما وإلى كتابنا (الشيعة والسنة) و (الشيعة وأهل البيت) .

والجدير بالذكر أن كتب الشيعة الاثنى عشرية لا يخلو كتاب من

كتبهم سواء كان في التفسير أو الحديث أو التاريخ أو السيرة أو الرجال أو الكلام أو العقائد أو غير ذلك من نفس المطاعن التي كان يرددها السبئيون ضد عثمان رضى الله عنه وحكومته وعماله ، لا فرق بين هؤلاء وأولئك إلا الاضافات والزيادات التي اختارها شيعة اليوم ولم تكن معروفة أيام السبئية .

وأما الوصاية والغيبة والرجعة التي نادى أول من نادى بها عبد الله بن سبأ وشلتته ، وكذلك العقائد الأخرى المنافية للإسلام ، والأجنبية على المسلمين ، والمروجة من قبل اليهودية والمجوسية من اتصاف الخلق بأوصاف الخالق وتأليه العباد ، والحلول ، والاتحاد ، والتناسخ ، وجريان النبوة بعد محمد ﷺ ونزول الوحي على أحد ، وإتيان الكتاب وغيرها من الأمور هي عين تلك العقائد التي انتقلت إلى شيعة اليوم وإلى الشيعة الاثنى عشرية خاصة .

وعلى ذلك قال كبير الشيعة في الرجال المامقاني في كتابه (تنقيح لمقال) :

إن ما كان يعد يومئذ غلوا صار يعد الآن من ضروريات لمذهب» (٤١) .

وصحيح ما قاله المقاماني ، فإنه لم يكن يعرف هذه الأمور في تشيع الأول لدى الشيعة الأولى فإن القوم أخذوها من السبئية وجعلوها بقائد لهم ومعتقدات ، وملثوا بها كتبهم ورسائلهم فقالوا : إن عليا رضى الله عنه كان وصى رسول الله ﷺ واختلقوا لذلك روايات موضوعة شيرة . منها ما رواه الكليني في كافيهِ عن جعفر أنه قال :

كان حيث طلقت آمنة بنت وهب وأخذها المخاض بالنبي صلى

الله عليه وآله حضرتها فاطمة بنت أسد إمراة أبى طالب فلم تنزل معه حتى وضعت فقالت أحدهما للأخرى: هل ترين ما أرى؟ قالت: هذا النور الذى قد سطع ما بين المشرق والمغرب، فبينما هما كذلك إذ دخل عليهما أبو طالب فقال لهما: مالكما من أى شىء تعجبان؟ فأخبرتاه فاطمة بالنور الذى رأت، فقال لها أبو طالب: ألا أبشرك؟ فقالت: بلى، فقال: أما انك ستلدين غلاما يكون وصى هذا المولود» (٤٢).

وأیضا ما اختلقوه بأنه لما نزل قوله تعالى: وأنذر عشيرتک الأقربین :

دعاهم رسول الله (ص) فأكلوا ولم يبين فى الطعام الا أثر أصابعه وكانوا نحو من أربعين رجلا وشربوا شنة من قدح كفاهم جميعا وزا عنهم. فلما فرغوا قال لهم فى آخر كلامه: انى والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به فأیکم يؤزرانى على أمرى هذا على أن يكون أخى ووصى وخليفتى فيکم؟ فسکتوا جميعا، فقام علو (ع) وقال: أنا یارسول الله أو ازرک علیه، فأخذ رسول الله (ص) برقة وقال: ان هذا أخى ووصى وخليفتى فيکم فأسمعوا له وأطيعوا، فقام یضحکون ویقولون لأبى طالب: قد أمرک أن تسمع لابنک وتطیع» (٤٣).

ثم قالوا بنفس ما قاله عبد الله بن سبأ وبألفاظه كذبا على أبى جعفر محمد الباقر أنه قال :

وایم الله لقد نزل الروح والملائكة بالأمر فى ليلة القدر على آدم وأیم الله ما مات آدم إلا وله وصى وكل من جاء بعد آدم من الأنبياء

(٤٢) الروضة من الکافی للکلینى ج ٨ تحت عنوان اخبار أبى طالب بولادة علي وأنه وصى الذ

ص ٣٠٢.

(٤٣) الارشاد المفید ص ١١، اعلام الوری للطبرسى ص ١٦٢، الصافی ج ٢ ص ٢٢٧، نزهة القمی ج ٢ ص ١٢٤، نور الثقلین ج ٤ ص ٦٧، منهج الصادقین ج ٦ ص ٤٨٧، أعیان الشیعة ج ١ الاول القسم الاول ص ٢٠٩.

ناه الأمر فيه ووضع له وصياً من بعده، وأيم الله إن كان النبي ليؤمر فيما
تنبه من الأمر في تلك الليلة من آدم إلى محمد صلى الله عليه وآله أن
يص إلى فلان» (٤٤).

وعن جعفر أنه قال :

أوصى موسى عليه السلام إلى يوشع بن نون، وأوصى يوشع بن
ن إلى ولده هارون . . . فلم تنزل الوصية في عالم بعد عالم حتى دفعوها
ن محمد صلى الله عليه وآله .

فلما بعث الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وآله، أسلم له العقب
المستحفظين وكذبه بنو إسرائيل ودعا إلى الله عز وجل وجاهد في
بيله، ثم أنزل الله جل ذكره عليه أن أعلن فضل وصيك، فقال : رب
العرب قوم جفاة، لم يكن فيهم كتاب ولم يبعث إليهم نبي ولا يعرفون
سل نبوات الأنبياء عليهم السلام ولا شرفهم، ولا يؤمنون بي إن أنا
برتهم بفضل أهل بيتي، فقال الله جل ذكره : ولا تحزن عليهم وقل
لام فسوف تعلمون فذكر من فضل وصيه ذكراً فوق النفاق في
يهم، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك ما يقولون، فقال الله
جل ذكره : يا محمد ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فإنهم لا
مذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولكنهم يجحدون بغير
جة لهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يتألفهم ويستعين
ضهم على بعض، ولا يزال يخرج لهم شيئاً في فضل وصيه حتى نزلت
ه السورة، فاحتج عليهم حين أعلم بموته، ونعيت إليه نفسه، فقال
جل ذكره : ﴿فإذا فرغت فانصب . وإلى ربك فارغب﴾ يقول : إذا

فرغت فانصب علمك، وأعلن وصيك فأعلمهم فضله علانية، فقال صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه - ثلاث مرات - ثم قال: لا بعثن رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ليس بفرار يعرض بمن رجع، ويحبّن أصحابه ويحبّنونه، وقال صلى الله عليه وآله: على سيد المؤمنين، وقال: على عمود الدين، وقال: هذا هو الذى يضرب الناس بالسيف على الحق بعدى وقال: الحق مع على أينما مال، (٤٥).

وعنه أيضا أنه قال :

ان الوصية نزلت من السماء على محمد كتابا، لم ينزل على محمد صلى الله عليه وآله كتاب مختوم إلا الوصية، فقال جبرئيل عليه السلام: يا محمد هذه وصيتك فى أمتك عند أهل بيتك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أى أهل بيتى يا جبرئيل؟ قال: نجيب الله منهم وذريته، ليرثك علم النبوة كما ورثه إبراهيم عليه السلام وميراثه لعلى عليا السلام وذريتك من صلبه، قال: وكان عليها خواتيم، قال: ففتح على عليه السلام الخاتم الأول ومضى لما فيها، ثم فتح الحسن عليه السلام الخاتم الثانى ومضى لما أمر به فيها، فلما توفى الحسن ومضى فتح الحسين عليه السلام الخاتم الثالث فوجد فيها أن قاتل فاعتل وتقتل واخرج بأقواء للشهادة، لا شهادة لهم إلا معك، قال: ففعل عليه السلام، فلما مضى دفعها إلى على بن الحسين عليه السلام قبل ذلك، ففتح الخاتم الرابع فوجد فيها أن اصمت وأطرق لما حجب العلم، فلما توفى ومضى دفعه إلى محمد بن على عليه السلام ففتح الخاتم الخامس فوجد فيها أن فسه كتاب الله تعالى وصدق أباك وورث ابنك واصطنع الأمة وقم بحق الله

عز وجل وقل الحق في الخوف والأمن ولا تخش إلا الله، ففعل، ثم دفعها إلى الذي يليه» (٤٦).

وأخيراً ما رواه عن أبي جعفر قال :

لما أن قضى محمد نبوته، واستكمل أيامه، أوحى الله تعالى إليه أن يا محمد قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك، فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة في أهل بيتك عند علي بن أبي طالب، فأنى لن أقطع العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوة من العقب من ذريتك كما لم أقطعها من ذريات الأنبياء» (٤٧).

هذا عين ما قاله عبد الله بن سبأ والسبئية : أن يوشع بن نون وصى موسى وعلى وصى رسول الله، وإن إمامة على لفرض من الله عز وجل (٤٨).

الغيبة

وأما القول بالغيبة والرجعة فلقد تلقفه الشيعة من السبئية منذ تطور التشيع وانقراض الشيعة الأولى فلقد قالوا في كل من زعموا إمامته من على رضى الله عنه إلى الغائب الموهوم الذى لم يولد، ولقد ذكرنا فيما مر أقوالهم في واحد واحد من أئمتهم ونقتصر هنا على ما يقوله الشيعة الاثنا عشرية في غائبهم الموهوم، فيقولون : إنه ولد للحسن العسكري ولد، على اختلاف مقولاتهم في ذلك كما سبق ذكره في الباب السابق، ثم يقولون : أنه غاب عن الأعين، وله غيبتان : الغيبة الصغرى والغيبة

(٤٦) ايضاً، باب ان الأئمة لم يفعلوا شيئاً ولا يفعلون الا بم عهد من الله ج ١ ص ٢٨٠.

(٤٧) ايضاً، باب الاشارة والنص على أمير المؤمنين ج ١ ص ٢٩٣.

(٤٨) انظر لذلك رجال الكشي ص ١٠٩ ط كربلاء - العراق، فرق الشيعة للتبريزي ٤٤، ٤١ ط النجف - العراق، تنقيح المقال للماقاني ج ٢ ص ١٤٣، ط. إيران وغيرها من

الكبرى . كما كذبوا على جعفر أنه قال :

للقائم غيبتان : إحداهما قصيرة والأخرى طويلة ، الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة شيعته ، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه» (٤٩) .

وعنه أيضاً أنه قال :

لصاحب هذا الأمر غيبتان : إحداهما يرجع منها إلى أهله ، والأخرى يقال : هلك ، في أى واد سلك ؟ قلت : كيف نصنع إذا كان كذلك ؟ قال : إذا ادعاه مدع فاسألوه عن أشياء يجيب فيها مثله» (٥٠) وعن أبيه مثله (٥١) .

«أما غيبته الصغرى منها فهى التى كانت فيها سفراؤه موجودين وأبوابه معروفين ، لا تختلف الإمامية القائلون بإمامة الحسن بن على فيهم فمنهم أبوهاشم داود بن القاسم الجعفرى ، ومحمد بن على بن بلال ، وأبو عمرو عثمان بن سعيد السمان ، وابنه أبو جعفر محمد بن عثمان ، وعمر الأهوازى ، وأحمد بن اسحاق ، وأبو محمد الوجنانى ، وإبراهيم بن مهزيار ، ومحمد بن إبراهيم فى جماعة أخرى ربما يأتى ذكرهم عند الحاجة إليهم فى الرواية عنهم ، وكانت مدة هذه الغيبة أربعاً وسبعين سنة ، وكان أبو عمرو عثمان بن سعيد العمرى باباً لأبيه وجده من قبل وثقة لهما ، ثم تولى الباقية من قبله وظهرت المعجزات على يده ، ولما مضى لسبيله قام ابنه محمد مقامه رحمهما الله بنصه عليه ، ومضى على منهاج أبيه فى آخر جمادى الآخرة من سنة أربع أو خمس وثلاثمائة ، وقام مقامه أبو القاسم الحسين بن روح من بنى نوبخت بنص أبى جعفر محمد بن عثمان

(٤٩) كتاب الحجة من الكافي ص ٣٤٠ . كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعمانى ص ١٧٠

ط مطبعة الصدوق طهران .

(٥٠) كتاب الحجة من الكافي ص ٣٤٠ .

(٥١) كتاب الغيبة للنعمانى ص ١٧٣ .

عليه، وأقامه مقام نفسه، ومات في شعبان سنة ست وعشرين وثلاثمائة،
وقام مقامه أبو الحسن علي بن محمد العمرى بنص أبي القاسم عليه،
وتوفى لنصف من شعبان سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

فروى عن أبي محمد الحسن بن أحمد المکتب أنه قال : كنت
بمدينة السلام في السنة التي توفى فيها علي بن محمد السمرى فحضرت
قبل وفاته بأيام فخرج وأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته : بسم الله الرحمن
الرحيم يا علي بن محمد السمرى أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت
ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توص لأحد يقوم مقامك بعد
وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد أن يأذن الله تعالى
ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً،
وسياتى شيعتى من يدعى المشاهدة، ألا فمن يدعى المشاهدة قبل
خروج السفينانى والصيحة فهو كذاب مفتر ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلی العظيم .

قال : فانتسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم
السادس عدنا إليه وهو بنفسه فقيل له : من وصيك؟ قال : لله أمر هو
بالغه ففضى، فهذا آخر كلام سمع منه ثم حصلت الغيبة الطولى التى
نحن في أزمانها، والفرج يكون في آخرها بمشيئة الله تعالى» (٥٢) .

وأما أين يستقر غائبهم وماذا يعمل فيقولون : إنه مستقر في
سرداب سامراء كما يروى القطب الراوندى «أن العباسيين بعثوا عسكرياً،
فلما دخلوا الدار سمعوا من السرداب قراءة القرآن، فاجتمعوا على بابه
وحفظوه حتى لا يصعد ولا يخرج وأميرهم قائم حتى يصل العسكر
كلهم، فخرج من السكة على باب السرداب ومر عليهم، فلما غاب قال

الأمير : انزلوا عليه فقالوا : أليس هو قد مر عليك؟ فقال : ما رأيت وقال :
ولم تركتموه؟ قالوا : انا حسبنا أنك تراه» (٥٣) .

أو بالمدينة (٥٤) .

أو في مكة (٥٥) .

أوبرضوى - الجبل الذى يقولون فيه أنه غاب فيه محمد بن الحنفية
كما نقلنا عن السيد الحميرى شاعر الشيعة أنه قال :
تغيب لا يرى فيهم زمانا برضوى عنده غسل وماء (٥٦) .
ويقولون : فى ذى طوى . كما يذكر النورى الطبرسى :

ان للشيعة دعاء مشهورا روه عن الأئمة عليهم السلام يعرف
بدعاء الندبة ، أمروا بقراءته فى الأعياد الأربعة ، وفيه ما يخاطب به إمام
زمانه الحجة عليه السلام :

ليت شعرى استقرت بك النوى بل أى أرض تقلك أو ثرى
أبرضوى أم بغيرها ، أم بذى طوى (٥٧) .

أو فى اليمن بواد يقال له شمروخ (٥٨) .

أو الجزيرة الخضراء (٥٩) .

وأما الجزئرى فقد ذكر قصة طويلة غريبة عجيبة أنه يذكر الجزر

التي مسيرة مدنها سنة :

لا يوجد فى أهل تلك الخطط والضياع غير المؤمن الشيعى

الموحد ، القائل بالبراءة والولاية . . . سلاطينهم أولاد إمامهم يحكمون

(٥٣) كتاب الخرائج للرواندى نقلا عن كشف الأستار عن وجه الغائب عن الأبصار للنورى

الطبرسى ص ٢١١ ط طهران ، الفصول المهمة ص ٢٩٣ ط منشورات الاعلمى طهران .

(٥٤) الكافي فى الاصول ، كتاب الحجة ج ١ ص ٣٢٨ ، الفصول المهمة ص ٢٩٢ .

(٥٥) كشف الأستار ص ٢١٥ .

(٥٦) فجر الاسلام لأحمد أمين ص ٢٧٣ .

(٥٧) كشف الأستار ص ٢١٥ .

(٥٨) الانوار النعمانية للجزائرى ج ٢ ص ٦٥ .

(٥٩) بحار الانوار للمجلسى ج ١٣ باب جزيرة الخضراء .

بالعدل وبه يأملون ولو جمع أهل الدنيا لكانوا أكثر منها على اختلاف الأديان والمذاهب» (٦٠).

وكذلك يقولون : إنه في جابلقاء أو في جابلساء وغيرها من الخرافات .

وأما ماذا يعمل فيقولون :

إنه يشهد الموسم (الحج) فيراهم ولا يرونه» (٦١).

ويروون أن خادمة إبراهيم بن عبدة قالت :

كنت واقفة مع إبراهيم على الصفا فجاء عليه السلام حتى وقف

على إبراهيم وقبض على كتاب مناسكه وحدثه بأشياء» (٦٢).

ويكذب آخر - وهو أبو عبد الله الصالح - فيقول :

إنه رآه عند الحجر الأسود والناس يتجاذبون إليه وهو يقول : ما

بهذا أمروا» (٦٣).

ويقول الآخر :

شاهدت سيما (اسم رجل من أتباع السلطان) أنفا بسرمن رأى

وقد كسر باب الدار، فخرج عليه ويده طبرزين فقال له : ما تصنع في

داري؟ فقال سيما : ان جعفرأ زعم أن أباك مضى ولا ولد له، فان كانت

دارك فقد أنصرفت عنك، فخرج عن الدار» (٦٤).

ويحكى الآخر :

كنت حاجا مع رفيق لي ، فوافينا إلى الموقف فإذا شاب قاعد عليه

(٦٠) انظر الانوار النبعانية لمحدث الشيعة الجزائري ، باب نور في ولادة عليه السلام ج ٢ ص ٥٨ وما بعد .

(٦١) الاصول من الكافي ، كتاب الحج ، باب في الغيبة ج ١ ص ٣٣٨ .

(٦٢) ايضا ، باب في تسمية من رآه ص ٣٣١ .

(٦٣) ايضا .

(٦٤) ايضا .

إزار ورداء، وفي رجلية نعل صفراء، قومت الازار والرداء بمائة وخمسين ديناراً وليس عليه أثر السفر، فدنا منا سائل فرددناه، فدنا من الشاب فـأله، فحمل شيئاً من الأرض وناولـه، فدعا له السائل واجتهد في الدعاء وأطال، فقام الشاب وغاب عنا، فدنونا من السائل فقلنا له ويحك ما أعطاك؟ فأرانا حصة ذهب مزرعة، قدرناها عشرين مثقالاً، فقلت لصاحبي: مولانا عبد الرحمن لا ندري، ثم ذهبنا في طلبه فدرنا الموقف كله، فلم نقدّر عليه، فسألنا كل من حوله من أهل مكة والمدينة، فقالوا شاب علوي يحج، في كل سنة ماشياً» (٦٥).

ثم يحكون وينسبونه إلى علي الرضا أنه قال:

لا يرى جسمه ولا يسمى اسمه» (٦٦).

كما نقلوا عن الحسن العسكري أنه قال:

إنكم لا ترون شخصه، ولا يحل لكم ذكره باسمه، قيل: فكيف

نذكره؟ فقال: قولوا: الحجة من آل محمد» (٦٧).

ويقول الأربلي:

إنه حي موجود، يحل ويرتحل، ويطوف في الأرض بيوت وخيم

وخدم وحشم وإبل وخيل وغير ذلك» (٦٨).

ثم حكى قصة أن شمس الدين الهرقلي قال:

حكى لي والدي أنه خرج فيه - وهو شاب - على فخذة الايسر

توتة (بشرة مقترحة) مقدار قبضة الإنسان، وكانت في كل ربيع تشقشق

ويخرج منها دم وقيح، ويقطعه ألمها عن كثير من أشغاله؛ وكان مقيماً

بهرقل، فحضر الحلة يوماً ودخل إلى مجلس السعيد رضى الدين علي بن

(٦٥) ايضاً ص ٣٣٢.

(٦٦) ايضاً ص ٣٣٣.

(٦٧) ايضاً، باب النهي عن الاسم ص ٣٣٢، ٣٣٣.

(٦٨) كشف الغمة للاربلي ج ٣ ص ٢٨٣.

طاوس رحمه الله وشكوا إليه ما يجده منها، وقال: أريد أن أداويها فاحضر له أطباء الحلة وأراهم الموضع، فقالوا: هذه التوتة فوق العرق الاكلحل وعلاجها خطر ومتى قطعت خيف ان ينقطع العرق فيموت، فقال له السعيد رضى الدين قدس روحه: أنا متوجه إلى بغداد وربما كان أطباؤها اعرف وأحذق من هؤلاء فاصحبني فاصعد معه واحضر الاطباء فقالوا كما قال أولئك فضاق صدره، فقال له السعيد: ان الشرع قد فسح لك في الصلوة في هذه الثياب وعليك الاجتهاد في الاحتراس ولا تغرر بنفسك فالله تعالى قد نهى عن ذلك ورسوله فقال له والدى: إذا كان الأمر على ذلك وقد وصلت إلى بغداد فأتوجه إلى زيارة المشهد الشريف بسر من رأى على مشرفه السلام، ثم أنحدر إلى أهلى فحسن له ذلك، فترك ثيابه ونفقته عند السعيد رضى الدين وتوجه، قال: فلما دخلت المشهد وزرت الأئمة عليهم السلام ونزلت السرداب واستغثت بالله تعالى وبالإمام عليه السلام وقضيت بعض الليل في السرداب وبت في المشهد إلى الخميس، ثم مضيت إلى دجلة واغتسلت ولبست ثوبا نظيفا، وملاءت ابريقا كان معى، وصعدت أريد المشهد.

فرأيت أربعة فرسان خارجين من بات السور، وكان حول المشهد قوم من الشرفاء يرعون اغنامهم فحسبتهم منهم فالتقينا فرأيت شابين أحدهما عبد مخطوط وكل واحد منهم متقلد بسيف وشيخاً منقباً بيده رمح والآخر متقلد بسيف، وعليه فرجية ملونة فوق السيف وهو متحنك بعذبتة، فوقف الشيخ صاحب الرمح يمين الطريق ووضع كعب في الأرض، ووقف الشابان عن يسار الطريق؛ وبقي صاحب الفرجية على الطريق مقابل والدى، ثم سلموا عليه فردّ عليهم السلام، فقال له صاحب الفرجية: أنت غداً تروح إلى أهلك؟ فقال: نعم، فقال له

تقدم حتى أبصر ما يوجعك؟ قال : فكرهت ملاستهم وقلت في نفسي أهل البادية ما يكادون يحترزون من النجاسة وأنا قد خرجت من الماء وقميصي مبلول ، ثم انى بعد ذلك تقدمت إليه فلزمني بيده ومدنى إليه وجعل يلمس جانبي من كتفى إلى أن أصابت يده التوتة فعصرها بيده ، فأوجعنى ثم استوى في سرجه كما كان فقال لى الشيخ : أفلحت يا إسماعيل ، فعجبت من معرفته باسمى ، فقلت : أفلحنا وأفلحتم إن شاء الله ؛ قال : فقال لى الشيخ : هذا هو الإمام ، فتقدمت إليه فاحتضنته وقبلت فخذه .

ثم أنه ساق وأنا أمشى معه محتضنة فقال : ارجع ، فقلت : لا أفارقك أبداً ، فقال : المصلحة رجوعك ، فأعدت عليه مثل القول الأول ؛ فقال الشيخ : يا إسماعيل ما تستحي يقول لك الإمام مرتين ارجع وتحالفه ؟ فجبهنى بهذا القول ، فوفقت فتقدم خطوات والتفت إلى وقال : إذا وصلت بغداد فلا بد أن يطلبك أبو جعفر يعنى الخليفة المستنصر رحمه الله ؛ فإذا حضرت عنده وأعطاك شيئاً فلا تأخذه وقل لولدنا الرضى ليكتب لك إلى على بن عوض ، فإننى أوصيه يعطيك الذى تريد ثم سار وأصحابه معه ، فلم أزل قائماً أبصرهم إلى أن غابوا عنى وحصل عندى أسف لمفارقتهم فقعدت إلى الأرض ساعة مشيت إلى المشهد ، فاجتمع القوام حولى وقالوا : نرى وجهك متغير أوجعك شىء ؟ قلت قلت لا قالوا أخاصمك أحد ؟ قلت : لا ليس عندى مما تقولون خبر لكن أسألكم هل عرفتم الفرسان الذين كانوا عندكم فقالوا : هم من الشرفاء أرباب الغنم ، فقلت : لا ، بل هو الإمام عليه السلام ، فقالوا : الإمام هو الشيخ أو صاحب الفرجية فقلت : هو صاحب الفرجية فقالوا : أريته الممرض الذى فيك ؟ فقلت : هو قبضه بيده واوجعنى ؛ ثم كشف رجلى

فلم ار لذلك المرض أثراً فتداخلنى الشك من الدهش ، فأخرجت رجلى الأخرى فلم أر شيئاً» (٦٩) .

كما حكى ان أبا عطوة كان به أدره ، وكان زيدى المذهب ، وكان ينكر على بنيه الميل إلى مذهب الإمامية ، ويقول : لا أصدقكم ولا أقول بمذهبكم حتى يجيىء صاحبكم يعنى المهدي ، فيبرأنى من هذا المرض ، وتكرر هذا القول منه فيينا نحن مجتمعون عند وقت عشاء الآخرة إذا أبونا يصيح ويستغيث بنا ؛ فأتيناه سراعاً فقال : ألحقوا صاحبكم فالساعة خرج من عندى ، فخرجنا فلم نر أحداً ، فعدنا إليه وسألناه فقال : أنه دخل إلى شخص ، وقال : يا عطوة فقلت : من أنت؟ فقال : أنا صاحب بنيك قد جئت لابرئك مما بك ، ثم مد يده فعصر قروتي ومشى ومددت يدي فلم أر لها أثراً قال لى ولده : وبقي مثل الغزال ليس به قلبه واشتهرت هذه القصة وسألت عنها غير ابنه فاخبر عنها فاقربها والاختبار عنه عليه السلام فى هذا الباب كثيرة ، وأنه رآه جماعة قد انقطعوا فى طرق الحجاز وغيرها فخلصهم ، وأوصلهم إلى حيث أرادوا (٧٠) .

فهذا هو غائبهم ، وهذه هى الأساطير والقصص التى يحكونها عن غيبته .

الرجعة

وأما الرجعة فقال بها الشيعة الاثنا عشرية طبق ما قاله عبد الله بن سبأ بفارق أنه قال فى على رضى الله عنه وهؤلاء قالوا فى معدومهم ، والجدير بالذكر أن هذه العقيدة من العقائد التى فشت وانتشرت فى جميع

(٦٩) كشف الغمة للأربلى ج ٣ ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، انتهى الآمال للعباس القمى

ص ١٢٤٤ .

(٧٠) كشف الغمة للأربلى ج ٣ ص ٢٨٧ .

فرق الشيعة في مختلف العصور غير الشيعة الأولى كما ذكرناها في الأبواب السابقة .

ثم لم يكتف الشيعة الاثنا عشرية بالقول إن معدومهم الغائب هو الذى سيرجع ، بل قالوا أكثر من ذلك وهو أنه يرجع ، ويرجع الآخرين من الشيعة وأئمتهم وأعدائهم حسب زعمهم ، وهناك روايات وأكاذيب لا تعد ولا تحصى فى هذا المعنى ، وقد صنف فى هذا الخصوص كتب مستقلة عديدة ، فنختار من الأساطير المضحكة والقصص المبكية أخباراً قليلة لوضع النقاط على الحروف ولتمييز الحقائق عن أن القوم ماذا يقولون وبماذا يعتقدون ، وإلى أى حد ينقمون قوم رسول الله وقبيلته ، أصحابه وأزواجه ، أمته وشريعته التى جاء بها من الله عز وجل ، والقرآن الذى نزل عليه ، والأمر الذى أعطاه متبعيه والمؤمنين به .

عقيدة الشيعة التى توارثوها من اليهودية وعملاء اليهودية عبد الله بن سبأ وطائفته ، وتناقلوها جيلاً بعد جيل ، والتى قال عنها كبيرهم وخاتمة محدثيهم الملا باقر المجلسى صاحب (بحار الأنوار) بعد سرد الأخبار الكثيرة عن الرجعة :

اعلم يا أخى أنى لا أظنك ترتاب بعد ما مهدت وأوضحت لك بالقول فى الرجعة التى أجمعت عليها الشيعة فى جميع الأعصار ، واشتهرت بينهم كالشمس فى رابعات النهار . . . وكيف يشك مؤمن بأحقية الأئمة الأطهار فيما تواترت عنهم من مائتى حديث صريح رواها نيف وأربعون من الثقات العظام والعلماء الأعلام فى أزيد من خمسين من مؤلفاتهم (٧١) .

فيروى القوم عن الحسين بن على بن أبى طالب أنه قال :

للم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من ولدى فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً» (٧٢) .
وكذبوا على نبي الله ﷺ أنه قال :

القائم من ولدى اسمه اسمى وكنيته وكنيتى ، وشماله شمائلى ،
وسنته سنتى ، يقيم الناس على ملتى وشريعتى ، يدعوهم إلى كتاب الله
ربى ، من أطاعه أطاعنى ، ومن عصاه عصانى ، ومن أنكر غيبته فقد
أنكرنى ، ومن كذبه فقد كذبنى ، ومن صدقه فقد صدقنى ، إلى الله
أشكو المكذبين لى فى أمره ، والجاحدين لقولى فى شأنه والمضلين لأمتى
عن طريقته ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون» (٧٣) .

من يكون المهدي؟

فلقد كذب الشيعة على الحسن بن على رضى الله عنهما أنه لما
صالح معاوية دخل عليه الناس فلامه بعضهم على بيعته ، فقال :
ويحكم ما تدرون ما عملت ، والله ، الذى عملت خير لشيعتى مما طلعت
عليه الشمس أو غربت ، ألا تعلمون أنى امامكم ومفترض الطاعة
عليكم وأحد سيدى شباب أهل الجنة بنص من رسول الله على ؟ قالوا :
بلى ، قال : أما علمتم أن الخضر لما خرق السفينة وقتل الغلام وأقام
الجدار كان ذلك سخطاً لموسى إذ خفى عليه وجه الحكمة فى ذلك وكان
ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصواباً ؟ أما علمتم أنه ما منا أحد إلا
ويقع فى عنقه بيعة لطاغية زمانه إلا القائم الذى يصلى روح الله عيسى
بن مريم خلفه ، فإن الله عز وجل يخفى ولادته ، ويغيب شخصه لئلا
يكون لأحد فى عنقه بيعة إذا خرج ذلك التاسع من ولد أخى الحسين بن

سيدة الإمام، يطيل الله عمره في غيبته، ثم يظهره بقدرته في صورة شاب دون أربعين سنة، ذلك ليعلم أن الله على كل شيء قدير» (٧٤).

ومثل ذلك ما رواه عن جعفر أنه قال :

من أقرب جميع الأئمة وجحد المهدي كان كمن أقرب جميع الأنبياء وجحد محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبوته، فقليل له : يا ابن رسول الله فمن المهدي من ولدك؟ قال : الخامس ولد السابع يغيب عليكم شخصه ولا يحل لكم تسميته» (٧٥).

منزلته وشأنه

وروا في مقامه وشأنه عن علي بن الحسين أنه قال :

في القائم من سنن من ستة من الأنبياء عليهم السلام : سنة من نوح ، سنة من إبراهيم ، سنة من موسى ، سنة من عيسى ، سنة من أيوب ، سنة من محمد ، فأما من نوح فطول العمر ، وأما من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس ، وأما من موسى فالخوف والغيبة ، وأما من عيسى فاختلاف الناس فيه ، وأما من أيوب فالفرج بعد البلوى ، وأما من محمد فالخروج بالسيف . . . والقائم منا تخفى على الناس ولادته حتى يقولوا : لم يولد بعد ليخرج حين يخرج وليس لأجد في عنقه بيعة . . . ومن ثبت على موالاتنا في غيبته أعطاه الله أجر الف شهيد مثل شهداء بدر» (٧٦).

وأیضا كما روى النعماني في (غيبته) أنه قال بأن مهديهم يكون

مسندا ظهره إلى بيت الحرام ويقول :

(٧٤) اعلام الوری للطبرسی ص ٤٢٧ .

(٧٥) اعلام الوری للطبرسی ص ٤٢٩ .

(٧٦) اعلام الوری للطبرسی ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ .

أنا بقية من آدم، وذخيرة من نوح، ومصطفى من إبراهيم،
وصفوة من محمد» (٧٧).

ويقول :

أنا بقية الله وخليفته وحجته عليكم» (٧٨).

ويكون جبرئيل بين يديه (٧٩).

ويقولون :

نظر موسى بن عمران في السفر الأول إلى ما يعطى قائم آل محمد
من التمكين والفضل، فقال موسى : رب اجعلني قائم آل محمد، فقليل
له : ان ذاك من ذرية أحمد، ثم نظري في السفر الثاني فوجد فيه مثل ذلك .
فقال مثله، فقليل له مثل ذلك، ثم نظري في السفر الثالث فرأى مثله، فقال
مثله، فقليل له مثله (٨٠).

ومتى يرجع؟

فيروي الكليني في كافيهِ عن الأصبغ بن نباتة أنه قال :
أتيت أمير المؤمنين عليه السلام فوجدته متفكرا ينكت في
الأرض، فقلت يا أمير المؤمنين مالي أراك متفكرا تنكت في الأرض،
أرغبة منك فيها؟ فقال : لا والله ما رغبت فيها ولا في الدنيا يوما قط
ولكني فكرت في مولود يكون من ظهري، الحادى عشر من ولدى،
هو المهدي الذي يملأ الأرض عدلا قسطا كما ملئت جورا وظلما، تكون له
غيبية وحيرة، يضل فيها أقوام ويهتدى فيها آخرون، فقلت : يا أمير
المؤمنين وكم تكون له الحيرة والغيبية؟ قال : ستة أيام أو ستة أشهر أو ست

(٧٧) كتاب الغيبة للنعماني، أيضا بحار الأنوار للمجلسي ج ١٣ ص ١٧٩.

(٧٨) الفصول المهمة ص ٣٢٢.

(٧٩) كتاب الغيبة للطوسي ص ٢٧٤.

(٨٠) كتاب الغيبة للنعماني ص ٢٤٠.

سنين، فقلت: وان هذا لكائن؟ فقال: نعم كما أنه مخلوق وأنى لك بهذا الأمر يا أصبغ أولئك خيار هذه الأمة مع خيار أبرار هذه العترة» (٨١).

وروى أيضا عن أبى جعفر الباقر أنه قال:

يأثابت ان الله تعالى قد كان وقت هذا الأمر في سبعين، فلما أن قتل الحسين صلوات الله عليه اشتد غضب الله تعالى على أهل الأرض، فأخره إلى أربعين ومائة، فحدثناكم فأذعتم الحديث فكشفتم قناع الستر ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتا عندنا ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» (٨٢).

وروى ابنه جعفر أنه قال:

وقد كان لهذا الأمر وقت كان في سنة أربعين ومائة فحدثتم به وأذعتموه فأخره الله عز وجل» (٨٣).

وروا عن أبى جعفر أنه قال:

ليس بين القائم عليه السلام وقتل النفس الزكية أكثر من خمس عشرة ليلة» (٨٤).

وذكر أيضا رواية عن ابنه جعفر أنه قال:

إذا هدم حائط مسجد الكوفة مما يلي دار ابن مسعود فعند ذلك زوال ملك القوم وعند زواله خروج القائم» (٨٥).

والمعروف أن النفس الزكية قتل ومضى على قتله آلاف الليالي، كما هدم حائط مسجد الكوفة وقد مضى على هدمه مئات السنين ولكن لم يكن لموهوم أن يخرج.

(٨١) الاصول من الكافي، كتاب الحجة ج ١ ص ٣٣٨.

(٨٢) الاصول من الكافي ج ١ ص ٣٦٨.

(٨٣) كتاب الغيبة للنعماني ص ٢٩٢ ط طهران.

(٨٤) الارشاد المفيد ص ٢٦٠.

(٨٥) أيضا.

وروا عن إسحاق بن عمار أنه قال :

قال لى أبو عبد الله عليه السلام : يا أبا إسحاق إن هذا الأمر قد
آخر مرتين» (٨٦).

وهكذا كان الشيعة يعللون بالأمانى بخروج قائمهم ورجوع
مهديهم كما أقر بذلك إمامهم السابع موسى بن جعفر. كما رواه الكليني
فى (كافيته) والنعمانى (٨٧) فى (غيبته) كى لا يرجع الشيعة عن تشيعهم ،
فهذا هو النص :

عن يقطين أنه قال لابنه على بن يقطين :

ما بالناس قليل لنا فكان ، وقيل لكم فلم يكن - يعنى أمر بنى
العباس - ؟ فقال له على : ان الذى قيل لكم ولنا كان من مخرج واحد ،
غير أن أمركم حضر (وقته) فأعطيتم محضه فكان كما قيل لكم ، وإن أمرنا
لم يحضر فعللنا بالأمانى ، فلو قيل لنا : إن هذا الأمر لا يكون إلا إلى
مائتى سنة أو ثلاثمائة سنة لقست القلوب ولرجع عامة الناس عن
الإسلام ، ولكن قالوا : ما أسرعه وما أقربه ، تألفا لقلوب الناس وتقريبا
للفرج» (٨٨).

ولقد نقل الجرائري عن المجلسى أنه كان يرى وقت خروجه أيام
الدولة الصفوية مستدلا من الأحاديث الثلاثة ، فهذه هى عبارته :

اعلم أنه قد وردت أخبار مجملة وقد نقلها الأصحاب على إجمالها

(٨٦) كتاب الغيبة للنعمانى ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٨٧) «هو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن جعفر الكاتب النعمانى ، وكان من كبار محدثى الامامية
فى أوائل القرن الرابع ، وانه من تلامذة ثقة الاسلام محمد بن اسحاق بن يعقوب الكلينى ، كان مؤلفا
جيد النظر ، حسن الاستنباط وافر السهم فى معرفة الرجال وأحاديثهم ، ومن أهم مؤلفاته كتاب الغيبة ،
قال فيه النجاشى :

النعمانى شيخ من أصحابنا ، عظيم القدر ، شريف المنزلة ، صحيح العقيدة ، كثير الحديث ،
(مقدمة كتاب الغيبة ص ١١ ، ١٢).

(٨٨) الكافى للكلينى كتاب الحجة ، باب كراهية التوقيت ج ١ ص ٣٦٩ . كتاب الغيبة للنعمانى
ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ - واللفظ له .

ولم يتعرضوا لبيان معناها وذلك أنها أخبار متشابهة يجب علينا الإذعان لها من باب التسليم ؛ ولما انتهت النبوة إلى شيخنا المحقق رئيس المحدثين وخاتمة المجتهدين المولى المجلسى صاحب كتاب بحار الأنوار أدام الله أيام إفاداته ؛ وأجزل في الآخرة مثوباته وسعاداته ، توجه إلى إيضاحها وتفسيرها ، وطبق بعضها على وقت تعيين ظهور الدولة الصفوية أعلى الله منار بنيانها ، وشيد رفيع أركانها ، وطبق البعض الآخر على تعيين وقت ظهور مولانا صاحب الزمان عليه ألف سلام فلننقل تلك الأخبار على وجهها ثم نذكر ما أفاده سلمه الله تعالى من البيان والإيضاح .

الحديث الأول : ما رواه الشيخ الأجل المحدث محمد بن إبراهيم النعمانى فى كتاب الغيبة بسنده إلى أبى خالد الكابلى عن الباقر عليه السلام أنه قال كأنى يقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلا يعطونه فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم ، فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يقوموا ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم قتلاهم شهداء ؛ قال أدام الله أيامه أنه لا يخفى على أهل البصائر أنه لم يخرج من المشرق سوى أرباب السلسلة الصفوية وهو الشاه إسماعيل أعلى الله مقامه فى دار المقامة ؛ وقوله عليه السلام لا يدفعونها إلا إلى صاحبكم : المراد به القائم عليه السلام ، فيكون فى هذا الحديث إشارة إلى اتصال دولة الصفوية بدولة المهدي عليه السلام ؛ فهم الذين يسلمون الملك له عند نزوله بلا نزاع وجدال .

الحديث الثانى : ما رواه النعمانى أيضا فى ذلك الكتاب باسناد معتبر إلى الصادق عليه السلام قال بينا أمير المؤمنين عليه السلام يحدث فى الوقائع التى تجرى بعده إلى ظهور المهدي عليه السلام فقال لـ الحسين عليه السلام : يا أمير المؤمنين فى أى وقت يطهر الله الأرض من

الظالمين؟ فقال عليه السلام: لا يكون هذا حتى تراق دماء كثيرة على الأرض بلا حق، ثم إنه عليه السلام فصل أحوال بنى أمية وبنى العباس فى حديث طويل اختصره الراوى، فقال أمير المؤمنين عليه السلام إذا قام القائم بخراسان وغلب على أرض كوفان وملطان، وتعدى جزيرة بنى كاوان وقام منها قائم بجيلان، وأجابته الأبروالديلم، وظهرت لولدى رايات الترك متفرقات فى الاقطار والحرمات، وكانوا بين هنات وهنات إذا خربت البصرة وقام أمير الأمرة؛ فحكى عليه السلام حكاية طويلة ثم قال إذا جهزت الألوف وصفت الصفوف، وقتل الكبش الخروف هناك يقوم الآخر ويثور الثائر ويهلك الكافر؛ ثم يقوم القائم المأمول والإمام المجهول له الشرف والفضل، وهو من ولدك يا حسين لا ابن مثله، يظهر بين الركنين فى ذريسير يظهر على الثقلين ولا يترك فى الأرض الا دينين؛ طوبى لمن أدرك زمانه ولحق أوانه وشهد أيامه .

قال ضاعف الله أيام سعادته: جزيرة بنى كاوان جزيرة حول البصرة، وأهل الأبر جماعة فى قرب استر آباد، والديلم هم أهل قزوین وما والاها؛ والحرمات الأمكنة الشريفة، قوله هنات وهنات أى حروب عظيمة ووقايح كثيرة فى وقت خراب البصرة؛ والمراد بالقائم المأمول هو المهدي عليه السلام، والمراد بالركنين ركنا الكعبة وهو الركن والحطيم الذى هو محل خروجه عليه السلام، وقوله ذريسير المراد به الجماعة القليلة وهم عدد شهداء بدر، وقوله يظهر على الثقلين يعنى به انه عليه السلام يغلب على الجن والإنس سميا به لأنها يثقلان الأرض بالاستقرار فوقها؛ أولأنهما أشرف المخلوقات السفلية والعرب تسمى الشريف ثقلا لحلمه ورزاقته، وقيل إنهما سميا به لأنها قد ثقلا بالتكاليف فهما ثقلان بمعنى مثقلان؛ وقوله الا دينين جمع أدنى وهم أرذال الناس وأدناهم والمراد بهم

الظالمون الكافرون ، ثم قال سلمه الله تعالى : الظاهر ان المراد بأهل الخروج من خراسان هم أمراء الترك مثل جنكيز خان وهلاكو خان ، والمراد بالخارج من جيلان هو الشاه المؤيد الشاه إسماعيل ، ومن ثم أضافه عليه السلام إلى نفسه وسماه ولده ، والمراد بأمير الأمرة اما ذلك السلطان المذكور أو غيره من السلاطين الصفوية ؛ وقوله وقتل الكبش الحروف الظاهر انه إشارة إلى المرحوم صفى ميرزا فان أباه وهو المرحوم الشاه عباس الأول قد قتله ، وقوله يقوم الآخر المراد به المرحوم الشاه صفى فإنه أخذ دمه ، وأول من قتله هو الذى باشر قتل أبيه صفى ميرزا ؛ وقوله عليه السلام ثم يقوم القائم المأمول إشارة أيضا إلى اتصال الدولة الصفوية بالدولة المهدوية على صاحبها السلام .

الحديث الثالث : رواه الشيخ الأجل محمد بن مسعود العياشى وهو من ثقات المحدثين فى كتاب التفسير عن أبى ليلى المخزومى عن الباقر عليه السلام بعدما ذكر ملك شقاوة بنى العباس قال : يا أبا ليلى ! ان حروف القرآن المقطعة لعلماء جما ، إن الله تعالى أنزل الم ذلك الكتاب ، فقام محمد صلى الله عليه وآله حتى ظهر نوره وثبتت كلمته وولد يوم ولد ؛ وقد مضى من الألف السابع مائة سنة وثلاث سنين ؛ ثم قال وتبينانه فى كتاب الله فى الحروف المقطعة إذا عددها من غير تكرار ، وليس من الحروف المقطعة حرف ينقضى الا وقيام قائم من بنى هاشم عند إنقضائه ، ثم قال الألف واحد ، واللام ثلثون ، والميم اربعون ، والصاد تسعون فذلك مائة وواحد وستون ؛ ثم كان بدو خروج الحسين بن على عليه السلام الم الله ، فلما بلغت مدته قام قائم ولد العباس عند المص ؛ ويقوم قائمنا عند إنقضائها بالر ؛ فافهم ذلك وعه واكتمه .

قال ذلك المحقق أيده الله تعالى : قوله عليه السلام من الألف

السابع والمراد به من ابتداء خلق أبينا آدم عليه السلام ، ثم قال أيده الله تعالى : إن هذا الحديث في غاية الاشكال ؛ وقد ذكرنا له وجوهاً في كتاب بحار الأنوار ولنذكر هنا وجهاً واحداً ولكنه مبنى على تمهيد مقدمة : وهي أن المعلوم من كتب الحساب المعتمدة أن حساب أبجد له إصطلاحات مختلفة ، ومناط حساب هذا الحديث على إصطلاح أهل المغرب ، وقد كان شائعاً بين العرب في الأعصار السابقة ، وهو هذا صغفص قرست ثخذ ظغش ، فالصاد عندهم ستون ، والصاد تسعون ، والسين ثلثمائة والطاء ثمانمائة والغين تسعمائة ، والشين ألف وباقي الحروف على موافقة المشهور .

إذا عرفت هذه المقدمة فاعلم أن تاريخ ولادة نبينا صلى الله عليه وآله يظهر من جميع فواتح السور ولكن باسقاط الحروف المكررة مثلاً الم والروحم وغيرها من المكررات لا يؤخذ منه بالحساب إلا واحد ؛ وكذلك الحروف المبسوطة مثل ألف را لا يحسب منه الا ثلثة وكذا لام را ونحو ذلك وحيث أن ألف لام ميم صاد ألف لام را ألف لام ميم كاف ها ياعين صاد طا ها طا سين ياسين صاد حا ميم حا ميم عين سين قاف قاف نون ، إذا عددت حروفها تكون مائة وثلثاً من وقت خلق أبينا آدم عليه السلام إلى وقت ولادة النبي صلى الله عليه وآله يكون على وفق هذا الحديث ستة آلاف سنة ومائة وثلثون (ثلث سنين ظ) والأول من كل ألف سنة تاريخ ، وأول كل سابع من آلاف مائة وثلث سنين يكون قد مضت ؛ وعدد هذه الحروف أيضاً يكون مائة وثلثة على ما عرفت ، فيكون الم الذي في أول سورة البقرة إشارة إلى مبعث نبينا صلى الله عليه وآله ، وقوله عليه السلام وليس حرف ينقضى الا وقيام قائم من بنى هاشم عند إنقضائه واضح على هذا ؛ وذلك أول دولة بنى هاشم

ابتداءؤها من عبد المطلب ومن ظهور دولة عبد المطلب إلى ظهور دولة نبينا صلى الله عليه وآله إحدى وسبعين سنة تقريباً عدد الم بحساب أبجد على ترتيب القرآن بعد الم البقرة والم آل عمران، وهو إشارة إلى خروج الحسين عليه السلام فانه من ابتداء رواج دولة النبي صلى الله عليه وآله إلى وقت خروج الحسين عليه السلام إحدى وسبعون سنة تقريباً، وأيضاً بحسب ترتيب سور القرآن المص وهو إشارة إلى خروج بنى العباس فانهم من بنى هاشم أيضاً وإن كانوا غير محقين في أمر الخروج وبحساب أبجد على طريق المغاربة مائة وواحد وثلاثون، ومن أول بعثة النبي صلى الله عليه وآله إلى وقت ظهور دولتهم مائة وواحد وثلاثون وإن كان إلى زمان بيعتهم أكثر.

ويحتمل أن يكون ابتداء هذا التاريخ من وقت نزول سورة الأعراف فيكون مطابقاً لوقت بيعتهم وعلى حساب المص على طريق المغاربة يبنى الحديث المروى في كتاب معاني الأخبار وسنذكره إن شاء الله تعالى، وأما كون قيام القائم عليه السلام مبني على حساب الر فالذى يخطر بخاطري أن الر قد وقع في القرآن في خمسة مواضع وينبغي أن يحسب بقريئة أنه عليه السلام لم يتعرض لبيان كما تعرض لبيان الم ومجموعه ألف ومائة وخمس وخمسون سنة تقريباً من سنة تحرير هذه الرسالة، وهو سنة ألف وثمان وسبعون من الهجرة فيكون قد بقى من وقت خروجه عليه السلام (سبعة وسبعون ظ) خمس وستون سنة لما كان مبدأ هذه التواريخ من أوائل البعثة؛ هذا محصل كلامه سلمه الله تعالى «(٨٩)»
وقد مضى خمس وستون سنة وسبع وسبعون سنة وأكثر على ذلك

الوقت ولم يأن لقائهم أن يرجع ، وليس لمعدوم أن يوجد .
وما أحسن ما قاله القائل :

ما أن للسرداب أن يلد الذى صيرتموه بزعمكم إنسانا
فعلى عقولكم العفاء فإنكم ثلثتم العنقاء والغيلانا
كيف يرجع وأين يرجع؟

فيعتقد القوم أن جعفرأ قال :

ينادى باسم القائم فى يوم ستة وعشرين من شهر رمضان ، ويقوم
فى يوم عاشوراء ، وهو اليوم الذى قتل فيه الحسين بن على (ع) لكأنى به
يوم السبت العاشر من المحرم قائما بين الركن والمقام ، جبرئيل بين يديه
ينادى بالبيعة له فتسير شيعته من أطراف الأرض تطوى لهم طيا حتى
يبايعوه ، فيملأ الله به الأرض عدلا كما ملئت جورا وظلما» (٩٠) .

ثم بينوا كيف يجتمع الشيعة للقائم فقالوا :

إذا أذن الإمام ، دعا الله باسمه العبرانى (٩١) فاتيحت (فانتخب)
له صحابته الثلاثمائة والثلاثة عشر ، قزع كقزع الخريف . فهم أصحاب
الالوية . منهم من يفقد عن فراشه ليلا فيصبح بمكة . ومنهم من يرى
يسير فى السحاب نهارا يعرف باسمه واسم أبيه وحليته ونسبته . قلت :
جعلت فداك أيهم أعظم إيمانا؟ قال : الذى يسير فى السحاب نهارا . . .
وهم المفقودون ، وفيهم نزلت هذه الآية : ﴿ أينما تكونوا يأت بكم الله
جميعا ﴾ (٩٢) .

ويروى الطوسى شيخ الطائفة :

ينادى منادى من السماء باسم القائم ، فيسمع من بين الشرق

(٩٠) اعلام الورى للطبرسى ص ٤٥٩ ، ومثله فى الارشاد للمفيد ص ٣٦١ ، ٣٦٢ .

(٩١) ألا يدل هذه اللفظة على معنى متوارث عن القوم الذين يتكلمون بالعبرانية .

(٩٢) الغيبة للنعمانى ص ١٦٩ نقلا عن كتاب تاريخ ما بعد الظهور ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ .

والغرب فلا يبقى راقد الا استيقظ ولا قائم إلا قعد ولا قاعد إلا قام على
رجليه فزعا من ذلك الصوت، وهو صوت جبرئيل الروح الأمين» (٩٣).
وزاد النعماني :

فلا يبقى شيء من خلق الله فيه إلا سمع الصيحة، فتوقظ النائم
وتخرج إلى صحن داره، وتخرج الأذراع من خدرها، وتخرج القائم مما
يسمع وهي صيحة جبرئيل» (٩٤).

وقد رووا عن المفضل بن عمر أنه قال : قلت لجعفر بن الباقر :
ففى أى بقعة يظهر المهدي؟ قال لا تراه عين وقت ظهوره إلا رآته
كل عين وذلك أنه يغيب آخر يوم من سنة ست وستين ومأتين ولا تراه عين
أحد حتى يراه كل أحد، ثم يظهر بمكة ووالله يامفضل كأننى أنظر إليه
داخل مكة وعليه بردة رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى رأسه عمامته
وفى رجله نعل رسول الله المخصوفة، وفى يده عصا النبی صلى الله عليه
وآله يسوق بين يديه أعترأ عجافاً حتى يصل بها نحو البيت حتى لا يعرفه
أحد قال المفضل : ياسيدى كيف يظهر؟ قال : يظهر وحده ويأتى البيت
وحده إلى الكعبة ويحج عليه الليل، وإذا نامت العيون وغسق الليل نزل
إليه جبرئيل وميكائيل والملائكة صفواً، فقول له جبرئيل ياسيدى قولك
مقبول وأمرك جار، فيمسح يده على وجهه ويقول الحمد لله الذى
صدقنا وعده وأورثنا الأرض ننبوء من الجنة حيث نشاء فنعم أجر
العاملين، ويقف بين الركن والمقام ويصرخ صرخة يامعشر نقبائى وأهل
خاصتى ومن خلقهم الله لظهورى على وجه الأرض إيتونى طائعين،
فترد صيحته عليهم وهم على تجايرهم وعلى فرشهم فى شرق الأرض
وغربها، فيسمعونه فى صيحة واحدة فى أذن كل رجل فيجيئون نحوه ولا

(٩٣) الغيبة للنعماني ص ٢٥٤.

(٩٤) كتاب الغيبة للطوسي ص ٢٧٤.

يمضى لهم الا كلمحة بصر حتى يكونوا كلهم بين يديه بين الركن والمقام ، فيأمر الله عز وجل بنور فيصير عمودا من الأرض إلى السماء يستضيء به كل مؤمن على وجه الأرض ، ويدخل عليه نور في جوف بيته فتفرح نفوس المؤمنين بذلك وهم لا يعلمون بظهور قائمنا ، ثم يصبحون وقفا بين يديه وهم ثلثائة وثلاثة عشر رجلا بعدة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر» (٩٥).

ويقول وهو مسند ظهره إلى الكعبة :

يا معشر الخلائق ألا من أراد أن ينظر إلى آدم وشيث فهأنا ذا آدم وشيث ، ألا من أراد أن ينظر إلى إبراهيم وولده إسماعيل فهأنا ذا إبراهيم وإسماعيل ، ألا من أراد أن ينظر إلى عيسى وشمعون فهأنا ذا عيسى وشمعون ، ألا من أراد أن ينظر إلى محمد وأمير المؤمنين فهأنا ذا محمد وأمير المؤمنين ، ومن أراد أن ينظر إلى الحسن والحسين فهأنا ذا الحسن والحسين ألا من أراد أن ينظر إلى الأئمة من ولد الحسين فهأنا ذا الأئمة ، أجيئوا مسألتي فإنني أنبئكم بما نبئتم به أو لم تنبأوا به ، ومن كان يقرأ الكتب والصحف فليسمع مني ، ثم يتدبىء بالصحف التي أنزلها الله لأدم وشيث ، فتقول أمة آدم وشيث : هذه والله الصحف حقا ، ولقد رأينا ما لم نعلمه فيها وما كان أسقط منها وبدل وحرف ، ثم يقرأ صحف نوح وصحف إبراهيم حقا ، ثم يقرأ التوراة والإنجيل والزبور ، فيقول أهل التوراة والإنجيل والزبور : هذه والله التوراة الجامعة والإنجيل الكامل ، وإنها أضعاف ما ترى فيها ، ثم يتلو القرآن فيقول المسلمون : هذا والله القرآن وما حرف وما بدل» (٩٦) .

ويكون في صورة شاب مؤثق ابن اثنتين وثلاثين سنة كما كذبوا عن

جعفر أنه قال :

لوقد قام القائم لأنكره الناس لأنه يرجع إليهم شابا مؤنقا لا يثبت عليه إلا من قد أخذه الله ميثاقه في الذر الأول - وفي رواية : القائم يعمر عمر الخليل عشرين ومائة سنة يدري به ، ثم يغيب غيبة في الدهر ويظهر في صورة شاب مؤنق ابن اثنتين وثلاثين سنة» (٩٧) .

فببإيعه أول من ببإيعه جبرئيل كما روى الطبرسى وغيره .
إن جبرئيل يأتيه ويسأله ويقول :
إلى أى شىء تدعو؟ فيخبره القائم ، فيقول جبرئيل : فأنا أول من ببإيع ، ثم يقول له : مد كفك ، فيمسح يده على يده» (٩٨) .

وذكر البحرانى : أن جبرئيل ينزل على الميزاب في صورة طائر أبيض حتى يكون أول من خلق الله جبرئيل (٩٩) .
وهذا مع قولهم :

أتى جبرئيل (ع) إلى رسول الله (ص) يعودوه . فقال : السلام عليك يا محمد هذا آخر يوم أهبط فيه إلى الدنيا . وعن عطاء بن يسار أن رسول الله (ص) لما حضر أتاه جبرئيل فقال : يا محمد الآن أصعد إلى السماء ، ولا أنزل إلى الأرض أبدا . وعن أبى جعفر (ع) قال : لما حضرت النبى الوفاة . . . إلى أن قال : فعند ذلك قال جبرئيل : يا محمد ، هذا آخر هبوطى إلى الدنيا ، إنما كنت أنت حاجتى فيها» (١٠٠) .
ولا جبرئيل وحده ، بل الملائكة الآخرون أيضا كما روى الجزائرى عن جعفر أنه قال :

إن القائم يسنده ظهره إلى الحرم ويمد يده فترى بيضاء من غير سوء ،

(٩٧) كتاب الغيبة للطوسى ص ١٨٩ .

(٩٨) اعلام الورى للطبرسى ص ٤٦٠ - ٤٦١ ، الارشاد للمفيد ص ٣٦٤ ، روضة الواعظين

ج ٢ ص ٢٦٥ ، اكمال الدين لابن بابويه القمى وغيره .

(٩٩) تفسير البرهان ج ٢ ص ٨٢ .

(١٠٠) كشف الغمة للأربلى ج ١ ص ١٩ نقلا عن كتاب تاريخ ما بعد الظهور ص ٣٥٢ .

فيقول : هذه يد الله . . . فيكون أول من يقبل يده جبرئيل ، ثم يبايعه الملائكة ، ثم نجباء الجن ، ثم نقباء المؤمنين» (١٠١) .

ويؤيد هذا ما ذكره المفيد والطبرسي وابن الفثال والبحراني والنعمانى وغيرهم كذبا على محمد الباقر أنه قال :

كأنى بالقائم على نجف الكوفة قد سار إليها من مكة في خمسة آلاف من الملائكة ، جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن شماله ، والمؤمنون بين يديه وهو يفرق الجنود في البلاد» (١٠٢) .

ولا خمسة آلاف فقط ، بل ينحط عليه ثلاثة عشر ألف ملك وثلاثمائة وثلاثة عشر ملكا . قلت : كل هؤلاء الملائكة ؟ قال : نعم ، الذين كانوا مع نوح في السفينة ، والذين كانوا مع إبراهيم حين ألقى في النار ، والذين كانوا مع موسى حين فلق البحر لبنى إسرائيل ، والذين كانوا مع عيسى حين رفعه الله إليه . وأربعة آلاف ملك كانوا مع النبي صلى الله عليه وآله مسومين ، وألف مردفين ، وثلاثمائة وثلاثة عشر ملائكة بدريين . وأربعة آلاف هبطوا يريدون القتال مع الحسين (ع) فلم يؤذن لهم في القتال . . . وكل هؤلاء في الأرض ينتظرون قيام القائم عليه السلام إلى وقت خروجه عليه صلوات الله والسلام» (١٠٣) .

وأورد مثل ذلك النعماني في كتاب (الغيبة) (١٠٤) .

وزاد على ذلك أن الذى يحمل رأيت يوم ذاك يكون جبرائيل ، ويكون عمودها من عمد عرش الله تعالى» (١٠٥) .

(١٠١) الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٨٣ .

(١٠٢) الارشاد للمفيد ص ٣٦٢ ، اعلام الورى للطبرسى ص ٤٦٠ ، روضة الواعظين للفتال ص ٢٦٤ ، البرهان للبحراني ج ٢ ص ٨٢ ، كتاب الغيبة للنعماني ص ٣٣٤ .

(١٠٣) كامل الزيارات لابن قولويه ص ١٢٠ .

(١٠٤) ص ٣١٠ ، ٣٠٩ .

(١٠٥) انظر كتاب الغيبة للنعماني ص ٣٠٩ .

«وأن أربعة الآلاف الذين هبطوا يريدون القتال مع الحسين فلم يؤذن لهم بقوا عند قبره شعباً غرباً إلى يوم القيامة ورئيسهم ملك يقال له منصور، فلا يزوره زائر إلا استقبلوه، ولا يودعه مودع إلا شيعوه، ولا مريض إلا عادوه، ولا يموت ميت إلا صلوا عليه» (١٠٦).

وماذا يعمل بعد رجعته؟

ومن أكاذيب الشيعة الشنيعة والكره الذى توارثوه عن اليهودية والمجوسية الذين دمرت شوكتهم، وقضى على سلطانهم وملكهم من قبل مسلمى العرب وعلى أيدي قادتهم من قريش، ومن شدة نفقتهم وحسدكم وحقدكم قالوا :

ان القائم يبدأ أول ما يبدأ بقتل قريش وصلبهم، الأحياء منهم والأموات، ويضع فى العرب السيف، فقالوا :
عن أبى جعفر عليه السلام أنه قال :

لويلعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه مما يقتل من الناس، أما أنه لا يبدأ إلا بقريش فلا يأخذ منها إلا السيف، ولا يعطيها إلا السيف حتى يقول كثير من الناس : هذا ليس من آل محمد ولو كان من آل محمد لرحم» (١٠٧).

وروى المفيد والطبرسى عن جعفر أنه قال :

إذا قام القائم من آل محمد أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم، ثم أقام خمسمائة فضرب أعناقهم، ثم خمسمائة أخرى حتى يفعل ذلك ست مرات، قلت : ويبلغ عدد هؤلاء هذا؟ قال : نعم منهم

ومن مواليتهم» (١٠٨).

(١٠٦) ايضاً ص ٣١١.

(١٠٧) ايضاً ص ٢٣٣.

(١٠٨) الارشاد للمفيد ص ٣٦٤، اعلام الورى للطبرسى ص ٤٦١، ومثله فى كتاب الغيبة

للنعمانى ص ٢٣٥.

وأيضا أنه سيف قاطع بين العرب، وعلى العرب شديد، ليس شأنه إلا السيف، ولا يستتيب أحدا (١٠٩).

ومثل ذلك ما رواه عن جعفر أيضا أنه قال :

إذا خرج القائم لم يكن بينه وبين قريش إلا السيف، ما يأخذ منها إلا السيف، وما يستعجلون بخروج القائم؟ . . . وما هو إلا السيف، والموت تحت ظل السيف» (١١٠).

فانظر الحقد والوتر على العرب عامة وعلى قريش خاصة، وهل هناك شك بعد ذلك في يهودية القوم ومجوسيتهم، أو تأسيس اليهودية وتكوين العنصر الإيراني عقائدهم ومعتقداتهم .

وأخرج المجلسي في (البحار) عن جعفر أنه قال :

إن القائم يسير في الغرب في الجفر الأحمر قال (أى الراوى، وهو رفيد مولى ابن هبيرة) قلت : جعلت فداك وما في الجفر الأحمر؟ قال : فأمر أصبعه على حلقة قال : هكذا، يعنى الذبح» (١١١).

وروى أيضا عنه أنه قال :

إنه يخرج موتوراً غضباً أسفا . . . يجرد السيف على عاتقه ثمانية أشهر يقتل هوجاء . فأول ما يبدأ ببنى شيبه فيقطع أيديهم ويعلقها في الكعبة وينادى مناديه : هؤلاء سراق الله ، ثم يتناول قريشا فلا يأخذ منها إلا السيف، ولا يعطيها إلا السيف» (١١٢).

يحمي الأموات ويقتل أصحاب النبي

ولا يكتفى بقتل الأحياء منهم، ولا يروى عطشه دم هذا القدر من

(١٠٩) كتاب الغيبة للنعماني ص ٢٣٥.

(١١٠) كتاب الغيبة للطوسي ص ٢٣٣، ٢٣٤.

(١١١) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٣ ص ١٨١.

(١١٢) كتاب الغيبة للنعماني ص ٣٠٨.

الناس، بل يبدأ بالأموات - حسب أساطيرهم وأباطيلهم - فيحييهم ثم يقتلهم كما ذكروا أنه في عصره يحيى يزيد بن معاوية وأصحابه فيقتلون حذو القذة بالقذة (١١٣).

وليس هذا فحسب، بل جازفوا في القول حتى قالوا :
لوقام قائمنا رد بالخميراء (أى أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق
رضى الله عنهما) حتى يجلدوها الحد ويتنقم لابنة محمد صلى الله عليه
وآله (١١٤).

وأكثر من ذلك بلغوا في اللؤم والخبث والحقد لحاملى رايات
الإسلام ومعلنى كلمته ومبلغى رسالته ومدمرى حضارة اليهودية وشوكة
المجوسية، إلى حد لم يتصوره العقل ولم ترض بها الإنسانية، فقالوا :
إن القائم قال : ألا أنبئك بالخبر . أنه إذا فقد الصبى وتحرك
المغربى وسار العمانى وبويع السفينانى يأذن الله لى فأخرج بين الصفا
والمروة فى الثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا سواء، فأجىء إلى الكوفة وأهدم
مسجدها وأبنيه على بنائه الأول، وأهدم ما حوله من بناء الجبابرة وأحج
بالناس حجة الإسلام، وأجىء إلى يثرب وأهدم الحجرة وأخرج من بها
وهما طريان فأمرهما تجاه البقيع وأمر بالخشبتين يصلبان عليهما فتورق من
تحتها فيفتن الناس بهما أشد من الفتنة الأولى، فينادى مناد من السماء :
أبيدى، ويأرض خذى، فيومئذ لا يبقى على وجه الأرض إلا مؤمن قد
خلص قلبه الإيمان . قلت : ياسيدى ما يكون بعد ذلك؟ قال : الكرة
الكرة الرجعة (١١٥).

(١١٣) انظر بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢١٩، تفسير العياشى ج ٢ ص ٢٨٢، البرهان ج ٢
ص ٤٠٨، الصافي ج ١ ص ٩٥٩.
(١١٤) تفسير الصافي ص ٣٥٩ مجلد كبير.
(١١٥) البرهان فى تفسير القرآن ج ٢ ص ٤٠٧.

وذكر هذا الجزائري بالتفصيل والصراحة حيث قال : ان المفضل بن عمر روى عن جعفر أنه قال :

ان بقاع الأرض تفاخرت ففخرت الكعبة على بقعة كربلا ؛ فأوحى الله عز وجل إليها أن أسكتي يا كعبة ولا تفخرى على كربلا فإنها البقعة المباركة التى قال فيها موسى عليه السلام انى أنا الله ، وهى موضع المسيح وأمه وقت ولادته ؛ وانها الدالية التى غسل بها رأس الحسين بن على عليهما السلام ؛ وهى التى عرج منها محمد صلى الله عليه وآله ؛ وقال له المفضل ياسيدى يسير المهدي إلى أين ؟ ، قال إلى مدينة جدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا وردها كان له فيها مقام عجيب ، يظهر فيه سرور المؤمنين وخزى الكافرين ، فقال المفضل ياسيدى ما هو ذاك ؟ قال يرد إلى قبر جده فيقول يامعشر الخلائق هذا قبر جدى ، فيقولون نعم يامهدى آل محمد ؛ فيقول ومن معه فى القبر فيقولون صاحباه (مصاحباه خ) وضجيعاه أبوبكر وعمر فيقول عليه السلام وهو اعلم الخلق من أبوبكر وعمر وكيف دفنا من بين الخلق مع جدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعسى أن يكون المدفون غيرهما فيقول الناس يامهدى آل محمد ما هيهنا غيرهما وانها دفنا معه لأنها خليفته وآباء زوجته فيقول هل يعرفهما أحد فيقولون نعم نحن نعرفهم بالوصف ، ثم يقول هل يشك أحد فى دفنها هنا ؟ فيقولون لا ، فيأمر بعد ثلاثة أيام ويحفر قبرهما ويخرجهما ، فيخرجان طريين كصورتها فى الدنيا فيكشف عنهما أكفانهما ويأمر برفعهما على دوحة يابسة نحزة فيصلبهما عليها ، فتتحرك الشجرة وتورق وترفع ويطول فرعها ، فيقول المرتابون من أهل ولايتهما هذه والله الشرف حقاً ولقد فرنا بمحبتهما وولايتهما ؛ فينشر خبرهما فكل من بقلبه حبة خردل من محبتهما يحضر المدينة فيفتنون بهما فينادى مناد

المهدى عليه السلام هذان مصاحبا رسول الله صلى الله عليه وآله فمن
أحبهما فليكن في معزل ومن أبغضهما يكن في معزل فيتجزء الخلق
جزئين، موال ومعاد؛ فيعرض على أوليائهما البراءة منهما، فيقولون
يامهدى ما كنا نبرأ منهما وما كنا نعلم ان لهما عند الله هذه الفضيلة فكيف
نبرأ منهما وقد رأينا منهما ما رأينا في هذا الوقت من نضارتها وغضاضتها
وحياة الشجرة بهما؛ بلى والله نبرأ منك ومن آمن بك ومن لا يؤمن بهما
ومن صلبهما وأخرجهما وفعل ما فعل بهما، فيأمر المهدى عليه السلام ريحاً
فتجعلهم كاعجاز نخل خاوية ثم يأمر بانزالهما فينزلان فيحييهما باذن الله
ويأمر الخلائق بالاجتماع، ثم يقص عليهم قصص فعالمهم في كل كور
ودور حتى يقص عليهم قتل هابيل بن آدم وجمع النار لإبراهيم وطرح
يوسف في الحب وحبس يونس في بطن الحوت، وقتل يحيى وصلب عيسى
وعذاب جرجيس ودانيال، وضرب سلمان الفارسي وإشعال النار على
باب أمير المؤمنين وفاطمة والحسين عليهما السلام وإرادة إحراقهم بها،
وضرب الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء بسوط ورفس بطنها وإسقاطها
محسناً، وسم الحسن وقتل الحسين عليه السلام وذبح أطفاله وبنى عمه
وسبى ذراري رسول الله صلى الله عليه وآله وإراقة دماء آل محمد، وكل
دم مؤمن وكل فرج نكح حراماً وكل رباء أكل وكل خبث وفاحشة وظلم
منذ عهد آدم إلى قيام قائمنا؛ كل ذلك يعدده عليهما ويلزمهما إياه
ويعترفان به؛ ثم يأمر بهما فيقتص منهما في ذلك الوقت مظالم من حضر ثم
يصلبهما على الشجرة ويأمر ناراً تخرج من الأرض تحرقهما والشجرة ثم
يأمر ريحاً فتنسفهما في اليم نسفاً .

قال المفضل ياسيدى هذا آخر عذابهما؟ قال هيهات يامفضل والله
ليردن وليحضرن السيد الأكبر محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

والصديق الأعظم أمير المؤمنين وفاضة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام وكل من محض الإيمان محضا وكل من محض الكفر محضا وليقتصن منها بجميع المظالم ثم يأمر بهما فيقتلان في كل يوم ليلة ألف قتلة ويردان إلى أشد العذاب» (١١٦).

ظلمه وقسوته

ومن قسوته أنهم ينقلون عنه عن جعفر أنه قال :
بيننا رجل على رأس القائم يأمره وينهاه إذ قال : أديروه ، فيديرونه إلى قدامه ، فيأمر بضرب عنقه ، فلا يبقى في الخافقين شيء إلا خافه» (١١٧).

أنه يقتل المولى ويجهز على الجريح» (١١٨).

وذكروا في رواية :

بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله رحمة ، وبعث القائم نقمة» (١١٩).

يدعو إلى أمر جديد وكتاب جديد

ومن عقائد الشيعة الاثني عشرية أن امامهم الموهوم وغائبهم المعدوم سيدعو الناس إلى كتاب جديد وأمر جديد ، وقد نقلوا فيه روايات عديدة ، منها ما رواها النعماني عن أبي جعفر - الإمام الخامس المعصوم عند الشيعة - أنه قال :

يقوم القائم بأمر جديد ، على العرب شديد ، ليس شأنه إلا السيف ، ولا يستتيب أحدا» (١٢٠).

(١١٦) الأنوار النعمانية للجزائري ج ٢ ص ٨٦ ، ٨٧.

(١١٧) كتاب الغيبة للنعماني ص ٢٣٩.

(١١٨) أيضا ص ٢٣٢.

(١١٩) تفسير الصافي ص ٣٥٩ مجلد كبير.

(١٢٠) كتاب الغيبة للنعماني ص ٢٣٣.

وعنه أنه سئل : أيسر بسيرة محمد ﷺ ؟

قال : هيهات يازرارة ما يسير بسيرته ، قلت : جعلت فداك لم ؟
قال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سار في أمته بالمن كان
يتألف الناس ، والقائم يسير بالقتل ، بذاك أمر في الكتاب الذي معه أن
يسير بالقتل ولا يستتيب أحدا» (١٢١) .

وروى أيضا عنه أنه قال :

فوالله لكأنى أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس بأمر جديد
شديد ، وكتاب جديد ، وسلطان جديد من السماء» (١٢٢) .

ومثل ذلك روى المجلسي في بحار الأنوار (١٢٣) .

وروا أيضا عن أبي عبد الله أنه سئل :

كيف سيرته ؟ فقال : يصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله
وآله ، يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله صلى الله عليه وآله أمر
الجاهلية ويستأنف الإسلام الجديد» (١٢٤) .

وهذه الروايات واضحة في معناها تنبئ بها دست اليهودية الأثيمة
من الدسائس الخبيثة بين الذين ينتسبون إلى الإسلام ، وتوضح معنى
هذه الروايات رواية أخرى التي أوردتها النعماني والمجلسي وغيرهما عن
أبي جعفر أنه قال :

لو قد خرج القائم من آل محمد عليهم السلام لنصره الله بالملائكة
المسومين والمردفين والمنزلين والكروبيين ، ويكون جبرئيل أمامه ،
وميكائيل عن يمينه ، واسرافيل عن يساره والربع يسير مسيرة شهر أمامه
وخلفه وعن يمينه وشماله ، والملائكة المقربون حذاه وأول من يتبعه محمد

(١٢١) أيضا ص ٢٣١ .

(١٢٢) أيضا .

(١٢٣) ج ١٣ ص ١٩٤ وما بعد .

(١٢٤) بحار الأنوار ج ١٣ ص ١٩٤ .

صلى الله عليه وآله وسلم - وفي رواية يتبعه ، وفي أخرى : يبايعه - وعلى الثاني ومعه سيف مخترط ، يفتح الله له الروم والديلم والسند والهند وكابل شاه والخزر .

يأبأ حمزة لا يقوم القائم عليه السلام إلا على خوف شديد وزلازل وفتنة وبلاء يصيب الناس وطاعون قبل ذلك ، وسيف قاطع بين العرب ، واختلاف شديد بين الناس ، وتشتت في دينهم ، وتغير من حالهم حتى يتمنى المتمنى الموت صباحا ومساء من عظم ما يرى من كلب الناس ، وأكل بعضهم بعضا ، وخروجه إذا خرج عند الإياس والقنوط .

فياطوبى لمن أدركه وكان من أنصاره ، والويل كل الويل لمن خالفه وخالف أمره وكان من أعدائه ، ثم قال : يقوم بأمر جديد ، وسنة جديدة ، وقضاء جديد على العرب شديد ، ليس شأنه إلا القتل ولا يستتيب أحدا ولا تأخذه في الله لومة لائم» (١٢٥) .

فهذه هي حقيقة الأمر ، وهذا هو أصل الشيعة الاثنى عشرية الذين يدعون بأنهم من الشيعة المعتدلين ، وينفون انتسابهم إلى عبد الله بن سبأ اليهودى وكونهم من أصل مجوسى إيرانى ، الناقمين على الإسلام ، والباغين على الأمة الإسلامية ، والطاعين على أسلافهم وأعيانها ، والشائعين قوادها وساداتها ، وقد بينها من كتبهم أنفسهم وبعباراتهم هم .

رجعة الأئمة مع رجعة القائم

ثم إن الشيعة الاثنى عشرية لا يعتقدون برجعة القائم فحسب ، بل وأكثر من ذلك يعتقدون بأن أئمتهم يرجعون أيضا إلى الدنيا مثل رجوع قائمهم ، ويبقون ، ويملكون ، ويتقمون من الأعداء ويقتلونهم ،

كما روى المجلسي عن جعفر أنه قال :

أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين بن علي ،
وان الرجعة ليست بعامة وهي خاصة ، لا يرجع إلا من محض الإيمان
محضا أو محض الكفر محضا» (١٢٦) .

وروا عن أبيه الباقر أنه قال :

إن أول من يرجع إلى الدنيا لجاكم الحسين بن علي عليه
السلام ، فيملك حتى يقع حاجباه على عينيه من الكبر» (١٢٧) .

ولا الحسين وحده فحسب ، بل يرجع معه سبعون رجلا من
أصحابه الذين قتلوا معه (١٢٨) .

وفي رواية أن الحسين يرجع إلى الدنيا مع خمسة وسبعين ألفا من
الرجال ويملك الدنيا كلها بعد وفاة المهدي عليه السلام ثلاث مائة سنة
وتسع سنين (١٢٩) .

ويرجع معه يزيد بن معاوية وأصحابه ليأخذ الحسين وأصحابه
ثأرهم منهم (١٣٠) .

ويساعد الحسين وأصحابه في أخذ ثأرهم وانتقامهم من يزيد
وعساكره سبعون نبيا ورسولا ويكون أحدهم إسماعيل ، كما حكى
الجزائري حكاية باطلة بقوله :

وفي الأخبار الكثيرة عن بريد العجلي أنه سأل الصادق عليه
السلام عن قول الله تعالى في إسماعيل انه كان صادق الوعد ما المراد

(١٢٦) بحار الأنوار للمجلسي ج ١٣ ص ٢١٠ ، الصافي ج ١ ص ٩٥٩ .
(١٢٧) بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢١١ ، البرهان ج ٢ ص ٤٠٧ ، الصافي ج ١ ص ٩٥٩ ، اثبات
الهداة للعامل ج ٧ ص ١٠٢ .

(١٢٨) تفسير العياشي ج ٢ ص ١٨١

(١٢٩) الأنوار النعمانية للجزائري ج ٢ ص ٩٩ ، ٩٨ .

(١٣٠) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٨٢ ، البرهان ج ٢ ص ٤٠٨ ، الصافي ج ١ ص ٢٥٩ تحت

قوله تعالى : ثم رددنا لكم الكرة عليهم : ، بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢١٩ .

باسماعيل هذا أهو ابن إبراهيم؟ فقال عليه السلام :

لا بل هو إسماعيل بن حزقيل بعثه الله إلى جماعة فكذبوه وسلخوا جلد وجهه ورأسه، فبعث الله عليهم ملك العذاب وهو سطا طائيل، فأتى إلى إسماعيل وقال: إن الله أرسلني إليك بما تأمر في عذابهم، فقال إسماعيل عليه السلام: لا حاجة لي في عذابهم، فأوحى الله سبحانه إليه: إن كان لك حاجة إلى فاطلبها، فقال: يارب إنك أخذت علينا معاشر الأنبياء أن نوحده ونقر بنبو محمد صلى الله عليه وآله وبإمامة الأئمة عليهم السلام، وأخبرت الخلائق بما يفعل الظالمون بولده الحسين ووعدت الحسين عليه السلام بالرجوع إلى الدنيا ليأخذ ثأره وينتقم من ظالميه، فحاجتني يارب أن ترجعني في زمانه لأجل أخذ ثأري وقتل من قتلني، فقبل الله حاجته وجعله من الذين يرجعون في زمان الحسين عليه السلام، وفي رواية أخرى أن الحسين عليه السلام يرجع إلى الدنيا مع خمسة وسبعين ألفا من الرجال» (١٣١).

وقالوا :

إن الأئمة الاثني عشرية كلهم يرجعون إلى الدنيا في زمن القائم مع جماعتهم (١٣٢).

ويرجع علىّ ونبيّ أيضا

ولا يرجع الحسين وأصحابه ومعاوية ويزيد وأصحابه وسبعون نبيا ممن مضوا في سالف الزمان وحدهم، بل ويرجع رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلىّ أيضا، كما روى المجلسي عن بكير بن أعين أنه قال :

قال لي من لأشك فيه يعني أبا جعفر (ع) أن رسول الله (ص)

(١٣١) الأنوار النعمانية للجزائري ج ٢ ص ٩٨.

(١٣٢) الصافي ج ١ ص ٣٤٧.

وعليا سيرجعان» (١٣٣).

وروا عن جعفر أنه قال :

قال رسول الله (ص) : لقد أسرى بى ربى عز وجل ، فأوحى إلى من وراء حجاب ما أوحى وكلمنى بما كلم به وكان مما كلمنى به
يا محمد ، على آخر من أقبض روحه من الأئمة» (١٣٤) .
وليس هذا فحسب ، بل وأكثر من ذلك وأدهى وأمر أنهم يروون
عن جعفر أنه قال :

لم يبعث الله نبيا ولا رسولا إلا ردهم جميعا إلى الدنيا حتى يقاتلوا
بين يدى على بن أبى طالب عليه السلام» (١٣٥) .
وعنه أيضا أنه قال :

لا يبعث الله نبيا ولا رسولا إلا رد إلى الدنيا من آدم فهل جرا
حتى يقاتل بين يدى على بن أبى طالب عليه السلام» (١٣٦) .
مع من فيهم سيد الأنبياء وإمام المرسلين .

كما روى الجزائرى عن الباقر أنه قال : إن عليا رضى الله عنه
خطب خطبة ذات يوم ، فحمد الله فيها وقال فيها ما قال ، ومنه :
وقد أخذ الله الميثاق منى ومن نبيه لينصرون كل منا صاحبه ، فأما
أنا فقد نصرت النبى صلى الله عليه وآله بالجهاد معه وقتلت أعداءه ،
وأما نصرته لى وكذا نصرة الأنبياء عليهم السلام فلم تحصل بعد ، لأنهم
ماتوا قبل إمامتى وبعد هذا سينصروننى فى زمان رجعتى ، ويكون لى
ملك ما بين المشرق والمغرب ويخرج الله لنصرتى الأنبياء من آدم إلى محمد
يجاهدون معى ، ويقتلون بسيوفهم الكفار الأحياء ، والكفار الأموات ،

(١٣٣) بحار الأنوار للمجلسى ج ١٣ ص ٢١٠ .

(١٣٤) بحار الأنوار للمجلسى ج ١٣ ص ٢١٧ .

(١٣٥) نور الثقلين ج ١ ص ٣٥٩ . بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢١٠ .

(١٣٦) العياشى ج ١ ص ٢٨١ تحت قول الله : لتؤمنن به ولتنصرنه . لمعان ج ١ ص ٢٩٥ .

بحار الأنوار ص ٢١٧ .

الذين يحييهم الله تعالى ، وأعجب وكيف لا أعجب من أموات يحييهم الله تعالى يرفعون أصواتهم بالتلبية فوجا فوجا لييك ياداعى الله ، ويتخللون أسواق الكوفة وطرقها حتى يقتلون الكافرين والجبارين والظالمين من الأولين والآخرين ، حتى يحصل لنا ما وعدنا الله تعالى» (١٣٧) .

ولا هذا فحسب ، بل عموما الرجعة حيث قالوا :

ليس أحد من المؤمنين قتل إلا سيرجع حتى يموت ولا أحد من المؤمنين مات إلا سيرجع حتى يقتل» (١٣٨) .

وروى الطبرسى والمفيد :

إذا آن قيام البقائم مطر الناس في جمادى الآخرة وعشرة أيام من رجب مطرا لم ير الناس مثله ، فنبئت الله به لحوم المؤمنين في أبدانهم في قبورهم ، فكأنى أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة ينفضون رؤوسهم من التراب» (١٣٩) .

وروى المفيد أيضا :

يخرج إلى القائم من ظهر الكوفة سبعة وعشرون رجلا ، خمسة عشر من قوم موسى الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون» (١٤٠) .

دابة الأرض

ويعتقد الشيعة الاثنا عشرية أن دابة الأرض التى تخرج قبل قيام الساعة تكلمهم يكون عليا رضى الله عنه كما رووا عن جعفر أنه قال : أتى رسول الله (ص) إلى أمير المؤمنين (ع) وهونائم في المسجد ،

(١٣٧) الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٩٩ .

(١٣٨) بحار الأنوار للمجلس ج ١٣ ص ٢١٠ .

(١٣٩) اعلام الورى ص ٤٦٢ ، الارشاد للمفيد ص ٣٦٣ ، بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢٢٣ .

(١٤٠) الارشاد للمفيد ص ٣٦٥ ، اعلام الورى للطبرسى ص ٤٦٤ .

وقد جمع رملا ووضع رأسه عليه، فحركه برجله ثم قال: قم يا دابة الله . فقال رجل من أصحابه : يا رسول الله أيسمى بعضنا بعضا بهذا الاسم ؟ . فقال : لا والله ما هو إلا له خاصة ، وهو الدابة التى ذكر الله فى كتابه : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ . إِنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يوقنون ﴾ ثم قال : يا على ، إذا كان آخر الزمان أخرجك الله فى أحسن صورة ومعك ميسم تسم به أعداءك » (١٤١) .

ثم إن عليا ليست له رجعة واحدة ، بل له رجعات كثيرة كما ذكروا أنه قال فى إحدى خطباته :

إن لى رجعة بعد رجعة ، وحياة بعد حياة ، أنا صاحب الرجعات وصاحب الصولات » (١٤٢) .

هذا ومثل هذا فإنه لكثير .

ومن غرائب الاعتقادات التى يعتقدوها القوم أنهم يقولون : إن بعد قائمهم اثنى عشر مهديا آخر ، كما رووا عن جعفر عن أبيائه عن على أنه قال :

قال رسول الله (ص) فى الليلة التى كانت فيها وفاته : يا أباه الحسن ، أحضر صحيفة ودواة ، فأملى رسول الله (ص) وصيته حتى انتهى إلى هذا الموضع . فقال : يا على ، أنه سيكون بعدى اثنا عشر إماما ومن بعدهم اثنا عشر مهديا . فأنت أول الاثنى عشر إماما . . . وساق الحديث ، إلى أن قال : وليسلمها الحسن (يعنى الإمام العسكرى عليه السلام) إلى ابنه محمد المستحفظ من آل محمد صلى الله عليه وعليهم ، فذلك اثنا عشر إماما . ثم يكون من بعده اثنا عشر مهديا . فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أول المهديين . له ثلاثة اسامى : اسم كاسمى

(١٤١) بحار الأنوار للمجلس ج ١٣ ص ٢١٣ .

(١٤٢) الأنوار النعمانية للجزائرى ج ٢ ص ٩٩ .

واسم أبى ، وهو عبد الله ، وأحمد ، والاسم الثالث : المهدى ، وهو أول المؤمنين» (١٤٣) .

وروى الطوسى : انهم أحد عشر، كما حكى عن أبى حمزة عن أبى جعفر أنه قال له :

يا أبا حمزة ان منا بعد القائم أحد عشر مهديا» (١٤٤) .

والى ذلك يشير رواية النعمانى حيث يحكى عن أبى جعفر أنه قال :

والله ليملكن رجل منا أهل البيت ثلاثمائة سنة وثلاث عشرة سنة ويزداد تسعا، قال : فقلت له : ومتى يكون ذلك؟ قال : بعد موت القائم عليه السلام ، قلت له : وكم يقوم القائم عليه السلام فى عالمه حتى يموت؟ فقال : تسع عشرة سنة من يوم قيامه إلى يوم موته» (١٤٥) .
ويؤيد ذلك أيضا دعاء شيعى يدعونه للمهدى ، فيقولون فى آخره :

اهم صل على ولاية عهده والأئمة من بعده، وبلغهم آمالهم وزد فى آجالهم، وأعز نصرهم وتم لهم ما أسندت إليهم من أمرك لهم وثبت دعائهم، واجعلنا لهم أعوانا وعلى دينك أنصارا» (١٤٦) .

وأخيرا نأتى برواية أوردها محدث القوم نعمت الله الجزائرى عن جعفر أنه قال :

إن الشيطان لما قال : رب أنظرنى إلى يوم يبعثون، قال : إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ، فيخرج الشيطان مع جميع عساكره وتوابعه من يوم خلق آدم إلى يوم الوقت المعلوم وهو آخر رجعة يرجعها

(١٤٣) بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢٣٧ .

(١٤٤) كتاب الغيبة للطوسى ص ٢٨٥ .

(١٤٥) كتاب الغيبة للنعمانى ص ٣٣٢ .

(١٤٦) مفاتيح الجنان ص ٥٤٢ .

أمير المؤمنين عليه السلام فقال الراوى : كم لأمر المؤمنين عليه السلام من رجعة؟ فقال : ان له رجعات ورجعات ، وما من إمام فى عصر من الأعصار إلا يزجج معه المؤمنون فى زمانه والكافرون فيه حتى يستولى أولئك المؤمنون على أولئك الكافرون فينتقمون منهم ، فإذا جاء الوقت المعلوم ظهر أمير المؤمنين عليه السلام مع أصحابه وظهر الشيطان مع أصحابه ، فيتلاقى العسكران على شط الفرات فى مكان اسمه الروحا قريب الكوفة ، فيقع بينهم حرب لم يقع فى الدنيا من أولها وآخرها وكأنى أرى أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قد رجعوا منهزمين حتى تقع أرجلهم فى الفرات فعند ذلك يرسل الله سحابة مملوءة من الملكة يتقدمها النبى صلى الله عليه وآله ويده حربة من نور ، فإذا نظر الشيطان أدبر فاراً ، فيقول له أصحابه إلى أين تفر ولك الظفر عليهم؟ فيقول إنى أرى مالا ترون إنى أخاف من عقاب رب العالمين ؛ فيصل النبى صلى الله عليه وآله ويضربه ضربة بالحربة بين كتفيه فيهلك بتلك الضربة هو مع جميع عساكره ، فعند ذلك يعبد الله على الإخلاص ويرتفع الكفر والشرك ، ويملك أمير المؤمنين عليه السلام الدنيا أربعين ألف سنة ويولد لكل واحد من شيعته ألف ولد من صلبه فى كل سنة ولد ، وعند ذلك يظهر البستانان عند مسجد الكوفة الذى قال الله تعالى مدهامتان ؛ وفيهما من الاتساع مالا يعلمه إلا الله تعالى» (١٤٧) .

وهذا آخر ما أردنا ذكره من خرافات القوم ومعتقداتهم انتخبناها من الكثير الكثير ولهم كتب مستقلة فى هذا الباب .

الحلول والتناسخ واتصاف الخلق بأوصاف الله

وكى لا يطول بنا الحديث نذكر فقط رواية واحدة تشتمل على خطبة على رضى الله عنه حسب زعم القوم وفيها كل ما يعتقده القوم عن الحلول والتناسخ واتصاف الخلق بأوصاف الله ، تعالى عما يقولونه علوا كبيرا ، يذكر الجزائرى هذه الخطبة فى كتابه المشهور رواية عن محمد الباقر أنه قال :

إن أمير المؤمنين عليه السلام خطب خطبة ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه بالوحدانية ، وقال إن الله سبحانه قد تكلم بكلمة فصارت نوراً فخلق منه نور النبى ونورى ونور الأئمة وتكلم بكلمة أخرى فصارت روحاً فأسكنها فى ذلك النور وذلك النور مع تلك الروح ركبها فى أبداننا معاشر الأئمة ، فنحن الروح المصطفاة ونحن الكلمات التامات ونحن حجة الله الكاملة على الخلق ؛ فنحن كنا نوراً أخضر حيث لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار ولا مخلوق ولا مخلوقات ، وكنا نسبح الله ونقدسّه قبل خلق الخلق ؛ فأخذ الله لنا العهد من أرواح الأنبياء على الإيـمان بنا وعلى نصرتنا ؛ وهذا معنى قوله سبحانه ﴿ وإذ أخذ ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ﴾ ، فقال عليه السلام يعنى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله ونصرة وصيه ؛ وهذه النصرة قد صارت قريبة ؛ وقد أخذ الله الميثاق منى ومن نبيه لينصرون كل منا صاحبه ؛ فأما أنا فقد نصرت النبى صلى الله عليه وآله بالجهاد معه وقتلت أعداءه وأما نصرته لى وكذا نصرة الأنبياء عليهم السلام فلم تحصل بعد ، لأنهم ماتوا قبل إمامتى وبعد هذا سينصروننى فى زمان رجعتى ، ويكون لى ملك ما بين المشرق والمغرب ويخرج الله

لنصرتى الأنبياء من آدم إلى محمد يجاهدون معى ، ويقتلون بسيوفهم الكفار الأحياء والكفار الأموات الذين يحببهم الله تعالى ؛ وأعجب وكيف لا أعجب من أموات يحببهم الله تعالى يرفعون أصواتهم بالتلبية فوجاً لبيك لبيك ياداعى الله ، ويتخللون أسواق الكوفة وطرقها حتى يقتلون الكافرين الجبارين والظالمين من الأولين والآخرين ؛ حتى يحصل لنا ما وعدنا الله ثم تلا هذه الآية ﴿ثم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولممکن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً﴾ .

قال عليه السلام يعنى يعبدوننى ولا يتقون من أحد لأن لى رجعة بعد رجعة ؛ وحيوة بعد حيوة ، أنا صاحب الرجعات وصاحب الصلوات وصاحب الانتقامات وصاحب الدولة العجيبة ، أنا حصن الحديد وأنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا أمين الله على علمه وصندوق سره وحجابه وصراطه وميزانه وكلمته ؛ أنا أسماء الله الحسنى وأمثاله العليا وآياته الكبرى ، أنا صاحب الجنة والنار أسكن أهل الجنة فى جنتهم وأهل النار فى نارهم ، وأنا الذى أزوج أهل الجنة وإلئى مرجع هذا الخلق فى القيامة وعلى حسابهم .

وأنا المؤذن على الاعراف وأنا الذى أظهر آخر الزمان فى عين الشمس ، وأنا دابة الأرض التى ذكرها الله فى الكتاب أظهر آخر الزمان ، ومعى عصا موسى وخاتم سليمان أضعه فى وجه المؤمن والكافر فتتقش فيه هذا مؤمن حقاً ، وهذا كافر حقاً ، وأنا أمير المؤمنين وإمام المتقين ولسان المتكلمين وخاتم أوصياء النبيين ووارثهم وخليفة الله على العالمين وأنا الذى علمنى الله علم البلايا والمنايا وعلم القضايا بين الناس ، وأنا الذى

سخر لى الرعد والبرق والسحاب والظلمة والنور، والرياح والجبال والبحار والشمس والقمر والنجوم أيها الناس إسألونى عن كل شىء» (١٤٨).

فهذه الرواية ومثل هذه الرواية وإنما لكثيرة جدا موجودة منتشرة فى كتب القوم - يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون .

فهذه العقائد التى تتبناها الشيعة الاثنا عشرية، وتعتقدها، ويعتقدونها الإماميون والجعفرليون الذين يعدون من الشيعة المعتدلة وهى عين تلك العقائد التى وضع بذورها عبد الله بن سبأ، ونشرتها السبئية وروجتها بين الفئات الشيعية المختلفة، ولولا خوف الإطالة لأكثرنا الروايات التى وردت فى كتبهم المعتبرة المعتمدة الموثوقة لديهم، ولكننا نرى أن ما ذكر فيه الكفاية لمن أراد أن يتثبت ويتحقق، وكذلك لمن أراد أن يتبصر ويهتدى والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

ونختم الكلام فى هذا الموضوع بنقل آراء بعض المستشرقين فى علاقة الشيعة بالسبئية أو بتعبير صحيح بالعقائد الأجنبية المدسوسة بين المسلمين، يهودية كانت أم إيرانية، التى لامت إلى الإسلام بصلة لا قريبة ولا بعيدة، فيقول المستشرق دوزى :

كانت الشيعة فى حقيقتها فرقة فارسية، وفيها يظهر أجلى ما يظهر ذلك الفارق بين الجنس العربى، الذى يحب الحرية، وبين الجنس الفارسى الذى اعتاد الخضوع كالعبيد، لقد كان مبدأ انتخاب خليفة للنبي أمراً غير معهود ولا مفهوم، لأنهم لم يعرفوا غير مبدأ الوراثة فى الحكم، لهذا اعتقدوا أنه مادام محمد لم يترك ولداً يرثه، فإن علياً هو الذى

يجب أن يخلفه وأن الخلافة يجب أن تكون وراثية في آل علي . ومن هنا فإن جميع الخلفاء - ماعداً علياً - كانوا في نظرهم مغتصبين للحكم لا تجب لهم طاعة . وقسوى هذا الاعتقاد عندهم كراهيتهم للحكومة وللسيطرة العربية ، فكانوا في الوقت نفسه يلقون بأنظارهم النهمة إلى ثروات سادتهم . وهم قد اعتادوا أيضاً أن يروا في ملوكهم أحفاداً منحدرين من أصلاب الآلهة الدنيا ، فنقلوا هذا التوقير الوثني إلى علي وذريته . فالطاعة المطلقة «للإمام» الذي من نسل علي - كانت في نظرهم الواجب الأعلى ، حتى إذا ما أدى المرء هذا الواجب ، استطاع بعد ذلك بغير لائمة ضمير أن يفسر سائر الواجبات والتكاليف تفسيراً رمزياً وأن يتجاوزها ويتعدها . لقد كان «الامام» عندهم هو كل شيء ، إنه الله قد صار بشراً . فالخضوع الأعمى المقرون بانتهاك الحرمات - ذلك هو الأساس في مذهبهم» (١٤٩) .

وبمثل ذلك قال المستشرق ملر ، وزاد عليه «أن الفرس كانوا تحت تأثير الأفكار الهندية قبل الإسلام بعهد طويل يميلون إلى القول بأن الشاهنشاه هو تجسيد لروح الله التي تنتقل في أصلاب الملوك إلى الأبناء» (١٥٠) .

ويذكر هذه الآراء مستشرق ألماني متعاطف على الشيعة وهوزن ، فيقول :

أما أن آراء الشيعة كانت تلائم الإيرانيين - فهذا أمر لا سبيل إلى الشك فيه ، أما كون هذه الآراء قد انبعثت من الإيرانيين ، فليست تلك الملاءمة دليلاً عليه . بل الروايات التاريخية تقول بعكس ذلك ، إذ تقول أن التشيع الواضح الصريح كان قائماً أولاً في الدوائر العربية ، ثم انتقل

(١٤٩) مقالة في تاريخ الإسلام للدوزى ص ٢٢٠ وما بعد .

(١٥٠) كتاب ملر ، ج ١ ص ٣٢٧ .

بعد ذلك منها إلى الموالي ، وجمع بين هؤلاء وبين تلك الدوائر . وأولئك الذين كانوا يتواثبون حول الكرسي المقدس يذكرون أنهم « السبئية » (ص ٧٠٣ س ١٧ ، ص ٧٠٤ س ١١) ، ولم يكونوا من الموالي ، بل من العرب ، إذ كانوا من عشائر: نهد وخارف وثور وشاكر وشبام . وهؤلاء السبئية كانوا على علاقات سيئة بعشائرتهم نتيجة لمذهبهم الغريب ، خصوصاً شبام بالنسبة إلى قبيلة همدان ، بينما كانوا على علاقات وثيقة جداً بالمختار ، ومن أجله خاضوا النار ووشوا بقبائلهم . ونجد حديثاً عن بطانة من الشيعة العرب كانت تجتمع في منزلي امرأتين بارزتين . وتذكر أسماء بعض أفراد هذه البطانة ومنهم ابن نوف الهمداني الذي كان ينافس مولاه وأستاذه (المختار) في التنوُّ . لقد كان يصنع وحيالدى الكرسي المقدس ، وكان أحد عمومة الأعشى ممن تأثر لهذا الوحي ، وكان أول سادن للكرسي هو موسى بن أبي موسى الأشعري ، ثم تلاه حوشب البرسمى . والبيثة هنا كلها يمنية . ويقال إن المختار قد أظهر الكرسي على أنه كرسى على بن أبي طالب . ولكن ثمت روايات أخرى تقول بعكس ذلك ، وهذه الروايات الثانية أقرب إلى التصديق . وعلى كل حال فقد كان الكرسي في حوزة اليمينين ، وأصله إنما يبحث لديهم . ولم يكن اختراعاً أبدعه الهوى ، بل مثله مثل الحجر الأسود كان قطعة وثنية وفي الأصل كرسى الله ثم كرسى على ، لأنهم ألهوا علياً . وكراسى الله الخالية هذه نجدها كثيراً ، وإن لم تكن عادة من الخشب .

ومنشأ السبئية يرجع إلى زمان على والحسن وتنسب إلى عبد الله بن سبأ . وكما يتضح من اسمه الغريب ، فإنه كان أيضاً يمينياً ، والواقع أنه من العاصمة صنعاء . ويقال أيضاً إنه كان يهودياً . وهذا يقود بالقول بأصل يهودية لفرقة السبئية» (١٥١) .

ثم يقول :

يلوح أن مذهب الشيعة، الذي ينسب إلى عبد الله بن سبأ أنه مؤسسه، إنما يرجع إلى اليهود أقرب من أن يرجع إلى الإيرانيين. والدليل على هذا ما سأحاول هنا إيرادَه بطريقة عارضة دون أن أعير المسألة من الأهمية أكبر مما تستحق .

كان القدماء من أنصار على يعدونه في مرتبة مساوية لسائر الخلفاء الراشدين في خلافته - في سلك واحد، وكان يوضع في مقابل الأمويين. المقتضيين للخلافة بوصفه استمراراً للخلافة الشرعية. وحقه في الخلافة ناشئ عن أنه كان من أفاضل الصحابة وأنهم وضعوه في القمة وتلقبوا البيعة من أهل المدينة، ولم ينشأ هذا الحق - أو على الأقل لم ينشأ مباشرة - عن كونه من آل بيت الرسول. ومع ذلك فيبدوا أن آل البيت أنفسهم قد ادعوا حق ميراث الخلافة عن رسول الله منذ البداية، وبعد وفاة على كانت المعارضة ضد الأمويين تنظر إلى أبناء على على أنهم المطالبون الشرعيون للخلافة. ولكن المسألة هنا كانت مقصورة على دعوى الخلافة. ولا بد أن نميز بين هذا وبين دعوى النبوة. وزعم أن النبوة لم تنته بمحمد، بل استمرت في على وبنيه - كان هذا الزعم هو الخطوة الأخيرة .

إن الفكرة القائلة بأن النبي ملك يمثل سلطان الله على الأرض قد انتقلت من اليهودية إلى الإسلام. ولكن الإسلام السنن يقول إن محمداً خاتم النبيين، وبعد وفاته حلت محله الشريعة وهي أثر مجرد غير مشخص، ومعرض عنه أقل قيمة بكثير جداً. فكان ذلك نقصاً ملموساً، فمن هنا تبدأ نظريات الشيعة. وكان المبدأ الأساسي الذي بدأ منه مذهبهم هو : أن النبوة، وهي المعرض الشخصية الحى للسلطة الإلهية، تنتسب بالضرورة إلى الخلافة وتستمر تحيا فيها. وقبل محمد

وجدت سلسلة طويلة متصلة من الأنبياء الذين يتلو بعضهم بعضاً، على نحو ما يقول اليهود - «سلسلة دقيقة من الأنبياء» .

وكما ورد في أصحاب ١٨ من سفر «ثنية الاشتراع» من أنه لم يخل الزمان أبداً من نبي يخلف موسى ومن نوعه . وهذه السلسلة لا تقف عند محمد . ولكل نبي خليفته إلى جانبه يعيش أثناء حياته (هذا الزميل الثاني) هو أيضاً فكرة يهودية) فكما كان لموسى خليفة هو يوشع ، كذلك لمحمد خليفة هو علي ، به يستمر الأمر . على أن كلمة «نبي» لم تطلق على عليّ وبنيه - بل أطلق عليهم أسماء «الوصي» أو «المهدي» أو «الإمام» عامة - ولكن إن لم يطلق الاسم فإن الحقيقة الفعلية كانت مقصودة بوصفهم عارفين بالغيوب وتجسيدات للخلافة عن الله» (١٥٢) .

وأخيراً يذكر :

وأقيم تأليه آل بيت الرسول على أساس فلسفي بواسطة مذهب «الرجعة» أو (تناسخ الأرواح) فالأرواح تنتقل بالموت من جسم إلى جسم ، وثمت بعث مستمر في المجرى الطبيعي للحياة الدنيا ، وهذا في تناقض حاد مع القول ببعث واحد عند زوال الدنيا . ويستفيد هذا المذهب أهمية عملية خصوصاً عن طريق رفعه إلى روح الله التي تحل في نفوس الأنبياء ، فهذه الروح تنتقل من نبي إلى نبي آخر بعد وفاة السابق . ولا يوجد في الوقت الواحد غير نبي واحد ، ويتتابعون حتى يبلغوا ألف نبي . وتبعاً لهذا فإن الأنبياء جميعاً بما يُبعث في كل منهم من روح الله ، والحق أن النبي الصادق الحق واحد يعود أبداً من جديد . وبهذا المعنى قالوا إن محمداً يبعث في عليّ وآل عليّ . وبينون ذلك على الآية ٨٥ من السورة ٢٨ والآية ٨ من السورة ٨٢ . وهذا يذكر كثيراً

بالفكرة (المحتمل جداً أنها) يهودية، وإن كانت من البدع اليهودية، التي وردت في المواعظ المنحولة على كليمانس «Pscudoclementinen» فروح الله تتحد في آدم مع شخص إنسان يظهر بصفة النبي الصادق في صور متعددة وقد قدر له السيادة على الملكوت الدائم. راجع :

«(1,1,P.283 «Gieseler's KG. (4. Aufl.)»

ولكن المتأخرين قد فهموا - فيما يبدو - «الرجعة» على نحو آخر. فقد تصوروها على نحو ديبالكتيكي. فقالوا بفترة «غيبية» دورية للإمام الصادق، ثم سموها - في مقابل ذلك - ظهوره من جديد «رجعة». والمعنى الأصيل للرجعة يظهر جلياً من مرادفتها لتناسخ الأرواح. والسيد الحميرى يؤمن أيضاً برجعته نفسه، ومن أجل ذلك كانوا يسخرون منه ويشنعون عليه («الأغانى» ج ٧ ص ٨). كما يتضح أيضاً من كون كثير كان يعد جميع أبناء الحسن والحسين أنبياء صغاراً، لأنه كان يؤمن بالرجعة (الأغانى ٨/ ٣٤)، وكذلك من كون محمد كان ينظر إليه على أنه يرجع، خصوصاً في ورثة دمه (آله) ونبوته (١٥٣).

ثم نقل ما قاله أبو حمزة الخارجى في خطبة له على المنبر بالمدينة المنورة عن الشيعة نقلاً عن (الأغانى) أنه قال :

شيعة ظاهرت بكتاب الله وأعلنت الفرية على الله، لا يرجعون إلى نظر نافذ في القرآن، ولا عقل بالغ في الفقه، ولا تفتيش عن حقيقة الصواب. قد قلدوا أمرهم أهواءهم، وجعلوا دينهم عصبية لحزب لزموه وأطاعوه في جميع ما يقوله لهم: غياً كان أو رشداً، أو ضلالة أو هدى. ينتظرون الدول في رجعة الموتى، ويؤمنون بالبعث قبل الساعة، ويدعون علم الغيب لمخلوق لا يعلم أحدهم ما في داخل بيته، بل لا

يعلم ما ينطوى عليه ثوبه أو يحويه جسمه . ينقمون المعاصي على أهلها، ويعملون إذا ظهروا بها، ولا يعرفون المخرج منها . جفاة في الدين، قليلة عقولهم، قد قلدوا أهل بيت من العرب دينهم، وزعموا أن موالاتهم لهم تغنيهم عن الأعمال الصالحة وتنجيهم من عقاب الأعمال السيئة» (١٥٤) .

وبمثل ذلك القول قال هشام بن عبد الملك الأموي في كتاب له إلى يوسف بن عمر :

إن عبادة الشيعة لله كانت عبادة لبني الإنسان . والنتيجة لذلك قيصرية بابوية معاً . كانوا يعترضون على إمامة السلطة القائمة، ولكن إمامتهم الشرعية القائمة على دم الرسول (ذرية آل البيت) لم تكن أفضل منها، إذ كانت تفضي إلى إهدار القانون وكسر الشريعة . فالإمام عندهم كان فوق النصوص الحرفية وكان يعلم الغيب، فمن اتبعه وأطاعه سقطت عنه التكاليف وخلا من المسؤولية» (١٥٥) .

ولأبأس بنقل ما كتبه أحمد أمين في كتابه (فجر الإسلام) عن الشيعة ولو أننا ذكرنا منه جزءاً فيما مر، فإنه قال :

والحق أن التشيع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعبادة أو حقد، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية ورزدشتية وهندية، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته، كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستاراً يضعون وراءه كل ما شئت أهواؤهم؛ فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة، وقال الشيعة: إن النار محرمة على الشيعة إلا قليلاً، كما قال اليهود: لن تمسنا

(١٥٤) الخوارج والشيعة ص ١٧٥ .

(١٥٥) أيضاً ص ١٧٥ نقلاً عن الطبري ج ٢ ص ٨٨٢ .

النار إلا أياماً معدودات» ؛ والنصرانية ظهرت في التشيع في قول بعضهم :
 إن نسبة الإمام إلى الله كنسبة المسيح إليه ، وقالوا إن اللاهوت اتحد
 بالناسوت في الإمام ، وإن النبوة والرسالة لا تنقطع أبداً ، فمن اتحد به
 اللاهوت فهو نبي ؛ وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله
 والحلول ، ونحو ذلك من الأقوال التي كانت معروفة عند البراهمة
 والفلاسفة والمجوس من قبل الإسلام ؛ وتستر بعض الفرس بالتشيع
 وحاربوا الدولة الأموية ، وما في نفوسهم إلا الكره للعرب ودولتهم ،
 والسعى لاستقلالهم . قال المقرئ : «واعلم أن السبب في خروج أكثر
 الطوائف عن ديانة الإسلام ، أن الفرس كانت سعة الملك وعلو اليد على
 جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسها بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم
 الأحرار والأسیاد ، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم ، فلما امتحنوا
 بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب ، وكان العرب عند الفرس أقل
 الأمم خطراً ، تعاضمهم الأمر ، وتضاعفت لديهم المصيبة ، وراموا كيد
 الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى ، وفي كل ذلك يظهر الله الحق . . .
 فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع ، فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل
 التشيع بإظهار محبة أهل البيت واستشباع ظلم علي ، ثم سلكوا بهم
 مسالك شتى أخرجوهم عن طريق الهدى .

وقد ذهب الأستاذ «ولهوسن Wellhausin» إلى أن العقيدة الشيعية
 نبعت من اليهودية أكثر مما نبعت من الفارسية ، مستدلاً بأن مؤسسها عبد
 الله بن سبأ وهو يهودي ، ويميل الأستاذ «دوزي Dozy» إلى «أن أساسها
 فارسي ، فالعرب تدين بالحرية ، والفرس يدينون بالملك ، وبالوراثة في
 بيت المال ، ولا يعرفون معنى لانتخاب الخليفة ، وقد مات محمد ولم
 يترك ولداً فأولى الناس بعده ابن عمه علي بن أبي طالب ، فمن أخذ

الخلافة منه كأبي بكر وعمر وعثمان والأمويين، فقد اغتصبها من مستحقها. وقد اعتاد الفرس أن ينظروا إلى الملك نظرة فيها معنى إلهي، فنظروا هذا النظر نفسه إلى علي وذريته وقالوا: إن طاعة الإمام أول واجب وإن إطاعته إطاعة الله.

والذي أرى - كما يدلنا التاريخ - أن التشيع لعلّي بدأ قبل دخول الفرس في الإسلام، ولكن بمعنى ساذج، وهو أن علياً أولى من غيره من وجهتين، كفايته الشخصية، وقربته للنبي، والعرب من قديم تفخر بالرياسة وبيت الرياسة، وهذا الحزب - كما رأينا - وجد من بعد وفاة النبي ﷺ ونما بمرور الزمان وبالمطاعن في عثمان، ولكن هذا التشيع أخذ صبغة جديدة بدخول العناصر الأخرى في الإسلام من يهودية ونصرانية ومجوسية، وأن كل قوم من هؤلاء كانوا يصبغون التشيع بصبغة دينهم. فاليهود تصبغ الشيعة يهودية، والنصارى نصرانية، وهكذا. وإذا كان أكبر عنصر دخل في الإسلام هو عنصر الفارسي كان أكبر الأثر في التشيع إنما هو الفرس» (١٥٦).

وهذا آخر ما أردنا ثبته في كتابنا هذا والله يهدينا إلى سبيل الرشاد ووفقنا لما يحبه ويرضاه من خدمة دينه ورفع كلمته والدفاع عن شريعة وحمة شريعته محمد وأصحابه وأهل بيته أجمعين، وصلى الله على نبي محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وعلى آله الطيبين، وأصحاب الطاهرين، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين.

مصادر الكتاب ومراجعته

- ١ - اثبات الوصية للمسعودي . ط : نجف .
- ٢ - اجمع الفضايح للملاكاظم . ط : إيران .
- ٣ - الاحتجاج للطبرسي . ط : قم ، إيران .
- ٤ - احقاق الحق للشوستری . ط : إيران .
- ٥ - الأخبار الطوال للدينوري . ط : بغداد .
- ٦ - ادوار علم الفقه لآل كاشف الغطاء . ط : بيروت ١٣٩٩ هـ .
- ٧ - الارجوزة المختارة للقاضي النعمان . ط : مونتريال . كندا ١٩٧٠ م .
- ٨ - الارشاد للمفيد . ط : إيران .
- ٩ - اساس الأصول للدلدار علي . ط : الهند .
- ١٠ - الاستبصار للطوسي . ط : طهران . طبعه ثالثه ١٣٩٠ هـ .
- ١١ - اسرار الشهادة للدربندي . ط : إيران .
- ١٢ - الاشعيات للاشعث الكوفي . ط : طهران .
- ١٣ - أصل الشيعة وأصولها لآل كاشف الغطاء . ط : بيروت .
- ١٤ - أصول العقيدة لمهدي الصدر . ط : بيروت .
- ١٥ - أصول الفقه لمحمد رضا المظفر . ط : القطيف ، السعودية .
- ١٦ - الاعتقادات لابن بابويه . ط : طهران .
- ١٧ - اعلام السوری للطبرسي . ط : دار الكتب الإسلامية ، طبعه ثالثه ، إيران .
- ١٨ - اعيان الشيعة لمحسن الأمين . ط : بيروت .
- ١٩ - الأغاني للأصفهاني . ط : بيروت ، لبنان .
- ٢٠ - الأمالي لابن بابويه القمي . ط : بيروت .
- ٢١ - الأمالي للطوسي . ط : قم ، إيران .
- ٢٢ - أمالي المرتضى . ط : بيروت .
- ٢٣ - الامام الصادق والمذاهب الأربعة لأسد حيدر . ط : بيروت .
- ٢٤ - أمل الأمل .
- ٢٥ - أمير المؤمنين لمحمد جواد الشري .
- ٢٦ - الانتصار للمرتضى . ط : نجف ، ١٣٩١ هـ .
- ٢٧ - أنساب بيوتات قاين . ط : طهران ، إيران .
- ٢٨ - الأنوار النعمانية للجزائري . ط : تبريز .
- ٢٩ - الايقان المحلي .
- ٣٠ - الايقاظ من المجمع للحر العاملي . ط : قم ، إيران ١٣٨١ هـ .
- ٣١ - الباكورة السليمانية . ط : بيروت .
- ٣٢ - بحار الأنوار للمجلسي . ط : قديم ، إيران .
- ٣٣ - بشارة المصطفى لأبي جعفر . ط : نجف .
- ٣٤ - تاريخ الاسامية لعبد الله فياض . ط : بيروت ، لبنان .
- ٣٥ - تاريخ الشيعة لمحمد حسين المظفری . ط : قم ، إيران .
- ٣٦ - تاريخ ما بعد الظهور لمحمد الصدر . ط : بيروت .
- ٣٧ - تاريخ طراز مذهب مظفری . ط : إيران .
- ٣٨ - تاريخ العلويين للطويل . ط : بيروت .
- ٣٩ - تاريخ اليعقوبي . ط : بيروت . ١٣٧٩ هـ .
- ٤٠ - تأسيس الشيعة للمعلوم الاسلاميه للسيد حسن الصدر . ط : بيروت .
- ٤١ - تبصرة المعلمين لابن المطهر الحلي .
- ٤٢ - تجمع الذخائر الاسلامية ، إيران .
- ٤٣ - تنمة المنتهى للعباس القمي . ط : إيران .
- ٤٤ - ١٣٨٧ هـ .

- ٦٧ - حلية المتقين للمجلسي . ط : طهران .
 ٦٨ - حملة حيدري للمرزّه بازل . ط :
 ايران .
 ٦٩ - حياة القلوب للمجلسي . طهران ،
 ايران .
 ٧٠ - الخلاصة للحلي .
 ٧١ - دائرة المعارف الشيعية لحسن الأمين .
 الطبعة الثانية ١٣٩٣ بيروت .
 ٧٢ - دعوة الحق وقول الصدق للصافي . ط :
 بيروت .
 ٧٣ - دلائل الصدق للمظفر .
 ٧٤ - ذخائر العقبي . ط : بيروت .
 ٧٥ - ذرائع البيان للتجفي . ط : ايران .
 ٧٦ - رجال الكشي . ط : كربلاء .
 ٧٧ - رجال الطوسي . ط : نجف ، ١٣٨٠ .
 ٧٨ - رجال النجاشي . ط : قم ، ايران .
 ٧٩ - رجال أبي داؤد .
 ٨٠ - الرسائل للخميني . ط : قم ، ايران
 ١٣٨٥هـ .
 ٨١ - روضة الواعظين للفتال النيسابوري .
 ط : قم ، ايران .
 ٨٢ - روضة الصفا فارسي . ط : ايران .
 ٨٣ - روضات الجنات للخوانساري . ط :
 قم ،
 ٨٤ - رياحين الشريعة للمحلاتي . ط :
 ايران .
 ٨٥ - رياض العلماء .
 ٨٦ - الشافي للشريف المرتضى . ط : ايران .
 ٨٧ - شرائع الاسلام للحلي . ط : ايران .
 ٨٨ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد .
 ط : بيروت .
 ٨٩ - شرح نهج البلاغة لابن الميثم . ط :
 ايران .
 ٩٠ - شرح نهج البلاغة للدنبلي . ط :
 ايران .

- ٤٣ - تحف العقول عن آل الرسول للمراني
 ط : نجف ١٣٨٠هـ .
 ٤٤ - تحفة الأحباب . ط : ايران .
 ٤٥ - تفسير البرهان للبحراني . ط : قم ،
 ايران .
 ٤٦ - تفسير البصائر لرستگار . ط : ايران .
 ٤٧ - تفسير العياشي . ط : ايران .
 ٤٨ - تفسير العسكري . ط : الهند ، القديم .
 ٤٩ - تفسير فرائد الكوفي . ط : قم ، ايران .
 ٥٠ - تفسير القمي . ط : نجف ١٣٨٦هـ .
 ٥١ - تفسير الصافي للفيض الكاشاني . ط :
 كبير ايران .
 ٥٢ - تفسير الكاشف للمفنية . ط : بيروت .
 ٥٣ - تفسير مجمع البيان للطبرسي . ط :
 بيروت .
 ٥٤ - تفسير منهج الصادقين لفتح الله
 الكاشاني . ط : طهران ، ايران .
 ٥٥ - تفسير الميزان للطباطبائي . ط :
 بيروت .
 ٥٦ - تفسير نور الثقلين للحويزي . ط :
 قم ،
 ٥٧ - تلخيص الشافي للطوسي . ط : ايران .
 ٥٨ - التنبيه والاشراف للمسعودي . ط :
 ايران .
 ٥٩ - جامع الرواة للارديبيلي الحائري . ط :
 قم ، ايران ١٤٠٣هـ .
 ٦٠ - جامع السعادات للنراقي . ط :
 بيروت .
 ٦١ - الجامع في الرجال للزنجاني . ط : قم ،
 ٦٢ - جلاء السببون للمجلسي . ط :
 طهران ، ايران .
 ٦٣ - حجة اثنا عشرى لحقو فارسي . ط :
 ايران .
 ٦٤ - حديقة الشيعة للمقدسي الاردبيلي .
 ط : طهران ، ايران .
 ٦٥ - حق اليقين للمجلسي . ط : طهران .
 ٦٦ - حق اليقين في معرفة أصول الدين لعبد
 الله الشير . ط : ايران .

- ١٠٨ - علل الشرائع للصدوق ط: بيروت.
- ١٠٩ - علم أصول الفقه للمغنية ط: بيروت.
- ١١٠ - عين الحياة للمحلى ط: ايران.
- ١١١ - عيون أخبار الرضا لابن بابويه القمي ط: طهران، ايران.
- ١١٢ - عيون الأخبار وفنون الآثار للقرشي بيروت.
- ١١٣ - عيون أخبار الرضا لابن بابويه القمي ط: طهران، ايران.
- ١١٤ - الغارات للثقفى ط: ايران.
- ١١٥ - فرق الشيعة للتوبختي ط: كربلاء.
- ١١٦ - الفصول المهمة للحر العاملي ط: قم.
- ١١٧ - الفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الصباغ ط: ايران.
- ١١٨ - فضائل أمير المؤمنين لمحمد حسن المظفر.
- ١١٩ - فقه القرآن للراوندى ط: قم، ايران ١٣٩٩هـ.
- ١٢٠ - فقه الشيعة للقرزوينى ط: ايران.
- ١٢١ - الفكر الشيعى والنزعات الصوفية للشيبى ط: بغداد ١٣٨٦هـ.
- ١٢٢ - الفهرست للنجاشى ط: نجف،
- ١٢٣ - الفهرست لابن النديم ط: بيروت لبنان.
- ١٢٤ - فهرست لابی القاسم الابراهيمى ط: ايران.
- ١٢٥ - الفوائد الرضوية للقمي ط: ايران.
- ١٢٦ - الفوائد المدنية للاسترا آبادى ط: ايران.
- ١٢٧ - قرب الاستاد للحميرى القمي طهران،
- ١٢٨ - قصص الأنبياء للراوندى ايران.

- ٩١ - شرح نهج البلاغة لعلى التقي ط: ايران.
- ٩٢ - شرح نهج البلاغة للكاشانى ط: ايران.
- ٩٣ - الشيعة في عقائدهم واحكامهم للقرزوينى ط: الكويت.
- ٩٤ - الشيعة في التاريخ لمحمد حسين الزين ط: الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٩٩هـ.
- ٩٥ - الشيعة في الميزان للمغنية ط: بيروت.
- ٩٦ - شيعة در اسلام للطباطبائى ط: ايران.
- ٩٧ - الشيعة بين الحقائق والأوهام لمحسن الأمين ط: الطبعة الثالثة، بيروت ١٣٩٧هـ.
- ٩٨ - الصافي للقرزوينى في شرح أصول الكافي.
- ٩٩ - الصراط المستقيم للنباتى ط: الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ ايران.
- ١٠٠ - الصحيفة الكاملة لزين العابدين ط: بيروت.
- ١٠١ - الصلح الحسن لآل ياسين ط: ايران.
- ١٠٢ - الصلة بين التصوف والشيعة ط: بغداد.
- ١٠٣ - الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طائوس ط: قم، ايران ١٤٠٠هـ.
- ١٠٤ - طرائق الحقائق للحاج معصوم على ط: ايران.
- ١٠٥ - عمدة الطالب في أنساب آل ابي طالب.
- ١٠٦ - عمدة الشيعة في الامامة لمحمد باقر الشريعتى ط: قم، ايران.
- ١٠٧ - علل الشرائع لابن بابويه القمي ط: بيروت، لبنان.

- ١٢٩ - قصص الأنبياء للجزائري. ط: بيروت.
- ١٣٠ - الكافي للكليني. ط: طهران، إيران.
- ١٣١ - كامل الزيارات لابن قلوبه. ط: إيران.
- ١٣٢ - كتاب سليم بن قيس العامري. ط: بيروت ١٤٠٠هـ.
- ١٣٣ - كتاب الخصال لابن بابويه القمي. ط: طهران، إيران ١٣٨٩هـ.
- ١٣٤ - كتاب الغيبة للطوسي. ط: إيران.
- ١٣٥ - كتاب الغيبة للنعمان. ط: إيران.
- ١٣٦ - كتاب كمال الدين والنعمة لابن بابويه. ط: طهران طبعة ثانية ١٣٩٥هـ.
- ١٣٧ - كتاب الخرائج والجرائح للراوندي. ط: إيران.
- ١٣٨ - كتاب المناقب لابن شهر آشوب. ط: قم، إيران.
- ١٣٩ - كتاب الخلاف للطوسي، ط: قم، إيران.
- ١٤٠ - كتاب الرجال للحلي. ط: نجف ١٣٨١هـ.
- ١٤١ - كتاب الشيعة والسنة في الميزان لمؤلف مجهول. بيروت لبنان.
- ١٤٢ - كتاب البلدان لليعقوبي. ط: مصر.
- ١٤٣ - كشف الغمة للارديملي. ط: بيروت.
- ١٤٤ - كتاب صفين لابن مزاحم. ط: بيروت.
- ١٤٥ - كشف الأسرار عن وجه الغائب عن الابصار للنوري الطبرسي. ط: قم ١٤٠٠هـ.
- ١٤٦ - كتاب الزهد للاهوازي. ط: إيران ١٤٠٢هـ.
- ١٤٧ - لغت نامه دهخدا. ط: طهران.
- ١٤٨ - متشابه القرآن ومختلفه لابن شهر آشوب. ط: قم، إيران.
- ١٤٩ - مجالس المؤمنين للشوستري. ط: إيران.
- ١٥٠ - المجالس السنية لابن شهر آشوب. ط: إيران.
- ١٥١ - مجمع البيان للطبرسي. ط: بيروت لبنان.
- ١٥٢ - المحاسن للبرقي. ط: قم إيران الطبعة الثانية.
- ١٥٣ - مدارج نبع البلاغة لكاشف الغطاء. ط: بيروت.
- ١٥٤ - مرآة العقول للمجلسي. ط: قديم إيران.
- ١٥٥ - مروج الذهب للمسعودي. ط: بيروت.
- ١٥٦ - المراجعات لشرف الدين الموسوي.
- ١٥٧ - مستدرک الوسائل للنوري الطبرسي. ط: مكتبة دار الخلافة، طهران.
- ١٥٨ - مصائب النواصب للشوستري، إيران.
- ١٥٩ - مشجر الأولياء لنور بخش، باكستان.
- ١٦٠ - مشارق أنوار اليقين للبرسي. ط: بيروت ١٩٧٨م.
- ١٦١ - مصحف الدروز.
- ١٦٢ - معالم الأصول لجمال الدين. ط: إيران.
- ١٦٣ - معراج السعادة للتراقي. ط: إيران.
- ١٦٤ - معالم العلماء.
- ١٦٥ - معاصر الأصول.
- ١٦٦ - معجم المؤلفين للكحالة. ط: بيروت.
- ١٦٧ - مع الشيعة الامامية للمغنية. ط: بيروت.
- ١٦٨ - مفاتيح الجنان. ط: إيران.

١٩٠ - أضواء على العقيدة الدرزية لأحمد فوزان.

١٩١ - اعتقادات فرق المسلمين والمشركون للرازي. ط: الأزهر، القاهرة ١٣٩٨هـ.

١٩٢ - الاكمال لابن ماكولا.

١٩٣ - الأنساب للسمعاني.

١٩٤ - أنساب الأشراف للبلاذري.

١٩٥ - البداية والنهاية لابن كثير. ط: بيروت.

١٩٦ - الباية للمؤلف.

١٩٧ - البهائية للمؤلف.

١٩٨ - التاريخ الصغير.

١٩٩ - تاريخ بغداد للخطيب.

٢٠٠ - تذكرة الحفاظ للذهبي.

٢٠١ - تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني. ط: حيدر آباد، دكن، الهند.

٢٠٢ - تقريب التهذيب. بيروت.

٢٠٣ - تاريخ ابن عساكر.

٢٠٤ - تهذيب تاريخ ابن عساكر.

٢٠٥ - تاريخ دمشق.

٢٠٦ - تاريخ الأمم والملوك للطبري. ط: بيروت.

٢٠٧ - تاريخ ابن خلدون. ط: بيروت ١٣٩٩هـ.

٢٠٨ - تاريخ الخلفاء للسيوطي.

٢٠٩ - تاريخ خليفه بن خياط.

٢١٠ - التبصير في الدين للاسفرائيني.

٢١١ - تاج العروس للزبيدي.

٢١٢ - تثبيت دلائل النبوة للهمداني.

٢١٣ - جبهة أنساب العرب لابن حزم.

٢١٤ - الحور العين.

٢١٥ - خلاصة تهذيب الكمال.

٢١٦ - الخطط للمقرئزي.

٢١٧ - دائرة المعارف الاسلامية اردوط: لاهور.

١٦٩ - المقالات والفرق لسعد بن عبد الله القمي. ط: طهران ١٩٦٣م.

١٧٠ - مقاتل الطالبين للاصفهاني. ط: بيروت.

١٧١ - مقتل أبي مخنف. ط: بيروت.

١٧٢ - من لا يحضره الفقيه لابن نابويه القمي. ط: طهران.

١٧٣ - منار الهدى لعلی البحرانی.

١٧٤ - منتهى الآمال للعباس القمي. ط: طهران، ايران.

١٧٥ - مناجاة الكرامة للحلي. أوفست باكستان ١٣٩٦هـ.

١٧٦ - ناسخ التواريخ للميزره تقى خان. ط: قديم ايران.

١٧٧ - النجم الثاقب للتورى الطبرسى. ط: نجف.

١٧٨ - نهاية الدراية.

١٧٩ - نقد الرجال للتفرشى. ط: ايران.

١٨٠ - نقد الرجال. ط: ايران.

١٨١ - نهج البلاغة بتحقيق صبحى صالح. ط: بيروت.

١٨٢ - نهج البلاغة، بتحقيق محمد عبده. ط: مصر.

١٨٣ - هوية الشيعة لأحمد الوائلى. ط: بيروت.

١٨٤ - وسائل الشيعة للحر العاملى. ط: بيروت.

كتب التاريخ والرجال والفرق للسنة

١٨٥ - أساس البلاغة للزمخشري المعتزلى.

١٨٦ - أسد الغابة لابن الأثير.

١٨٧ - إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء للشاه ولي الله.

١٨٨ - الاصابة لابن حجر.

١٨٩ - أصول الدين للبغدادى.

- ٢١٨ - سير أعلام النبلاء للذهبي .
 ٢١٩ - السيرة لابن هشام .
 ٢٢٠ - الشيعة والقرآن للمؤلف باكستان .
 ٢٢١ - الشيعة والسنة للمؤلف باكستان .
 ٢٢٢ - الشيعة وأهل البيت للمؤلف .
 ٢٢٣ - الصحاح للجوهري .
 ٢٢٤ - الصواعق المحرقة لابن حجر المكي .
 ٢٢٥ - الطبقات لابن سعد .
 ٢٢٦ - طائفة الدروز لمحمد كامل حسين .
 ٢٢٧ - العواصم من القواصم .
 ٢٢٨ - الفصل بين الملل والنحل لابن حزم .
 ٢٢٩ - فتاوى شيخ الاسلام لابن تيمية .
 ٢٣٠ - فجر الاسلام لأحمد أمين .
 ٢٣١ - فتوح البلدان للبلاذري .
 ٢٣٢ - القاموس للفيروز آبادي .
 ٢٣٣ - كتاب الكنى والاسماء للدولابي .
 ٢٣٤ - كتاب الجرح والتعديل للرازي .
 ٢٣٥ - كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي .
 ٢٣٦ - كتاب المجروحين لابن حبان .
 ٢٣٧ - الكامل لابن الأثير .
 ٢٣٨ - كتاب المحبر للبغدادى .
 ٢٣٩ - لسان الميزان لابن حجر .
 ٢٤٠ - لسان العرب لابن المنظور الأفریقی .
 ٢٤١ - ميزان الاعتدال للذهبي .
 ٢٤٢ - مقدمة ابن خلدون .
- ٢٤٣ - منهاج السنة لابن تيمية .
 ٢٤٤ - مقالات الاسلاميين للأشعري .
 ٢٤٥ - الملل والنحل للشهرستاني .
 ٢٤٦ - موسوعة اصطلاحات العلوم
 الاسلامية للتهانوى . ط : بيروت .
 ٢٤٧ - مختصر التحفة الاثنى عشرية
 للالكوسى .
 ٢٤٨ - معجم مقاييس اللغة .
 ٢٤٩ - المخصص لابن سيده .
 ٢٥٠ - النهاية لابن الأثير .
 ٢٥١ - النجوم الزاهرة للثغرى البردى .
 ٢٥٢ - نسب قریش لمصعب الزبيرى .
 ٢٥٣ - وفيات الأعيان لابن خلكان .
- كتب المستشرقين**
- ٢٥٤ - احرارح والشيعة لوهوزن ترجمة
 عربى .
 ٢٥٥ - عقيدة الشيعة لدونالدسن ترجمة
 عربى .
 ٢٥٦ - العقيدة والشرعية لجولدزير ترجمة
 عربى .
 ٢٥٧ - مقالات فى تاريخ الاسلام للدوزى .
 ٢٥٨ - كتاب المستشرق ملر .
 ٢٥٩ - مقدمة نقطة الكاف للبراؤن . ط :
 فارسى .

فهرست الكتاب

الموضوع

الصفحة

المقدمة ٥

الباب الأول: التشيع الأول والشيعه الأولى

١٣ - ٤٤

١٣	التشيع الأول والشيعه الأولى
١٣	الشيعه لغة واصطلاحاً
١٣	شيعه على وشيعه معاوية
١٤	شروط معاوية للاعتراف بخلافة علي
١٥	شيعه آل محمد وشيعه بنى معاوية
١٦	العثمانية والعلوية
١٧	الخلاف بين علي ومعاوية لم يكن خلاف الكفر والإسلام
١٩	متى وجد التشيع ومتى تكونت الشيعه
٢٠	ما قاله المظفرى
٢٠	المجازفة بالقول والرد من الكتاب والسنة
٢٣	تمسك القوم بالأحاديث الموضوعه
٢٣	مخالفة العقل والنقل
٢٤	اضطراب آراء القوم وأقوالهم
٢٧	الخلاف قبل مقتل عثمان وبعد مقتله
٢٩	نوعيه الخلاف
٣٢	تسميه علي أبناءه بأسماء الخلفاء الراشدين الثلاثة
٣٣	صلح الحسن مع معاوية احدى شروط الصلح
٣٤	مبايعه الحسن والحسين معاوية أميراً وخليفه
٣٤	أولاد علي نكحوا وأنكحوا بنى أميه
٣٧	روايه الكافى عن زين العابدين فى حق يزيد
٣٧	التشيع الأول لم يكن مدلوله عقائداً مخصوصه

الشيعة الأولى لم تكن إلا حزبا سياسيا يرى رأى علي دون

معاوية ٣٧

تردد الحسن والحسين على معاوية وقبولها الهدايا منه ٣٨

قبول زين العابدين الهدايا من مروان ٣٩

آل علي كانوا يصلون خلف الأمويين ٣٩

تطور التشيع وتغيير الشيعة ٤٠

محاولة اليهود والمنافقين والمجوس القضاء على الإسلام وعلى

الخلافة الإسلامية - مطاعنهم على أصحاب النبي - براءة الشيعة

الأولى منهم . تحاذل الشيعة ومعاتبه علي إياهم ٤١

الباب الثاني: التشيع والسبئية

٧٧ - ٤٥

الشيعة الأولى مع تحاذلهم لم يكونوا مختلفين مع الآخرين في العقائد،

المؤمرات والدساتيس لتطوير التشيع وتبديل الشيعة الأولى ٤٧

عبد الله بن سبأ والسبئية ٤٨

ما قاله الطبري وابن خلدون وابن حجر والاسفرائيني عن عبد الله.

ابن سبأ ٤٩

سعي ابن سبأ بالفتنة والفساد ٥١

الأفكار اليهودية المدسوسة ٥٣

ما ذكره النوبختي والكشي والحلي والمامقاني والمرزا والاسترآبادي

وابن أبي الحديد عن السبئية ٥٤

ما قاله المحققون من أهل السنة عن السبئية ٥٩

بعض المتأخرين من الشيعة أنكروا وجود ابن سبأ ٦٢

الرد على من أنكروا من الشيعة أنفسهم ٦٣

شهادة المستشرق (ولهوزن) بأن الشيعة لم تكن فرقة دينية في

الأصل ٦٩

إعلان علي بأنه لا يفضل نفسه على الخلفاء الراشدين - وإعلان

براءته عن قتل عثمان - ٧٠

٧٢	وضع الشيعة الأحاديث الموضوعة المكذوبة
٧٤	انخداع بعض الشيعة من السبئية واعتناقهم عقائدهم
الباب الثالث : الشيعة ومطاعنهم على ذي النورين والسبئية	
وفتنتهم أيامه	
٧٩ - ١٣٤	

٧٩	دين الشيعة الكذب
٨٠	رواة المطاعن هم الشيعة
٨١	أبو مخنف الأزدي من كتب الشيعة والسنة
٨٥	الواقـدى
٨٧	الكذابون المعروفون بالكذب على رسول الله ﷺ أربعة
٩٤	مخطط السبئية لتفريق وحدة المسلمين
٩٥	ايرادات السبئيين على ذي النورين
٩٦	رد عثمان عليهم
٩٨	خطبة ذي النورين لتفنيد مزاعمهم
١٠٠	حوادث وفتن
١٠٢	محاصرة عثمان
١٠٣	قتل عثمان ظلماً وعدواناً
١٠٤	استشهـاد عثمان
١٠٥	مطاعن الشيعة على ذي النورين
١٠٨	الرد على طعن ايثار ذي القربى
١١٣	تولية الوليد بن عقبة على الكوفة
١١٤	سعيد بن العاص
١١٥	قبول علي هدايا سعيد بن العاص
١١٦	خطبة سعيد بن العاص أم كلثوم بنت علي
١١٦	عبد الله بن عامر عامل عثمان على العراق
١١٨	مروان بن الحكم
١١٩	نقلة المطاعن السبئية

- شفاعة الحسن والحسين لمروان بن الحكم - وصلاتها خلفه ١٢٠
 زواج ابنة علي من ابن مروان ١٢١
 زواج حفيدات علي من أحفاد مروان ١٢٢
 الطعن بأن عثمان يؤثر أهله بالأموال والرد عليه ١٢٣
 قتل عثمان ١٢٤
 ادعاء ضرب ابن مسعود وقضية عمار ونقي أبي ذر ١٢٥
 عدم القصاص من ابن عمر ١٢٧
 قضية الأذان الثاني في الجمعة ١٢٩
 دفاع علي عن عثمان ١٣٠
 مقام عثمان وشأنه ١٣١

الباب الرابع : تطور التشيع الأول . والشيعية الأولى . ودور السبئية بعد مقتل عثمان وأيام علي ١٣٥ - ١٦١

- المدينة بعد مقتل عثمان ١٣٦
 امتناع الصحابة عن قبول الخلافة ١٣٧
 امتناع علي عن قبول البيعة - إجباره على قبولها - امتناع الصحابة
 عن البيعة ١٣٩
 استتار قتلة عثمان وراء المبايعين لعلي ١٤٠
 اجتماع الصحابة إلى علي ومطالبتهم إقامة الحد في قتلة عثمان ١٤١
 منع ابن عباس علياً عن أخذ البيعة، ومنع الحسن أباه عن البقاء
 في المدينة ١٤٢
 تجمعات السبئية ومطالبة الصحابة طردهم وإقامة الحد فيهم ١٤٣
 قنوط الزبير وطلحة من اقتصاص عثمان، وعزل علي معاوية ١٤٥
 سعي السبئية بالفتنة والفساد ١٤٦
 منع الحسن أباه من الخروج إلى محاربة أهل الشام وحرب الجمل ١٤٧
 تناقل أهل المدينة عن الخروج مع علي ١٤٨
 حرب الجمل وسعي السبئية في إشعال نارها ١٤٩

- ١٥٣ محاولة الصلح
 ١٥٤ سعي السبئية لنسف محاولة الصلح
 ١٥٦ وقوع الكارثة - صلاة علي على قتلى الجمل من الطرفين
 ١٥٧ علي لا يرى مخالفه كفاراً
 ١٥٨ خبث السبئيين
 ١٥٩ حزب الصنفين
 ١٦٠ الشيعة الأولى

الباب الخامس: فرق الشيعة وتاريخها وعقائدها

١٦٣ - ٢٦٧

- ١٦٣ اجتماع الشيعة بعد علي حول الحسن - بدعة السبئية في الغلو
 ١٦٤ افتراق الشيعة بعد علي
 ١٦٥ مجاهرة ابن سبأ بأفكاره بعد قتل علي
 ١٦٦ محاربة الحسن لابن سبأ وأفكاره
 ١٦٧ فتن السبئية أيام الحسن
 ١٦٨ خذلان الشيعة للحسن
 ١٧٠ إمارة معاوية ونصيحة علي
 ١٧١ شيعة ساباط المدائن - جرحهم للحسن - صلح الحسن مع معاوية
 ١٧٢ افتراق الشيعة
 ١٧٤ الكيسانية
 ١٧٦ الشيعة أيام الحسين
 ١٧٧ مكاتبة الكوفيين الحسين
 ١٧٨ خروج الحسين إلى الكوفة
 ١٨٠ خبر مسلم بن عقيل
 ١٨٣ الكوفيون
 ١٨٤ الكوفيون هم الذين قتلوا الحسين
 ١٨٥ عدد شيعة الكوفة
 ١٨٦ تطور التشيع

١٨٧	الفرس
١٨٨	الكيسانية
١٩١	المختار الثقفى
١٩٥	تغير الشيعة الأولى
١٩٧	المختار الثقفى وحروبه
١٩٩	افتراق الشيعة بعد مقتل الحسين
٢٠٠	الغرايبة
٢٠١	المعتقدون بالوهية العباد
٢٠٤	الشيعة بعد علي بن الحسين - الزيدية
٢٠٨	الجارودية
٢٠٩	معتقدات الزيدية
٢١٣	الشيعة أيام جعفر بن الباقر
٢١٤	التطور التام والتغير الجذرى
٢١٨	افتراق الشيعة أيام الجعفر
٢٢٠	مدعى الإمامة من أهل البيت فى حياة جعفر
٢٢٤	الشيعة بعد وفاة الجعفر
٢٢٥	الناوسية السمطية
٢٢٦	الفتحية
٢٢٨	الاسماعيلية
٢٣١	موقف الاسماعيلية وأدلتهم
٢٣٣	القرامطية
٢٣٥	الأغاخانية والبحرة
٢٣٦	الدروز
٢٣٧	عقائد الدروز
٢٣٨	كلام ابن تيمية فى الدروز
٢٣٩	فرق الشيعة أيام موسى الكاظم
٢٤٥	مدعى الإمامة فى عهد موسى الكاظم من أهل البيت
٢٤٧	الشيعة أيام علي بن موسى

- ٢٤٨ افتراق الشيعة أيام علي بن موسى
 ٢٥١ الشيعة أيام محمد بن علي
 ٢٥٢ افتراق الشيعة أيام محمد بن علي
 ٢٥٤ مدعي الامامة عن أهل البيت أيام محمد بن علي
 ٢٥٥ الشيعة أيام علي بن محمد - النصيرية
 ٢٥٦ عقائد النصيرية
 مدعي الامامة أيام محمد بن علي من أهل البيت - الشيعة أيام
 ٢٥٩ الحسن العسكري
 ٢٦٠ افتراق الشيعة أيام الحسن العسكري
 ٢٦١ الشيعة بعد وفاة الحسن العسكري
 ٢٦٢ افتراق الشيعة أربعة عشر فرقة

الباب السادس: الشيعة الاثنا عشرية

٢٦٩ - ٣٣٠

- ٢٧٠ أسماؤهم : الاثنا عشرية - الجعفرية - الرافضة - الامامية
 ٢٧٢ الامام الثاني عشر ولد ولم يولد
 ٢٨٢ لماذا قالوا بولادة هذا المعلوم
 ٢٨٤ شروط الامامة
 ٢٨٦ للإمام علامات
 ٢٨٩ شك الشيعة في علوم أئمتهم
 ٢٩٢ فقدان جميع الشروط في الحسن العسكري
 ٢٩٩ حكايات وخرافات - قصص وأساطير
 ٣٠١ لم يكن واحد منهم معصوم
 ٣٠٢ الإمام لا يبايع أحداً - لماذا أوجبوا إمامة أئمتهم
 ٣٠٣ الإمامة واجبة
 ٣٠٤ الرد عليهم
 ٣٠٦ الأكاذيب ، الأكاذيب - كلام ابن حزم
 ٣٠٧ افتراق الاثنا عشرية - الشيعة

٣٠٩ عقائدهم
٣١٤ النوربخشية - وعقائدهم
٣١٥ زعيم النوربخشية وعقائدهم
٣٢٠ الاخبارية والأصولية
٣٢٥ أهم كتب الشيعة الاثني عشرية ورجالاتهم

الباب السابع: الشيعة الاثنا عشرية والعقائد السبئية

٤٠١ - ٣٣١

٣٣٢ العقائد السبئية ومخططات ابن سبأ
٣٣٣ هل الدين إلا الحب
٣٣٦ الولايات
٣٣٩ القرآن والسنة
٣٤٣ البغض لأصحاب رسول الله
٣٤٤ عقيدة السيد الخميني
٣٤٥ كتابه كشف الأسرار
٣٥١ الوصاية - روايات باطلة - الغيبة
٣٥٢ الغيبة الكبرى والغيبة الصغرى - سفراء الغائب
٣٥٣ تواقيع الإمام
٣٥٤ أين الإمام
٣٥٥ ماذا يعمل الإمام
٣٥٩ حكايات وخرافات ... الرجعة
٣٦١ من يكون المهدي
٣٦٢ منزلته وشأنه
٣٦٣ متى يرجع المهدي
٣٦٤ أضاليل وأباطيل
٣٧١ كيف يرجع المهدي وأين يرجع
٣٧٤ يرجع عند البيت - أول من يبايعه جبرائيل والملائكة
٣٧٦ ماذا يعمل بعد رجوعه ؟

٣٧٧ يحى الأموات ويقتل أصحاب النبي
٣٨١ ظلمه وقسوته - يدعو إلى أمر جديد وكتاب جديد
٣٨٣ رجعة الأئمة مع رجعة القائم
٣٨٤ رجعة الحسن ويزيد وأنصارهما
٣٨٥ ويرجع علي ونبي أيضاً
٣٨٧ دابة الأرض
٣٨٨ بعد القائم سيخرج اثنا عشر مهدياً
٣٨٩ خرافة الجزائري
٣٩١ الحلول والتناسخ واتصاف الخلق بأوصاف الله
٣٩٣ رأي المستشرق دوزي في علاقة الشيعة بالسبئية
٣٩٤ رأي المستشرق ملر - والمستشرق وهوزن
٣٩٧ تأليه أهل البيت
٣٩٨ رأي أبو حمزة الخارجي
٣٩٩ قول هشام بن عبد الملك
٣٩٩ كلمة أحمد أمين
٤٠٣ مصادر الكتاب ومراجعته
٤٠٨ فهرست الكتاب